ندرة اليازجي

ردّ على اليهوديّة

الطبعة الثالثة مزيدة



دمشق ــ اوتوستراد المزة

هاتف

٢٤٤١٢٦ ــ ٢٤٣٩٥١ ــ ٢١٣٨٢١

تلكس: ٤١٢٠٥٠

ص. ب: ١٦٠٣٥

العنوان البرقي

طلاسدار

TLASDAR

ريع الدار مخصص

لصالح مدارس أبناء الشهداء في القطر العربي السـ

ردّ على اليهوديّة
واليهودية المسيحيّة

الطبعة الثالثة مزيدة
١٩٩٠

نَدرة اليازجي

رد على اليهوديّة

واليهودية المسيحيّة

مقدمة الطبعة الثالثة

أحب ، وأنا أقـدِّم للطبعة الثالثة ، أن أنـوِّه إلى حقيقة جوهرية هي أن كال أطروحة يبدو في ترابط مقدماتها ونتائجها ، وفي تناسق فصولها وامتلاء مضمونها بالمعنى . ولما كانت مقدمة الطبعة الثانية إكمالاً للفكرة الأساسية التي تردَّدت في سطور الطبعة الأُولى ، فإن الطبعة الثالثة تتمثل في بلوغ الفكرة حـدّ الامتلاء .

تشير مقدمة الطبعة الثالثة إلى حقيقتين : أولهما ، هي أن الإسرائيلية دين شريعة واليهودية طائفة متعصبة تمثل صهيونية إسرائيل ، ثانيتهما ، هي أن النصرانية إسرائيلية متطورة تتبـنّـى الإنجيل والتوراة ، والمسيحية بشارة من دون توراة .

تقوم مقدمة هذه الطبعة على توضيح نشأة اليهوديـة ، وفي هذا التوضيح إزالة للغموض الذي يكتنف الفكرة المطروحة وهي أن اليهودية

ليست ديناً. ولـمّـا كان طرح هذه الفكرة يتطـلّـب الدليل اليقين والبرهان المبـرّر، فإنني أعود إلى الفترة التاريخية الواقعة بين خروج بني إسرائيل من مصر ودخولهم إلى فلسطين لأُلقي الضوء على ماوقع من أحداث. وفي عودتي هذه، لاأعتمد على مصدر آخر سوى التوراة. لكنني، مع ذلك، أستند برأيـي إلى الكتابات الإيزوتيرية والمبادئ السـرّية التي ليست هي في متناول القارئ العادي. فأنا أعتقد أن الإجابة عن سؤال يُـطرح حول قضية تُـستنبط من القضية ذاتها بتمـثّـل عقلي ومنطقي، وبحدس إبداعي. وهذا هو القصد من العودة إلى الأصول. وتتمثل هذه العودة بتأمل نهاية سفر التكوين وبداية سفر الخروج.

تخبرنا التوراة، في سفر التكوين، عن ارتحال أبناء يعقوب، أي بني إسرائيل، إلى مصر. وتخبرنا أيضاً أن فرعـون مصر أرسل العربـات إلى فلسطين لنقل بني إسرائيل إلى أرض النيل. وتضيف التوراة أن فرعون أحسن استقبالهم، وأكرمهم، وأنزلهم في المنطقة المعروفة بجاسان، الأرض المتميزة بخصوبة تربتها. والحق يُـقال إن هذا التصـرّف دليل على سمـوّ إنسانية فرعون، وروحانية موقفه ومحبته الشاملة.

ينتهي سفر التكوين، بما يشتمل عليه، على النحو التالي: بنو إسرائيل ينعمون في «الفردوس» المصري.

عندما نلتفت إلى سفر الخروج نتساءل: كيف يبدأ هذا السفر؟

يبدأ سفر الخروج بوصف الفاجعة التي نزلت ببني إسرائيل، نتيجة

طردهم من مصر التي كان يحكمها فرعون طاغية، وذكر اللعنة التي تفوّه بها كاتب أو كاتبو التوراة على المصريين وعلى مصر «أرض العبودية»، وتعداد المصائب التي لحقت بالمصريين بسبب غضب إله بني إسرائيل!؟

عندما نتأمل الخلاصة التي ينتهي إليها سفر التكوين والبداية التي انطلق منها سفر الخروج، نتوصل إلى النتيجة الهامة التالية:

أغفل واضع أو واضعو التوراة الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية سفر التكوين وبداية سفر الخروج.

نتساءل: ما هو الحدث المميز في التاريخ المصري يومذاك؟

في تلك الفترة التاريخية انتهى عهد الفراعنة ــ الحكماء الصالحين بمقتل إخناتون، وتولّى دفة الحكم الفراعنة القساة المتسلّطون الذين أتى بهم إلى سدّة الحكم كهنة أمّون. قام كهنة أمون بانقلاب على إخناتون. ولقد أدّى هذا الانقلاب إلى تداعي عهد الازدهار المصري، وانقضاء عصر الحكمة والعلم والمحبة، وتقهقر الحضارة المصرية القديمة... تلك الحضارة التي تدهورت، ولم تستعد سابق مجدها، بعد سيطرة رجال الدين، كهنة أمون، الذين تنكّروا للمبادئ السامية التي نادى بها إخناتون وسالفوه من الفراعنة ــ الحكماء العظماء. إن تراجع مصر وتدهور حضارتها قضية تعود إلى تسلّم كهنة أمون والفراعنة الطغاة السيئين مقاليد الحكم بعد مقتل إخناتون.. هكذا، تصاب الحضارة بأعدائها الغاشمين.

نتساءل: ماذا حدث بعد الانقلاب على إخناتون وتسلّم جماعة أمون الحكم؟

لم يتمكّن حكماء المصريين، المتمثلين بأتباع إخناتون ومعلّمي السرية. من البقاء في مصر، فانتقلوا إلى بقاع أخرى يطلبون السكينة. واتخذت هجرتهم من مصر سبيلين: سبيل أول، هاجر كبار حكماء مصر إلى هضبة التيبت وجبال الهيملايا. ومكثوا هناك في تلك المنطقة المعزولة، ينتظرون وحياً أو إلهاماً يرشدهم إلى حلول زمان الكشف عن الأسرار التي احتفظوا بها طيلة قرون عديدة. وبالفعل، فقد بدأت تلك الحكمة السرية تكشف عن إيزوتيريتها عند نهاية القرن التاسع عشر، لتنتقل إلى أوروبا. واستفاد علماء الغرب، أو العديد منهم، من الحكمة القادمة من الشرق واستناروا بمضامينها وأسرارها التي أمدتهم بموهبة تجلّت في الدراسات المعمّقة التي يجريها العلماء على الطبيعة والإنسان. سبيل ثان، خرج صغار حكماء مصر إلى مكان قريب يقع عند أطراف المملكة الفرعونية، هو فلسطين؟ وتمثلت الشخصية البارزة في هذا الخروج بموسى. قاد موسى، وهو تلميذ في مدرسة الحكمة الإخناتونية، فئة من الناس خارج مصر عُرفت، خطأً أم صواباً، ببني إسرائيل.

هكذا ينتهي سفر التكوين، إذ ينتهي حكم الفراعنة ــ الحكماء النبلاء، ويبدأ سفر الخروج بحكم الفراعنة السيئين. ولقد ألزم الفراعنة، أتباع أمون، العديدين من أنصار الحكم السابق، حكم إخناتون، على الخروج من مصر؛ وكان الإسرائيليون بعض أولئك المبعدين. ولا شك أن

إغفال التوراة للتأريخ الزمني وعدم إلقاء الضوء على الوقائع والحقائق أمر غير مبـرّر. لقد أغفل كاتب أو كاتبو التوراة التمييز بين فراعنة ما قبل إخناتون وفراعنة ما بعد إخناتون. وهكذا، يصب كاتب التوراة، أو كتبة التوراة، سخطه أو سخطهم على مصر دون تمييز بين فترة سابقة لإخناتون وفترة لاحقة له. لقد عرف بنو إسرائيل السعادة والازدهار خلال الفترة السابقة لإخناتون، وفي غضون حكمه، ونعموا برفاه العيش. ولكن هذه النعمة لم تدم... مات إخناتون، آخر الفراعنة الصالحين... وبموته حـلّـت النكبة ليس بالإسرائيليين وحدهم، بل وبالمصريين بأكملهم. ولقد ندب هذا الوضع المأساوي إيُبوار، الحكيم المصري في برديته. وعمد بنو إسرائيل إلى اقتباس ما جاء في تلك البردية وترجموها لصالحهم. (راجع مقالتي التي وضعتها في اللغة الإنكليزية)

The Real Significance of The Exodus and The Papyrus of I puwer, . The Egyptian Sage

خرج بنو إسرائيل من مصر وعجزوا عن الدخول إلى فلسطين. وتجسّـد عجزهم في عدم ممارستهم لفنون القتال والحرب. ولم تكن فلسطين يومذاك غريبة عن بلاد مصر، إذ كانت طرفاً من أطراف المملكة المصرية المتنازع عليه مع الحثيين. ولما فشل بنو إسرائيل في دخول فلسطين انتظروا مجيء قائدهم يشوع الذي علمهم فنون الحرب واستعمال السلاح الجديد. هكذا، انتهى جيل الشيوخ وأقبل جيل الشباب.

عند سفح جبل سيناء بدأت مؤامرة حاكها هرون «رئيس الكهنة»

ضدّ أخيه موسى. استطاع هرون أن ينجح في انقلابه على موسى، فأطاح به. وتذكر كتب الحكمة أن موت موسى تم على يد هرون أو على أيدي أتباعه الذين هدفوا إلى تأسيس «دين» يتجسد في عبادة المال وتسوده المصلحة.

يئس موسى من الوضع المتردّي الذي بلغه بنو إسرائيل في صحراء التيه ـــ متاهة العقل والروح.. ولم يعد الإسرائيليون يصغون إلى الحكمة المصرية المتمثلة بموسى؛ لم يعودوا يستمعون إلى صوت الحق؛ وتوقفوا عن مشاهدة نور آتون... ضاق الشعب ذرعاً بمبادئ الحكمة، مبادئ إخناتون، وتمردوا على مفاهيم موسى التي تتصف بالحكمة المصرية وبتلميحات إلى السرّية الكونية.

ماذا فعل هرون؟

جمع الذهب الذي امتلكه الشعب وحوّله إلى ملكية النظام الكهنوتي. واستغلّ فرصة هياج الشعب فانقلب على أخيه موسى. تألم موسى، وعاد إلى الجبل بعد أن رأى شعبه يعبد الإله الجديد الذي أقامه هرون وسبط الكهنة... لم يعد موسى بعد صعوده إلى الجبل..؟! وتسلّم هرون زمام الأمور وأقام، مع معاونيه ومناصريه من الطامعين الجدد من بني إسرائيل، قائداً جديداً يأتمر بسلطة الكهنة.

ماذا كانت حصيلة هذا الانقلاب؟

١ ــ انتهى دور الإيمان بإله كوني ، نادى به موسى ، بعد إخناتون ، وبدأ دور التعبّد لإله شخصي ، خاص بفئة معينة .

٢ ــ انتهى عهد ديانة إيل ، وبدأت « ربوبية » يهوه .

٣ ــ تراجعت الإسرائيلية وحلّت اليهودية محلّها .

٤ ــ وطدّ الكهنوت اليهودي سلطته .

الخلاصة : بدأت اليهودية تحل محل الإسرائيلية .

يرى بعض الثقاة أن اليهودية قد تكون اشتقاقاً من يهوه ، أي اليهوية ، أكثر منه اشتقاقاً من يهوذا . ويرى بعضهم الآخر أن اليهودية اشتقاق من يهودا . وهكذا تكون اليهودية جماعة يهودا المتحدّرة من أصله ... هي الفرع المتعصب ، المتسلط الذي يسعى إلى سيادة بني إسرائيل .

بدأت اليهودية ، بعد هرون ، تضع شرائعها وعقائدها في كتاب سُميّ فيما بعد ، بالتوراة . فالتوراة ليست كتاباً وضعه موسى ، بل أئمة اليهود الذين وضعوا أسفار التوراة ، جاعلين من موسى مؤلفاً لها . وراحت اليهودية تعمل جاهدة لفرض سيطرتها على بني إسرائيل .

تلكم هي اليهودية التي سعى المسيح إلى تقويضها ... اليهودية التي صلبت المسيح .. التي رفضت سرّية الصليب ... اليهودية التي هي صهيونية بني إسرائيل . والصهيونية ، وفق هذا التحليل ، ليست قضية مستحدثة .. هي اليهودية التي يبعثها إلى الوجود الواقعي أحبار اليهود في

الأوقات العصيبة وفي الأزمات التي يعاني منها أولئك الأحبار مع الفئات التي تجنّـدها لخدمة مصالحها... فيتوقعون ظهور مخلص...!

ندرة اليازجي

مقدمة الطبعة الثانية

ترتكز مقدمتي هذه على الدراسات والبحوث التي قمت بها خلال السنوات الثماني المنصرمة بعد صدور الطبعة الاولى ، وما أكسبتني من خبرة في معرفة الأسرار والرموز التي تكتنف ديانات العالم ، وقدرة على تأويل ما جاء فيها في ضوء الثيوزوفية والمبادىء الايزوتيرية السرية .

ولما كانت الثيوزوفية والمبادىء الايزوتيرية ترشدني الى محبة الانسانية قاطبة واعتبار أبنائها اخوة في جماعة متآلفة تتنوع ألوانها وأجناسها وأفكارها وقيمها وأوطانها ، فإنني لن أقف في كتابي هذا موقفا عدوانيا من الشعوب الاخرى بل أعمل جاهداً من أجل معرفة عقيدة او عقائد أدت الى تقويض صرح المحبة . فالكتاب في صميمه ، دعوة الى معرفة الحقيقة وارشاد الى الإرتداد عن الضلال .

أثرت في هذه الطبعة الجديدة نقاطاً لم ترد في الطبعة السابقة أو لم تكن واضحة كما ينبغي . وتتردد هذه النقاط في تضاعيف الكتاب على نحو متكرر . وأتيت على ذكر الدور الذي يتوجب على الامم المسيحية ، وقد امتلأت أزمنتها ، أن تقوم به إزاء اليهودية طالما انها كانت مسؤولة عن حمل التوراة الى أصقاع العالم وتوزيعها ، وشرحها ، وتثبيتها ، وتعليم ماجاء فيها ، ووضعها بين أيدي المسيحيين ، واعتبارها كتاباً مقدساً . وشدّدت على ان يكون هذا الدور شبيهاً بدور المرشد إزاء المريد .

ولما كانت التساؤلات التي دارت حول بعض المفاهيم التي طرحت في كتابي عديدة ، فقد بذلت جهدي لتوضيحها وشرحها على نحو كاف . ففي الطبعة الثانية نجد تمييزا واضحاً بين الاسرائيلية واليهودية : الاسرائيلية دين واليهودية طائفة متعصبة من طوائف بني اسرائيل . ونجد كيف ان المسيحية تُسقط اليهودية وتبقي على الاسرائيلية .

وتعرضت ، وانا اعيد النظر في ما جاء في الطبعة الاولى ، الى التفريق بين النصرانية والمسيحية : النصرانية اسرائيلية متطورة تتبنى الانجيل والتوراة ، والمسيحية بشارة من دون توراة . وبالاضافة الى هذا ، تعرضت لنبوءات التوراة عن المسيح وأثبت

انها لاتمت بصلة الى المسيح الكوني الذي نقرأ عنه في الانجيل ، وبرهنت على ان « المسيح » في التوراة مصطلح يكتنفه الغموض ، وان النبوءات لاتنطبق على من وُلد في بيت لحم من عذراء . واخيرا ، ذكرت الخطيئة الكبرى التي اقترفها اليهود ضد تاريخ العالم وشمول الحقيقة ، تلك الخطيئة التي تمثلت في محاولتهم للاحتفاظ « بالكلمة » والحيلولة دون إيصالها الى العالم ـــ وهذا سلوك يعيق تقدم الحكمة ويحول دون معرفة الحقيقة . وشرحت كيف ان تجسّد المسيح بينهم ضرورة كونية غايتها إعادة « الكلمة » الى سيرتها في تاريخ العالم .

لم أشأ ، وأنا أطرح قضايا هامة وسامية ، أن أُقحم السرّية القصوى في تفسيري وتأويلي . وعلى الرغم من ان مفكراً مثل موسى بن ميمون يقر ، كما يقر كتاب الزُّهار ، بأن التوراة مؤلف يشتمل على حقائق علوية واسرار سامية وُضعت في صيغة الرمز ، فانني ، على غير ذلك ، اعتمدت اعتمادا شبه كلي على حرفية النصوص ، وأضفت شروحا طفيفة في نطاق التأويل والرمز .

في ختام مقدمتي الوجيزة هذه أحب ان اعلن امرين ، أولهما هو ان كتابي اطروحة حضارية تتخذ من الدين خلفية

وقاعدة ، وثانيهما هو ان المسيحية تغاير اليهودية المعروفة بانها صهيونية بني اسرائيل وتدعو الاسرائيلية للعودة الى نطاق الحقيقية والوعي . وفي هذا السبيل طرحت مبادىء المسيحية لاظهر كيف انها واليهودية نقيضان .

ثمة رؤيا !

تتجسد هذه الرؤيا في ثورة الوجدان او الضمير الصارخ في كيان اليهودية وعمقها . والمسيحية ، في رأيي ، هي هذه الثورة المتمثلة في ضمير عارف ، ووجدان يعلن الحقيقة لشعب قادر على الإلمام بأصول هذه الحقيقة ، ووعي جذورها ... لو أراد .

ندرة اليازجي

تنويه : حواشي الكتاب في نهايات الفصول

مدخــل

١

إني أعتبر كتابي هذا دفاعاً عن المسيحية ورداً على اليهودية واليهودية المسيحية[1] . وليس دفاعي إلا محاولة لفهم روح المسيحية . لهذا كان بحثا في حقيقة هذا الدين السامي الذي أنزلته المسيحية التقليدية الى مستوى التقليد وجعلت منه سلطةِ زمنية . فالمسيحية التي أدافع عنها هي مسيحية الروح ، مسيحية المسيح الكوني ، الروح الحي ، والدفاع الذي أقدمه هو غيرتي على العودة بهذه المسيحية الى القرنين الاولين . وإني أقصد بهذه العودة تحقيقاً لتفوق الروح على المادة ، ورجوعاً الى روحانية المؤمن الحقة ،الروحانية التي كان يتصف ويعمل بها . ولهذا كانت عودتي الى المسيحية التي تطبق في الانسان وتتحقق فيه ، وأعني أن المسيحي لايدعى مسيحياً ما لم يكن يحقق المسيح فيه ، فيحيا تجربته ، التجربة الروحية . فمن أجل هذا السبب أدافع عن المسيحية ذلك لأن المسيحيين ليسوا الا اتباعاً لعقيدة روحية كاملة لايعرفون منها الا الظاهر فقط ، ولا يتبعون الا التقليد

والسلطة الزمنية . وهذا ما أدعوه انتقالاً من الروح الى التقليد .

ان محاولتي لسبر أغوار المسيحية ، دفعتني في طرق ثلاث : أولها ، معرفة المسيحي اسماً . وثانيها ، دراسة المسيحية روحا . وثالثها ، دراسة الديانات الاخرى .

اولا :

تعتبر معرفتي بالمسيحية اسما وسيلة فعالة لاكتشاف عمق المسيحية في المسيحي . وقد هالني أمران : أولهما ، ان المسيحي يطبق ما لا يؤمن به ، وأعني انه لايطبق ما يؤمن به . ولو أنه كان يطبق دينه لغلب العالم . فهو لم يعد مسيحيا وفق المبادئ التي تعلمها من الانجيل ، بل هو هكذا بالاسم يخضع لذاتيته القاتلة التي تتمثل بأنانيته . وثانيهما ، ان المسيحي لايعمل بروحانية الانجيل بل بشريعة السلطة الزمنية التي تتخذ من اللاهوت الظاهري وسيلة لسيطرتها .

لقد ترك المسيحي مسيحيته وعاد الى الوثنية ، أي الى الطقوس والتقاليد . وهكذا فقد ارتمى في أحضان الشريعة مرة أخرى ، هذه الشريعة التي انقذه منها المسيح وبولس . فترك الدين ، أي الروح ، وتعلق بالحرف ، وخضع لشرائع لم تعد تحمل في ثناياها روحانية المسيح وعمقها . فخرج من دائرة الروح ودخل في دائرة الحرف . وقد وجدت ، بعد حديثي مع كثيرين من المسيحيين ، انهم يتبعون ما تقوله لهم هذه الشرائع

والنواميس التي تناقض روحانية الأناجيل ، ويتغاضون عن فلسفة مبدأهم الحق . فهم يستبيحون الربح الكثير اعتقادا منهم انه ربح مشروع ، ويتركون امورهم تجري وفق مقتضيات أعمالهم ومصالحهم ولا يحاولون ان يعلموا ان كانت تتفق مع مسيحيتهم فخضعوا للكذب ، وللسرقة المستترة ، وللبغض والكراهية ، وللتعلق بالذات واستثمروا الغير واستغلوه ، وذلك على الرغم من ان المسيحية تمنعهم عنها وتنهاهم . واستمروا في حياتهم متعلقين بالمعيشة التي حذرتهم منها المسيحية ، واعتقدوا انهم يعملون وفق الدين وذلك لأن الشريعة الزمنية تعترف بأعمالهم وتوافق على تصرفاتهم ، ولقد بررت الشريعة هذه الأمور كلها بشكل غير مباشر لأسباب :

أولها ، هو ان القائمين على هذه الشريعة لم يفهموا روحانية الانجيل ، السر فيه ، والعمق الالهي .

ثانيها ، هو ان القائمين أصبحوا زمنيين ودنيويين تغاضوا عن الروحانية فأصبحوا لايعملون بها .

وثالثها ، هو ان القائمين أنفسهم لا يستطيعون ان يقودوا الدفة ، وان يحافظوا على وجودهم ، الا من خلال الشريعة الزمنية التي اعتقدوا انهم اؤتمنوا عليها ليحافظوا عليها وليكونوا القادة المسؤولين .

هكذا انحرف المسيحيون عن رسالتهم الروحية ليخوضوا مادية الشريعة ودنيوية الناموس وحرفية الكلمة . فلم يعد اللاهوت معرفة الله ــ ولا تتم معرفته الا بتجربة روحية ــ بل تجسيداً لفكرة الشريعة المتمثلة بسلطة .

وإني أتفق مع نيكولاس برديائف الذي عبر عن رأيه كما يلي : ان القائمين على الانظمة الكنسية مسؤولون ، بل هم المسؤولون ، عن كل ما أصاب العالم الغربي من ويلات . فلو انهم طبقوا مثالية المسيحية وروحانيتها ، وقاوموا طغيان الملوك واستبداد الامراء والحكام ولم يشاركوهم ، لما وجد ثائر واحد يطالب بعدالة اجتماعية ، وذلك لان عدالة الروح القائمة في المسيحية أعظم من العدالة التي نادى بها ، ولو انهم حققوا مبادئ المسيحية لما وجدت النظريات السلبية . لذلك لم توجد المساوئ الاجتماعية ولم يسيطر البؤس على المجتمعات البشرية ، ولم يظلم الظالمون ، ولم يستغل الانسان الانسان ، ولم يثر الثائرون ، ولم تندلع نيران الحروب الداخلية والخارجية ، ولم يقم نزاع الطبقات لولا خيانة المسؤولين الروحيين لمبادئ المسيحية . لقد تنكر هؤلاء للروح وتعلقوا بالحرف ، وهجروا المثال وتعلقوا بالواقع ، واندفعوا وراء تيار السلطة والمجد ، فلم ينقذوا المجتمعات ولم يعملوا على وضع حد للمساوئ وللمسيئين ، فقامت الثورات ، ووجد المنادون بالصراع الطبقي وبالقضاء على الدين . فاتهم الدين بأنه أفيون الشعوب بسببهم . ولم يدرك الثائر ان هناك اختلافا عظيما بين المسيحية

الحقة ، وبين المسيحية التقليدية . ومما لاشك فيه ان المظالم والمساوئ التي وجدت في المجتمعات المسيحية تعادل مساوئ المجتمعات الأخرى ان لم تكن تزيد عليها وتفوقها . وليست محاولة رؤساء الدين في مناداتهم بعدالة اجتماعية بعد تضخم الامور الا دليلا على تقاعسهم وعجزهم[1] .

هكذا عرفت المسيحي اسما ، عرفت انه يحمل مبدأ لايعلوه مبدأ وعرفت انه لا يطبقه . وعرفت ان المسيحية تأتي في طليعة الاديان لانها تخطت الشريعة وخلصت الانسان من الخطيئة ، وعرفت ان المسيحيين لم يدركوا هذه الحقيقة فسقطوا مرة أخرى في احضان الشريعة والناموس . وعرفت ان الدفاع عن المسيحية يستوجب حقه ، لان الدفاع عن المبدأ هو تحقيق للمبدأ ، ومحاولة لانقاذ الروح من الحرف .

ثانيا :

منذ حداثتي كنت مولعا بالحكمة ، متعلقا بمثاليتها . وما زلت أذكر ابتسامة الكاهن يوم كنت أحدثه بأنني لم أقترف خطيئة . انني لم أكذب ولم أسرق ولم أشتمه الخ .. كان قلبي متعلقا بالله ومنجذبا اليه . وكان عقلي ، مثل عقل القديس يوستينوس ، يبحث عن المبدأ الاول .

وكانت غايتي المثلى ان اصبح متعبدا روحيا وانقطع الى التأمل والعزلة . ولم يفارقني شعوري الديني هذا بل حييت حياة

التقوى الصامتة . وبقيت متمسكا بمبادئي التي لم أتخل عنها . لكنني أصبحت أنفر من المظاهر الدينية وبدأت أميل الى التعلق بالجوهر . وأصبح أكثر ما يؤلمني ويجرح عزة روحي هو الاستماع الى الجدل الديني والتعليم الصوتي ، وذلك لأنني أصبحت أؤمن بالداخل ، بالانسان الباطن ، بالعمق الروحي ، بالتجربة الروحية وبالصمت والتطبيق . ولعل ما جعلني أنفر من المظاهر الخارجية هو وجودي في مجتمعات يتعلق القائمون عليها بالمظاهر الدينية التي كانت تتعرض للنقض والتهديم والسلبية في أوقات التطبيق او في الاوقات التي توضع فيها هذه المبادئ موضع التنفيذ .

وكانت تجربتي مزيرة ... تجربة الشكِ ، فقد ظل ايماني ثابتا في مدبر للكون ، في طاقة عليا متعالية ، في وجود مطلق لاينتهي .لكن ألمي كان يزداد يوما بعد يوم اثر قراءتي للفلاسفة والعلماء . فقد زاد اضطرابي وقلقي وزاد معه انطوائي وانفرادي .

لكنني بقيت وفياً للفضيلة ، ولم أعمل على تدنيس جسدي ، هيكل الله ، أو على تجريد نفسي من القيم والمبادىء التي تعلمتها وقرأتها . ولم يكن التبدل في سيرة حياتي الا في التطبيق . فقد بدأت أطبق مفاهيمي ومبادئي من الوجهة الانسانية ، وأصبحت أميل الى فكرة الانسان ـــ الاله . ولهذا السبب فقد تحولت الى فاعل او عامل ، الى مطبق في حقل الانسانية . هذا الحقل الذي تتجسد فيه روح الله .

وفي العشرين من عمري عدت الى الروحانية التي كانت صوفية سرية تتصف بايمان وغنوصية . وعادت الي طمأنينتي وسكينتي . ولم اكن اتحدث بأي شيء من افكاري . وأنا لا أنكر ان غنوصيتي وايماني ، اللذين وفقت بينهما ، قد نبعا من عاملين هامين : اولهما ، وحدتي وعزلتي التي جعلتني اركز على نفسي ، وأغوص في اعماقها بشعوري وحدسي وتجربتي الروحية . وثانيهما ، اعتقادي بمبدأ الاله ــ الانسان ، او الانسان ــ الاله .

هكذا عدت الى دراسة المسيحية ، أقف عند كل كلمة ، اسائل نفسي معناها ، واحاول ان أتعمق . وهكذا وجدت طريق المعرفة والغنوص في المسيحية ، وجدت اسراراً عميقة جدا ، وكلمات تحمل معاني الوجود والحياة ، وأمثلة لا يسبر معناها الا بتجربة روحية وفهم دقيق . وهكذا استنتجت ان المسيحية الباطنية ، السرية Mystyc ، والايزوتيرية Esoteric هي حقيقة قائمة بذاتها لكنها تحتاج للمعرفة والفهم . وتألمت لأن أرى المسيحيين وقد جعلوا من كل ما لا يفهمونه سرا . فليس من السهولة ان يتبع الانسان ديانة تعتمد على السرية التي لاتدرك . وأما السرية بمعنىMysticism فقد علمت بأنها لاتدرك الا بتجربة روحية . فالتجلي والقيامة وغلبة الموت ومعمودية الروح والولادة من عذراء والنعمة والايمان الخ .. هي في المسيحية اسرار تدرك من خلال التجربة الروحية . لذلك تعلقت بالمسيحية الروحية السرية وأعني مسيحية بولس ويوحنا التلميذ .

لقد أزال بولس ويوحنا كثيرا من الشك في أعماقي ، فوجدت فيهما السرية التامة والغنوصية الملقحة بالايمان . وجدت الايزوتيرية المتمثلة في المسيح الكوني كما وجدت النعمة والايمان ومعنى الناموس ، ما أدهشني . وفتح بولس الطريق أمامي ، طريق المعرفة والتجربة الروحية من خلال الايمان . ووجدت في يوحنا جوهر اللاهوت المسيحي . فجعلت منهما طريقي الأوحد لتفهم عمق هذا الدين المتسامي في الروحانية والذي تسنم الدرجة العليا في السموات .

ثالثا :

وفي المرحلة الثالثة قادتني دراستي الى معرفة المزيد عن الديانات الشرقية . فقرأت الكثير عن البوذية التي جذبتني وتركت في نفسي احتراما لها لن ينقضي ، كما قرأت الهندوسية واللاوتسية والكونفوشية وحكمة التيبت واليهودية والاسلام والزرادشتية وجماعة السيخ واطلعت على المعتقدات التي سادت منطقة ما بين النهرين والافكار الدينية المصرية القديمة . لقد تركت هذه الدراسات اثرا عميقا ، فعمدت الى ترجمة بعضها .

لقد وجدت في الديانات الاخرى مصادر روحية هامة هي على درجة كبرى من التجربة الروحية . واستطيع القول انها تقدم العون بشكل مباشر للانسان في حقل التجربة الروحية . وكدت ان انجذب اليها ، وعلى رأسها البوذية لما فيها من تسام ونبل عظيمين . وكدت ان اعتنق مبدأ الديانة العالمية التي تؤمن بتلاقي

الديانات كلها وتعبيرها عن غاية واحدة سامية يقف من ورائها الله والانسان . واستفدت من دراساتي هذه فغصت في حقل التجربة الروحية التي تعبر عن مضمون الدين وحقيقته . ليس الدين الا تجربة روحية .

لكني عدت الى المسيحية مرة اخرى وبدأت اقارن بينها وبين الديانات التي قراتها وعملت على فهمها بعقل متجرد . فوجدت ان هذه الديانات ، بالمقارنة بالمسيحية ، تنقسم الى اقسام ثلاثة : اولا ، بعضها لم يتسنم درجة الدين ولم يصل الى تحقيق الله في الانسان . ثانيا : وبعضها الاخر لم يكن ديناً بل ظل شريعة وناموسا ، ولهذا لم يتفحص حقيقته وجوهره . ثالثا ، وبعضها حقق التجربة الروحية ، اي الدين .

ولقد وجدت في المسيحية دينا يعمل على تحقيق الله في الانسان او على تحقيق الانسان في الله ، اي التجربة الروحية . اما البوذية فانها تأتي في المرتبة الثانية بعد المسيحية . وتستحق هذه الديانة التقدير كله . ان بوذا[٣] ، بعد المسيح ، أعظم وأمثل تجسيدا للروح العليا . ولهذا فانه لا يسعني ان انكر عظمة البوذية في حقل خلاص الانسان وتساميه .

واني اعتبر نفسي ، وقد وصلت الى هذه الدرجة من الدراسة ، منفتح القلب والعقل . فأنا أتقبل الحقيقة من كل صوب . وأعتبر ان الحقيقة قد ظهرت الى الوجود بطرق عديدة

تتدرج في سلم الحقيقة . فهناك الطريق الأعلى وهناك الطريق الادنى وهناك الطريق الاوسط . ولهذا لم أتنكر لحقيقة الديانات الاخرى حتى التي كانت منها شريعة فقط .

٢

ينقسم كتابي الى خمسة أقسام رئيسية :

في القسم الاول بحثت في الشريعة والناموس وفي بنوة المسيح بين داود والله ، وفي مفهوم الكمال وملء الزمان ، وفي اليهود في الاناجيل والرسائل ، وفي عالمية الانجيل ومعنى المجيء . وقد اجتهدت ان افصل المسيحية عن اليهودية . فالمسيحية دين واليهودية شريعة ولا تكتمل الشريعة الا في الدين ، وباكتمالها فيه تلغى . فاما ان تنصهر اليهودية في المسيحية واما ان تنفصل عنها . ولم أعمل على ادخال فلسفة القبالة Kabalah في اليهودية وذلك لانها طريقة سرية لا تمت الى اليهوية ، كدين او كشريعة ، بصلة .

وفي القسم الثاني بحثت في المبادئ الجوهرية للمسيحية . واني اعتبر هذا القسم على درجة كبرى من الأهمية . فلقد طرحت على بساط البحث موضوع آدم والمسيح وبكر كل خليقة ، والانسان الجديد والقديم ، والعهد الجديد والقديم ،

والمسيح الكوني والرح القدس والنعمة . ولا أنكر أنني ، في هذا القسم ، ركزت على المسيح الكوني الذي اعتبره ، كما يعتبره بولس ، حجر الزاوية في الايمان المسيحي . ففي هذا القسم تتجسد روحانية المسيحية .

وفي القسم الثالث بحثت في غنوصية المسيحية وسريتها فطرحت على بساط البحث الموضوعات التالية : الايمان ، والمعرفة ،والهيكل ، والصليب ، والنور والظلمة ، والمعمودية ، والرؤيا ، والشيطان وقوى الشر . وفي هذا البحث تتجسد فلسفة المسيحية . وقد قارنت بينها وبين الغنوصية وتوصلت الى وجود غنوصية في المسيحية ، هي غنوصية ــ ايمان . فقد جمعت المسيحية بين الايمان والمعرفة ، وبين الروح والعقل في انسجام عظيم . فقد كلم بولس ويوحنا أهل الغنوص ، أهل المعرفة ، بالعقل ولكنهما عملا على تلقيح المعرفة بالايمان . ولهذا السبب وحده استطاعت المسيحية ان تجذب اليها اهل الغنوص لما رأوه من غنوص في المسيحية مشبع بالايمان ، اي بفعل الروح . وهكذا تكون المسيحية قد احتضنت العقل ورفعته الى درجة الايمان ، اي انها لقحته بالروح . فتعلم اهل الغنوص روحانية العقل وروحانية الاشياء . لقد برهن بولس على تفتح عقلي وروحي كبير . فهو مدين للكل لأنه اخذ من الكل . ولكنه اخضع الكل لايمانه بالمسيح الكوني . ولو لم يكن بولس فيلسوفا كبيرا لما استطاع ان يجذب اهل الغنوص الى المسيحية . ولو لم

يكن يوحنا لاهوتيا غنوصيا لما اجتذب انجيله أهل الغنوص[٥] .

وفي القسم الرابع بحثت ، بل انني تابعت البحث ، في مبادئ المسيحية التي عرضتها في القسم الثاني ،وهي : الصلاة ، وبطرس الصخرة ، وموسى والمسيح ، واورشليم الجديدة ، والموت ، وايليا ويوحنا . وقد اعتبرت هذه المبادئ جوهرية لان المسيحية تظهر من خلالها الى العالم ، وعلى الرغم من أهميتها وجوهريتها وروحانيتها ، فقد عملت على دراستها من الوجهة الظاهرية والباطنية على السواء . ولا غرو انني في هذا القسم حاولت ان اظهر نقاطا هامة : مثل موضوع بطرس والصخرة . فأنا من أتباع بولس ويوحنا وأؤمن بمسيحيتهما . وكما أعتقد أن المسيحية قد وصلت الى ذروة في التعبير ـــ ذلك لأن المسيح لم يكتب ـــ من خلال هذين الرسولين . وكما أعتقد ايضا ان المسيحية الاولى كانت تسمى بمسيحية يوحنا . وبعدها أتت مسحية بولس . وعندما أقول مسيحية بولس ويوحنا لا أعني تقسيم المسيحية او تجزئتها . المسيحية لا تتجزأ بل هي مبدأ المسيح الكوني الذي عبر عنه الاثنان خير تعبير . فقد عمل يوحنا على تلخيص اللاهوت المسيحي بكامله في الأسطر الاولى من انجيله . وكذلك عمل بولس على اظهار المسيحية في المسيح الكوني ، في الايمان به وفي لبسه له والحياة فيه ، وعلى اظهار المسيحية بشكل واضح لعالم الغنوص .

وفي الخاتمة ، وهي القسم الأخير ، بحثت في موضوع الدين : ماهو الدين وما هي التجربة الروحية والقدسية . وفي هذه الخاتمة شددت على التجربة الروحية التي هي الوسيلة الوحيدة لفهم غنوصية الدين والايمان لادراك الاسرار التي تكتنفه . وبدون التجربة الروحية لايتحقق دين لان الانسان يعجز عن ادراك معنى الروح ومعنى الله ومعنى الانسان ومعنى كل شيء ، فلا يكون الدين الا شريعة . وأنا لست من أتباع الشريعة بل من اتباع الدين . فالشريعة تسن لمن هم دونها ، للذين لا يعرفون التجربة الروحية . وقد قسم بولس الناس الى قسمين : من هم دون الناموس ومن هم فوقه . فمن هم دون الناموس ما زالوا تحت الخطيئة لأن الناموس يحكمهم ويقيدهم ، واما من هم فوقه فانهم يحيون في النعمة لانهم تجاوزوا الحرف الى الروح . أوليس باستطاعة اي انسان ان يتجاوز الحرف الى الروح ، والناموس الى النعمة ، الا بتجربة روحية ينغمس في اعماق ماهيته وجوهره وينفذ من خلال قضبان الجسد ويرى ، وبالتالي يتروحن جسده . وتكون الرؤيا خير تعبير عن حقيقة التجربة . فالدين تجربة روحية ، هو رؤيا . ومن لايحقق هذه التجربة يظل قابعا في حقل الناموس والشريعة ، ولا يسمى عمله هذا دينا بل شريعة .

ندرة اليازجي

حواشي المقدمة

١ ــ الفرق واضح بين المسيحية واليهودية ــ المسيحية . الاولى تتبع العهد الجديد ، وهي الخليقة الجديدة بالمسيح ، والثانية تتبع التوراة والانجيل ، وعلى الرغم من ان الفرق اصبح واضحا بعد مجمع اورشليم عام ٤٩ ب . م لكن اليهودية ــ المسيحية سيطرت على ممر الأجيال وذلك بسبب الابقاء على العلاقة بين الانجيل والتوراة .

٢ ــ بدأ انهيار المسيحية منذ أن أصبحت نظام دولة .

٣ ــ لا تشير كلمة بوذا الى اسم بل الى كل انسان حقق الاستنارة .

٤ ــ الامم الذين اعتنقوا المسيحية بفعل الضمير ، اي الناموس المكتوب في قلوبهم وارواحهم ، هم مسيحيون حقيقيون . لذلك لم يبق اثر لأمميتهم . اما اليهود الذين اعتنقوا المسيحية فقد أبقوا على الشريعة ، فهم يهود متسترون بالمسيحية . لذلك ظلت شريعتهم قائمة وظل الحرف قائما ومات الروح .

٥ ــ نحن الامم ، نحن فلاسفة الغنوص ، نحن الذين تقبلنا المسيحية بقوة المعرفة ، كيف نقبلها بقوة الناموس ؟ فلماذا نقحم التوراة في الانجيل ولم نكن ، نحن الامم ، من اليهود او من المقرين بصحة التوراة ؟ فالامم لم يقبلوا الانجيل من خلال التوراة بل

من خلال المعرفة ، اي الغنوص ، ومن خلال النعمة والايمان اللذين وهبهما الله لهم منذ فجر الخليقة ولحت شرائعه فيهم . ولهذا ، فإنهم لا يلتزمون بالتوراة ، وذلك لأنهم لم يكونوا يهودا . وهكذا ، لا يمكننا ربط تاريخ العالم المسيحي كله او تاريخ العالم بتاريخ اليهود .

القسم الأول

المسيحية واليهودية

الفصل الأول

الناموس والشريعة

يعتبر الدخول الى فلسفة بولس أمرا صعبا للغاية . فقد كان بولس المنظم للفكر المسيحي وفيلسوف العقيدة وحامي الايمان . وان ما يميز بولس عن غيره من رسل المسيح وتلامذته هو أنه كان ضليعا في اليهودية ومتعمقا في المسيحية . ففي يهوديته كان فريسيا، تحت الناموس ، وفي مسيحيته كان مؤتمنا على انجيل النعمة والايمان[1] . لذلك جمع بولس بين فهم عميق للناموس والحرف وبين ادراك عظيم للنعمة والروح . ولم يستطع غيره من الرسل والأتباع ان يقوم بدوره ذلك لأنه كان مثقفا بثقافة يهودية ويونانية ، وكان إناء مختاراً للمسيح . وقد ترتب على هذا الرسول العظيم ان يتفقه بالروح وان يلم بالحرف . ولم يكن باستطاعة غيره ان يقوم بهذا الدور المزدوج . فاليهود المتنصرون الذين أرادوا ان يجمعوا بين اليهودية والمسيحية لم يستطيعوا ان يفهموا روح المسيحية ولم يدركوا عمقها وسرها ، ولم يكونوا أصحاب رؤى . ولذلك فإنهم قضوا على روحانية المسيحية من

خلال الاستمرار في تعلقهم بحرفية ناموسهم . وهذا ما جعل بولس يلفظهم ويحذر المسيحيين الجدد من الانبياء الكذبة[٢] والدساسين ومن الذين يريدون ان يحولوا نظرهم عن المسيح الكوني . أما بولس فقد وفق بين الناموس والنعمة ، فأقر بموضوعية الناموس الى ان يجيء الملء وحتى يكون الكل . فللناموس دور في خطة الله ، يعطيه الله بترتيب الملائكة ، ويكون شريعة لأمة متمردة ضائعة ، خاضعة للخطيئة . وينتهي هذا الدور بمجيء ملء الزمان .

الناموس هو الشريعة المكتوبة التي سلمتها الملائكة الى انبياء الشعب اليهودي لكي يسيروا بهديها . وهكذا يعتبر الناموس مفتاح المعرفة والدرجة الاولى للصعود في سلم الروح[٣] .

يعتبر هذا التعريف للناموس تعريفا تقليديا . فما الناموس او ما الشريعة ولماذا أعطيت ؟ وهل كان الانسان بحاجة لناموس طالما انه قد خلق على صورة الله ومثاله ؟ او لم يسلحه الله منذ البدء بضمير وايمان وروح ونعمة وناموس الهي يعمل فيه لكي ينقذه !

يضعنا هذا التساؤل أمام موضوع آدم ، الخليقة الاولى ، وجها لوجه . لقد خلق آدم في حالة النعمة . فهو لم يخلق من رجل وامرأة بل من الله . لذلك لم يخلق ادم وهو في حالة الشر . لكن آدم تحدى الارادة الالهية ونسي حالة النعمة التي وجد فيها فسقط . وبسقوط آدم وجدت الخطيئة . وقد حلت الخطيئة محل النعمة . وكانت هذه الخطيئة ثمن السقوط . فاجتاز الموت الى جميع الناس ودخلت الخطيئة العالم[٤] .

ان دخول الخطيئة والموت الى العالم أدى الى تدخل العناية الالهية مرة اخرى . وقد تم هذا التدخل باعطاء ناموس للانسان ، وذلك لأن الناموس لا يعطى الا في حال وجود الخطيئة ،وفي حال السقوط من النعمة ،والوقوع تحت اللعنة . لذلك كان الناموس رمزا للخطيئة .

ولما كان الناموس قد أعطي لمن سقطوا من النعمة ولمن وقعوا تحت سلطان اللعنة والخطيئة ، لذلك فانه كان ناقصا غير كامل . ولكن الناموس ، على الرغم من عدم كماله ، فقد ظل وسيلة للخلاص اي مفتاحا للمعرفة . ولهذا يقول بولس ان الناموس لم يكن خطيئة بذاته .

لكن الناموس ، لأنه كان رمزا للخطيئة ، كان دافعا للخطيئة ، فعرف الانسان الخطيئة .

وتعتبر معرفة الانسان للخطيئة من خلال الناموس اثارة للخطيئة القابعة في الجسد . فهناك اذن خطيئة كائنة في اعضاء الانسان . فأصبح الناموس ملازما للخطيئة والخطيئة ملازمة للناموس . ففي وجود الواحد وجود للاخر . وليس هذا الا لأن الناموس قد وضع من اجل الخطيئة أي للخطاة . ولكن كيف يكون الناموس عملية اثارة للخطيئة في الانسان وايقاظها ؟ .

كان سقوط الانسان رهيبا[٥] . وقد تمثلت الخطيئة فيه ، في جسده . فاصبح الجسد رمزاً للسقوط وبالتالي رمزاً للخطيئة . وأصبح الانسان يخدم ناموس الخطيئة بالجسد وناموس الله بذهنه . ولا يتبرر

الانسان بأعمال الناموس لانه لا يستطيع ان يتخلص من الخطيئة الكائنة في أعضائه ، ولأنه تحت سيطرة الناموس الذي لا ينقذه .

٣

اننا نقف الآن امام معضلة كبرى يواجهنا بها بولس . فهل ان جميع الناس يخضعون للناموس وبالتالي هم تحت الخطيئة ، ام ان الشعب اليهودي لوحده يقاسي من هذه اللعنة ؟[٦] ويجيبنا بولس .

لم يكن للشعوب الأخرى — ويسميها الامم — ناموس مكتوب . فما هي حالتهم ؟ .

وهنا تبدو القضية على غاية من الدقة والصعوبة . فالامم محرومون من الناموس المكتوب ، ولكنهم يستعيضون عنه بالضمير . ومتى فعل الامم الذين ليس لهم ناموس بالطبيعة ما هو في الناموس ، فانهم ، وليس لهم ناموس مكتوب ، يكونون ناموسا لأنفسهم ويظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم ، وضميرهم شاهد . وفي اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس فإنهم سيدانون بحسب انجيله (انجيل بولس) بيسوع المسيح .

فالمسألة تبدو الآن سهلة للغاية . ليس للأمم ناموس ولكن لليهود ناموسا . وأما الأمم واليهود فانهم لم يحصلوا على النعمة ، وذلك لان اليهود لا يحصلون عليها ماداموا تحت الشريعة والناموس ، رمز الخطيئة ، والأمم لا يحصلون عليها ، على الرغم من ناموس ضميرهم ، لأنهم لم يتبعوا ناموس

الله فيهم . ولذلك فإن الامم واليهود بحاجة للنعمة . وأما الايمان فانه بالنسبة للامم سهل والنعمة تحل لأنهم لا يخضعون للناموس المكتوب . وأما الصعوبة فإنها عند اليهود توجد .

كيف يتجاهل اليهود ناموسهم الذي يعتنقونه مؤمنين انه قد سلم لهم من الله ؟ لقد سلم هذا الناموس بموسى . وليس موسى ، في زعمهم ، الا نبي الله .

اما الآن فإننا نعمل على فهم الناموس بشكل أفضل .

في الرسالة الى اهل رومية نجد نوعين من الناموس يقابل النوع منهما النوع الآخر . اننا نجد الناموس ايضا في حالاته الثلاث الاولى : ناموس الجسد ، ناموس الخطيئة ، ناموس الموت . ونجد الناموس ايضا في حالاته الاربع التالية : ناموس الذهن ، ناموس الله ، ناموس الايمان ، ناموس روح الحياة . وكما يبدو ان الحالات الثلاث الاولى للناموس تقع تحت عنوان واحد وتسمية واحدة هي : الناموس غير المكتوب ، او الروح[٧] .

وكما يبدو ان ناموس الجسد هو ناموس الخطيئة والموت ، وبه يخطئ الانسان ، وأن ناموس الله هو ناموس الذهن وناموس روح الحياة ،وبه يتبرر الانسان . ويقودنا هذا البحث الى مقارنة بين الجسد والروح . ففي الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضاء الانسان لتثمر للموت . وفي الروح كان ناموس الله بحسب الانسان الباطن يعمل وكانت الارادة الالهية تتجه الى اهراق الجسد من أجل الروح .

لذلك يخبر بولس أهل رومية بأنهم قد ماتوا للناموس بجسد المسيح لكي يصيروا لاخر ، للذي قد أقيم من الأموات ، ليثمروا الله ، لأنه لما كانوا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في الأعضاء . أما الآن فقد تحرّروا من الناموس إذ مات الذي كانوا ممسكين به[٨] حتى يعبدوا بجدة الروح ، لا بعتق الحرف .

٤

ويعمل بولس على انقاذ اليهود من الناموس والشريعة . فهو يبرهن ان من كان تحت الناموس كان تحت لعنة ، وان الناموس رمز للخطيئة ، وان الخطيئة بدون ناموس ميتة ، وانه كان عائشا قبلاً ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة فمات هو ، فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها للموت . ويريد بولس ان يخلصهم من عتق الحرف ، ومن جسد الموت والخطيئة وان يدخلهم الى عالم النعمة ، كما يريد ان يقنعهم بأن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس . فما الوسيلة ؟ .

١ — لما كانت الخطيئة قد دخلت بإنسان واحد الى العالم ، وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ إلجميع ، لذلك فإنه بانسان واحد يتم القضاء على الخطيئة .

٢ — لما كان الجسد هو مركز ناموس الخطيئة فإن الله يرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ، ولأجل الخطيئة ، لكي يتحقق ناموس الله .

٣ ـــ لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لينالوا التبني[٩] .

٤ ـــ لما كان الكهنوت قد تبدل على درجة ملكي صادق فبالضرورة يصير تغير للناموس ايضا .

وهذا يعني ان الله اراد ان ينقذ الذين هم تحت الناموس واللعنة والخطيئة . فأرسل لهم ابنه لما جاء ملء الزمان مولودا من امرأة تحت الناموس ليفتديهم .

اما المسألة الهامة في موضوعنا الآن هي مسألة التبني . لم يكن الانسان ، وهو تحت الناموس ابنا ، بل كان عبداً . أما بعد الافتداء فقد أصبح ابنا ووارثاً . ولكن هذه الوراثة[١٠] لم تعط لمن كانوا تحت الناموس لأن الايمان يتعطل ، ويبطل الوعد الذي كان بالايمان ذاته . وهكذا فقد اصبح الجميع ابناء الله بالايمان وليس بالناموس .

٥

ماذا يترتب على موضوعنا الآن ؟ وكيف نستطيع ان نصل الى حل جذري ؟

١ ـــ ابطال الناموس والقضاء على الشريعة ، وحلول النعمة .

٢ ـــ تحويل الناموس من ناموس جسد الى ناموس ذهن وايمان وحياة مكتوب في القلوب .

٣ ـــ غاية الناموس هي نهاية الناموس لان غايته هي المسيح .
٤ ـــ الحياة بالروح لا بالحرف لكي لا يظل الانسان تحت اللعنة والخطيئة .
٥ ـــ نهاية عهد السقوط وبداية عهد النعمة .
٦ ـــ حياة الايمان والتبني .
هذه أمور لم تكتمل في الناموس . ولهذا فقد ظل الانسان تحت اللعنة والخطيئة .

اما عملية الفداء فقد كانت قاسية . كان على المسيح ، الروح ، ان يصيرَ لعنة لأجل اليهود لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة ، وذلك لكي يفتديهم من لعنة الناموس . وكان الافتداء نهاية عهد اللعنة والخطيئة وبدء عهد النعمة . ولكي تكون نهاية عهد الناموس فان النعمة التي أعطيت للانسان قد أنقذته من الخطيئة . لذلك لن تسود الخطيئة من كان تحت النعمة . ولكي يتبرر الانسان ، فإن عليه ان يؤمن لكي يخلص من الخطيئة .

وهكذا يتم الانتقال من ناموس الموت الى ناموس روح الحياة ، ومن ناموس مكتوب في الجسد الى ناموس الذهن المكتوب في القلوب ، ومن ناموس الجسد الى ناموس الله والايمان والروح . وهكذا لا تسود الخطيئة الانسان بل النعمة . وهكذا تكون نهاية الموت وبدء روح الحياة ، ويتم الانتقال الى عهد الروح بالايمان والنعمة ؟

وكما ان الناموس ينتهي بالفداء كذلك يكتمل الناموس بالمحبة . ولما

كانت المحبة تتمثل بالمسيح فان المسيح هو غاية الناموس . ولما كان المسيح هو ملء الزمان وكماله فان الناموس ينتهي بمجيئه ، أي يكتمل . ولكن لما كان مفهوم الكمال او ملء الزمان ما زال غامضا فانه يتوجب علينا ان نتحدث في كمال الناموس .

٦

يسيء المسيحيون فهم الآية التي تفوه المسيح بها : ما جئت لانقض بل لأكمل .

جدير بالذكر ان المسيح لم ينقض بل أكمل[١١] . ولما أكمل المسيح انتهى الناموس وبطل . ان دراستنا لمعنى الكمال لن تتم الا في الفصل الخامس من هذا الكتاب الاول . ولكننا سنميط اللثام عن هذا التعقيد الذي لايعرف المسيحيون كيف يخرجون منه .

١ ـــ المسيح هو ملء الزمان . غلاطية ٤:٤ ولما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولودا ... الخ .

٢ ـــ المسيح هو الكمال والكل . متى ١٨:٥ فإني الحق اقول الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف من الناموس حتى يكون الكل .

نستنتج ان الناموس ينتهي متى كان الكل ومتى جاء ملء الزمان . ولما كان ملء الزمان قد أتى وكل شيء قد اكتمل فان الناموس قد بطل بمجيء الكل والملء ، بتجسيد الله ، فلا ضرورة لناموس بعد هذا .

ان مجيء الملء يعني ان الانتقال قد تم من الحرف الى الروح ، من اليهودية الى المسيحية ، من العبودية الى الحرية أي البنوة ، من الخطيئة واللعنة الى النعمة . ويعتبر موضوع البنوة أهم ما يمكن ان نتحدث عنه في الآونة الحاضرة .

لم يكن اليهود على صلة بالله . فقد كان هناك فاصل شاسع بين الانسان اليهودي وبين الله ، وكانت العلاقة بينهما علاقة السيد بالعبد . لذلك سادت الشريعة بين « أبناء الغضب » . أما المسيح فقد أعاد هذه العلاقة وأظهر للانسان بأنه ابن وليس عبداً . وفي هذه الحال نجد ان الانسان قد اصبح وريثا لله بالايمان بيسوع المسيح وبالنعمة المعطاة له من خلاله ، كما نرى انه قد حصل على البر ، ليس بالناموس ، بل بالايمان .

ولما كان الناموس المكتوب بالحرف قد أصبح ناموساً مكتوباً في القلوب والأذهان وأصبح يعني الروح والايمان والنعمة المعطاة للانسان من الله ، لذلك فإنه قد أبطل العمل به ، بعدم تبريره .

٧

نستطيع الان ان نذكر الاسباب الداعية لنهاية الناموس وابطال الشريعة :

١ ــ مجيء ملء الزمان وكمال الكل الذي يعني نهاية الناموس فإن كان الناموس قد أعطي بسبب الخطيئة ، فإن الروح قامت مقامه ،

وتجسد الله ، فبطل الناموس . فالنعمة قد أعطيت من أجل الناموس ، لابطاله .

٢ ــ تغير الكهنوت الأرضي والمادي ، كهنوت هرون ، بكهنوت روحي ، يعني تبدل الناموس كليا .

٣ ــ الانتقال من حالة العبودية الى حالة البنوة .

٤ ــ العودة الى حالة النعمة ، الى الناموس المكتوب في الذهن والقلب ، الى ناموس الله .

٥ ــ ظهور بر الله بدون الناموس .

٦ ــ الانتصار على الموت والخطيئة بالخلاص من الناموس .

٧ ــ نهاية مملكة الجسد وبدء مملكة الروح .

٨ ــ غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن .

٩ ــ تحقيق الموعد بالمسيح يسوع .

اننا نرى الآن ان يتم الفصل بين المسيحية واليهودية[١٢] . الاولى منهما دين والثانية شريعة . الاولى روحية والثانية مادية . الأولى حرية والثانية عبودية . ولا يمكن ان نجمع بين ما يعطي بترتيب الملائكة ويكون ناقصاً وبين ما يكون من الله ذاته ويكون كاملاً .

يخطئ المسيحيون اذ يبقون على الصلة بين المسيحية واليهودية . فقد استغل اليهود نقطة الضعف هذه منذ بداية عصر التبشير المسيحي . انهم تغلغلوا بين المسيحيين وأرادوا ان يجمعوا بين ما لا يجمع اطلاقا . وقد حذر بولس غيره من المؤمنين وأنذرهم كي لا يستمعوا إلى أكاذيبهم .

وظلت المسيحية قرونا عديدة تخضع لهذه الاقاويل وتقترن باليهودية ــ المسيحية ، هذه البدعة التي تقوض المسيحية وتعيد لليهودية كيانها . واذا لم تعمل المسيحية على تخليص ذاتها من اليهودية فان كلام بولس وتحذيراته تظل صحيحة الى الأبد .

المسيحية لا تجتمع مع اليهودية ولا تلتقي .

حواشي الفصل الاول

١ ــ هنالك فرق بين المسيحيين واليهود ــ المسيحيين . الاولون هم امم ، غنوصيون ، مهيأون لتقبل النعمة والايمان بضميرهم الذي يقوم مقام الشريعة المكتوبة . لذلك فقد كان أسهل عليهم ان يقتبلوا الشريعة الالهية ، اي المسيحية ، لأن ضميرهم ناموس مكتوب يساعدهم على اقتبال الروح .

٢ ــ يسميهم بولس « الاخوة الكذبة » في رسالته الى أهل غلاطية ، ذلك لانهم كانوا يفسدون المسيحيين الحقيقيين ويعملون على ربطهم بعجلة الناموس . وقد تجسدت ثورة بولس في تحذير أهل غلاطية من اولئك الاخوة الكذبة . كان بولس يعلم الامم « المسيحيين » بحسب انجيله يسوع المسيح .

٣ ــ تشير الدراسات السرية الى ان اليهود لم يعرفوا من مفاتيح المعرفة والاسرار السبعة الا مفتاحين . لذلك لم تكن معرفتهم الروحية الا معرفة بدائية .

٤ ــ لا نقصد بالخطيئة ، في هذا المجال ، الخطيئة الاصلية التي تتحدث عنها التوراة ، ذلك لأني لا أؤمن بخطيئة أصلية وُجد فيها الانسان طالما انه مخلوق على صورة الله ، واني أعتبر كلامي هذا قائما من وجهة نظر يهودية ــ مسيحية .

٥ ــ لم يسقط الانسان الا بعد سقوط لوسيفر . ولما كانت الارض تقع ضمن مملكته فقد خيّم الظلام عليها . ولهذا فقد خضع الانسان الاول لمعصية لوسيفر .

ولوسيفر لم يجرب آدم وحده بل المسيح ايضاً . وكيف يجربهما لو لم يكن ملك العالم المادي ؟ وليس الناموس الا معرفة على درجة لوسيفر . لذا ، ينتهي لوسيفر بمجيء المسيح .

٦ ــ اذا كان ابراهيم ، وهو امي عاش قبل موسى وشريعته المكتوبة بأربعمائة سنة ، قد آمن بدون شريعة مكتوبة « فحُسب له براً » ، فلماذا نطلب الى الأمم الذين يؤمنون بالضمير ، كما فعل يعقوب وبطرس وأتباعهم من اليهود ــ المسيحيين ، تطبيق الشريعة التي ألغاها مجيء الكامل ؟ هذه الشريعة التي حررهم منها مجمع اورشليم عام ٤٩ ب م .

٧ ــ اليهود هم ابناء الناموس الحرفي والامم هم ابناء الناموس الروحي . لذلك كان اليهود ابناء الجسد ، أي الخطيئة ، وقد خضعوا للوسيفر ، وكان المسيحيون والامم هم المسيحيون ، أبناء الروح والنعمة .

٨ ــ اشارة الى نهاية مملكة لوسيفر .

٩ ــ اليهود ظلوا ابناء الجارية ، هاجر التي تشير الى الصحراء ، فهم عبيد ، والمسيحيون ظلوا أبناء الحرة ، فهم أبناء .

١٠ ــ لم تعط هذه الوراثة لأنهم كانوا ابناء لوسيفر ، ولأن الله لاعبيد له : « الشعب الجالس في الظلمة رأى نورا ... » فاليهود هم شعب الظلمة والمسيح هو النور

١١ ــ سوف نرى في فصل الكمال كيف ان المسيح لا يكمّل الناقص لانه الكامل ، فكيف يكمّل الناقص ان كان كل شيء قد أُخذ منه ؟ وكيف يعطي الناقص وهو الكامل ؟ وهل يعطي الله ذاته « على دفعات » ؟

١٢ ــ المسيحيون ــ الامم الذين تقبلوا المسيحية انطلاقا من الضمير لا يحتاجون للشريعة الحرفية المكتوبة وذلك لانهم تقبلوا النعمة حسب نواميس الله ، غير المكتوبة

بالحرف ، المكتوبة في قلوبهم وأرواحهم وأذهانهم . ولهذا يتوجب على المسيحي ان لا يعود الى الناموس المكتوب كجزء من ديانته وذلك لأنه أممي وليس يهوديا ، وقد تقبل المسيح بالضمير . فالناموس يبقى لليهود الذين ما زالوا تحت المعصية .

الفصل الثاني

اليهود في الاناجيل والرسائل

لابد لقارئ التوراة ان يطرح على نفسه السؤال التالي :
من هم اليهود ؟

تخبرنا التوراة ان قصة اليهود تبدأ بقصة ابراهيم . فما هي علاقة ابراهيم باليهود[1] ؟ لم يكن ابراهيم يهوديا بل كان مؤمنا بالله . كان ابراهيم كلدانيا تحققت عنده الرؤيا والتجربة الروحية ، فخرج على تقاليد قومه وأهله .

تخبرنا التوراة ايضا ان الله كلم ابراهيم وحدثه عن ارض موعودة وطلب منه ان يغادر اور الكلدانيين ويتوجه اليها لتكون له ولأولاده من بعده[2] .

وكما اعتقد ان هذا الكلام تنتفي منه المعقولية والروحانية . لقد عرف ابراهيم الله وهو مازال في اور الكلدانيين . وهذا يعني انه قد توصل الى التجربة الروحية عن طريقين لا ثالث لهما : اولا ، اما انه قد توصل اليها

بعد مجاهدة فردية طويلة وعميقة، ثانيا، واما انه قد توصل اليها من خلال كتب آبائه المقدسة[٣]. واني أميل الى الرأي الثاني. وأما برهاني الوحيد فهو زيارة آباء اليهود كاسحق ويعقوب بلاد الكلدان بلاد الآباء، وزيارة موسى لبلاد ميديان . ولهذا أعتقد بأن ابراهيم اخذ حكمته من بلاد ميديا والكلدان ولم يكن وقتئذ يهوديا .

واذا كانت هذه هي الحقيقة ، فلم تقيم التوراة علاقة بينه وبين اليهود ؟ ولم تزجه في تاريخ الشعب اليهودي ؟

عندما نعود الى كتابات الفيلسوف اللاهوتي فيلون نجد ان فهمنا للرحلة التي قام بها ابراهيم الى الارض الموعودة يعتمد على مقدار فهمنا لرمزية التوراة . انه يستحيل علينا ان نفهم التوراة كتاريخ بل كرمز . ولا تكون التوراة تاريخا الا مسخاً لحقيقة الله وتحويله الى اله قومي ، كباقي الالهة الفنيقية المحلية القديمة . وهذا ما أراده اليهود وذلك لانهم لم يعرفوا الاله الحقيقي كما سنذكر .

ألم يكن باستطاعة ابراهيم الذي عرف الله في بلاد الكلدان ان يعبده هناك ؟ الا تتم عبادة الله الا في ارض معينة[٤] ؟ أليس الاله هو الله الذي خلق العالم كله والناس أجمعين ؟ فلم تشدد التوراة على زج قصة ابراهيم في تاريخها القومي ؟

وجوابنا على هذا هو كما يلي :

١ ــ لم يكن ابراهيم يهوديا .
٢ ــ لم يعرف ابراهيم الله في فلسطين او في بلاد يهوذا .

٣ ــ انتقال ابراهيم الى ارض ميعاد يشير الى رمز روحي يفسر كما يلي :

ليست ارض الميعاد ارضا مادية تحدها حدود ويقطنها أناس ، بل هي المنطقة الروحية التي ينتقل اليها الانسان بعد رحلة روحية يقوم بها وتعبر عن تجربته الروحية . ولايمكن ان يتم تجسيد هذا الانتقال من الحرف الى الروح الا بتجربة روحية . ولا نوافق من يقولون ان انتقال ابراهيم كان نتيجة حتمية لعدم سكناه في بلاد آبائه(٥) . وليس هذا التفسير الا تفسيرا ماديا بحتا . كيف عرف ابراهيم الله واين عرفه ؟ لقد عرفه عن طريق آبائه وعلى ارضهم . والارض الجديدة التي ينتقل اليها ابراهيم هي الارض ذاتها التي اراها الله لموسى . وكيف أمكن لموسى او لابراهيم ان يرى الارض الموعود بها من على رأس جبل سيناء ؟ لم تكن الارض الموعودة الا حقل التجربة الروحية والوصول بهذه التجربة الى الكمال ، الى أرض الروح . ولكن ابراهيم وموسى كانا قاصرين عن الكمال ولم يستطيعا الدخول الى محراب ملكوت الله في كماله ، أي الارض الموعودة الحقة . لذلك كان الدخول الى محراب الله بواسطة المسيح فقط .

وكما تخبرنا التوراة ان ابراهيم لم يستقر بل مضى الى مصر ثم عاد منها ــ كذلك فعل موسى الذي كان في مصر ومضى الى بلاد ميديان ، أما المسيح فإنه لم يفعل ذلك وسوف نأتي الى هذا الموضوع في الفصل الثالث من الكتاب الرابع . ولم يتمكن من الاستقرار لمدة طويلة جدا . فما هي الارض الموعودة التي من أجلها وبسببها نزح من مكان الى مكان اخر وارتحل وانتقل ؟ ولماذا كانت فلسطين ولم تكن مصر او غيرها ؟ وما

هي الارض الموعودة التي من أجلها سيقاتل الاخرين ويقتلهم ؟ لهذا لا نستطيع ان نفهم هذا الترحال والانتقال الا على ضوء تفسير روحي نجده جزئيا عند فيلون ونفهمه متى توفرت لنا التجربة الروحية .

٤ ــ تقوم التوراة بكاملها على الآراء التي سادت بلاد ما بين النهرين ومصر . فاليهود لم يبدعوا شيئا بل أخذوا عن غيرهم . ولكنهم لم يستطيعوا ان يضيفوا شيئا على الاطلاق . فظلوا في عالم الشريعة ولم يدخلوا عالم التجربة الروحية . ولهذا لم يفهموا المغزى الروحي من فكرة الانتقال .. فكان تجسيد الفكرة .

٥ ــ لا تعتبر التوراة برمتها توراة . فالتوراة الحقة ، كما يدعي البعض ، هي الاسفار الخمسة الأولى . وليست هي الا اخبار شعب او تاريخا قوميا لا يسعنا القول الا انه مرادف للتاريخ العادي لأية أمة حاولت أن تزج الله في قضاياها القومية . لذلك لا نستطيع ان نعتمد على التوراة في شيء ، ذلك لانها مبادئ اقتبست من مصر والكلدان وزعمت انها يهودية ووضعت في قالب قومي شديد .

٦ ــ تجريد الانبياء من التاريخ القومي اليهودي[٦] . وبهذا أعني انه لا يمكننا ان نبقي من التوراة الا على الاجزاء المتعلقة بحياة بعض الانبياء وأقوالهم فقط وسلخها عن التاريخ القومي اليهودي . ولكن لما كانت التوراة لا تسمح لنا بهذا ، فلا بد اذن من ان نهمل مخلفاتها كلها .

٧ ــ للاسرائيلية فلسفة جيدة هي القبالة . ولكن هذه الفلسفة لا تمت لليهودية بقدر ما تمت الى فلسفات ما بين النهرين ومصر وفلسفة فيثاغورس والمبادئ العلمية والروحية التي تعتمد على الرقم والعدد والحرف

كدلالة روحية . وبإمكاننا ان ندعوها فيثاغورية او كلدانية او مصرية . ولا نستطيع ان نلم بهذه الفلسفة ما لم نعد الى التعاليم السرية والايزوتيرية القديمة التي اعتمدت عليها القبالة اليهودية . ولكننا مع ذلك ، لا يمكننا تجريد القبالة اليهودية من غنوصيتها وأسسها الفكرية اليهودية . وبرأيي ان القبالة اليهودية أكثر عمقا من التوراة .

٨ — تفسير التوراة بالتأويل Exegesis . انه لا يمكن فهم اي شيء ورد فيها كالطوفان والخلق والايام السبعة الا عن طريق الرمز والتأويل . ومتى خضعت التوراة للرمز والتأويل فإنها تتجرد من التاريخ اليهودي ولن يكون لها أية علاقة باليهود ، بل تصبح دراسة لتجربة روحية قام بها أناس لا ينتمون بأصلهم الى أية عنصرية يهودية ، ولن تكون التوراة الا كتابة وضعها اناس تكلموا بالرمز . ولكن لما كانت التوراة قد استقت مصادرها من المبادئ الفكرية الكلدانية والمصرية وغيرها فإن الاستغناء عنها يكون أقرب الى العقل متى استطعنا ان نزيد معرفتنا بأصولها واطلعنا على الكتب الغنوصية والسرية التي وجدت في العالم القديم .

٩ — لما كانت التوراة عاجزة عن تقديم تفسير للأمور الروحية والكونية فإنها أصبحت شريعة . ولما انحدرت الى درجة الشريعة ماتت الروحانية فيها وأمست ناموسا لشعب لا يعرف اللاهوت . لذلك كانت هذه الشريعة بحاجة الى من يحولها من مادية الى روحية ، من عتق حرف الى حرية روح . ولذلك كان اليهود أمة مقاومة عنيدة ، كارهة لشعوب العالم ، متعصبة لإلهها القومي ، معتقدة بمبدأ الاختيار والانتقاء[٧] . ولما كانت هذه هي العناصر التي نجدها في التوراة فإننا لا نستطيع ان ندعوها

دينا بل شريعة . ولما كانت المسيحية دينا فإن اليهودية تلغى او تنفصل عن المسيحية .

٢

سوف أنتقل الآن الى ما ورد في الأناجيل والرسائل عن سيرة هذا الشعب وعن معتقداته وعن نظرية المسيح فيهم وموقفه منهم .

تطالعنا الاناجيل والرسائل بأمور عديدة ذكرت عن اليهود وبأقوال كثيرة قيلت فيهم . فاليهود خطاة جاء المسيح لينقذهم ، واليهود شعب ضال ، واولاد الأفاعي وأشرار ، وقتلة الوريث والانبياء ، وهم شعب اللعنة ، وعبيد المال ، وهم الخاضعون للغضب الآتي ، والموافقون على أعمال آبائهم ، وهم الذين أخذوا مفتاح المعرفة فلم يدخلوا ومنعوا الآخرين ، وهم ابناء ابليس وليسوا أبناء الله ، وأنبياؤهم كانوا سراقا ولصوصاً(٨) . ولم يكن اليهود خراف المسيح ، وهم الذين استمروا في الخطيئة ، وعبدوا جند السماء والههم رمفان ولم يعبدوا الله ، وكانوا عبيداً للخطيئة لا عبيد الله ، ولم يؤمنوا بالله ولم يسمعوا به ، وهم شعب معاند ومقاوم وغبي ، وهم أعداء من جهة الانجيل ، وهم خليقة عتيقة لاتنفع، وهم المتعصبون لقوميتهم،وهم أضداد لجميع الناس وخطاة أدركهم الغضب حتى النهاية ، وبسببهم يجدف على الله في الامم،وهم الشعب الذي يمقته الله ولن يدخلوا راحته،وهم الذين خضعوا للشيطان،ولم ينل أحد من آبائهم الموعد ولم يؤمنوا بالمسيح الذي هو الموعد ، وهم الذين سيطرحون خارج ملكوت الله ، وهم الشعب الجالس في الظلمة .

ونرى الآن كيف تختلف المسيحية عن اليهودية .

١ — لم يعرف اليهود الله .

آ — يرد يوحنا الكثيرين من بني اسرائيل الى الرب الههم .

ب — ليس الله أباهم وإلا لكانوا محبيه .

ج — لا يعرفون الله وليس هو إلههم .

د — انهم من أب هو ابليس .

هـ — عبدوا جند السماء والههم رمفان .

و — لم يبصروا الاله ولم يسمعوا صوته وليست كلمته ثابتة فيهم .

ز — انهم لم يدركوا ناموس الرب .

ح — انهم لم يؤمنوا بإله .

ط — لقد مقتهم الله وأقسم بغضبه بأنهم لن يدخلوا راحته .

٢ — كان اليهود ابناء الغضب وابناء الظلمة .

٣ — عبد اليهود الشيطان وجند السماء .

٤ — كان اليهود اشراراً وخطاة .

٥ — قتلوا الانبياء والمرسلين .

٦ — لم يدخلوا الى الملكوت ومنعوا غيرهم .

٧ — لم يقبلوا المسيح الموعود والعهد .

— ٣ —

وبعد هذا كله نسأل : ما العلاقة القائمة بين المسيحي واليهودي ؟

وهل للمسيح الذي أتى ليخلصهم من خطاياهم والذي اتاهم ملكاً روحياً ولم يأتهم ملكاً مادياً ، والذي أتى كابن الله من السموات وكانوا ينتظرونه لينقذهم من الغضب الآتي ، والذي اتى خصيصاً من أجلهم ، والذي سلم الى أيديهم الخاطئة ، والذي خرافه من غير الحظيرة اليهودية ، هل للمسيح علاقة بهذا الشعب الذي لم يعرف الحق وتنكر له ؟ الا يوجد فرق عظيم بين المسيحي واليهودي ؟ المسيحي الذي ينتمي الى النور والى المسيح ، واليهودي الذي ينتمي الى الظلمة وبليعال ؟

والقضية كلها يمكن تلخيصها كما يلي : المسيح ظهر بين شعب اسمه الشعب اليهودي[١٠] دعاهم المسيح ويوحنا المعمدان الى التوبة. وأما الشعب اليهودي فقد ظل عالقاً في الظلمة ومتعلقاً بالشر والخطيئة ومتمسكاً باله الشيطان وجند السماء ، وناظراً للأمور نظرة مادية بحتة . ولم يقبل اليهودي على مبدأ المسيح : التخلص من عبودية الخطيئة والشراكة بالبنوة واتباع الروح والكلمة والتخلص من الحرف والتهيؤ لمجد على الأرض يسوده ملكوت السماء الخ لقد رفض اليهود هذه الدعوة فظلوا تحت الخطيئة ، تحت الناموس ، عبيداً للشريعة .

وتعتبر نهاية الملحمة هذه حداً فاصلاً بين اليهودية والمسيحية . ولا يمكن الركون او الرجوع الى أية صلة بين الاثنتين . وإن ما نقرأه في الاناجيل والرسائل ليس الا سرداً لتاريخ أليم ، تاريخ المسيح على الأرض . وأما تاريخ المسيح الكوني فاننا نقرأه في السطور الحية للعهد الجديد ، وفي الايمان الذي تمخض في الانسان وتقبله بواسطة المسيح الذي أنار له الطريق والحق والحياة .

ولا شك أن ما يؤلمنا لدى قراءة تاريخ اليم كهذا ، لشعب رفض الروحانية والدخول مع الله في عهد جديد بواسطة الانسان الجديد وليس بواسطة الشريعة ، هو أننا نشفق على ابناء الظلمة وعلى استمرارهم فيها . وعلى هذا الأساس فقد ظلت الدنيوية قائمة بالنسبة لهم . فقد دانهم يوحنا المعمدان ودانهم المسيح فوضعت الفأس على أصل الشجر . ان تاريخ المسيحية يجب أن لا يكون متعلقاً بشعب افسدت الشهوات الجسدية بحسب الناموس اذهانهم فظلوا في عالم الظلمة ، انما يجب على هذا التاريخ ان يتحرر من اللطخة التي تشوبه لأنه متحرر وذلك لأن المسيحيين بالمسيح قد صاروا أبناء الحرية والنور .

لم يفهم اليهود معنى الروح ولم يقبلوا التجربة الروحية بل رفضوا كل مبدأ يمت الى الإله بصلة . لقد برهنت الدراسات الغنوصية ان اليهود لم يعبدوا الله أبداً ، بل عبدوا الشيطان . ولم تتنكر المسيحية لهذه الحقيقة بل اثبتتها . وكثيراً ما أتساءل : لماذا وجد المسيح بين اليهود ؟ واما الجواب فلا بد وان يشير الى ناحية سرية جداً تمت الى الغنوصية بصلة وهي : ان المسيح الذي اراد ان ينتصر على مملكة الشيطان تجسد بين شعب يمتلكه الشيطان ويسيطر عليه .

لا لقاء بين المسيحية واليهودية . فليس هناك أمل في أن يسود الوئام بينهما مالم يعلم اليهود أن الخطيئة الكبرى التي اقترفوها وكانت صلب المسيح ، هي الخطيئة ذاتها التي يجب ان يكفروا عنها بعودتهم الى المسيحية لأن هناك مازال وعد للدخول الى التوبة والراحة.ومن واجبهم أن

ينظروا الى الموضوع من وجهة نظر المسيح الكوني . لقد رفضوا النعمة فتاهوا ولن يجدوا الحقيقة مالم يعودوا الى الحقيقة[11] .

لقد انزل اليهود المسيح الى مستوى اله قومي فأرادوه ملكا دنيويا ينقذهم مثل داود وسليمان ، وينصرهم على أعدائهم ، وما زالوا ينتظرونه على أمل ورجاء . لقد نظر اليهود الى الله نظرة قومية متعصبة ، لذلك اعتقدوا بأنهم شعب الله المختار .. الا تجعل هذه الفكرة من الله مجرد مهزلة ؟ ألم يعرف الامم الله ؟ لقد عرفوه كما يقول بولس وكما تقول الدراسات السرية الروحية ، بل ان معرفتهم لله كانت عظيمة جدا جعلت المسيح يقر بوجود خرافة خارج الحظيرة اليهودية .. بين الامم .

لقد حقر اليهود الله والمسيح وانبياءهم الذين كانوا واسطة لتسلم شريعة ، وتمردوا على الله ايضاً بعبادتهم للشيطان والتعلق به . وتعصبوا لارائهم التي اكتسبوها من الامم المحيطة بهم ، وأساؤوا لتلك الآراء وشوهوها ، فظلوا تحت الخطيئة ، خطيئة آدم ، وسقطوا من النعمة لأنهم جعلوا من الناموس والشريعة نبراساً لهم . ولم يتراجعوا بل انقادوا للفريسيين والصدوقيين وغيرهم ، لا يعلنون عن ايمانهم بالله .

ماذا عبد اليهود[2] ؟ هل عبدوا الله ؟ كلا . فكيف يفضلون على الأمم الذين كانوا أقرب إلى الله بالضمير والنعمة والايمان .

حواشي الفصل الثاني

١ — تشير قصة ابراهيم الى انتقال الآراء التي سادت ما بين النهرين واعتناق الاسرائيليين لها .

٢ — تذكر التوراة ان الاله (يهوه) يأمر ابراهيم ان يترك الأرض التي يسكنها يمضي الى الأرض التي يعطيها له ولنسله . وتذكر أيضاً ان الاله ذاته يمنح موسى وشعبه الأرض الواقعة بين الفرات والنيل .

في هذين القولين تناقض ظاهر وأكيد . في القول الأول يأمره يهوه بترك أرضه ليعطيه ارضاً أخرى — تعتبر مقدسة . وفي القول الثاني يعطيه الأرض التي يأمره بمغادرتها . فأين هي القدسية في الموضوع ؟ اي أرض منهما مقدسة ؟ وان كانت الأرضان مقدستين ، فلماذا أمره بمغادرة الأولى ؟ ولماذا لم يعطه الاله يهوه الأرض دفعة واحدة قبل ان يغادر الأولى وأمره ان يظل مقيما في الأرض التي يسكنها ! الا يدل هذا على فكرة توسعية ورد فعل عنيف من جماعة ابراهيم وموسى ليتسلطوا على المنطقة كلها ؟ أيكون هذا الكلام كلام اله محبة ام كلام اله نقمة ، اله قومي ؟

٣ — تشدد التوراة في سفر التكوين على احترام بلاد الآباء (تكوين ١٥:١٥) . ويدل هذا على أن آباء ابراهيم كانوا مؤمنين .

٤ ـ الله لا يعطي ارضاً لشعب ويقول له « اعطيك الأرض الواقعة بين النهر الكبير والنيل » . لم يكن الله قد قال هذا بل يهوه ، إلهم القومي . الله الحقيقي يعطي الأرض لجميع الناس ويعلمهم المحبة لأنهم ابناؤه . والله لا ينحصر بقطعة أرض .

٥ ـ كان ابراهيم يمتهن الرعي . ولهذا لم يكن انتقاله الى فلسطين او الى مصر الا نتيجة حتمية لامتهانه الرعي . وعندما قطن فلسطين علم مبادئه وبشر بها . ولم تكن تلك المبادئ الا تلك التي تعلمها هو في بلاد آبائه . لكن اليهود استثمروا هذه الناحية وحاولوا احتكارها حتى لا يكون لأحد سواهم اسبقية في عالم الدين ، وحتى يتم احتكاره على الصعيد القومي . وبالطريقة ذاتها ، استغل اليهود معارف غيرهم من الأمم وادعوها لأنفسهم . لكن الحفريات الأخيرة فضحت عملية احتكارهم لمبادئ غيرهم .

٦ ـ ان كان المسيحيون التقليديون يصرون على إقامة علاقة مع اليهود فإننا نوافق على ما كتبه الانبياء الذين يمت تفكيرهم الى أصول امية عرفتها المنطقة دون العودة الى العنصرية اليهودية القاتلة . لذلك يحبذ تجريد انبياء اليهود الذين تأثروا بأفكار غيرهم ، بل نشروها ، عن تاريخ الشعب اليهودي . فلا يحق لنا ان نربط تاريخ العالم المسيحي كله بتاريخ فئة قليلة من اليهود. فلماذا نقيم علاقة بين التوراة والانجيل ، اي مع اليهود ، ولا نقيمها مع الامم الأخرى ؟ لا شأن لنا ، نحن الامم ، بالتوراة ، وان علاقتنا بها ، اي باليهودية ، يتيان من خلال اناجيل الحوار : متى ومرقس ولوقا التي كتبت لليهودية المسيحية . أما انجيل يوحنا فقد كتب للأمم ، للمسيحيين .

٧ ـ من أجل هذا السبب تظل التوراة كتاباً لليهود ، ولا علاقة للمسيحيين به ، ذلك ان المسيحية تنادي بمبادئ تناقض مفاهيم التوراة .

٨ ـــ ويقصد بهذا ان انبياء اليهود لم يكونوا مبدعين ، لقد أخذوا من غيرهم وتبنوا معتقدات الأديان الأخرى .

٩ ـــ حمل اليهود ارادة لوسيفر الى العالم ، ولهذا فقد اتى المسيح ليخلصهم ، ويخلص الأمم منهم ، فكان لابد من وجوده مع اليهود لأنه لا يتم خلاص للعالم الا بخلاص اليهود ، شعب لوسيفر ، من لوسيفر .

١٠ ـــ برهن المسيح بأنه لم يكن يهودياً ولا يمت الى داود بصلة وذلك عندما برهن بأنه رب داود وليس ابنه ، ولا شك انه برهن على انتمائه الى نوعية التفكير الأممي الصافي دون التقيد بتقاليد اليهودية الدينية ، ولذلك فقد بدأ بتبشير أهل الجليل ، جليل الأمم ، لسببين : ١ ـــ لأنه جليلي ٢ ـــ لأن أهل الجليل كانوا امماً واسرائيليين متأثرين بآراء الأمم ونابذين لعنصريتهم بأقليتهم او باختيارهم .

١١ ـــ واجب المسيحيين هو إنقاذ اليهود وليس الانقياد لاضاليلهم ، المسيحيون ، في يومنا هذا ، يتيهون في تفاسير اليهود المضللة .

١٢ ـــ ليس يهوه هو الله ، ولم يعرف اليهود التوحيد ، ان تركيزهم على يهوه الذي عرفه أقوام سبقوهم يعتبر توحيداً ، فليس التوحيد التوراتي الا تركيزاً على إله قومي دون آخر ، او عزله عن مجموعة الآلهة الأخرى التي امتازت عليه كاله الكنعانيين الحقيقي .

الفصل الثالث

المسيح رجاء الأمم وعالمية الانجيل

مازلنا نعمل على فصل المسيحية عن اليهودية . اليهودية شريعة مغلقة والمسيحية دين منفتح . اليهودية شريعة لليهود تماماً كأية شريعة اخرى تقبل التبديل اما المسيحية فهي دين لجميع الناس لا يقبل التبديل .

لقد اعتقد اليهود انه شعب الله المختار[1] . لكن المسيح قضى على خرافتهم تلك . ففي مثال المسيح عن قتلة الوريث من اجل الاحتفاظ بالكرم دليل على ان الله لم يتركه لهم بل سلمه لآخرين . وقد برهن متى الانجيلي على هذه الحقيقة لما ذكر في الاصحاح الواحد والعشرين العدد ثلاثة واربعة ما يلي : لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل ثماره[2] .

إذاً ، فقد قضت العدالة الإلهية ان يعطى ملكوت الله للأمم . ونحن لا ننكر ان المسيح التاريخي قد ظهر بين شعب لم يقدره . ويشير

انجيل متى الى هذه الحقيقة . فقد شدد هذا الانجيل الذي كان موجهاً الى اليهود إلى ان المسيح قد جاء ليخلص شعبه من الخطايا . فهو قد اتى الى خراف بني اسرائيل الضالة . ولكن ، لما كان اليهود يرفضون النعمة فقد رفضوا المسيح ، ولذلك فإن الملكوت والخلاص قد اعطيا الى الأمم . ويذكر الانجيلي متى انه بزلتهم تم الخلاص للأمم . وينتهي هذا الانجيل بأن المسيح سيكون للأمم وسيتم الخلاص لهم ما لم يقبلوا الحقيقة التي تجسد من اجلها[٣] .

سنقف هنيهة امام هذا الجدل اللاهوتي ؛ ولنفترض جدلاً ان اليهود قبلوا المسيح ، فماذا كان مصير الأمم ؟

إننا نقف امام طريقين لا ثالث لهما : اولاً ، اما ان يقوم اليهود بتأدية الرسالة الى العالم[٤] .

ثاني — واما ان العناية الالهية علمت بما سيكون عليه اليهود وتكون زلتهم خلاصاً للآخرين ، ويكون المسيح رجاء الأمم . لماذا ؟

كما ذكرت سابقا ان المسيحية لا تحمل شيئاً من الشريعة إلا اذا علمنا بأنها تتمثل بجزء بسيط في رسائل بولس . فاستعاض الأمم عن الوصية او الشريعة بالضمير . ولما كان الضمير قد اعطي للانسان قبل الشريعة اي قبل السقوط ، لذلك فان الأمم لم يتعرضوا للخطيئة مثلما تعرض لها الشعب اليهودي الذي اعطي له الناموس . يقول بولس ان الناموس لم يوضع للابرار بل للأثمة والمتمردين الخ ، ويقول ايضاً : « اما انا فكنت قبل الناموس عائشاً قبلاً ، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة فيَّ فمت انا » . لذلك نرى الأمم الذين فعلوا بالطبيعة التي تظهر

الناموس مكتوباً في قلوبهم وضميرهم شاهدهم يتقبلون المسيح قبل اليهود ، وذلك للأسباب التالية :

١ ــ الامم يستنيرون بالضمير ، وهو الضمير الذي نحته الله في اذهانهم وقلوبهم منذ الأول ٠

٢ ــ خضوع اليهود للناموس لا يعتقهم من عبوديته مالم يتنكروا له ٠ لذلك فهم لا يستطيعون ان يتصوروا قوة الخلاص الا من خلال الناموس ٠ ولما كان ناموس الجسد يناقض ناموس الذهن والايمان وناموس الله والبر ، فإن اليهود لا يتقبلون المسيح الذي نادى بالروح ورفض الحرف ، وبالملكية الروحية ورفض الملكية المادية ، ونادى بالله ابا لجميع الناس لا سيداً متسلطاً او إلهاً لليهود فقط ؛ ولا يستطيعون ان يتقبلوا الخلاص الا من خلال الحرف ، وهذا امر لا يتم ٠

٣ ــ الأمم يستنيرون بالايمان والنعمة منذ الأزل ٠

٤ ــ وكنتيجة لما جاء في البنود الثلاثة : الأمم وهم مهيأون بالضمير والايمان والنعمة مهيأون ايضا لقبول الكلمة ، واليهود وهم مهيأون بالناموس والحرف ، مهيأون ايضاً لرفض الكلمة ٠

٥ ــ لهذا كان المسيح رجاء الأمم وكانت عالمية الدعوة المسيحية ٠

٢

لعلنا نُقدم تأويلاً اوضح للموضوع إن نحن اخذنا مثال آدم والسقوط ٠

ان خلق آدم من الله مباشرة بدون رجل او امرأة ادى الى كتابة نواميس الله في قلب آدم وذهنه ، لذلك لم يخضع آدم للشريعة فدانت له الأرض والحيوانات وكل شيء ، وكان في حالة النعمة(٥) .

ان سقوط آدم ادى الى انهيار نواميس الله المكتوبة في ذهنه وقلبه ، فاستعاض آدم عن ناموس الذهن والروح بناموس الحرف(٦) . ولما كان الشعب اليهودي ، الذي يدعي بناموسه ويفتخر به ، اكبر من يمثل السقوط ويسير على خطى آدم بعد السقوط ، فإنه مازال تحت الناموس . ولذلك يعجز عن اعتناق ناموس غير ناموس الجسد لأنه مقيد به ومرتبط بعجلته . فهو مازال تحت الناموس . اما الأمم ، فقد تبنوا ناموس الضمير المكتوب في الأذهان . ولهذا فقد سهل عليهم تقبل الايمان والنعمة والروح لان المسيح قد ايقظ فيهم معطياتهم الاولى .

ولابد من طرح سؤالنا هذا .

الى اي مدى نوافق اليهود على ادعاءاتهم وتفاخرهم باختبار الله لهم وتحقيرهم للأمم ؟ إنني لا اوافق قطعاً . فقد أبان بولس نقطتين هامتين :
١ ـــ ان من نسميهم وثناً ليسوا وثناً بمعنى الكلمة الحرفي ـــ ويخطىء المسيحيون عندما يتهمون غيرهم بالوثنية او بعدم الخلاص او بعدم معرفة الله وقلة الايمان به . يقول بولس « ان خليقة الله كلها جيدة » ويضيف في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٨:٥ « نعلم ان ليس وثن في العالم وان ليس اله اخر الا واحدا». فأين فخر اليهودي واختيار الله له؟ألا يبدو جلياً ان الوثن اي الأمم ، عرفوا الله اكثر مما عرفه اليهود ؟ الم يظهر بولس الرسول ان الأمم مهيأون بالضمير وبالناموس المكتوب في الأذهان ، بناموس

الله ؟ الم يقر بولس بأنه اخذ عن الأمم وعن اليهود وانه مدين للجميع ؟ الم يظهر بولس ان الأمم مجهزون لتقبل الأنجيل ، انجيله هو بالمسيح وليس أنجيل الختان الذي اؤتمن عليه بطرس ؟ وكيف نفسر مجيء المجوس ، ولم يكونوا يهوداً او مسيحيين ، الى حيث ولد المسيح في المغارة ، ورؤيا النجم(٧) ؟ وكيف نعلل قول المسيح بأن الكثيرين سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها ويتكئون في الملكوت ؟ الا يعني هذا ان الامم بطبيعتهم كانوا اقرب الى الله من اليهود .

لقد برهن بولس ان جميع الناس قبلوا النعمة والايمان منذ الازل . وعلم ان المسيح هو في الجميع ، وان الامم الذين لم يسعوا في اثر البر قد ادركوا البر ، البر الذي هو في الايمان ، ولكن اسرائيل وهو يسعى في اثر الناموس لم يدرك ناموس البر . فكيف يدرك البر من كان « وثنياً » لايتبع شريعة وكيف لايدركه من كان يهوديا ويتبع شريعة ؟ أليس جلياً ان الله قد فضل الامم على اليهود ؟ ألم يفضل بولس في رسالته الى اهل رومية الامم على اليهود بالرحمة ؟ اما اختار الله الامم منذ الازل للايمان ولسماع كلمة الانجيل وافرز لها بولس لكي يسمعهم بفمه كلمة الانجيل فيؤمنون بالله العارف القلوب والذي شهد للأمم معطياً لهم الروح القدس كما اعطاه للغير ؟ لقد شهد الله للأمم . الم يقل بولس في رسالته الى اهل كورنثوس اننا جميعاً بروح واحد ايضاً اعتمدنا الى جسد واحد يهوداً كنا ام يونانيين ، عبيداً ام احراراً ، وجميعنا سقينا روحاً واحداً ؟ الم يذكر متى الانجيلي انه على اسم المسيح يكون رجاء الامم ؟ الم يذكر في اعمال الرسل ايضاً انه في كل امة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده ؟ الا نعلم ان كل

انسان قد دين بالمسيح وتبرر به ؟ اليس حقيقة ان الله هو للجميع كما يقول بولس في رسالته الى أهل رومية ، « ام الله لليهود فقط . أليس للأمم ايضاً » . الا يخبرنا سمعان في اعمال الرسل ان الله قد افتقد اولاً الامم ليأخذ منهم شعباً على اسمه ؟

٢ ـــ ان من نسميهم يهوداً او شعب الله الخاص ليسوا يهوداً وليسوا شعب الله الخاص . فقد ذكر بولس في رسالته الى اهل رومية : « وأما الان فقد ظهر بر الله بدون الناموس . . إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لانه لا فرق » . وقد أضاف بولس : « يسوع ربنا الذي به ، لاجل اسمه ، قبلنا نعمة ورسالة لطاعة الايمان | في جميع الامم » . وكذلك نجد في اعمال الرسل[١٣] ما يلي : « لان هكذا اوصانا الرب . قد اقمتك نوراً للأمم لتكون انت خلاصاً إلى اقصى الارض » . وفي رسالته الى اهل رومية يقول : « اذا ما هو فضل اليهودي او ما هو نفع الختان » .

كيف يمكن ان يكون اليهود اداة خلاص وهم شعب الناموس والخطيئة ، الشعب الذي لا يصغي الى الكلمة لانه عبد للناموس ؟ فما هي اذن هذه الخرافة التي نسميها الشعب المختار ؟

آ ـــ كان إله اليهود الها قوميا اخضعوه لهم . وهذا هو توحيدهم : قبولهم ليهوه ورفضهم لالهة اخرى .

ب ـــ لم يعرف اليهود الإله الحق ، اله جميع الامم ، الاله الآب .

ج ـــ لقد تنكر اليهود لكل الامم الاخرى .

الاله القومي او الوطني لايعطي لاتباعه الا الشريعة . ولكن لما كنا قد علمنا ان اليهود لم يعرفوا الاله الحق لذلك فقد أخضعوا الههم لهم.وهم لا

يستطيعون ان يروا اي اله آخر الا الههم كما لا يستطيعون ان يعترفوا بغيره . وكما اعتقد ان إله اليهود لم يختلف عن الآلهة الاخرى المتعددة . فاليونان والفينيقيون عرفوا الآلهة العديدة ، فكان لكل مدينة إله ولكل فئة إله يطلبون منه النصر في الحروب والاخذ بيدهم والانتصار على الطبيعة وفي البحر خاصة . ولم يختلف اليهود عن غيرهم ، لكنهم تنكروا للأمم الاخرى واعتبروها رجاسة ونجاسة . وهذا ما كان يفعله كل شعب منغلق إزاء إلهه وإزاء إله الاجانب . ولما كان الامم لا يتبعون شريعة كشريعتهم ، لهذا فقد كانوا غرباء عنهم ومحتقرين منهم . فنشأ عندهم الاعتقاد بالشعب المختار ـــ شعب يهوه .

اما المسيحية فقد اظهرت لهم الجانب الصالح من الموضوع . لقد اظهرت ان الله ليس هو اله اليهود فقط بل إله الامم ايضاً ، واظهرت ايضاً ان الرجاء والخلاص والنعمة قد أعطيت لليهود والأمم على السواء . وأظهرت ان اليهود بحاجة الى هذا الخلاص قبل غيرهم لانهم عبيد للخطيئة . وأظهرت انه لا افتخار لليهودي ولا فضل له طالما ان الايمان والضمير والنواميس المكتوبة في الأذهان والقلوب قد أعطيت لجميع البشر على السواء ، ابناء الله بالايمان بالمسيح الكوني . ولهذا لم يستطع اليهود ان يتحملوا المسيح الذي ارادوه ان يخضع لناموسهم وشريعتهم لا ان يحررهم منها . ولما اراد ان يخلصهم من شريعتهم ثاروا عليه وقتلوه . إنهم يريدون مسيحهم ، مسيحاً لهم وليس لغيرهم ، مسيحاً ينقاد لهم ، يحقق رغباتهم ، يسير معهم ، ويعمل من اجلهم حتى ولو طبق من اجلهم كل شر او استعمل النجاسة والحقارة .

ويريدون الهاً لايخص أحداً غيرهم ، يضع الشعوب الاخرى تحت أقدامهم .

وهكذا لا يخرج إله اليهود عن كونه الهاً وطنياً مثل الآلهة الاخرى التي عبدها الامم . ولا يمتاز اليهودي على غيره من اعضاء الامم[1] . فاليهودي لم يعرف الله ولم تعط له شريعة من الله ، ولما جاء ملء الزمان واكتمل الكون وارسل الله من يدعو الانسان الى البنوة والمشاركة ، ويدعو جميع الناس ، ثار اليهود وقتلوا المسيح . واستمروا في ضلالهم هذا حتى الوقت الحاضر . فهم مازالوا ينتظرون الههم ـــ المسيح الذي سيأتي . ومازالوا ينتظرون اورشليم الجديدة التي ستنزل من السماء . انهم مازالوا ينتظرون الههم الوطني ، يأتي ليخلصهم ويقودهم وذلك لانهم مازالوا يعتقدون بأن ناموسهم قد اعطي من الله .

وقد ادى تنكرهم للشعوب الاخرى الى جعلهم اضداداً لجميع الناس ، كما ادى الى شعورهم بالعزلة والذاتية شأن من تصيبه عقدة النقص او عقدة العظمة . وقد ادت ذاتيتهم الى سيطرتهم وتفوقهم في مجالات عديدة مما ادى الى استمرارهم في اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار . ولكن لما كان الخلاص قد اعطي لجميع الناس على السواء ، فقد فقدوا كل شعور بالمثال وزاد حقدهم على الله اعتقاداً بأن الخلاص لا يكون الا لهم وفيهم . فهم الذين يخلصون ، اما غيرهم فلا يمكن ان يتم له الخلاص . لقد وجدوا ان الههم لا يخلص غيرهم ، فهو قد ساعدهم في القديم على اعدائهم وسار معهم في البرية ووعدهم بالارض الموعودة وبالمسيح . ولهذا فإنه لا يمكن لالههم هذا ان يخلص غيرهم . فهم لا يعتقدون الا بذاتيتهم

القاتلة . وهاهم الآن يعيدون المسرحية ذاتها التي مثلوها قبل ألفين من السنين .

في أعمال الرسل نقرأ ان بولس ، وهو في غيبة ، قد أمر بالروح القدس ان يترك اليهود وينطلق الى الامم لان اليهود لا يقبلون شهادته . ولا شك ان اليهود لا يقبلون شهادة بولس لانه رسول الامم والمنادي بالمسيح الكوني رجاء الامم وهم لايقبلونه لانه فريسي يعرف ناموسهم جيداً وينهاهم عنه ويبطل وجوده ويؤكدانه ليس من الله . لقد شدد بولس على ان المسيح قد جاء للجميع وانه لا فرق بين شعب وشعب ، بل شدد ان الشعوب تخلص بالايمان . فالمسألة اذن هي مسألة إيمان بالمسيح . وهذا مالا يقبل به اليهود لانهم لا يقبلون الا مسيحاً يهودياً على غرار سليمان وداود ، يخلصهم ويكون لهم ويتحدث اليهم ويكون ملكاً ارضياً وسماوياً . ولما كانت الديانة المسيحية تناقض مفهوم المملكة المادية ، فإن اليهود لا يتقبلونها لانهم مازالوا تحت الشريعة . قال المسيح « مملكتي ليست من هذا العالم »» .

٣

في رسائل بولس ، المبشر بانجيل المسيح ، نلمس افضلية الامم على اليهود ، نلمس عالمية الانجيل ورجاء الامم . لقد قلب بولس ميزان التفكير عند اليهود . انه قضى على الناموس وابطله بالنعمة والايمان والضمير . كذلك قضى على فكرة الشعب المختار وثبت المسيح الكوني الذي يعمل في الامم ، في جميع الناس ، لانهم أبناء الله .

وفي رأيي ان اليهود يمثلون عرقاً وعنصراً قل ان وجد مثله في تاريخ التعصب العرقي . وتتفوق عنصرية اليهود على اية عنصرية اخرى مقابلة لها لسبب أصيل جوهري هو : اقحام العنصرية اليهودية لله في موضوعها . وبهذا تصبح اليهودية ثيوقراطية ، مملكة زمنية دينية ، يسير الله في تاريخها كأنه عبد مقيد بسلاسل الشعب اليهودي . فهم يعتقدون بتفوقهم وافضليتهم لانهم يعتقدون ان الله سبق فاختارهم . ولما كانت تلك هي الارادة الالهية فلا مفر اذاً من تحقيق الله بتجسده عندهم وليس عند سواهم ، ولابد لله ان يحقق وعده . فكيف يؤمنون بمسيح اتى ولم يعمل على وعد الله في تاريخهم الذي اخضع الله فيه ذاته لهم ؟ لذلك فقد اتهمهم بولس والمسيح بأنهم لم يعبدوا الله ولم يعرفوه ولم يلمسوه ولم يسمعوه ولم يبصروه ، بل عبدوا جند السماء الهوائية .

٤

ان عظمة المسيح تقوم على عالميتها وعلى كونها رجاء للأمم . فالمسيحية لا تحد بشعب او بامة ولا تخضع لمقاييس ومفاهيم ، والا فإنها تنقلب الى شريعة . وتقوم عظمة المسيحية ايضا على فكرة المسيح الكوني الذي هو ، لمن لم يره كمسيح ارضي ، روح الله او روح القدس الذي يوجد في كل انسان زيحيا فيه . يقول بولس : « الا تعلمون ان روح الله فيكم ، ان روح المسيح فيكم ، انكم هيكل الله ، انكم ابناء الله ، وان المسيح خلصكم » . هذا المسيح الذي ينادي به بولس ، اله الرجاء والخلاص للجميع ، هو المسيح الكوني الذي لايجد قبولا عند اليهود .

كيف يقبل اليهود مسيحاً كونياً ؟ انهم يريدون مسيحاً ملموساً ، حسياً ومادياً ، مسيح شريعة ، اله شريعة وناموس لا اله روح . لقد حاربوا اله الروح ، اله ناموس الحياة والذهن ، اله المحبة ، وقلصوه لاله ناموس يتمثل عندهم بصورة دنيوية . وأما الامم الذين لم يتبنوا شريعة مكتوبة ولم يروا المسيح الشخصي ، فقد آمنوا بالمسيح الكوني الذي يخلص ويحيي . لقد كان المسيح قريبا الى ذهنهم وتفكيرهم وقلبهم وضميرهم لانهم كانوا يتبعون ناموس الله المعطى لكل انسان منذ بدء الخليقة .

ولم يفهم اليهود كيف يمكن ان يضحى بالجسد من اجل الروح . فقد استخلصت من قراءاتي للأناجيل والرسائل صعوبة فهم المسيحية . كان المسيح لغزا لهم وسراً . وكانوا يتساءلون في سرهم : انه يتكلم كمن له سلطان . كيف يغفر الخطايا . كيف يقول انه ابن الله . كيف يعرف الكتب . كيف يتكلم عن الروح . كيف ينفي الحرف وعتقه .

كيف يتكلم عن الولادة الجديدة وعن الانسان الجديد الخ . وكانوا يعجبون ويندهشون . ومما لاشك به ان صعوبة فهم المسيحية تعود الى عدم وجود التجربة الروحية عندهم . اما الامم الذين لم يخضعوا لعتق الحرف فإنهم قبلوا المسيحية عندما أيقظ المسيح فيهم ، بواسطة بولس ، قوة الروح .

لا يسعني الا ان أتبنى فكرة الفصل بين المسيحية واليهودية . ان مسيح الامم ، رجاء الامم ، وعالمية الانجيل شيء لا تقبل به الشريعة اليهودية . أما الامم فانهم يتقبلون الرجاء والمحبة والمسيح الذي لم يروه لان

المسيح يكلمهم بالروح لا بالحرف . فقد ايقظ بولس فيهم كل قدرة روحية فتعلموا التجربة الروحية التي لم تكن معدومة لديهم .

واذكر انني حاولت ان اتفهم القرابة الفكرية بين اليونانية والمسيحية فوجدت ان العقل الاول عند اليونان كان قريبا جدا من مفهوم « الكلمة » التي خلق بها الكل . وعلى هذا الاساس فقد استطاع القديس يوستينوس ان يدرك عمق « الكلمة » التي خلق بها الكل . وعلى هذا الاساس فقد استطاع القديس يوستينوس ان يدرك عمق « الكلمة » بعد قراءة افلاطون ، فتقبل المسيحية واعتنقها . اما اليهود فإنهم لم يدركوا ، ولن يدركوا ، العقل الكلي او الاول ولم يعرفوا ، ولن يعرفوا « الكلمة » ولهذا لم يؤمنوا . ولهذا فقد فشلت كل عملية تقارب بينهم وبين اليونان . فالامم اذن افضل من اليهود واقرب الى الله منهم .

حواشي الفصل الثالث

١ ــ كيف يكون اليهود شعباً مختاراً وهم لا يؤمنون بالكلمة ؟ إنهم شعب مختار ليهوه ، إله العالم المادي ، المقاومة السالبة المركزة في المادة .

٢ ــ هذه هي الغاية التي رمى اليها المسيح ، ينتزع منهم الكلمة ، أي الحقيقة ، التي احتجزوها في نطاق تاريخهم ، لتعود الى سيرتها في تاريخ العالم عامة ، واوروبا خاصة .

٣ ــ بمجيء المسيح تنتهي خرافة كون اليهود شعب الله الخاص وتبدأ حقيقة كون الشعوب كلها أبناء الله . وهكذا تنتهي عرقية اليهودي لتبدأ عالمية الله والانسان .

٤ ــ لا يتم هذا لأن رسالة المسيح ، التي هي الانتصار على لوسيفر ، تمت في محاربته في مملكته الخاصة ، ولهذا وُجد المسيح بين اليهود حتى ينتصر العالم بالخلاص من لوسيفر الذي اتخذ له شعبا.فالمسيح لم يتجسد ينهم لانهم شعبه،بل ان النقيض هو الصواب . وقد تم الخلاص للأمم لأن اليهود ظلوا متمسكين بلوسيفر .

٥ ــ تشير دراسات سرية الى ان الانسان كان إلهاً متجسداً في البدء ، قادرا على كل شيء ، روحانيا غاية الروحانية ، عالما غاية العلم ، نبيا كل النبوة ذلك لأنه كان يحقق الروح فيه .

٦ ــ تشير الدراسات ذاتها الى ان الانسان ، في حالته الراهنة ، متقهقر ومنحط

عما كان . فهو على نقيض ما يقول العلم عنه بأنه يتطور . ان علم الروح يشير الى بداية عهد الانسان الروحانية الظافرة والى نهايتها . ولقد أتى المسيح لكي يعيد الانسان الى حالته الاولى .

٧ ـــ ألم يكن المجوس من الأمم ؟ انهم اجداد الجليليين الذين وُلد المسيح منهم . لقد أتى اهل الجليل والسامرة من القسم الشرقي لنهر الفرات وحملوا معهم دياناتهم وعاداتهم . وعلى الرغم من أنهم شاركوا اهل اليهودية عقائدهم الدينية لكنهم ظلوا متمسكين بأمميتهم . ولذلك كرهوا اليهود وآمنوا بأن الانبياء لا يأتون من الجليل عبر الاردن ، جليل الأمم . وعلى هذا الأساس بدأت بشارة المسيح بينهم.وليس مجيء المجوس الا دليلا على علاقة المسح بالأمم .

٨ ـــ لكن خطيئة اليهود كانت أشد وأدهى من خطيئة الأمم ذلك لأنهم جعلوا إلههم رمزاً لخلاصهم وأخضعوه لهم وجسّدوه في تعصبهم وعرقيتهم وتنكروا لاله العالم أجمع الذي بشرهم المسيح به .

٩ ـــ تنقسم رسائل بولس ، وهي المخيله بالمسيح ، الى قسمين : قسم وضعه للأمم المسيحيين يحذّرهم من التوراة التي حاول اليهود المسيحيون ، وعلى رأسهم بطرس ويعقوب ، اخضاعهم لها ، وقسم آخر وضعه ليهود المسيحيين ، في الشتات ، مؤكداً لهم ان الناموس ينتهي بالمسيح . لذلك تلغى شريعة موسى بمجيء الكمال ، أي المسيح .

الفصل الرابع

بنوة المسيح بين داود والله

من هو المسيح ؟ هل هو ملك ارضي ام ملك سماوي ؟ وهل هو ابن الله ام ابن داود ؟ ومن هو داود ؟ هل هو ملك ارضي ام هو نبي ؟ .

كان داود ملكا ــ نبيا . لكنه كان ملكاً دنيوياً ونبياً دنيوياً . فقد كان اليهود يتوقعون من ملكهم ان يكون نبيا ليكون مثالاً للثيوقراطية . إنهم كانوا يبغون أن يجمعوا بين الروح والمادة ، وأن يجسدوا ملكية الله السماوية في ملكية الارض المادية . ولهذا السبب فقد كان إلههم إلها وطنيا يتمثل في الملك ــ النبي .

أما المسيح فقد كان ملكا . لكنه لم يكن ملكاً على غرار داود . كان المسيح ملكاً روحياً ومملكته لم تكن من هذا العالم ، لكنه كان يريد تطبيق مملكته الروحية في العالم المادي . ونجد ملكية المسيح في أماكن عديدة من الانجيل .

لما أتى المجوس من المشرق قالوا : « أين هو المولود ملك اليهود . إننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له » . وقدموا له الهدايا التي تليق بملك روحي . لقد عرف المجوس بأن المسيح هو ملك اليهود ، ملك غير متوج ، ورأوا نجمه في المشرق وسجدوا له ، مع أنه لم يكن مشرقياً[1] . ومما لا غرو فيه أن المجوس لم يروا نجم هيرودوس أو أحد ملوك بني اسرائيل بل رأوا نجم ملك ولد في مذود بشرت به الملائكة لدى ظهورها على الرعاة . فلما ظهر الملائكة على الرعاة في بيت لحم ظهر النجم على المجوس . وليس ظهور النجم في علم الروح إلا رؤيا وقعت للمجوس فعلموا بما يحدث في عالم الروح . ولذا علم هؤلاء ان المولود بين اليهود ملك ، هو ملك اليهود غير المتوج ، الملك الروحي الذي سيعمل على إنقاذ اليهود من خطاياهم وليس من سيطرة الرومان .

وهناك حادثة وقعت للمسيح أثناء كرازته بملكوت الله . فقد أراد نفر من اليهود ان يخطفوه ليجعلوه ملكا عليهم (يوحنا ٦:١٥) . لكنه تخلص منهم وهرب . لقد هرب المسيح من عبودية الملكية المادية . إنه لم يكن راغبا بمملكة المادة بل بمملكة الروح[2] . ولو أراد المسيح قبول مملكة الارض والسيطرة على الدنيا من الوجهة المادية لقبل عرض الشيطان الذي سبق وقدم له العالم بأسره . لقد رفض المسيح الملكية الأرضية لأنه كان يرغب في ان تخضع هذه الملكية لملكية أعظم هي مملكة الروح .

أما اليهود ، لأنهم لم يجدوا في المسيح تحقيقاً لهدفهم ، فقد عمدوا الى صلبه لكي يتخلصوا منه . فالمسيح لم يحقق أهدافهم الأرضية . كانوا يريدون الخلاص من قيصر ، من الرومان ، وكانوا يعتقدون ان المسيح هو

الذي سيخلصهم . لكن المسيح لم يأت ليخلصهم من قيصر الروم بل من قيصر الخطيئة والشر . فتحول معنى الخلاص من الحرف الى الروح . ولذلك فقد صرخ اليهود ، كما هو مذكور في انجيل متى ، عندما يئسوا من تخليص المسيح لهم من سيطرة الرومان قائلين : « خذه واصلبه » ، فقال لهم بيلاطس : أأصلب ملككم ؟ أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا « قيصر » . لقد خان اليهود حقيقتهم وغايتهم . فقد ادعوا الولاء لقيصر مع أنهم كانوا يرغبون في التخلص منه . وخانوا المسيح لأنهم لا يسعون وراء مملكة الروح ، وخانوا مبادئهم وتنكروا لها ونادوا بقيصر قيصرا لهم على الرغم من معاداتهم له . لقد فشل اليهود في فهم فلسفة الملكية المسيحية الروحية .

واولئك اليهود لم يعرفوا مبدأ الملكية الروحية . فقد عمدوا الى تشويه سمعة المسيح وتحريض بني اسرائيل والرومان عليه . فقد ابتدأوا يشتكون عليه قائلين أنهم وجدوا هذا الانسان يفسد الامة ويمنع ان تعطى لقيصر جزية ويقول انه مسيح ملك (لوقا ٢:٢٣) . وعلى هذا الأساس فقد جهل اليهود ولم يفهموا معنى المسيح الملك ، هذا المسيح الذي دعاهم الى اعطاء جزية أعظم من تلك التي يقدمونها لقيصر . لقد قال المسيح لهم : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . وبهذا القول خاب أملهم . فهم يريدون التخلص من قيصر ولكنهم لا يريدون ان يدفعوا الله ما يتوجب عليهم من روحانية . ويريدون ان يكون قيصرهم ممثلاً لإلههم ، كما يريدون ان تكون الجزية التي تدفع لقيصرهم هي الجزية نفسها التي تدفع لله ، هذا القيصر الذي يمثل الله . لكن المسيح أفهمهم بأنه لا علاقة لله بقيصر ،

فقيصر ملك ارضي والله ملك سماوي . فاعطوا ما لقيصر ، الملك الارضي ، وأعطوا ما لله ، الملك الروحي ، ولا تخلطوا بين الاثنين . اما اليهود فقد ساروا على خطى آبائهم ولم يفهموا ، وظلوا ابناء الغضب والظلمة .

اما المسيح فقد كان ملكا عن حق . فالمجوس شهدوا بذلك . كذلك فعل نثنائيل لما قال في يوحنا ١:٤٩ : « يامعلم انت ابن الله ، انت ملك اسرائيل » . لقد ادرك نثنائيل ان المسيح ابن الله وليس ابن داود ، ولذلك يستحيل ان يكون ملكا ارضيا . وأدرك ايضا انه ملك اسرائيل الروحي ومنقذ هذا الشعب العنيد المقاوم ومخلصه . لقد فهم نثنائيل العلاقة القائمة بين ابن الله وملك اسرائيل . وفي مرقس ١١:٩و١٠ نجد مايلي : « مبارك الآتي باسم الرب . مباركة هي مملكة ابينا داود الآتية باسم الرب[٣] . » ومما لاشك فيه ان مفهوم الملكية في هذا القول يظهر بوضوح وجلاء . ففي القسم الاول من العبارة تصريح واضح جدا وهو ان المسيح هو الآتي باسم الرب ، أي أنه ابن الله . وأما القسم الثاني فإنه يذكر مملكة داود . لكن مملكة داود التي ذكرت الآن فإن لها علاقة بالآتي باسم الرب وليس لها علاقة بداود ذاته . وهذا يعني ان مملكة داود الآتية باسم الرب تعني انقضاء مملكة داود الارضية وبدء مملكة المسيح الروحية . وهذا يعني ايضا إبدال الملك الارضي بالملك الروحي ، كما يعني ان مملكة داود الاولى لم تأت باسم الرب ، اما مملكة المسيح الحاضرة فهي من الرب . أما العتيق فقد مضى وكل شيء اصبح جديدا . الملكية الارضية قد انقضت وحلت محلها الملكية السماوية الابدية .

وفي لوقا ١٩:٣٨ نسمع هتاف الناس قائلين : « تبارك الملك

الآتي باسم الرب[٤] » . ويشير هذا القول اشارة صريحة الى ان الملكية أصبحت من ميزات الآتي باسم الرب . فالملك الآن هو من الرب . وإن كان من الرب فهو ابن الرب . وأما هذا الملك فإنه يعمل باسم الرب ويبني مملكته على أعمدة الرب وحكمته . ولا شك ان الملك الآتي باسم الرب هو ملك مخلص للعالم من الخطيئة وليس ملكا مخلصا لليهود من سيطرة الرومان او ما شابه .

ويطمئن يوحنا في الأصحاح الثاني عشر ابنة صهيون ان ملكها يأتي راكبا على جحش ابن اتان . ان ملك ابنة صهيون لن يأتي جالسا على عرش تحيط به الابهة والعظمة الدنيوية وذلك لانه ليس ملكا دنيويا بل هو يأتي جالسا على حمار لانه ملك روحي ، أبدي ومتواضع . فكما ان هذا الملك العظيم الذي ولد في مغارة ، وفي مذود ، وسرت الملائكة به وأشارت نجوم السماء الى زمان ولادته ، وبه فرحت الارض والسماء ، كذلك فإنه يأتي راكبا جحشا . فهو ليس ملكا ارضيا تحيط به الجنود الارضية المتهيئة للقتال واهراق الدماء ، بل هو ملك سماوي تحيط به ملائكة السماء وتنزل عليه وتصعد وتبتهج الارض وتتهلل شعوب الارض بأكملها . انه مخلص للروح من براثن الموت والخطيئة .

تشير المملكة الروحية الى انقلاب حدث في حياة اليهود . لقد قضي على المملكة المادية ، مملكة داود ، وقامت مكانها المملكة الروحية ، مملكة الرب ، مملكة المسيح . وبانقضاء المملكة المادية انقضاء للناموس والحرف والعبودية واتمام للخلاص الروحي . لكن اليهود ماشاؤوا ان يتخلصوا من سلطة ابليس فظلوا يرون في المسيح مخلصاً مادياً ، بانياً

لمملكة لها حدود وجيوش وقادة وزعماء ، مملكة مادية بحتة . وما زال اليهود ، في الوقت الحاضر ، يحلمون بمملكة سليمان وداود ، جاهلين ان العتيق قد انقضى وان الجديد حل محله . لذلك تشير ملكية المسيح الى تحول في الاتجاه والى نهاية لمملكة ارضية سادت وتهيئة لمملكة روحية . وهذا يعني الاستعاضة عن مملكة الارضيات ، مملكة الجسد ، بمملكة السماويات ، مملكة الروح ، ولهذا يستحيل ان يقوم لقاء بين المسيحية واليهودية .

ان إبدال مملكة الارض بمملكة السماء يضعنا وجها لوجه امام حياة غوتاما بوذا . فقد كان بوذا ملكا ارضيا ، لكنه تحول الى ملك سماوي . إنه نبذ ملكية العالم وبحث عن ملكية السماء . وعلم ان الخلاص لا يتم بالملكية الارضية بل بالملكية السماوية ، كما علم ان ملكية الارض هي ملكية فاسدة وان ملكية السماء والروح هي ملكية أصيلة طاهرة وصالحة .

ان بوذا يمثل هذه الفكرة تمثيلاً عظيماً . وأما الفرق القائم بينه وبين المسيح فهو ان بوذا طبق المفهوم على ذاته بعد سنوات عديدة من ملكيته الارضية ، فتحول من ملك ارضي الى ملك سماوي . وأما المسيح فانه ، كملك سماوي منذ صغره يمثل مملكة الرب ، اراد ان يعلم اليهود معنى الملكية والخلاص الحق . ويتشابه الاثنان ، ولو في اختلاف الدرجة ، في انهما حققا الملكية السماوية خير تحقيق . ولهذا رفض المسيح ان يكون ملكا ارضيا .

هناك فرق كبير بين اليهود والهندوس . فالهندوس شعب مشبع

بالروحانية منذ الزمان القديم ، شعب ينصاع لحكمائه ويستمع لهم ويفعل ما يقولونه له . أما اليهود فإنهم شعب معاند يقتل انبياءه ويرجمهم ويتنكر لله وينظر الى الامور نظرة مادية بحتة . فالخلاص عندهم خلاص في هذا العالم يماثله خلاص في الآخرة ـــ الدين والدنيا . والهندوس شعب يحترم قديسيه وملوكهم يحترمون قديسيهم ويركعون عند أقدامهم . لذلك لم يجد بوذا صعوبة في إفهام الهندوس ، فلم يصلبوه ولم يعذبوه ولم يلزموه على العودة الى كرسي سلطانه المادي ، بينما وجد المسيح صعوبة كبرى . لقد تنكر اليهود للمسيح لانه أخذ يعلمهم عن ملكوت السماء وعن نبذ ملكوت الارض . أما هم فإنهم كانوا يسعون وراء الارضيات .

لابد لنا ان نظهر الشيء لكي ننفيه . يحدثنا بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل رومية : « الذي سبق فوعد به بأنبيائه عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله من جهة روح القيامة من الاموات » .

تشير هذه الواقعة الى أمور ثلاثة : ١ ـــ المسيح هو الوعد ٢ ـــ هو الابن الذي صار من نسل داود من جهة الجسد ٣ ـــ هو الذي تعين ابن الله من جهة الروح .

اولا : ان كان المسيح هو الوعد فإنه قائم قبل داود . ثانيا : ان تجسد المسيح تم في شعب يمت بصلة لداود . ثالثا : المسيح الذي تعين ابنا لله هو رب داود .

لابد من التجسد . ولكننا لا ندري مقدار الحكمة الالهية وعظمتها وقدرتها ، كما نجهل لماذا يريد الله ان يتم التجسد في مكان دون آخر . اما

المسيح فقد تجسد في نسل داود[٥] . ومن جانب المغزى الروحي والسري ليس لهذا التجسد علاقة بموضوع روحانية المسيح اطلاقا الا اذا كانت نهاية لتجسّد روح وصلت روحانيتها العليا في اسرائيل . فلم التشديد في انجيل متى ، على سبيل المثال ، على جعل المسيح ابنا لداود من نسل داود ؟ .

لقد آمن اليهود بمجيء مخلص من نسل داود ، لذلك اراد متى وغيره من الانجيليين والرسل ان يثبتوا بأنه الوعد ، وهو المخلص ، الموعود به من الله . فقد تعين بالجسد من نسل داود . وهذا يعني ان خلاص اليهود قد تم منهم وفيهم . ولكن ليس لهذا التفسير اية علاقة باتصال المسيح باليهود او بخضوعه لهم جسديا[٦] .

ولما كان المسيح هو المخلص ، فإن انجيله يسبق بنوته المادية . فهو ابن الله قبل ان يكون ابنا لداود . وقد تعين ان يكون ابنا لداود لكي يرد الشعب اليهودي الى الله ابيه . وهذا يعني ان علاقته بداود لا تتعدى محاولة منه لجذب اليهود الى الله او لانها لم تكن الا لتقديم برهان لليهود الذين كانوا ينتظرونه بالجسد هو ذاته الروح الذي صلبوه ، ابن داود بالجسد . لذلك فإنهم لا يستطيعون ان ينتظروا غيره طالما انه قد تعين كذلك . وكما اعتقد ان التشديد على البنوة والبرهان على علاقة المسيح بداود يعني البرهان القاطع على ان المسيح هو المسيح حقا .

لكن المسيح تعين ابنا لله من جهة الروح . وهذا يعني ان بنوة داود قد قضي عليها في مهدها . فهو ابن الله قبل ان يكون ابنا لداود ، وليس كونه ابنا لداود الا برهانا على انه ابن الله ، وذلك لانه الوعد بحسب

الانبياء . وهذه صعوبة كبرى لليهود . فقد استطاع اليهود ان يتحملوا القسم الاول والثاني ولكنهم رفضوا القسم الاخير . انهم قدروا ان يفهموا ان المسيح موعود به وانه من نسل داود ولكنهم لم يستطيعوا ان يدركوا كيف يكون ابن داود وابن الله معا . ان داود ذاته لم يكن ابنا لله . كان داود ملكا ــ نبياً ولكنه لم يقل بأنه كان ابن الله ، والمسيح الذي سيأتي سوف يخلص شعبه من العبودية ويحررهم من السلطة الدنيوية . لذلك لم يعلم اليهود انه كان ابن الله ، وبالتالي وجدوا صعوبة كبرى في تقبل مثل هذا المعتقد . واننا نجد في الاناجيل كيف كان اليهود يثورون على المسيح لدى ذكره بأنه ابن الله ، بل انهم اتهموه بالكفر والتجديف وقدموه للمحاكمة بسبب اعلانه بنوته لله .

فهل ان المسيح هو ابن داود او ابن الله .

لنستمع الى ما يقوله داود ذاته كما ذكر متى الانجيلي في مكانين مختلفين من انجيله : « ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم في الهيكل : كيف يقول الكتبة ان المسيح ابن داود . لأن داود نفسه قال بالروح القدس : قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فداود نفسه يدعوه ربا . فمن أين هو ابنه » .

وهذا ما يقوله بولس ايضا ويثبته المسيح . إذاً ، فقد تنكر المسيح لبنوة داود لأنه لا يعترف بالبنوة المادية ، ذلك لأنها عملية تجسيد فقط ، وأعني ختان الجسد .

ولنستمع الى مايقوله لوقا ومتى في انجيلهما : « لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى بالروح القدس » (متى

١٨:١) . « هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية » (لوقا ١:٣٢) . « فأجاب الملاك وقال لها : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » . لوقا ١:٣٥ .

نجد ان ولادة يسوع قد تمت بواسطة الروح القدس . ولما كانت هذه الولادة قد تمت بهذه الطريقة ولم تتم بطريقة جسدية ، فكيف يمكن القول بأنه يمت بصلة الى داود ؟ إن الولادة بالروح القدس تعني الولادة من الله مباشرة ولا صلة لها بأي موضوع مادي او بصلة قربى ، لذلك لا يكون للمسيح علاقة بداود بل بالله[٧] . وأما أنه قد أتى من اليهود ، فقد ذكرت ان لهذا علاقة بموضوع التجسد فقط[٨] . لذلك لم يأت المسيح عن طريق نسل داود حتى بالجسد . وأما المسيح ، عندما ولد ، فقد قال الملاك لمريم بأنه ابن الله يدعى ولم يقل ابن داود .

لكن المسيح سيأخذ ملك داود وذلك ، كما قلنا ، بسبب انتقال الملكية من السلطة المادية الى الروحية . ولهذا تنتفي العلاقة بين داود والمسيح ، وتكون نهاية داود ذاته كملك ارضي او كمثال لشعبه .

وبإمكاننا ان نرى ونفهم ونسمع المزيد مما قيل في المسيح . ان قوى الشر ذاتها عرفته فقال الشيطان : « أنا أعرفك أنت قدوس الله » (لوقا ٤:٤١) . وعندما نقول قوى الشر نعني القوى التي تجسد المسيح لكي يحاربها لينقذ الانسان . تلك القوى عرفته ، واما اليهود فلم يعرفوه لأنهم ظلوا مساقين بتلك القوى ذاتها . لهذا لم يكن المسيح ابن داود لأنه رفض

التسمية . لكن المسيح تقبل تسميتين عزيزتين كان يطلقهما هو على نفسه : ابن الانسان وابن الله .

كان المسيح ابن الانسان ، وكثيرا ما يطلق عليه الرسل اسم انسان فقط . فهو انسان وابن انسان بالطبيعة الجسدية . وقد وجد في أمة لها ناموس تسير وفقه . فابن الانسان يشير الى الطبيعة المادية التي أراد ان يتخطاها ، بل تخطاها الى الطبيعة الروحية ، الى البنوة . لذلك فهو ابن الله بالروح ، بالطبيعة الروحية . وعندما يحقق الابن روح أبيه يصبح أباه ، أي يصبح رباً . فالانسان تسمية لائقة بالمسيح ولا تمت الى واقع حاله اليهودي بصلة . وأما ابن داود فهي تسمية زائفة أعطيت له لتعريف الرسل به لليهود . واليهود شعب مقاوم ولا يفهم بالروح ، ولهذا فقد بدأ الرسل بافهام هذا الشعب بالناموس وتطويره الى درجة إلغائه . فهو ليس إذن ابن داود بالنسل بل ابن الانسان بالطبيعة المادية ، وابن الله بالطبيعة الروحية . ولا تعتبر تسميته بابن داود تسمية حقة لأنها لا تعني شيئا الا لليهود الذين لايفهمون الا بالحرف ، أما بالنسبة لنا ، نحن الامم الذين نفهم بالروح ، فإنها تعتبر تسمية خاطئة . ولهذا فقد نسف الرسل هذه العقيدة من أساسها ونفاها المسيح عن نفسه لما قال : ابن الله كائن قبل داود وهو رب له .

هكذا نستنتج أن المسيح لم يمت لداود بصلة القربى للأسباب التالية :

آ ـــ لأنه رب داود .

ب ــ لأنه ابن الله .

ج ــ لأنه حبل به بالروح القدس .

د ــ لانه ابن الانسان .

أما ما جاء في الكتب بتسميته بابن داود فإنه لم يكن إلا من اليهود أنفسهم . الاعمى الذي يصرخ يا ابن داود ارحمني وغيره من الذين كانوا يعتقدون باستمرار عرش داود وملكيته المادية وان المسيح سيكون من نسله . ولكن المسيح قوض هذا المعتقد وانتصر على تعصب اليهود وعرقيتهم وخرج عن دائرة إلههم الضيقة ، ذي الصبغة الوطنية ، والذي يسير في ركاب اليهود ، إلى دائرة إله العالم كله الذي نعتبر أبناءه جميعاً .

٣

في الرسالة الى العبرانيين يتحدث بولس في هذه الفقرات الثلاث عن رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق : اولا ، ١٤:٤ « فاذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز الى السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالاقرار » ثانيا ، ٩:٥ ــ ١٠ « واذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص ابدي ، مدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق[٩] ثالثا ، ١٢:٧ « لأنه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير الناموس ايضا » .

يبدو ان الكهنوت قد تبدل نهائيا . فالمسيح هو رئيس كهنة اجتاز الى السموات . وهو اذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص

أبدي ودعاه الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق . وهكذا فقد تبدل الكهنوت فتبدل معه كل شيء تماما . وليس اللاوي كالاً لأنه يخضع للناموس . ولما كانت الرتبة قد تبدلت من كهنوت مادي ، هو كهنوت هرون ، الى كهنوت روحي ، هو المسيح ، فعندئذ تم الخلاص للانسان . ومما يؤسف له ان المسيحيين قد عادوا الى الكهنوت المادي الارضي[١٠] .

فلو ان المسيح كان ابن داود او من سلالته لما كان رئيس كهنة على درجة روحية عليا . فهو الذي كمل (ولا يكمل الا الله) ، وهو الذي اجتاز السموات ، يسوع ابن الله . وهو الذي حقق معجزة الكمال والمراتب الروحية العليا ، هذا الذي أصبح ابنا لله وليس ابنا لداود . فليس الكهنوت بعد على رتبة هرون لانه كهنوت مادي بل هو كهنوت على رتبة ابن الله لانه كهنوت روحي . وأما رئيس الكهنة فهو الابن الذي تخضع له جميع قوات السماء والارواح وكل اروح الله والملائكة . ومما لاشك فيه ان الاختلاف كبير بين كهنوت دنيوي وكهنوت روحي . فالكهنوت الروحي بالمسيح اصبح قدس اقداس كما يذكر بولس في الرسالة الى العبرانيين . وقدس الاقداس هذا لم يتحقق بدم التيوس بل بدم الجسد . وفي دخول المسيح الى قدس الاقداس بدمه تبدل المعنى الحرفي لقدس الاقداس واصبح ملكوتاً سماوياً ولم يعد مجرد تابوت للعهد . فالمسيح قد حقق القدسية مجتازاً السموات ، صائراً ابن الله ورئيس كهنة . ولم يسبق لاحد من الانبياء ان كان على هذه الرتبة السماوية . فهو الذي صعد الى السماء لانه كان في السماء .

٤

عندما نتعمق في فهم الفلسفة المسيحية من حيث عدم ارتباطها بالناموس الموسوي نجد مجالاً واسعا للمقارنة والبحث .

اولا : الناموس قد أعطي بموسى ، اما النعمة والحق ـــ الله ـــ فبالمسيح صارا .

ثانيا : لم يقبل المسيح شهادة من أي كان قبله لانه لم يكن محتاجا لذلك .

آ ـــ يوحنا ١٥:٢٦ ومتى جاء المعزي الذي سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي .

ب ـــ يوحنا ٥:٣٧ الآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي .

ج ـــ يوحنا ٤:٤٤ لان يسوع نفسه شهد ان ليس لنبي كرامة في وطنه .

د ـــ يوحنا ٥:٣٤ وأنا لا أقبل شهادة انسان .

هـ ـــ يوحنا ٤:٢٦ قال لها يسوع انا الذي أكلمك هو . (يشهد لنفسه) . .

و ـــ يوحنا ٢:٢٥ لانه لم يكن محتاجا ان يشهد احد عن الانسان لانه علم ما كان في الانسان .

ز ـــ يوحنا ١:٣٤ .. فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس . وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله .

ح ــ يوحنا ٥٤:٥ ابي هو الذي يمجدني الذي تقولون انتم انه إلهكم ولستم تعرفونه . وأما أنا فأعرفه .

ط ــ يوحنا ١٤:٨ ... ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق لاني اعلم من اين جئت والى اين اذهب . .

ان من كان بالمسيح لا يحتاج لشهادة انسان بل ان المعزي والله يشهدان له ، وهو يشهد لنفسه بأعماله ، ولا يحتاج الى التعريف به بأنه ابن داود . انه لا يحتاج لان يفتخر بهذه البنوة لان بنوة اخرى هي اسمى الحقائق ، بنوة الله ، عبر عنها وحققها .

لهذا ارى ان القطيعة قائمة حتما بين المسيحية واليهودية . فاليهودية عرقية تنظر الى التسلسل الزمني الجسدي كأنه وسيلة لتحقيق الاستمرار في التاريخ وتحقيق الفكرة في هذا المفهوم الضيق للتاريخ . أما المسيح فانه ينظر الى الكون ، الى الناس أجمعين ، ويعتبر مصير الانسان ككل . ولما كان يستحيل تحقيق الله في الانسان ، في التاريخ ، في الكون ، الا بتجسد الله ذاته ــ الروح ــ لهذا يتحتم علينا ان نقر بفصل بنوة المسيح عن داود وتحقيقها في الله . فالمسيح قد حبل به بالروح القدس ، بالله ، وجاء الى الارض وجسده يحمل ملء اللاهوت ولا يحمل عرقية داود . ومما لا شك فيه ان ملء اللاهوت هذا لم يأخذه من داود ، لانه رب داود ، بل من الله .

ولما كانت الفكرة الالهية قد قررت الانتقال من الناموس الى الدين والروح ، فانه كان عليها ان تتجسد بملء لاهوتها . وكان هذا التجسد حدا فاصلاً بين القديم والجديد . فالقديم قد فني وانتهى والجديد قد بدأ . لذلك لم تعد هنالك حاجة للقديم لان مفاهيمه قد انتهت . فالكهنوت

والبنوة لداود قد انتهيا واصبحت الحاجة ملحة لتجسد حقيقي لفكرة الاله الحقة في انسان هو المسيح .

لذلك فقد جمع المسيح في جسده كل اللاهوت ، فأصبح ناسوتاً ولاهوتاً ، طبيعة مادية وروحية . وبهذه العملية تحولت الحياة وتبدل مفهوم الكون ، من عالم المادة الى عالم الروح ، من بنوة داود الى بنوة الله .

لا لقاء بين اليهودية والمسيحية . المسيحية تثبت الله بقدر ما تنفيه اليهودية . والمسيحية تجعلنا ابناء الله بقدر ما تجعلنا اليهودية عبيدا ليهوه . والمسيحية تحقق الله في الانسان بقدر ما تحقق اليهودية الانفصال بينهما . والمسيحية تفك الانسان من اسار الزمان والتاريخ المادي بقدر ما تقيده اليهودية بسلاسل الماضي والتاريخ والعرقية .

حواشي الفصل الرابع

١ ــ يرجع أهل الجليل بأصلهم الى القبائل الاشورية التي هاجرت الى فلسطين حوالي عام ٧٢١ ق.م . وكانت تقطن القسم الشرقي من نهر الفرات . وتعد ولادة المسيح في الجليل دليلا على رفض بنوة داود وعلى رفض المسيح للقربى المادية .

٢ــ تقوم رسالة المسيح على انتزاع مملكة المادة من لوسيفر وإعادتها الى روحانيتها . فكيف يقبل الملكية المادية على درجة لوسيفر وهو الذي أتى ليضع نهاية له ؟ ولهذا تحولت مملكة داود الى مملكة آتية باسم الرب .

٣ ــ أضحت مملكة داود « آتية باسم الرب » . وهكذا فقد تخلصت من سلطة ابليس . لكن اليهود ظلوا على خضوعهم السابق . ولدى شرح كل آية يتوجب معرفة مصدرها . هذه الآية موجودة في انجيل مرقس الذي حافظ على بناء مملكة جديدة تحتفظ باسم مملكة داود . وهكذا يُبقي مرقس ، تلميذ بطرس ، على الصلة مع الاسرائيليين واليهود .

٤ ــ كما يبدو ، يستعمل لوقا ، الذي تأثر ببولس ، على نقيض مرقس ، هذه العبارة بعد ان حذف منها « مملكة ابينا داود الآتية باسم الرب » .

٥ ــ المسيح هو الكلمة . والكلمة كان في الله منذ الازل ، وبها كوِّن كل شيء بما فيه داود نفسه . فكيف يكون المسيح ابنا لداود ؟

٦ ــ هذا معتقد يهودي استعمل في انجيل متى بشكل خاص ، كمحاولة للبرهان لليهود على مسيحية يسوع . اما الحقيقة فهي ان المسيح جليلي من الأمم ولا علاقة له بالواقع اليهودي . ألم يعتقد اليهود ان الانبياء لا يأتون من الجليل ؟ .

٧ ــ في العلم الروحي لا وجود للقربى النسبية .

٨ ــ تجسد المسيح يعني القضاء على لوسيفر في المكان الذي تجلت فيه مملكته . وليست هذه المملكة الا مملكة يهوذا ، الفئة التي حاكمت المسيح وصلبته .

٩ ــ ملكي صادق ، الكاهن الأعلى عند الكنعانيين ، هو كاهن الله العلي . وهرون مؤسس اليهودية ، هو الكاهن الأعلى عند اليهود . تبنى بولس كهنوت ملكي صادق مشبّها المسيح له ورفض كهنوت هرون ، ويدل هذا على ان الكنعانيين كانوا يعرفون الله الحق ، ولهذا ، فقد فضّل بولس كهنوت ملكي صادق الذي هو كهنوت الله الذي لايزول ، اله العالم كله ، على كهنوت هرون الذي يزول ، يهوه إله اليهود .

١٠ ــ لايفهم المسيحيون التقليديون معنى الكهنوت . الكاهن هو النبي والمسيح رئيس كهنة ، ولهذا يكون كل مسيحي حقيقي كاهنا . ولكن المسيحية التقليدية ربطت الكهنوت بتشخيص مادي عاد بمعناه الى اليهودية . لذلك مازال الكهنوت الكنسي يعتمد التقليد اليهودي وأعني طريقة الدخول الى المذبح وقدس الاقداس بعد تقدمة الذبيحة ، وارتداء ملابس هرون ، وحمل عصا موسى .. الخ . اما في المسيحية فالأمر يختلف : فالدخول الى قدس الاقداس يحتاج الى دخول الانسان ذاته الى قدس اقداسه . ولا يتم الدخول الى هذا القدس الا بعملية فردية يقوم بها المسيحي بذاته وليس الى هيكل الذبائح المادية بل الى هيكل روحه . ومتى دخل الى قدس اقداسه أصبح عضوا في جسد المسيح اي الكنيسة .

الفصل الخامس

الكمال ـــ ملءُ الزمان

ماذا يعني وجود الانسان على هذه الارض ؟

إن وجود الانسان يعني وجود المعرفة ، معرفة ابن الانسان ، اي الانسان . ومتى عرف الانسان نفسه فإنه يحقق الكمال بقياس قامة ملء المسيح (افسس ٤:١٣) . وهذا يعني ان الانسان يتقدم الى الكمال (عبرانيين ٦:١) . ويتخذ الآنسان من المسيح مثالاً له فينظر اليه بأنه رئيس الإيمان ومكمله (عبرانيين ١٢:٢) . ونحن نرى ان الغاية من وجود الانسان على الارض بشكل مادي هي تحقيق الكمال أي القدسية .

إن من يتعمق في دراسة العقائد السرية الروحية ومن يختبر الحياة الروحية وتكون له تجربة فيها يتحقق من صدق هذا الكلام . فالانسان قد أتى الى الوجود ليحقق الوجود أي ليكمل الوجود فيه . وتريبنا حقيقة الانسان انه يمثل الوجودين ، الروحي والمادي . فهو ملتقى الوجودين . فالجسد الانساني يحمل جميع العناصر المادية وأعني انه يتشكل منها .

لذلك كان هذا الجسد مخططا للكون المادي أو مصغرا له . ونحن نتأكد من صدق هذا الكلام بقولنا ان الله اخذ التراب ونفخ فيه . فالتراب هو مجموع الكون المادي والنفخ فيه هو وضع الروح فيه .
الانسان يحمل في جسده الكون المادي والروحي على السواء . ولهذا كان عليه تحقيق هذين الكونين . ومتى كان قادرا على تحقيقهما فإنه يحقق الكمال . وعلى هذا الاساس تتحدد حياة الانسان بالكمال . وما الكمال إلا الوصول الى الله أي تحقيق روح الله في الانسان ، اي تحقيق وحدة الوجود .

عندما ندرس مسألة تحقيق الانسان لروح الله فيه نعمل على تقسيم الموضوع الى ثلاث مراحل . اولا ، مرحلة العقل . ثانيا ، مرحلة النفس . ثالثا ، مرحلة الروح .

ففي المرحلة الاولى ، وهي المرحلة العقلية ، يقع الفلاسفة والعلماء الذين عملوا على صقل امكاناتهم وقدراتهم المادية التي تتركز في الدماغ . ان عبقرية العالم او الفيلسوف لاتخرج عن دائرة العقل . فهم يحييون في هذه الدائرة ويحققون درجة هامة من درجات الوجود . لكنهم لايحققون الكمال ..

وفي المرحلة الثانية ، وهي المرحلة النفسية ، يقع الاخلاقيون الكبار والانبياء الذين عملوا على صقل قدراتهم « الفوق عقلية » . لقد اجتاز الاخلاقيون والانبياء درجة كبرى في عالم السمو لكنهم لم يحققوا الكمال تماما . إنهم يعاينون ويرون وتتمثل حياتهم في رؤيا روحية ، لكنها لاتصل الى

الكمال . ولكننا لاننكر على بعض القديسين وصولهم الى درجة روحية كبرى دون ان يصلوا الى المرحلة الروحية التامة .

وفي المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة الروح ، يتحقق الله . ولم يحقق هذه المرحلة الا القلة على رأسهم المسيح ويليه بوذا . وعندما تتحقق المرحلة الثالثة فإن الكمال يتحقق ويتحقق الله ، فيصبح المحقق الله .

واننا نرى الآن كيف تتم هذه العملية وكيف يكون المسيح إلهاً :

في متى ٥:١٧ يقول المسيح : « ماجئت لانقض بل لأكمل[1] » . فما هو الذي يكمله المسيح ؟ هل هو الناموس ؟ ان الناموس لم يكمل شيئاً كما يقول بولس الرسول ، إذن هو ناقص . وكيف يكمل مادام ناقصا ؟ هناك أخطاء عديدة يرتكبها المسيحيون لانهم بعيدون عن التجربة الروحية ، ولذلك يجهلون الحقائق الأبدية وسريتها . ان ما يكمله المسيح هو ماعجز عن تحقيقه الانبياء ، وهو المرحلة الثالثة . انه يحقق الله في الانسان ليدخل طور الله . فهو ، اي الروح ، قد كان في السماء ونزل منها ، وعليه ان يصعد اليها مرة أخرى . أما اذا صعد وقد حقق الله فإنه يصبح الله ويصعد فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (افسس ٨:١٠) . وقد قام المسيح بعملية إكمال لما أعطاه اياه الله ، فأكمله وتقدم الى الكمال وحققه (عبرانيين ١:١٦) . فأصبحنا نعتبر المسيح رئيس الايمان ومكمله .

وهناك ما يظهر لنا ، وبالتأكيد ، كيف يحقق المسيح الكل ــ الكمال ــ وكيف يكون الكل في الكل بعد ان يحققه . ففي الرسالة الاولى الى كورنثوس ٢٧:١٥ ــ ٢٨ نقرأ مايلي : « لأنه اخضع

كل شيء تحت قدميه . ولكن حيثما أن كل شيء قد أخضع فواضح انه غير الذي أخضع له الكل ، فحينئذ الابن نفسه أيضا سيخضع له الكل لكي يكون الله الكل في الكل » .

اننا نجد في هذا القول ثلاثة أمور هامة : اولا ، الابن الذي يخضع له الكل . ثانيا ، الابن هو غير الذي اخضع له الكل . ثالثا ، الابن يكون الله اي الكل في الكل متى أخضع الكل ومتى خضع للذي أخضع له الكل . وهذا يعني ان غاية الانسان هي إخضاع الكل ، ليملأ الكل ، أي ليحقق الكمال . ومتى حقق الكمال فإنه يصبح الله ي الكل في الكل .

ولما كان المسيح هو الوحيد الذي تسنم هذه الدرجة فجمع كل ما في السموات وما على الارض لتدبير ملء الزمان واجتاز السموات ، فإنه الوحيد في عالم اليهود الذي أعطيت له البنوة ليكون هو الآب ، لان الابن هو في الآب والآب هو في الابن .

لهذا نرى ان كل ما أتى قبل المسيح يلغى . الناموس يلغى والكهنوت يلغي وملكية داود تلغى ، والحرف يلغى واليهودية تلغى ، ويكون المسيح هو الكل في الكل . وقد أظهر المسيح عن اكتمال الكل عندما أسلم الروح . فلما أخذ يسوع الخل ، وهو على الصليب ، قال : « قد أكمل[٢] » (يوحنا ١٩:٣٠) . كل شيء قد أكمل لأن الكمال قد تم وملء الزمان قد جاء وتم تجسيد الله على الارض.

في افسس ١٣:٢ نقرأ مايلي : « الى ان ننتهي جميعا الى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله ، الى إنسان كامل ، الى قياس قامة ملء المسيح » .

عندما نحاول ان نفهم هذا الكلام فإننا نقسمه الى أقسام ثلاثة :

آ ـــ وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله .

ب ـــ الانسان الكامل .

ج ـــ قياس قامة ملء المسيح .

وهذا يعني ان غاية الانسان هي معرفة ابن الله . ومتى عرفه كان الانسان كاملا . ويكون المسيح مثاله ، فنقيس انفسنا به . فهو مثال للكمال ونحن نقيس أنفسنا به لكي نعلم ملأه . ولما كنا لانستطيع ان نقيس انفسنا ، لكي نعرف كمالنا ، بالله المتجسد ، لذلك يتوجب علينا ان نقيس كمالنا بكمال الله المتجسد الذي هو المسيح .

فالمسيح هو الكمال ، والكل في الكل ، وملء الزمان ، وكمال الزمان ، وملكوت الله . ولكن هذا الملء لم يتجسد ، ولم يأخذ اللاهوت شكل الجسد الا عندما جاء ملء الزمان ، واكتمل الكل . وباكتمال الكل لم تعد بنا حاجة لشريعة او لناموس ، لداود او لغيره ، لان المسألة أصبحت علاقة الانسان بالله مباشرة .

لذلك فإنه متى يكون الكل تسقط الشريعة ويبطل الناموس وتمضي الاشياء العتيقة ويصير الكل جديدا ، ويكون المسيح هو الكل ، ويصالحنا مع الله بالبنوة . فلا تعود لنا حاجة للشريعة لانها لاتعتبر وسيلة للخلاص لأنها تقيم عداوة مع الله .

٣

ولقد أظهر الله محبته للانسان عندما تجسد . لذلك فقد أوصى ان

يلبس الانسان المحبة التي هي رباط الكمال (كولوسي ٧:١٤) . وماهي المحبة . هي غاية ناموس الله والمسيح هو غايته ايضا . لذلك كان هو المحبة . إذا هو الله لأن الله قد اظهر لنا ذاته بمحبته . فلو لم يحب الله العالم لما تجسد. والمحبة رباط الكمال ذلك لان الاشياء ترتبط ببعضها وتنسجم بالمحبة وتتجاذب بها . لذلك كان المسيح هو الكل لان كل شيء قد أكمل فيه واخضع له . المحبة تحققت فيه ، فتحقق الله فيه .

ولما كان المسيح بكر كل خليقة وصورة الله غير المنظورة والكلمة ، فان فيه خلق الكل ، ما في السموات وما على الارض (كولوسي ١:١٥ ــ ١٦) . فالوجود قد انتظم فيه لان الله قد أوجد الوجود بالكلمة التي خلق بها الكل . ولما تجسدت هذه الكلمة تم كل شيء واكتمل . لذلك كان المسيح هو الكمال .

ولكن المسيح ــ الروح تجسد . ومتى تجسد المسيح ؟ لما جاء ملء الزمان . فولد المسيح تحت الناموس لكي ينتصر على الناموس . ولذلك فقد أنهى حياة الانسان القديم ومنحه حياة جديدة هي مشاركة فعالة في كمال الله (كونوا كاملين كأبيكم الذي هو في السماء[٣] . وأضحى مثال الايمان ومكمله . فالكمال ، ملء الزمان ، هو نقض لناموس وتحقيق لحياة قدسية .

٤

من هو الذي قصده يوحنا ؟ وماذا قصد بملكوت الله ؟

بشر يوحنا اليهود بالمسيح فقال لهم ان يعتمدوا ويتوبوا ويهربوا من الغضب الآتي ، وذلك لان ملكوت الله قد اقترب . وبعد ان اسلم يوحنا جاء المسيح الى الجليل ليكرز ببشارة ملكوت الله ويقول « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا » .

يوحنا يبشر والمسيح يبشر . يوحنا يبشر باقتراب ملكوت الله وكذلك يفعل المسيح . وكلاهما يدعوان للتوبة والاعتماد . ولكن كل واحد منهما دعا الى التوبة والايمان حسب رتبته هو . فيوحنا حسب رتبة الاعتماد بالماء والمسيح دعا حسب رتبة الاعتماد بالروح القدس . اذاً ، نادى يوحنا بالمسيح . وأما المسيح بمن نادى وبشر ؟ انه نادى بما يعمله ويفعله ، وأعني انه نادى بقرب ملكوت الله ولكنه حدد هذا الملكوت . وقال : « ملكوت الله داخلكم » . لذلك فقد نادى بقرب ملكوت الله عن طريق الاعتماد بالروح القدس . والروح القدس هو تحقيق حلول الروح في الانسان . لذلك فان المسيح نادى بتحقيق الكمال الذي هو ملكوت الله والذي كان هو مثاله ورمزه الأعلى ولم يناد بتكميل الناموس[٤] .

ولا شك ان المسيح قلب الاوضاع رأساً على عقب . فهو يقول بأنه قد أتى ليلقي ناراً ـــ والنار رمز الطهر الكامل ـــ وبأن له صبغة يصطبغ بها ، فكيف ينحصر حتى تكمل . إذاً للمسيح رسالة وعليه ان يحققها أي ان يكملها . فهو لن يتوقف عن اداء الرسالة حتى تكتمل . ولذلك قال انه قد اكمل قبل ان يسلم الروح وكلم الله قائلا « ان الاعمال التي سلمتني إياها حققتها واكملتها » . ويشدد المسيح على قرب

ملكوت السماء ويعين موعده قبل انقضاء ذلك الجيل ، جيله ، فيكون الكل . ولاشك ان الكل مرادف للكمال ، ولتحقيق المسيح لرسالته وتكميله اياها . وبالفعل فقد كان الكل وتم عندما أسلم الروح .

ولكن المسيح يتجاوز مدة الجيل الى أزمنة الامم . فهو يذكر أن أورشليم تكون مدوسة من الامم حتى تكمل أزمنة الامم (لوقا ٢١:٢٤) . اما كمال ملء الزمان فإنه يعني قبول الامم للمسيح وعندئذ لا تداس أورشليم . فكيف يمكن أن تداس من الامم وقد أصبحوا مسيحيين ؟ وكما نعلم ان المسيح يستعمل كلمة الامم . ولا غرو أن هذه الكلمة تطلق على من لا يعتمدون على الله مباشرة . لذلك يعني المسيح بملء الأزمنة تحقيق الرسالة المسيحية التي أتت الى الوجود بواسطة المسيح . ولا تقاس هذه الامور بالقياس الزمني إطلاقا وذلك لان الروح كائنة لا ماض لها ولا مستقبل . هي قائمة وكائنة ولا تخضع لتحديد او قياس او تعريف . وعلى هذا الاساس يكون ملء الزمان هو الكمال الذي حققه المسيح ، ويحققه الانسان ، إذا جعل من المسيح طريقه وحياته ونوره فيمتلىء به .

وهناك شيء هام له علاقة باليهود . لقد خضع اليهود للناموس فكانوا بهذا خاضعين للخطيئة ، فاعتبروا بأنهم العتيق . ولكن بمجيء الكل ، ملء الزمان ، يقطع الله عهداً جديداً مع بني اسرائيل . ولا يكون العهد الجديد شبيها بالعتيق ، بل انه عهد يتصف بمجيء ملء الزمان ، تحقيق الكل ، والكمال . ففي هذا العهد ينقلب مفهوم الناموس ويتبدل

ويصبح ناموسا مكتوبا في أذهانهم وقلوبهم ويكون إلههم . (وهذا يعني انه لم يكن إلههم قبلاً) .

في الفقرة السابقة ثلاثة أمور هامة : أولها ، العهد الجديد الذي لايتم الا بإكمال مع بيت يهودا عهدا جديداً بمجيء ملء الزمان ، وثانيها ، اختلاف الناموس وتبدله ، وثالثها ، يصبح الله إلههم .

ومما لاشك فيه ان اليهود لا يعرفون الله إلا بمجيء ملء الزمان الذي هو المسيح ولا يكون الله إلا اذا تم الكمال ، ولا يتم الكمال الا في المسيح . وما يدلنا على هذا هو ان آباء اليهود برمتهم لم ينالوا الموعد لان الله سبق فنظر للمسيحيين وللرسل شيئاً أفضل لكي لايكملوا (عبرانيين ١١ : ٣٩ — ٤٠) . لذلك لايتم الكمال بدون المسيح . ولما كان اليهود قد رفضوا المسيح فإنهم ما زالوا تحت الناموس ، غير كاملين ، يعوزهم الايمان بالله وبالمسيح الذي قتلوه ، كما تعوزهم معرفة الله .

ولكن الخلاص مازال مفتوحا لليهود . لكن هذا الخلاص لايتم الا إذا دخل ملء الزمان . يقول بولس في رسالته الى أهل رومية ١١ : ٢٥ — ٢٦ « ان القساوة قد حصلت جزئياً لاسرائيل الى ان يدخل ملء الامم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » .

نستنتج من هذه الفقرة مايلي :

اولا ، دخول ملء الامم .

ثايا ، الخلاص لاسرائيل .

لما كان اليهود قد رفضوا مجيء الكل وكمال الزمان فإنهم لم يخلصوا . لذلك فإنهم لن يحصلوا على الخلاص الا بدخول ملء الامم . ونعني أنهم

لايخلصون الا عندما يصبح الامم مسيحيين فيخلصون اليهود بدورهم . ويشير هذا الى ان الامم سيقبلون الكلمة وستنتقل هذه الكلمة الى اليهود بواسطتهم . وهذه اشارة صريحة الى عودة اليهود الى المسيحية . ويعني عدم عودتهم بأنهم سيظلون ابناء الغضب حتى النهاية ولن يدخلوا راحة الله . ذلك لان الله قد أعطاهم ، بل قدم لهم ، أفضل طريق للخلاص وأعظم روح تجسدت في الكون .

٥

إن رفض اليهود للكل وملء الزمان جعل منهم شعباً تائهاً لايستقر ولا يحيا بسعادة وأمان . فقد رفض هؤلاء الذي كمل وصار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي (عبرانيين ٥:٩) . ولما كان اليهود شعباً لم يطع الذي كمل فإن متاهتهم في صحراء الناموس ستبقى كمتاهتهم في صحراء سيناء .

لقد رفض هذا الشعب أفضل طريق وحياة ونور أعطي للانسان . وإني أعتبر الطريق التي علمنا إياها المسيح أفضل طريق وجدت وتليها الطريقة البوذية . يقول بولس في الرسالة الى العبرانيين ٧:٢٤ ـــ ٢٥ « وأما هذا فمن أجل انه يبقى الى الابد له كهنوت لايزول . فمن ثم يقدر ان يخلص ايضا الى التمام (الكمال) الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم » .

نستخلص من الفقرة السابقة مايلي :

آ ــ كهنوت المسيح الذي لايزول .

ب ــ خلاص من يتقدمون به الى الله الى التمام (الكمال) .

ج ــ المسيح الحي .

ويعني هذا أن كهنوت المسيح لايتبدل وهو طريق للتمام . وهذا يعني ايضا ان من يسير في الطريق التي سار فيها المسيح ومن يقوم بتجربته الروحية ومن يمتثل له ويجعله يحيا فيه ، يحقق الكمال . ومتى حقق الكمال فإنه يحقق ملكوت الله .

٦

تعتبر الرسالة الى العبرانيين أعظم ماكتبه بولس من جانب الكهنوت والكمال وكمال العهد والعهد الجديد والموعد واخضاع الكل ، وذلك لانها رسالة موجهة الى العبرانيين أنفسهم . ولعل بولس كتبها لكي يفهمهم حقيقة المسيح الذي رفضوه ، بأنه الكامل وملء الزمان والموعد الذي ينتظرونه . وقد اقام بولس مقارنة ومعارضة بين مفاهيم قديمة ومفاهيم جديدة . فالكهنوت المسيحي خالد وأبدي وروحي والكهنوت على رتبة هرون زائل غير دائم ، والعهد الجديد خليقة جديدة يعني فيها انقضاء الماضي وتحقيق الكمال . والكل يكتمل بالروح ولا يكتمل بالناموس .

وكأني ببولس ينقض مبادىء اليهودية ولا يبقي على شيء منها ويحاول ان يزيلها من الوجود وان يبعث مبادىء جديدة اكتملت بالمسيح ، الاله المتجسد . لقد رفض اليهود حجر الزاوية فضلّوا . وجاءهم الكمال ففضلوا

عدمه[٥] . وجاء الملء متمثلاً بملكوت الله الذي يحيا داخل الانسان فهربوا من الحقيقة وتجنوا عليها . ولما كان ملكوت الله داخل الانسان والمسيح يحيا في الانسان ، فان الملكوت يصبح معادلاً للمسيح . فالكمال هو تحقيق ملكوت الله ، اذن هو تحقيق المسيح .

ولابد لي أن أكرر في كل مناسبة ان اللقاء مستحيل بين اليهودية والمسيحية . واني اناهض كل مبدأ ينادي باليهودية ـــ المسيحية . لقد أساء اليهود فهم المسيحية . وأما الذين حاولوا منهم ايجاد تقارب بينهما فانهم اساؤوا الى المسيحية بقدر ما يسيء اليها من يتنكر لالوهية المسيح . ومن أجل هذا السبب تتراجع المسيحية وتتقهقر وتقع فريسة لليهودية ان هي خضعت للمفاهيم اليهودية ـــ المسيحية. إن أيَ تقارب من هذا النوع يعني نهاية روح المسيحية ، روح الله المتمثلة بالمسيح . وان من يحاولون الآن ايجاد تقارب فاني اعتبرهم حركة يهودية ضمنَ المسيحية ، كما أعتبرهم مخربين يعملون على هدم المسيح كليا . وهذا ماتعملته من بولس .

المسيحية هي الكمال ، ملء الزمان . وقد تحقق الكمال في المسيح لانه حقق الله . فلا يمكن العودة الى الناموس ، الى اليهودية ، بل لايمكننا الا ان نتقدم الى الكمال (عبرانيين ٦:١) . ان التقدم الى الكمال يعني التقدم الى الله . والتقدم الى الله يعني تحقيق الله . وليس الدين الا تجربة روحية تعني تحقيق المقدس في الانسان ، تحقيق الروح في الجسد . ولما كان المسيح قد حقق الله فانه كان كمال الزمان وملأه وتمامه وروحه لانه أخضع كل شيء له واجتاز السموات وصعد الى الله حتى صار الكل في الكل .

متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ماهو بعض (كورنثوس الأولى ١٣ : ١٠) . هذا مايقوله بولس . وماهو هذا البعض ؟ هو الناموس غير الكامل . ومتى جاء الكامل يبطل الناموس الذي هو بعض . فالكمال اذن لايعني الابقاء على الناموس، ولا يعني التدرج بالشيء من أسفله الى أعلاه ، وذلك لانه متى وجد الاعلى يبطل الادنى ، ومتى أتى الكل يبطل البعض اي الناقص . ومتى أتى الكامل يبطل غير الكامل . ولاشك ان الكمال يعني بطلان الماضي العتيق .

حواشي الفصل الخامس

١ ـ يضيف المسيح « لايزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » . وهذا يعني ان الناموس يزول متى كان الكل . فكيف يكمّل المسيح موسى ؟ ان المسيح « يكمل » الله على الارض « ليأت ملكوتك ، كما في السماء كذلك على الارض » .

٢ ـ ما الذي أكمله المسيح ؟ انه اكمل الآب ، أي حققه .

٣ ـ كيف يطلب منا المسيح الكمال لو لم تكن امكانيات الكمال متوفرة فينا ؟ لذلك كانت غاية الانسان هي تحقيق الكمال .

٤ ـ اذا كان المسيح هو الكمال ، فكيف نقول بأنه يكمل الناقص اي الناموس ؟ فالمسيح قد أتى لتعليم الانسان الكمال ، الذي هو الله ، وتحقيقه في عالم المادة . انهم قتلوا المسيح . خانه يهودا احد الاثني عشر تلميذا . وقتله سبط يهودا وهو احد الاسباط الاثني عشر . فهنالك مقارنة بين يهودا التلميذ ويهودا السبط . يهودا التلميذ خان المسيح ويهودا السبط قتله كلاهما خضعا للشيطان وكلاهما سقطا فاليهودية التي أخذت وجودها من سبط يهودا تسقط .

الفصل السادس

اللعنة

ماذا نعتبر اليهود ، شعب لعنة ام شعب اختيار ؟ هل هم الشعب الذي لعنه الله ام الشعب الذي اختاره وتبناه ؟ .

ان مسألة الاختيار قد تكلمنا عنا في حديث سابق ، أما مسألة اللعنة فاننا نتكلم عنها الآن . ولما كان اليهود قتلة الانبياء وراجمي المرسلين فان مسألة اللعنة جديرة بالتقدير والاعتبار .

ماذا يقول يوحنا في انجيله[1] ؟ لقد ذكر عن لسان المسيح ان جميع الذين اتوا قبله كانوا سراقا ولصوصا . وهذا يبين ان المسيح لوحده قادر على قيادة الشعب اليهودي وانقاذه من دينونة جهنم . ألم يقل يوحنا المعمدان لهم عندما جاؤوا ليعتمدوا منه : « ياأولاد الأفاعي من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي » ؟ فما هو الغضب الآتي ؟ « الآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر » . ألم يذكر بولس في رسالته الى تسالونيك انهم ينتظرون الابن من السماء الذي أقامه الله من الاموات ، يسوع الذي

ينقذهم من الغضب الآتي ؟ ألم يتهم اليهود بأنهم ابناء الغضب ؟ ألم يذكر بولس في تسالونيك ان اليهود قد ادركهم الغضب الى النهاية؟ألم يصرخ بهم يوحنا المعمدان وقال : « ايها الحيات واولاد الافاعي ، كيف تهربون من دينونة جهنم » ؟ ألم يقل مرقس في الاصحاح الرابع عشر ان ابن الانسان يسلم الى ايدي الخطاة ؟ الم يقسم ا لله بأنهم لن يدخلوا راحته لانهم لم يطيعوا ولانهم لم يدخلوا الملكوت ؟ الم يذكر متى على لسان الرب في انجيله ، الاصحاح الثالث والعشرين مايلي : « لذلك ، هاأنذا أرسل اليكم انبياء وحكماء ، فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم ترجمون وتجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة ، لكي يأتي عليكم كل دم سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق اقول لكم ان هذا كله يأتي على هذا الجيل » . وبالفعل فقد أتى كله على ذلك الجيل ، فقتلوا المسيح وتشتتوا في انحاء المعمورة . اما شاء اليهود ان يقتلوا الوارث ليحتفظوا بالارث ؟

وما هو رأي بيلاطس ؟ هذا ماقاله في انجيل متى : « فلما رأى بيلاطس انه لاينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا اني بريء من دم هذا البار . ابصروا انتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا » .

٢

ما اللعنة ؟ وكيف يمكن ان تلحق بشعب لمئات بل آلاف

السنين ؟ وهل اليهود مسؤولون كشعب ؟ وهل ان الذين قتلوا المسيح هم ذاتهم أنفسهم في الوقت الحاضر ؟ والى اي درجة يكون يهود العصر الحاضر مسؤولين عن صلب المسيح ؟ واذا كان يهود عصر المسيح قد قاموا بجريمة نكراء فهل من الممكن اتهام يهود العصر الحاضر ، اذا ما صلة يهود اليوم بيهود الامس ؟

قبل ان اجيب على سؤالي هذا يتوجب علي ان اتحدث في موضوع الخطيئة . لقد أخطأ آدم فسقط . وصارت الخطيئة من بعده الى جميع الناس . فما هو ذنب الناس ان كان آدم قد أخطأ ؟ وكيف تقع خطيئة انسان على جميع الناس ؟ وما هي مسؤوليتي اليوم عن خطيئة آدم ، اذ ما علاقتي بآدم ؟

آدم هو مثال الانسان ، الانسان الذي وجد في حالة النعمة وسقط . اذن ، سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل انسان . اذا ، خطيئة آدم هي خطيئة كل انستان . فليس المقصود ان الخطيئة تنتقل بالتوارث والتسلسل لانها ليست تركة او ميراثا . انما المقصود ان آدم ــ الانسان قد اخطأ ، فأخطأ آدم ــ الجميع . اذاً ، كل واحد قد اخطأ وذلك لانه انسان . لكن ، هل اليهود كلهم يهود الامس ! كلا . ليس يهود اليوم يهود الامس . اذاً ، كيف نتهمهم بما هم منه براء ظاهرياً ؟

يذكر بولس في غلاطية ١٣:٣ مايلي : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صارلعنة لاجلنا ، لانه مكتوب ، ملعون كل من علق على خشبة » . ويذكر في غلاطية ٤:٤٥ « لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه

مولودا من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لينالوا التبني » .

اني من أشد المقتنعين بعدالة الله ورحمته وعنايته . واني أؤمن بالعناية الالهية . واذا كان اليهود قد زجوا الله[٢] في تاريخهم فلاعتقادهم انه لايترك شعبا او انسانا . فالله يعتني ، وتظهر عنايته الفائقة في كل مجال يعمل فيه على اصلاح نفوس الخطاة . وقد ظهرت عنايته الفائقة في ظهور المسيح .

ولما كان المسيح قد ظهر بين اليهود ، فان العناية الالهية تكون قد تدخلت لانقاذ شعب موهوب بالخطيئة ، والمعصية والتمرد . لذلك كان تجسد المسيح بين اليهود أعظم هبة يعطيها الله لهذا الشعب . ولما كان المسيح هو النعمة والعهد الجديد للتبني ، فان عقاب من رفضوا النعمة ويرفضونها لابد وان يكون كبيرا . لقد رفض اليهود النعمة وقتلوا المسيح ، لذلك فهم يستحقون كل عقاب لأن العناية الالهية هي التي ترى هذا وذكرته في الاناجيل والرسائل .

ماهي خطيئة اليهود الكبرى !

آ ــ الله يرسل ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس .

ب ــ الله يرسله ليفتدي الذين هم تحت الناموس لينالوا التبني .

جـ ــ الفداء ــ او الفدية ــ اي الابن ، صار لعنة من اجل اليهود حتى يفتديهم ولينقذهم من الناموس .

واننا نبدأ بالبند الثالث . فقد ذكرنا في الفصل الاول ــ الناموس والشريعةــ ان من كان تحت الناموس كان تحت خطيئة. فاليهود كانوا

خطاة (مرقس ١٤ : ٤١) . وكانت خطيئتهم الكبرى انهم يخضعون للناموس ولا يستطيعون ، بل لا يريدون ، ان يتحرروا منه . وكما قلنا ان من كان تحت الناموس كان تحت خطيئة اي تحت عبودية ولا يكون ابنا .

واراد الله ان ينقذ هذا الشعب من وطأة الخطيئة وأن يزيل كابوس الشر ونيره عنه لكي يتحرر ، ليدخل حرية الله ، فينال التبني . فأرسل الله روحه ، أعظم روح في الوجود ، لكي يتم الفداء لهذا الشعب . وهنا تقع المشكلة .

تم تجسد هذا الروح ، روح الله ، في شعب تحت الناموس ، فولد تحت الناموس . والولادة تحت الناموس لعنة . وبقدر ما تكون اللعنة يكون الفداء . فتحمل المسيح اللعنة ، أي الولادة تحت الناموس والصلب ، لكي ينقذ من هم تحته ، لان الخلاص لايتم بدون القضاء على الخطيئة في حقل الخطيئة ذاته . لذلك يقول بولس ان المسيح قد أتى في شبه جسد الخطيئة لينقذ الجميع ، بما فيهم اليهود .

ان عناية الله التي عملت على ارسال الابن في جسد الخطيئة اي الناموس ، يخضع للناموس لكي يقضي عليه ، لم تقابل الا بالرفض والجريمة والرغبة في الاستمرار في العبودية والخطيئة . ولا شك انه لا يتم خلاص بدون موت ، والموت عقوبة الخطيئة ، لذلك يتوجب على المسيح ان يموت . وأية ميتة ! على الصليب رمز اللعنة الذي يصير رمز خلاص .

لقد تحمل المسيح هذا كله فصلب من اجل اللعنة وصار لعنة من

أجل خلاص شعب تحت اللعنة ، وتحمل الموت ، موت الصليب ، وماذا كانت النتيجة ؟ رفضه اليهود وتعلقوا بعبوديتهم وخطيئتهم وناموسهم وفضلوها على النعمة والخلاص ، فاستحقوا اللعنة .

كيف تستمر اللعنة على اليهود للوقت الحاضر ؟

كما قلنا ان استمرار خطيئة آدم في الانسان هو خطيئة الانسان ذاته واستمراره في السير على خطى آدم . ولهذا فهو خاطىء كآدم ، لانه آدم . وفي ما يتعلق باليهود فانهم ما زالوا يسيرون على خطى آبائهم : فهم ما زالوا يعتقدون بأن من قتلوه لم يكن الكلمة او ابن الله الحق ، وما زالوا يفكرون بالمسيح المنتظر ويتهيؤون لاستقباله مع ان الله قد تجسد بينهم في المسيح وقتلوه .

اذاً ، فقد استمر اليهود على خطى آبائهم ، وهم يرتكبون الجريمة ذاتها لانهم يستمرون معتقدين بأنهم لم يفعلوا شيئا . انهم يرفضون المسيح كل يوم بتنكرهم له ، بل بشتمه . ويقتلون المسيح كل يوم لانهم لا يقبلونه ولا يؤمنون به . وهكذا فان اليهود مازالوا تحت اللعنة .

ما اللعنة ؟

اليهود يتحملون اللعنة التي صارها المسيح . لقد صار المسيح لعنة من اجلهم فحققوها وصلبوه . ولما صلبوه صاروا لعنة ــ لعنة الصليب وهي رمز السقوط ــ وصار الخلاص للامم . فاللعنة التي صارها المسيح من أجلهم ، اي النعمة التي رفضوها ، هي اللعنة التي حلت عليم لانهم لم يدركوا ولم يعرفوا . انهم لا يعرفون بأنهم رفضوا الخلاص وان المسيح تكبد عذاب اللعنة وخطيئة الناموس التي هي الموت والصلب.من أجلهم . انهم

رفضوا كل شيء وادانوا الموت بالموت لا بالحياة . فظل المسيح لهم موتا وظل الناموس ناموسا والخطيئة خطيئة واللعنة لعنة .

ولهذا فإن اللعنة ستلاحق اليهود حتى يكتشفوا خطيئتهم الكبرى التي اقترفوها . ولن تزول هذه اللعنة حتى يعودوا الى الحقيقة . وطالما انها تلاحقهم فإنهم اضداد للأمم ، يكرهونها ولا يرتاحون اليهم .

وباللعنة صار اليهود أضدادا للأمم . فماذا يفعلون ؟

يقول بولس في تسالونيكي ٢:١٤ « .. اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وانبياءهم واضطهدونا نحن ، وهم غير مرضين لله واضداد لجميع الناس ، يمنعوننا عن ان نكلم الامم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين . ولكن قد أدركهم الغضب حتى النهاية » .

ويقول لوقا في الاصحاح ١١:٥٢ « ويل لكم ايها الناموسيون لانكم اخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم » .

اننا نستنتج مايلي :

ا ــ اليهود وقد قتلوا الرب .

ب ــ اليهود غير مرضين لله .

د ــ يمنعون الرسل عن التبشير لكي لايخلص الامم .

هـ ــ يمنعون الرسل عن التبشير ليبقي الخلاص لهم .. ولكن لانهم لم يخلصوا فإن اللعنة تتبعهم ويتممون خطاياهم ببقائهم تحت الناموس .

و ــ اليهود وقد أدركهم الغضب حتى النهاية .

ز ــ اليهود ، كما يقول بولس ، اعداء من حيث الانجيل .

ومما لاشك به ان الله لايرضى على اليهود لانهم قتلوا الرب . ولكن ، لماذا أصبحوا أضدادا لجميع الناس ؟

نحن نعلم ان الخلاص قد تم للأمم بسبب زلة اليهود . فالأمم قد خلصت بمعنى انها تقبلت الانجيل . ولذلك فقد أصبح اليهود أعداء من حيث الانجيل (والانجيل هو بشارة الله للانسان) . ولما تقبل الامم البشارة اصبح اليهود أضدادا لانهم ظلوا يعتقدون بأنهم الورثة وان الخلاص لهم . لذلك فقد عملوا على منع الرسل من نشر البشارة اي الانجيل وظلت اللعنة تتبعهم لانهم ارادوا ان يمنعوا انتشار كلمة الحق وارادوا ان يستمروا في خطاياهم . فكيف يتبعون خطاياهم ! إنهم يتبعونها باعتقادهم انهم ورثة وانهم لم يقتلوا المسيح . ويتبعونها لانهم رفضوا النعمة وقتلوا من اصبح من اجلهم لعنة . ولانهم قتلوا من صار من اجلهم لعنة اصبحوا لعنة لانه تبرر هو فسقطوا هم . لذلك فهم يستمرون في زيغهم وبطلانهم ليتمموا خطاياهم اي ليستمروا بها . ولاشك انهم اعداء للأمم . لأن الأمم خلصت (تقبلت الانجيل) . اما هم فقد ظلوا تحت الناموس والخطيئة . وليس البقاء تحت الناموس الا اللعنة .

ولان اليهود حاربوا الرب واستمروا في محاربتهم للانجيل ومنع التبشير بكلمة الله وتشويهها فان الغضب أدركهم حتى النهاية . ولابد ان نتوقف عند هذا الحد لنتأمل معنى هذا الكلام .

من يدخل راحة الله ؟ في العبرانيين ٤:٤ نجد مايلي : « لانه قال في موضع عن السابع هكذا ، واستراح الله في اليوم السابع من جميع أعماله ،

وفي هذا لن يدخلوا راحتي . فإذا بقي ان قوما يدخلونها والذين بشروا اولا لم يدخلوا بسبب العصيان » .

في مكان آخر من هذا القول نجد ان المعصية قد حدثت جزئياً لاسرائيل . لكننا نجد في هذا المجال انهم لن يدخلوا راحته لان الغضب قد ادركهم حتى النهاية . وهذا يعني ان جزءاً منْ اليهود يؤمنون بالمسيح ويخلصون ، اما الذين لايؤمنون فإنهم يبقون تحت المعصية . لذلك فإن الغضب قد أدركهم حتى النهاية .

إن عدم دخول راحة الرب شيء يصعب ذكره لما فيه من رمز . فقد ارتاح الله عندما جاء ملء الزمان ، عندما كمل الكل ، عندما تم الكمال . ولم يعكر صفو هذه الراحة الا اليهود . ولذلك فإنهم لن يدخلوا راحته . لقد علمتهم الشريعة ان يوم الراحة مقدس ولا يسمح لانسان بتعكير صفو هذه الراحة . وعندما حدثت راحة الله واستراح ، نرى اليهود يعملون على تهديم هذه الراحة . ان راحة الله تشير الى كمال الزمان .

ان انتقال راحة السبت المادية الى راحة الله الروحية ، الى اليوم السابع ، يعني الانتقال من الخطيئة الى النعمة ، من الجسدية الى الروحانية . وعندما تمت الراحة ــ أي عندما وصل الوجود الى طور الروح ــ وارسل الله ابنه ليكملها ويحققها ، اعتدى اليهود على راحة الله ــ طور الروحانية ــ وعصره ، فكانت اللعنة .

وعندما نحاول ان نستنتج معنى اللعنة نقول بأن ابناء الغضب والمعصية الذين لايستطيعون ان يهربوا من الغضب الآتي ومن دينونة جهنم

ورفضوا المسيح الذي ينقذهم من هذا الغضب الذي هو اللعنة ، حل عليهم الغضب اي اللعنة حتى النهاية .

٣

ولما أصبح الأمم شركاء في البنوة والنعمة والايمان بيسوع المسيح قامت قيامة اليهود . ففي زعمهم انه لايحق لغيرهم ان ينادي باسم المسيح . فكيف ينادي الامم باسمه (هذا مع العلم ان التجديف على اسم الله قد تم بسببهم) ؟ وفي زعمهم ان المسيح لن يكون الا لهم ولن يأتي الا اليهم ، ولهذا فإنه لايحل للأمم ان يدعوا الخلاص . انهم لايتحملون رؤيا الخلاص في الأمم . ولذلك فإنهم يعملون على تعكير صفو الأمم وهدوء الروح وراحتها . فماذا يفعلون ؟

آ ــ انهم حاولوا منذ فجر المسيحية ان يتغلغلوا بين صفوف المسيحيين منادين بالتقارب اليهودي ــ المسيحي .

ب ــ انهم أفسدوا آراء الامم ودسوا المفاهيم الخاطئة .

ج ــ انهم يعيدون المسألة ذاتها في العصر الحاضر .

منذ فجر المسيحية حاول اليهود المتنصرون ان يدخلوا بمفاهيمهم في الديانة المسيحية بحسب انجيل بولس[٣] (لهذا قرر بولس تسمية المؤمنين مسيحيين لكي يعرف الفرق بين المتنصرين وبين المسيحيين ، فالنصرانية هي اليهودية ــ المسيحية) . فثارت ثائرة بولس عليهم وحذر المسيحيين منهم . ولا شك ان مفهوم اليهودية والنصرانية ضربة قاضية على المسيحية لأنه يستحيل التوفيق بينهما . ولهذا فقد نادى بولس بالمسيحية وليس

بالنصرانية . لذلك فإنهم عملوا الى التفرقة ودب الشقاق في صفوف المسيحيين بادخال آرائهم ، منطلقين من فكرة ثابتة لديهم هي انهم لايسمحون للأمم ان يحصلوا على الخلاص (التبشير بالانجيل) . وهكذا فقد اصبحوا أضدادا للأمم ، فكرههم الأمم وقام العداء بين الجانبين . وقد تمثل هذا العداء ، اكثر ما تمثل ، في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي(٤) .

ولم يتوقف اليهود عند هذا الحد بل انهم توغلوا في عقائد الامم وعملوا على تقويضها او بث روح النزاع والفتنة . وفي دراساتي للكثير من مبادىء الشعوب وفلسفاتهم وعقائدهم وجدت آثارا يهودية كبرى(٥) . وبزعمي ان تلك العقائد المدسوسة قضت على الفكرة الاصلية لافكار الشعوب . ناهيك عن تدخل اليهود في إدخال آراء عديدة تحت ستار معين ، في زمان معين ، ومكان معين ، لتقويض المبادىء القائمة او لتبديل النظم والشرائع والفلسفات . وهكذا فقد كسبوا عداء الشعوب واستمر هذا العداء ، وسوف يستمر باستمرارهم في خطاياهم .

واما اليوم فإنهم يعيدون المسألة ذاتها ، وهي محاولة التغلغل في صفوف المسيحية ، وفي خلق تيارات معادية للمسيحية في المسيحية ذاتها . وقد نجحوا ايضا في التغلغل البعيد ، فحاولوا قلب عدد كبير من المفاهيم التي تعتبر من صلب المسيحية وجوهرها . واني أشفق على المسيحيين الذين انجرفوا في تيارات اليهودية ـــ المسيحية لانهم لايعرفون ماذا يفعلون ! انهم لايعرفون شيئا عن روحانية المسيحية . ولهذا السبب فقد استطاع اليهود ان يفسروا الامور بالحرفية . فعاد المسيحيون الى الحرف

مرة اخرى ، الى عقائد يهودية ونصرانية . ومما يؤسف له ان التيارات اليهودية والنصرانية استطاعت ان تتغلغل في مؤسسات مسيحية شامخة تدعي القوة ، فقوضتها من الداخل . فوافقت هذه المؤسسات على أمور هي الى جانب اليهودية وانتصار لها .

اني أتكلم الآن بلسان بولس . فبولس هو رائدي في المسيحية لانه مسيحي أصيل ، وليس هناك من هو أعظم منه في تفهم اليهودية ـــ المسيحية . فهو فقيه في اليهودية واناء مختار للمسيحية . ولذلك استطاع ان يفرق بينهما تفريقا عجز عنه الرسل الآخرون ، كما استطاع ان يفهم مناورات اليهود ـــ المسيحيين . وإني اذكر المسيحيين بلسان بولس ، بما ذكرهم به منذ فجر المسيحية .. أحذرهم من التغلغل اليهودي ـــ المسيحي .

٤

ليس بإمكان اليهود ان يروا الأمم (وهم في الانجيل كل من تقبل المسيحية والروحانية) وقد سبقوهم الى الملكوت والبر . لقد حذرهم المسيح بأن خرافه ليست من حظيرتهم وان خرافه تسمع صوته وتعرفه . وحذرهم بأن كثيرين يأتون من مشارق الارض ومغاربها ليتكئوا في ملكوت السماء ، وأما هم فانهم يطردون خارجا . لكن اليهود لم يسمعوا إذ لم تكن لهم آذان للسمع ، ولم يفهموا إذ لم تكن لهم عقول للفهم ، ولم يروا إذ لم تكن لهم عيون للرؤية . فاستحقوا اللعنة لسبب أصيل يمكن تقسيمه الى قسمين :

ا ـــ رفضهم للنعمة كان سببا لحلول اللعنة عليهم .

ب ـــ استمرارهم في خطاياهم كان سببا لاستمرار اللعنة عليهم .

ففي البدء رفضوا الله ، وفي النهاية يعملون على إسقاط كلمة الله وزرع بذور البلبلة ونشر الفوضى في العقيدة المسيحية . فهم في البدء لايعرفون الله ، وفي النهاية يحاربون انجيله وكلمته . وهذا يعني استمرار اللعنة باستمرار الخطيئة .

اليهودية عدو الروح . وإني أجد في تفاسير من ينادون أنفسهم بالمتجددين وشهود يهوه والسبتين وعند كثيرين غيرهم كالمسيحية التقليدية ذات السلطة الزمنية عودة الى الآراء اليهودية ـــ المسيحية التي حاولت ان تتغلغل في صفوف المسيحية الاولى[٦] . لذلك فهم يستحقون اللعنة لانهم يستمرون في خطاياهم . وإني اعتبر كل من يساعدهم عنصرا هاما في اعادة اليهودية وسيطرتها ، يهودية متلبسة بالافكار النصرانية التي هي زيف للمسيحية . وإني أتألم الكثير إذ أرى المسيحيين يجهلون الفرق بين المسيحية والنصرانية . ولهذا السبب يقعون فريسة للدعاية اليهودية لانهم يجهلون الفرق بين المسيحية والنصرانية . ولهذا السبب يقعون فريسة للدعاية اليهودية لانهم يجهلون اللاهوت المسيحي والتجربة الروحية . والمسيحية لاتفهم الا بالتجربة الروحية العميقة .

حواشي الفصل السادس

١ ـــ انني اعتبر انجيل يوحنا انجيل المسيحية الحقة .

٢ ـــ أخطأ اليهود لانهم لم يفرقوا بين الله ويهوه . ليس يهوه الا الاله القومي الذي وحّدوه ، أي عبدوه دون غيره .

٣ ـــ راجع الرسالة الى أهل غلاطية ، الفصل الاول ، الثاني والثالث .

٤ ـــ راجع كتابات يوسف دره الحداد .

٥ ـــ نستثني منها حكمة الشعوب الشرقية ، الهندوسية والبوذية والكونفوشية الخ .

٦ ـــ ينطبق هذا القول على كل من يعتمد على التوراة في تفسير الأناجيل او كل من يقيم التوراة والانجيل معا . النصرانية تقيم التوراة والانجيل ، والمسيحية تقيم الانجيل وتؤمن بالمسيح الكولي .

الفصل السابع

المجيء

أحب أن أبدأ حديثي بالتأكيد على استحالة فهم الدين الا بتجربة روحية . وما لم تتحقق هذه التجربة فإن دارس الدين يقع في مآزق لايستطيع الخروج منها . كما أعتقد ان هناك أمورا كتبت أو ذكرت في الاناجيل والرسائل لايتم فهمها ما لم يكن القارىء على غاية كبرى من العمق الروحي . وإني اليوم ، بعد قراءة الكتاب المقدس مرارا عديدة ، أفهم ما لم أفهمه سابقا . ويزداد تأكيدي بأن جذور فهمي ستتعمق كلما زدت تعمقا في التجربة الروحية . وبهذا أقول بأن غالبية المسيحيين لايفهمون ماكتب لهم . وعندما اقول هذا أقصد ان غالبية الناس ، في العالم كله ، لايفهمون التجربة الروحية لأنهم لايمارسونها او بالحري لايتعمقون في فهم ما شاكل من أمور الدين وكان سرا .

وليس موضوع المجيء الا مسألة روحية عميقة لايمكن فهمها الا اذا توفرت التجربة الروحية . وإني أشدد على هذه التجربة وانا في صدد

بحث موضوع المجيء ، ذلك لان المجيء تجربة روحية عميقة . واني أحب ان ابدأ ببحث موضوع التجلي .

لوقا ٩:٢٨ ـــ ٣٤ « أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الى الجبل ليصلي ، وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه أبيض لامعاً ، واذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وايليا اللذان ظهرا بمجد . وتكلما عن خروجه الذي كان عتيدا ان يكمله في اورشليم .. وكانت سحابة فظللتهم . فخافوا عندما دخلوا السحابة . وصاح صوت من السحابة قائلا هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا » .

تجذبنا هذه الفقرة برونقها وبهاء عظمتها . فهي روحية الى أبعد حد . وتحمل في ثناياها عظمة العالم الروحي والتجربة الروحية . ونستطيع ان نلقي ضوءا عليها بعد تقسيمها الى اربعة اقسام :

آ ـــ كان المسيح يصلي :

ب ـــ تكلما عن خروجه .

ج ـــ الذي كان عتيدا ان يكمله .

د ـــ وكانت سحابة فظللتهم .

لقد تغير وجه المسيح وثيابه وهو يصلي . وتجلى المسيح في سحابة منيرة بيضاء . فهل ان التلاميذ رأوا هذا التجلي في رؤيا تجلت لهم ام بالعين المجردة ؟ مما لاشك فيه ان الرؤيا قد تمت لهم ، وذلك لان العين المجردة لا تستطيع ان تبصر التبدل الروحي الذي يطرأ . أما السبب فهو ان الروح لاترى لان حركتها اسرع بكثير من حركة المادة . ولا ترى الا اذا خفضت من حركتها .

فما هو الذي طرأ على المسيح ؟ ولماذا تغيرت هيئته وهو مازال في الجسد ؟

يعلمنا علم الروح والاسرار انه باستطاعة الانسان ان يصبح نورانيا وهو حي على هذه الارض . ولكن هذا لايتم الا عندما يصل الانسان الى أعلى درجات الروحانية . أما الأناس ، اصحاب التجربة الروحية ، فإنهم يعانون الغيبوبة التي هي الرؤيا . وهذا ما حدث للكثيرين من الرسل .

ولكن ما حدث للمسيح فهو أعظم بكثير مما يحدث للأنبياء والقديسين . فالقديسون والأنبياء يحتفظون بأجسادهم فلا تتحرك الا نادرا . وقد ذكرت الكتب ، وكما أعتقد في حالة القديسة تيريزا ، ان البعض منهم كانوا يرتفعون عن الارض وقت صلاتهم . ولما كان المسيح قد تسنم أعلى درجة روحية ممكنة فإنه استطاع ان يرتفع ويقوم حين تجلى . وكان تجلي المسيح قيامة ، وكان مجيئاً .

ولكن ما قاله موسى وايليا فهو جدير بالتقدير . لقد تكلما عن خروجه الذي كان عتيدا ان يكمله . ان المسيح سيكمل الخروج[1] . فما هي علاقة التكميل والخروج بالتجلي ؟

رأينا ماعنى الكمال في بحث سابق . فالمسيح قد كمل وجوده فكمل الوجود فيه . وكما كمل المسيح الوجود فقد كمل ارادة أبيه الذي في السماء وأصبح سيد الارض والسماء . وأما الخروج فإنه يحمل معنيين متقاربين ويعبران عن فكرة روحية واحدة : فإما أن يعني الخروج من العالم المادي نهائيا وعدم العودة اليه مرة اخرى ، وإما ان يعني الانتصار على الجسد والخروج منه . ولكن الجسد تجلى ايضا . ففي كل المعنيين نجد

سيطرة المسيح على العالم المادي والروحي . ويظهر التجلي ان جسده قد أصبح نورانيا وروحيا . فلقد برهن المسيح ان باستطاعته ان يحقق العالم الروحي بكماله والعالم المادي بكماله . وبالفعل فقد حققهما بمراتبهما العليا فخرج من العالم وكمل . ولهذا يستحق المسيح اسم الله . وقليلون من الناس أصبحت اجسادهم نورانية ، اي روحية ، وكان أحدهم بوذا وهو في حالة النيرفانا .

لكن موضوعنا هذا يقترب اكثر فأكثر من مفهوم المجيء عندما نأتي الى موضوع السحابة التي ظللتهم . فالسحابة ، في العرف الروحي ، هي الغيبوبة الروحية ، وهي الرؤيا في عالم العدم ، عالم الروح . وأما السحابة هنا ، فإنها تحمل معنيين : أولهما ، إما أن تدل على عجز التلاميذ عن رؤية الأمور في حالة النورانية التامة ، فخففها المسيح لهم ، فرأوا ، فسميت سحابة (ويدل هذا على عدم اكتمال التجربة الروحية لديهم) . وثانيهما ، اما ان يُعبر عن الرؤيا الروحية بسحابة هي أفضل ماتكون عالما روحيا . وفي هذا المجال أعتبر عجز التلاميذ عن الرؤيا الكاملة أدق وذلك لأنني من خلال قراءاتي للأناجيل والرسائل ، وجدت ان التلاميذ ، حتى صعود المسيح ، لم يستطيعوا ان يحققوا التجربة الروحية والرؤيا .

٢

لكي نفهم معنى المجيء يجدر بنا ان نتدرج في فهمه من الاكثر بساطة الى الاكثر صعوبة :

اولاً : هناك المجيء العادي الذي أخبر به الرعاة والمجوس ، والذي أعلن في الاناجيل والرسائل . هذا المجيء الذي عنى ان المسيح سيجيء أو أنه جاء حسب الزمان الذي قيل فيه . لذلك لايعني « قد جاء أو سيجيء » اي شيء اكثر من انه حاضر ، لانه حضور ، لأنه مسيح كوني . ففي متى ١٨ : ١١ نجد مايلي : « لان ابن الانسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك » . وفي مرقس ١١ : ١٠ نجد مايلي : « مباركة مملكة ابينا داود الآتية باسم الرب » . وفي كورنثوس الاولى ١٣ : ١٠ « ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ماهو بعض » .

ونستنتج من هذا ان المسيح هو المجيء ، ونعلم ان المسيح يجيء ويخلص ، كما نعلم انه الكامل ، الذي كمل الوجود فيه ، الوجود في قطبيه المادي والروحي ، الذي كمل دورة الزمان فكان كمال الزمان وملأه ، هذا الكامل الذي ، متى جاء ، يبطل ماهو بعض ، أي الناموس الذي ليس كاملا .

إن معنى المجيء ، بمعناه الاول ، يعني ان الله سيرسل ابنه لانقاذ الخطاة . وقد تم المجيء فعلا . فالمجيء في بساطته يعني التجسد كما يعني المسيح الارضي الذي وجد بين شعبه وعاش ثلاثا وثلاثين سنة على الارض ، وأكمل ارادة أبيه وخرج بعد ان أكمل .

ثانياً : إننا نتدرج من مفهوم للمجيء اكثر بساطة الى مفهوم للمجيء اكثر صعوبة . ونعني به المجيء بعد الصعود .

يقول يوحنا ١٢ : ٢٢ « وأنا إن ارتفعت عن الارض أجذب إلي الجميع » . ويقول ايضا ١٤ : ١٨ ــ ١٩ « لا أترككم يتامى . إني آتي

اليكم . بعد قليل لا يراني العالم اما انتم فترونني.إني أنا حي فأنتم ستحيون » .

نجد في هذه الأقوال درجة كبرى في علم الروح . فماذا يقصد المسيح بأنه يجذب اليه الجميع بعد ان يرتفع ؟ وماذا يقصد بقوله انه لايتركهم يتامى بل يأتي اليهم ؟ وكيف يراه التلاميذ وأما الناس فلا يرونه ؟ .

لن يكون بمقدرة الناس رؤيا المسيح لانهم عديمو التجربة الروحية . لذلك لا يراه العالم . اما التلاميذ فإنهم يرونه . وكيف يراه التلاميذ .

كما فهمت ، بعد دراستي للاناجيل والرسائل ، ان التلاميذ ، عندما تركهم يسوع ، لم يكونوا على درجة كبرى من الروحانية ، وبالتالي كانوا على درجة دنيا منها . فنرى في أعمال الرسل ان الرسل لم يكونوا عرضة للغيبة الا بعد صعود المسيح ـــ لقد خافوا حين حدث التجلي ـــ وبالحري تعمقوا في التجربة الروحية اكثر فأكثر بعد صعود المسيح . وهذا أمر لم نعهده فيهم ، بمفهومه الكامل ، قبل صعود المسيح وذلك لأنه كان معهم بجسده . فنرى ان الواحد منهم تصيبه الغيبة وهو يصلي .

ولكن لمَ لمْ يكن الرسل اصحاب رؤى أو بالحري اقوياء في التجربة الروحية ومتمرسين فيها ؟ الواقع هو كما يلي : خلال حياة المسيح لم يكن عندهم موضوع للرؤيا . لقد كان العريس معهم . وطالما انه معهم ، فبمن يتأملون ويستغرقون ؟ اما عندما صعد المسيح ـــ كان بامكان المسيح ان يصعد متى شاء وقد برهن عن صعوده قبل الصلب في حالة التجلي ـــ فقد اصبح المسيح موضوع تأملهم ، موضوع انجذابهم .

لذلك فإنه سيجذب الجميع إليه متى ارتفع . وبالفعل ، فقد جذب تلاميذه الذين صعدوا معه الى الجبل في التجلي ، فرأوا وسمعوا ، ولو لم تكن رؤيا كاملة ، وجذبهم بعد صعوده الى السماء .

وكيف يكون ان المسيح يجذبهم اليه ؟

نرى ان المسيح يحيا فيهم ولذلك فإنهم يرونه فيهم . ففي أعمال الرسل ١١:١ نقرأ مايلي :« ان يسوع هذا الذي ارتفع الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء » . إذا ، فقد استطاع الرسل ان يروه بعد ان انطلق الى السماء . ولو انه لم ينطلق الى السماء لما جذبهم اليه . لذلك ، فقد تمت عندهم الرؤيا واصبحوا يتأملون المسيح ويستغرقون في التجربة الروحية لان موضوع عبادتهم قد اصبح روحا كاملا .

ولا ننكر ان هنالك بعض التعابير التي لاتحمل الوضوح الكافي في الاناجيل من الوجهة الدينية الظاهرية . ففي كورنثوس ٢٦:١١ يذكر مايلي : « فإنكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء » .

تعتبر هذه الفقرة رمزاً حياً لما ذكرناه آنفاً . فعندما يأكل الانسان الخبز ويشرب الكأس يعلم بحقيقة الرب المسيح إلى ان يجيء . ولا يكون هذ المجيء إلا بالروح . وهذا يعني ان من يفعل كما فعل المسيح سيرى المسيح ، ويأتي اليه المسيح ــ المسيح الكوني ، الروح . فإن هو أكل جسد المسيح وشرب دمه فإن المسيح يكون فيه ، ومتى كان فيه فإنه يراه . ومتى رآه فيه ينجذب اليه بالرؤيا ، فيأتي المسيح .

ثالثا : إننا نتدرج في موضوعنا الى ماهو اكثر صعوبة .

في يوحنا ١٦:٧ « .. ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي » . وفي يوحنا ١٥:٢٦ « .. ومتى جاء المعزي الذي سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي » . وفي يوحنا ١٤:٢٦ « أما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم » . وفي يوحنا ١٤:١٦ ـــ ١٧ « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد . وهذا المعزي لايعرفه العالم . اما انتم فتعرفونه » . وفي كورنثوس الاولى ٤:٥ « اذاً ، لاتحكموا في شيء قبل الوقت حتى يحضر الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب » .

هانحن قد وصلنا الى قمة الروحانية في مفهوم المجيء .

في التحليل السابق علمنا ان التلاميذ لم ينغمسوا في التجربة الروحية الا بعد صعود المسيح وذلك لان موضوع تأملهم ، المسيح الكوني ، اصبح روحا كاملا . ولهذا فإنهم لم ينجذبوا اليه الا بعد صعوده . وهذا مايثبته لنا القول « ان لم انطلق لايأتيكم المعزي » . فما هو المعزي ؟

من حيث المبدأ نجد ان المسيح سيرسل المعزي الذي هو روح الحق والذي ينبثق من عند الآب ، كما نجد ان المعزي سيرسله الله باسم المسيح وهو الروح القدس . فالمعزي هو الروح القدس ، روح الآب . ولا تختلف الآيتان لان المسيح والله قد اصبحا واحدا فقد حقق المسيح الله فيه فأصبح كاملاً .

كيف يرسل الروح القدس الذي ينبثق من الله ؟ ألم يقل المسيح

« ملكوت الله داخلكم » ؟ ألم يذكر بولس « الله فيكم » ؟ فكيف يأتي الروح القدس ؟

للانسان روح هي قبس من روح الله وصورة له . وتعتبر روح الانسان الصغرى . وعندما يستغرق الانسان في الله ، الروح الكبرى ، فإنه يعمل على تنمية روحه بقدر ما يأخذ من الروح الكبرى . فتنجذب الصغرى الى الكبرى وتنمو روحياً . وكلما زادت العلاقة القائمة بين الانسان والله ، بين الروح الصغرى والكبرى ، بين الابن والآب ، اي كلما ازداد الانجذاب ، فإن الآب يعطي الابن من روحه ــ الروح القدس ــ ويعد مايعطيه الآب ، الذي هو دائم السيلان ، للابن ما نسميه الروح القدس .

وما يثبت كلامنا هذا إعطاء المسيح الروح القدس للتلاميذ بعد صعوده . وكما نعلم ان حلول الروح القدس لم يتم الا بعد ان جذبهم المسيح فجذبوا ، اي بعد ان حققوا التجربة الروحية بصورة جيدة . لذلك فإنه لايعطى بل يكتسب .

ويعتبر مجيء الروح القدس الى التلاميذ مجيء الرب او يوم الرب . لذلك فقد طلب من التلاميذ ان لايحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي ينير الخفايا . وهذا مايبرهن ان الرب الذي ينير الخفايا والذي سيأتي ليس الا الروح الكبرى التي تنبثق عنها طاقة تسمى الروح القدس .

الآن نعلم معنى المجيء الذي اصبح يشير الى حالة روحانية عليا تحل الروح الكبرى في الروح الصغرى . ويسمى هذا الحلول مجيئاً . ولا

يتم هذا المجيء الا اذا تحققت التجربة الروحية . ويكون هذا المجيء والحلول الوسيلة الوحيدة للاندماج في الله وتحقيقه . ولا يمكن الحصول على هذه الروح الا بعد تحقيق قداسة كبرى . فالله لايراه الا الانقياء ، الذين وصلوا الى درجة عليا من الروحانية والصفاء .

رابعاً : ها نحن نبحث الآن في درجة عليا من درجات المجيء . ولهذه الدرجة علاقة بملكوت السماء . فالمجيء يعني الملكوت .

نجد في فيلبي ٤:٥ « .. الرب قريب » . وفي الصلاة الربانية نهتف « ليأت ملكوتك » . وفي لوقا ١٧:٢٠ ـــ ٢١ نقرأ مايلي « ولما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله أجابهم وقال لا يأتي ملكوت الله بمراقبة ولا يقولون هو ذا هنا او هو ذا هناك لان ملكوت الله داخلكم» .

فكيف يكون الرب قريبا ان لم يكن فينا ؟ فالرب الذي نحمل صورته فينا يعلمنا ان نحققه . فالله دائم الحضور وعلى الانسان ان يحقق حضوره فيه . واذا حقق الانسان حضور الله فيه فإنه يحقق ملكوت الله . وأما هذا الملكوت فانه لايأتي بمراقبة . لقد كان اليهود يرقبون مجيء الملكوت مجيئاً مادياً . لكن المسيح نفى هذا المجيء المادي . وتكلم عنه برموز روحية عميقة . فالملكوت لايأتي بمراقبة بل هو في الانسان ولا يأتي الا اذا تحقق فيه . واذا كان لابد وأن يأتي فإنه يأتي على سحابة او في هيئة نار ويكون روح القدس .

هكذا لانستطيع ان نفهم المجيء فهما ماديا . لكننا نستطيع ان نفهمه فهما روحيا . فالملكوت فينا وليس علينا الا ان نحققه . فمتى تحقق فينا يأتي الرب ومن أين يأتي ؟ انه لايأتي بشكل مادي . انه يأتي الى

روحنا فتصبح روح قدس كروح الله . وليس الروح القدس الا الانبثاق من الآب ، اي الطاقة التي تنبثق منه . ومتى نالها الانسان فانه يحقق الله فيه ، ويكون الله عندئذ « في داخلنا » . وفي الصلاة الربانية نقول « ليأت ملوتك » . فكيف يكون الملكوت فينا وكيف يأتي ؟ اليس يعني هذا ان المجيء هو تحقيق الله ، الرب فينا ، الذي هو قريب ؟

خامساً : وهانحن نتحدث عن النقطة الأكثر تعقيدا هي موضوع المجيء ، الا وهو المجيء والمنتهى .

في مرقس ٢٦:١٣ نقرأ مايلي : « وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد » . ونقرأ في متى ١٣:٢٤ ــ ١٤ « لكن الذي يصبر الى المنتهى يخلص . ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الامم . ثم يأتي المنتهى » .

اننا رأينا ابن الانسان متجليا في سحاب . وكما ذكرنا ان ملكوت السماء لايأتي بمراقبة بل انه يأتي بالتحقيق . وهذا المجيء يعبر عنه بمجيء في سحاب او على سحاب . ولا يرى هذا المجيء بالعين المجردة لانه رؤيا لايعانيها الا الانقياء . وهذا يعني انه عندما تأتي الروح وتحل في الانسان ، بمعنى عندما يحقق الانسان الله فيه ، يتسنم درجة عليا في القوة والمجد .

ان بعض الناس يفكرون بان ابن الانسان سيأتي في سحاب في نهاية العالم لكن هذا الزعم مردود لاننا لانعلم الأوقات والأزمنة ، ولأنه أمر يتعلق بسرية الله وجوهره ومعرفته الكلية والمطلقة والكاملة .

واما المنتهى فانه يحمل معنى رمزيا وليس ماديا . فالمنتهى لا يعني نهاية العالم لانه كما يذكر في الانجيل انه يكرز ثم يأتي المنتهى . فان كنا

نقصد المعنى المادي من هذا الكلام فان المنتهى قد اتى لانه قد تمت الكرازة بالانجيل . ولكن هذه الآية تحمل مغزى روحيا أعمق بكثير :

١ ــ يكرز بالانجيل .

٢ ــ يأتي المنتهى .

ما الكرازة بالانجيل ؟ هي التبشير بتعاليم المسيح ، بطريقة الخلاص . وما هي تعاليم وطريقة الخلاص ؟ هي تحقيق التجربة الروحية في أقصى درجاتها . فمتى كرز بهذا الانجيل ، اي متى بشر به وسار الانسان في درب التجربة الروحية فانه يصل الى المنتهى . وماذا يعني المنتهى ؟ انه يعني تحقيق العالم الروحي في الانسان ، تحقيق روح الله فيه ، تحقيق المعزي روح القدس ، تحقيق حضور الله فيه ، تحقيق ملكوت الله فيه ، ونهاية العالم المادي ، أي نهاية ابليس . ومتى تم كل هذا فان الانسان يخرج من هذا العالم كما خرج المسيح ، ويكمل كما كمل المسيح . وعندئذ ينتهي الانسان من دورة الحياة ، او من دوراتها المادية ، ويصبح روحا خالصا .

سادساً : اننا نضطر الى بحث المجيء من زاوية لا مكان لها في العلوم الروحية السرية . الناس يتحدثون في المجيء الثاني[٢] . فما هو هذا المجيء الثاني الذي يتحدثون عنه ؟ كما أعلم ان حديثهم هذا يخرج عن دائرة المبدأ المسيحي ويدخل في دائرة المبدأ اليهودي . ولا أنكر ان اليهود قد استغلوه أبشع استغلال .

لقد ادخل اليهود ــ المسيحيون فكرة المجيء الثاني في كل الاديان

تقريباً ماعدا الديانات الشرقية كالبوذية والهندوسية والزرادشتية . لقد فعل اليهود هذا لانهم استغلوا جهل المسيحيين لديانتهم .

فإما ان يكون المجيء الثاني مجيئا في نهاية الأزمان وانقضاء الدهور ، وهذا موضوع يخرج عن حقل الدراسة والفهم . واما ان يكون مجيئا ثانيا ماديا . وإني ارى ان المسيحيين قد لقحوا هذا المجيء بشيء من المادية حتى كاد ان يكون زعما يهوديا نراه في تعاليم شهود يهوه والسبتيين والمتجددين الذين يبشرون بيهودية مقنعة هي عودة للبدء .

فالمجيء الثاني لايمكن ان يكون مجيئا الى الارض لان المسيح جاء وأنهى وأكمل ، وكان المنتهى ، ولانه ، ان اخذناه من وجهة نظر المجيء الاخير وانقضاء الازمان والدهور ، فان المجيء الى الارض لاينفع لسببين : اولا ، لانه لا حاجة لمجيء لان الازمان تكون قد انتهت والدهور تكون قد انقضت . وثانيا ، لان القيامة تتم لدى موت كل انسان حقق الله . ولا يمكن ان يكون المجيء مجيئا الى الارض اذا اخذناه من وجهة نظر مادية وذلك لانه يقضي على المجيء الاول الذي تحقق فيه الكل وامتلأ الزمان به وحدثت القيامة وجاء المنتهى[٣] ، ولانه يقضي على السبب الذي أتى من أجله المسيح .

ويؤسفني ان ارى عدداً كبيراً من المسيحيين يؤمنون بمجيء ثان . انهم يجهلون حقيقة المجيء الرب في الانسان ، مجيء الملكوت مع انه في الانسان ، مجيء الروح القدس وهو العلاقة القائمة بين الانسان والله ، واعطاء الله ذاته للانسان . فالانسان يستمد قوته ومجده ونورانيته وروحانيته

من الله والله يعطيه من روحه ، لا بل وضعه فيها ، أي انه يعطيه الروح القدس . وهذه الروح تأتي ، تماما كما يأتي المسيح .

٣

ولابد من نهاية !

هنالك بعض التفاسير السرية التي يمكن الاعتماد عليها لدى بحث موضوع المجيء والمنتهى . ونبدأ بالمنتهى .

المنتهى هو نهاية مملكة الشر والشيطان ، اي العالم المادي ، وتحقيق روح الله والخير والملكوت في الانسان . والمجيء هو مجيء الروح الى الانسان لدى نهاية مملكة الشر . ويتم هذا المجيء افراديا وجماعيا . انه يتم افراديا من حيث ان كل انسان يتغلب على عالم الشيطان ، عالم المادة ، يحقق المجيء ويكون المنتهى . ويتم جماعيا عندما تتم سيطرة الله الكاملة على مملكة الشر والشيطان ، ولن تقوم للشر قيامة . ولما كان المسيح قد أتى ، فانه قد أكمل المجيء بقطبيه . ان مجيء المسيح يشير الى ما يلي :

١ ــ هو الطريق للانتصار على قوى الشر فهو ، اذاً يحقق المجيء الفردي .

٢ ــ مجيء المسيح يعني الانتصار الكامل على قوى الشر في الملأ وعلى الارض . وهذا هو المجيء الكامل والاخير .

وعندما يحل ملء المسيح في الانسان ويجيء الروح القدس فان ملكوت السماء يتحقق في الانسان . فالمجيء هو مجيء الرب في الانسان .

٤

يخطىء اليهود عندما يفكرون بأن عودتهم تعني مجيء الرب اي المسيح المنتظر وذلك لان ارضهم الموعودة هي مملكة السماء ، هي في الروح وليست على الارض . انهم يجهلون ما كتبه عنهم فيلسوفهم فيلون . يعتقد فيلون ان التشتت يشير الى طرح الشرور وان العودة تشير الى تجميع الفضائل . ولما كان اليهود شعبا ماديا وعبدا للحرف ، لذلك فانهم فسروا الامور بعكس ماهي عليه . فاعتقدوا ان تشتيتهم يشير الى عودتهم التي تشير بدورها الى المجيء الذي سيدوم فترة زمنية ويكون المنتهى .

انهم يجهلون الرمزية في الموضوع ويتقاعسون عن فهم كل روحانية ، وعوضا عن ان يدركوا ان معضلتهم الرئيسية هي طرح الشرور والاستعاضة عنها بالفضائل — وهذا يتم في كل مكان وفي كل بقعة على الارض — فإنهم حولوها الى مفهوم مادي بحت يخدم مصالحهم الأنانية ويجعل الله يدور في فلكهم ، ذلك لانهم يربطون النهاية والمنتهى والمجيء بمصيرهم التاريخي . ان طرح الشرور يشير الى طرح الشيطان ، وتجميع الفضائل يشير الى قبول مملكة الله ، أي الرب . هكذا يجيء الرب اليهم .. وهذا هو المجيء الاول والثاني .

لقد عاد اليهود الى ما كانوا عليه قبل اكثر من ألفي سنة . إنهم ينادون باقتراب ملكوت الله وينتظرون المسيح أو مجيئه . وأما نظرتهم الى

الموضوع فما زالت مادية تعبر عن عبودية قاتلة للحرف . إنهم يراقبون مجيء ملكوت الله ، ولكنهم يجهلون ان ملكوت الله الذي هو في الداخل لايجيء بالمراقبة بل بالتحقيق .

* * *

حواشي الفصل السابع

١ ــ يختلف خروج المسيح عن خروج بني اسرائيل من مصر . لم يدرك موسى معنى الخروج من مصر والدخول الى أرض الميعاد . وبسبب سوء فهمه ، ظل في عالم الجسدية والعبودية .

٢ ــ في انجيل متى الفصل ٢٤:٢٣ يسأل التلاميذ المسيح : « ماهي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ » في هذه العبارة خطأ يستقيم متى أبدلنا كلمة مجيئك بكلمة حضورك وكلمة انقضاء الدهر بانقضاء الدور .

نحن نعلم ان هذا الانجيل كُتب لليهود الذين كانوا يؤمنون باليوم الأخير . وقد قصد المسيح ان نهاية الدور هي نهاية القديم وانبثاق الجديد ، الخليقة الجديدة ، يوم الرب . ولهذا ، فإنه لم يقصد انقضاء الزمن ونهاية العالم . ومجيء الرب يعني حضوره ، واذا كان كلي الحضور فإنه دائم المجيء . فالمجيء بمعنى الحضور ، هو عودة الى الرب . ومتى عاد اليهود اليه اصبحوا شعبا جديدا .

٣ ــ علاقة المنتهى بالقيامة . يقر مبدأ العودة ان الانسان يعود الى عالم الارض بعد انتقاله منه . إنه يعود ليكمل ما كان قد أغفله في حياته الأرضية ــ لذا ، يظل المرء مرتبطا بعجلة الذهاب والاياب ، والموت والحياة . حتى يبلغ درجة عليا في سلّم

الكمال . وعندئذ يقوم من الأموات ، ويُنهي علاقته بعالم الأرض . فالقيامة تعني نهاية علاقة الانسان بعالم الأرض الذي يخضع فيه المرء للموت مادام خاطئاً . ومتى حقق الكمال ، ينهي علاقته بالمادة ويقوم من عالم يخضع للموت .

القسم الثاني

مبادىء المسيحية

الفصل الأول

آدم والمسيح وبكر كل خليقة

آدم هو حوارنا الاساسي والقاعدة التي نبني عليها صرح دراستنا . ويعتبر جهلنا لآدم جهلاً لقضية الانسان وجهلا لفلسفة الدين وسره . وكما أسلفت وقلت انه يستحيل فهم أي موضوع روحي بدون تجربة روحية عميقة . فلا يمكننا فهم قضية آدم دون عمق روحي كبير .

آدم هو الخليقة الأولى ، الانسان الاول ، بكر كل خليقة من الوجهة المادية ، ومثال الانسان . ويعد آدم رمزاً للانسان ومثالاً له . واننا بقدر ماندرس « آدم » يمتاز بفرديته وخصوصيته بقدر ما ندرس « آدم » يمتاز بعموميته وشموله . ويتطابق « الآدمان » الخاص والشامل . واننا ، عندما نبحث في آدم ، نحاول ان ندرس آدم المجرد الذي هو بكر كل خليقة ، ذلك لكي ننتقل الى آدم الواقعي وهو الانسان .

اننا نبحث الان في خلق آدم . فكيف خلق آدم ؟

تخبرنا الكتب المقدسة ، في مصادرها العديدة ، ان آدم قد خلق من طينة نفخ الله فيها من روحه . وهذا يعني ان آدم لم يخلق او لم يأت الى الوجود من رجل وامرأة . وعلى هذا الاساس نسمي آدم بكر كل خليقة . فكيف نربط بين هذه البكورية او الباكورة وبين خلقه مباشرة من الله ؟

كانت طينة آدم تمثل المادة بأكملها ، بعناصرها كلها ، فكانت طينة آدم تعني العالم المادي بكامله وبكليته . لذلك كان آدم مثالا او مخططا للعالم المادي كله . ونفخ الله في تلك الطينة فحبلت بالحياة وتوسعت وامتدت . فحبلت تلك الطينة بروح الله وحملتها ، واصبحت تنبض بالحياة. فالحياة هي نتاج حبل المادة بروح الله. ولما كانت الحياة هي نتاج وضع روح الله في الطينة وبالتالي حبل الطينة بروح الله، فان آدم يعتبر نتاجاً لهذا الحمل . ولهذا السبب ايضا نقول ان آدم أتى الى الوجود بدون دنس لأنه أتى مباشرة من الله ، كما يمثل بكورية الخليقة او باكورتها .

ان فكرة الحبل هذه مازالت بحاجة الى مزيد من التأويل . فقد تشكل الآن لدينا وجود من وجوه ثلاثة لاتعبر الا عن وجه واحد بالفعل . الله ، الطينة ، والحياة اي الانسان ، اي آدم . فآدم هو الطينة التي نفخ الله فيها ، فهو اذن نفخ الله في الطينة . فالحياة اذن هي حلول الروح في المادة . فهل هي ثلاثة ام واحد ؟ هي واحد وثلاثة . كل شيء هو الله ، والمادة هي من الله . وليس وجود الروح في المادة الا مظهرا للوجود فقط . فالروح المنبثة في المادة التي هي من الروح والحياة التي هي نتيجة الانبثاث والحلول تشير الى وحدة لها وجوه ثلاثة . ولم يكن آدم الا تلك الوحدة التي ظهرت بوجوهها الثلاثة . فاذا قلنا ان الله واحد ، وان الطين اثنان ، وان

الحياة ثلاثة فاننا نصل الى مايلي : الثلاثة هي وجود الواحد في الثاني ، والثاني هو وجود الاول في انبثاقه من ذاته . فالاثنان هو المادة الاولى ، والواحد هو روح الله ، والثلاثة هي الحياة ، أي آدم . ولاتوجد حياة بدون وجود الاول في الثاني . وأعني انه لاتوجد حياة مستقلة في ذاتها كما انه لاتوجد مادة مستقلة في ذاتها . هكذا يكون آدم هو الروح المنبثة في الطين .

واننا نستمر الآن في تعليل فكرة الحمل . اصبحت المادة تحمل الروح . وان حمل المادة للروح يعني الحياة ، وتعني هذه الانسان . ولما كانت المادة الاولى لاتنبضُ بالحياة بدون إنبثاث الروح فيها او حلولها فيها لذلك نقول بما يلي على سبيل الاستعارة والمجاز والرمز . نقول أن الله اي الروح هو المبدأ الذكر ، ونقول ان المادة هي المبدأ الانثى ، وان الحياة هي النتاج ، أي ماتولد عن هذين المبدأين ، ونسميه الابن . فالابن هو الانسان ، وفي هذا المجال نقول انه آدم الاول . فالمبدأ الذكر هو الآب والمبدأ الانثى هو الأم . وان وجود المبدأ الاول ، مبدأ الذكر ، في المبدأ الثاني ، مبدأ الانثى ، وانبثاثه فيها او حلوله فيها او وجوده فيها ، تولد الوجود فكانت الحياة ، أي الانسان ، أي الابن . وماذا تسمي هذا الحلول ؟ اننا نسميه باللغة الرمزية والسرية حبلاً . فهل كان حبلا بلا دنس ؟ نعم . ان حلول الروح في المادة دون وساطة انسان يعني حبلا بلا دنس .

لهذا يعتبر آدم انه مثال الانسان الاصلي الذي أتى الى الوجود نتيجة حبل بلا دنس . وأعني انه وجد مباشرة من حلول الروح في المادة . ولما

كان آدم هو المثال الاصيل للانسان ، اي المثال الفردي ، فانه ينطبق على المثال العام للانسان .

ان قصة آدم لاتنتهي عند هذا الحد . فمثال الوجود ، آدم ، لم يحقق المثال بل نقض أسسه ، فرفض النعمة التي هو فيها وسقط . وهنا يتبادر الى ذهننا سؤال هو على غاية من الأهمية . لماذا يسقط آدم الذي وجد بهذه الطريقة العظيمة والمثلى ؟ ولماذا يسقط الملائكة الذين لم توجد فيهم أية درجة او نسبة من الشر والظلام ؟ كيف سقط الملائكة وهم أطهار ونورانيون ؟ وكيف سقط آدم وهو نتاج وجود الحقيقة المتجسدة ؟

الجواب على سقوط الملائكة لايدخل ضمن اطار البحث هذا ، أما سقوط ادم فانه وجد بعد وجود الشر والظلام . ومما لاشك فيه ان خلق الوجود المادي داخله شيء من وجود السلب ـ فخضع هذا الوجود للسلب : الوجود الارضي هو أدنى درجة للوجود لأنه مادي وبعيد عن النورانية ، بل يكاد ان يكون مزيجا من النور والظلمة . فالمادة تشير الى الظلمة والروح تشير الى النور . لذلك كان ادم مزيجا من الظلمة والنور . وقد أوجده الله على صورته لكي ينتصر على عالم الظلمة وليعود بالوجود الى النور . وهذا يعني ان الهدف من وجوده هو لكي يقضي على مملكة السلب ، أي الشيطان ، التي تدخلت في خلق الوجود المادي .

لاتعتقد الغنوصية بسقوط ادم بل بسقوط الحكمة . ولهذا فقد ارسل الله ابنه لانقاذ الحكمة التي اطفأت قوى السلب والظلام شيئا من نورانيتها . وأما نحن ، فاننا نعتقد بسقوط ادم وسقوط الملائكة .(وليس سقوط الملاك إلا وجها اخر لسقوط الحكمة) . ادم الذي وجد بالروح

على صورة الله ومثاله لأنه من روحه ، والذي أخذ الجسد ، ليس عن طريق رجل وامرأة بل عن طريق الحلول الروحي المباشر . لذلك فقد كان ادم مثالا يحتذى به ونبراسا للوجود . ولكنه كان تعباً إذ ان ظلا من الظلمة يلاحقه ، وفكرة مبطنة بالسلب تعمل لتقويض عرش نعمته . وبدت المعركة بتلبس الشيطان دور الحكمة ، فأخذ شكل الحية . (تشير الحية الى امتزاج الحكمة بالسلب) . لذلك خضع ادم لحكمة الحية وسقط من العلوية والقدسية التي كان يتنعم بها . وعلم الله فسأله : ماذا فعلت يا آدم ؟ ولكن السقوط كان قد حدث .

ماذا يعني السقوط في جوهره ؟ ان السقوط يعني عدم الاذعان والامتثال لقوى الروح ، عصيانها والتمرد عليها ، وعدم تحقيق ملكوت الله والخضوع لقوى المادة والتمرغ فيها[1] . ولما كانت قوى المادة تشير الى قوى السلب ، لأن قوى السلب قد تبطنت فيها ، فإن ادم سقط في الشر والخطيئة ، فأصبح ادم بعيدا عن الله لانه كسر صورته ولم يحققها ، أي انه لم يحقق الله فيه ، واصبح قريبا من الشر يعمل بوحيه وغريزته . لذلك وقع الانقطاع بين آدم والله .

واننا نستنتج ما يلي :

ا ـــ القطيعة بين الله وادم بسبب رضوخه لقوى السلب ومملكة الشيطان وبسبب المعصية والتمرد .

ب ـــ كسر صورة الله وعدم تحقيقها .

جـ ـــ انتصار لقوى السلب والخطيئة .

د ـــ انتصار للموت والظلمة .

هـ ــ انتصار للمادة والتراب .
و ــ الخروج من النعمة .

٢

والآن سنلقي ضوءا على ماتذكره الاناجيل والرسائل في هذا الصدد :

رومية ١٢:٥ « من اجل ذلك كأنما بانسان واحد (ادم) دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت . وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » . وفي رومية ١٤:٥ « قد ملك الموت في ادم الى موسى (ظل الناس تحت الناموس) وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي ادم الذي هو مثال الآتي (المسيح) . وفي رومية ١٨:٥ « فإذاً ، كما بخطيئة واحدة (خطيئة ادم) صار الحكم الى جميع الناس للدينونة ، هكذا ببر واحد (المسيح) صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة » . وفي رومية ١٩:٥ « لأنه كما بمعصية الانسان الواحد (ادم) جُعل الكثيرون خطأة ، هكذا ايضا باطاعة الواحد (المسيح) سيجعل الكثيرون ابراراً » . وفي كورنثوس الاولى ٢٣:١٥ « في آدم يموت الجميع وفي المسيح سيحيا الجميع . ولكن كل واحد في رتبته . المسيح باكورة ثم للذين في المسيح في مجيئه » . وفي كورنثوس الاولى ٤٤:١٥ ــ ٤٩ « يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا . يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني . صار آدم الاول نفسا حية وآدم

الاخير (المسيح) روحا محييا . لكن ليس الروحاني اولا بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني . الانسان الاول من الارض ترابي والانسان الثاني الرب من السماء . كما هو الترابي هكذا الترابيون ايضا وكما هو السماوي هكذا السماويون ايضا . وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس ايضا صورة السماوي » .

٣

هكذا نرى ان الخطيئة قد دخلت الى العالم ، وبهذه الخطيئة دخل الموت . فالموت إذن جزاء على الخطيئة[٢] . وهذا يعني ان ادم لم يكن ليموت لو انه رفض الشيطان الذي تلبس بالحكمة . والموت اجتاز الى جميع الناس . ويعني هذا ان جميع الناس اصبحوا ادم لان كل واحد منهم على انفراد قد اصبح ادم . وعندئذ ملك الموت من ادم الى موسى زعيم الناموس ومعلمه الى اليهود . وحتى الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم وقعوا فريسة للموت . لماذا ؟ لانهم لم يتعلموا الطريقة الفضلى والمثلى التي يخلصون بها لينتصروا على الموت . ولما كان المسيح هو تلك الطريق والحق والحياة فإنهم لم يعرفوها . مما لاشك فيه ان من دان عالم الخطيئة والشر والموت وداس مملكة الشيطان وانتصر على الجحيم ، كان المسيح . ولذلك فإن هؤلاء خضعوا للموت لان ملك الحياة والموت لم يكن قد تجسد بعد . وآدم اصبح مثال الآتي اي المسيح .

ولما كان الجميع قد أخطأوا فإنهم سيدانون وذلك لان الموت قد

انتصر والظلمة سيطرت والمادة سادت وقوى الشر بكاملها المتمثلة بمملكة الشيطان جلست على عرش المادة وسلطان الموت وانتصرت انتصارا جزئيا . ولكن خضوع الخطاة للدينونة يقابله بمجيء البر ، اي المسيح ، لتبرير الحياة . وهنا لابد من وقفة . « تبرير الحياة » ماذا تعني هذه العبارة ؟ لقد قلنا ان الحياة هي نتاج الواحد في الثاني ، الروح في المادة ، الاب في الأم ، المبدأ الذكر ، في المبدأ الانثى . اذا هي الابن او الحياة او الانسان . لذلك فان الانسان الساقط سيتبرر لانه الحياة . ولن يكون تبريره الا بالمسيح الذي يقف وجها لوجه مقابل ادم — ادم يمثل السقوط والموت والمسيح يمثل الارتفاع والصعود والقيامة ، ادم يمثل الخطيئة والمسيح يمثل البر والنعمة ، ادم الذي خضع للجسد يمثل الشر والمسيح الذي حقق الروح يمثل الخير ، ادم يمثل الخضوع لمملكة الشيطان وتحقيقها والمسيح يمثل الخضوع لمملكة الله وتحقيقها . ولهذا فإن الخطاة سيجعلون ابرارا بطريقة المسيح للخلاص .

والان لابد لنا من دراسة لمعنى الموت ومقارنته بالحياة . في ادم وجد الموت وفي المسيح وجدت القيامة . علمنا ان الموت هو ثمن الخطيئة والشر . فماذا تعني القيامة ؟

لما كان الانسان الاول قد سقط من عليائه فانه خضع لمملكته الجديدة وهي مملكة المادة والموت . فلو ان ادم ظل في عليائه ولم يسقط لما مات ولظل حيا ، اي ان حياته كانت حياة في الله . ولكنه سقط فخضع للموت . وخضوعه للموت يعني خضوعه لعالم المادة وقوانينها أي الانحلال والفساد . والموت كما قلنا هو ثمن الخطيئة . اذا من لايخطيء ، لايموت[٣] .

ويعني هذا ان من لايخطىء يظل نقيا صافيا ، روحا طاهرا ، لا دنس فيه ولا عيب فلا يخضع لمقومات المادة ومبادئها بل يظل روحاً خالصاً . وعندئذ لايكون موته موتا بل قيامة من الجسد . هكذا يظل من لايخطىء حيا وذلك لان الروح اي الله يظل حيا فيه . فالحياة هي الحياة في الله والموت هو موت الحياة في الجسد ، اي المادة .

واننا نجد المزيد من التأويل في العبارة التالية : في ادم يموت الجميع وفي المسيح يحيا الجميع . ونقصد أنه في ادم يجد الانسان الموت لانه يفعل كما فعل ادم فيخضع لعالم الانحلال والفساد اي المادة . أما إذا ظل روحا حية ، لا دنس فيها ، فإنه لا يموت . ولم تتحقق هذه الروح الحية الا في المسيح . لذلك يموت من يتبعون طريق ادم ، ويحيا من يتبعون طريق المسيح . ولما كان المسيح روحا محييا فانه لايموت ومن يكون كالمسيح لايموت . واما الموت فهو نصيب آدم واتباعه الذين يضلون في وادي الموت الذي هو وادي الخطيئة والشر والمادة . وهذا ما نؤوله كما يلي :

قلنا سابقا ان سقوط ادم تلا سقوط الملائكة ، وأعني ان بذرة السلب كانت منذ وجدت في الوجود . وأما بذرة السلب فإنها تتركز في المادة . فنرى ان المادة اي الجسد تحمل بذرة الفناء والشر . ففي التراب بذرة الشقاء والتعاسة . وكما يعتقد بولس بأن هناك جسدين : جسد حيواني واخر روحاني . والجسد الحيواني يزرع اولاً ليقوم جسما روحانيا . ويتم تأويلنا لهذا القول بثلاثة أشكال .

اولاً : إما أن يكون المقصود بالجسم الحيواني هو ادم الذي لبس الجسد الحيواني اي المادة . ولايكون المسيح قد لبسه بل يكون قد لبس

جسما تمتاز أخلاطه على أخلاط جسم ادم ويسمو عليها . ويكون المسيح هو الجسم الروحاني .

ثانياً : وإما ان يكون المقصود هو ان ادم لبس الجسم المادي اي الحيواني ولكنه لم يجعله جسما روحانيا بل خضع لمؤثرات الجسم المادي الحيواني . ويكون المسيح قد لبس الجسم الجسدي الحيواني ايضا ولكنه أقامه جسما روحانيا .

ثالثاً : الانسان الاول وجد من الله في التراب والانسان الثاني فانه الرب ولم يوجد من التراب .

ونحن نميل الى التعليلين الثاني والثالث . وبهذا فاننا نحللهما . نقول اولا ان الجسم الحيواني يزرع اولا . وإذا ظل الانسان يلبس الجسم الحيواني فان نهايته هي الموت . أما إذا لبس الجسم الروحاني فانه لايخضع للموت لأنه ليس ترابيا ويقوم من الموت اي انه لايموت بل يظل حياً لان المادة تصبح روحا . انه يقوم من عالم الموت لأن علاقته به تنتهي متى أكمل .

ونرى الان ان الانسان الاول ترابي ونعني انه لبس الحيواني وخضع له فمات . والانساني الثاني ، المسيح او الروح ، لبس الروحاني لانه الرب من السماء . ومما لاشك فيه انه يجب الانتقال من ادم الى المسيح ، اي انه يتوجب علينا ان نلبس السماوي ، لانه كما لبسنا الترابي فاننا نلبس صورة السماوي .

الارادة الالهية هدفت الى تحقيق الوجود بتصعيد الوجود من الترابي الى الروحي ، من الحيواني الى الروحاني . فقد تم لبس الحيواني بادم فخضعنا للموت والخطيئة وسيتم لبس صورة السماوي اي الروحاني

بالمسيح فنحيا ونتبرر . ولذلك يمثل ادم والمسيح قطبي الوجود في الانسان . الاول لم يمثل صورة السماوي ولم يحققها والثاني فقد مثلها وحققها . الاول مات والثاني ظل حيا وقام .

وعلى هذا الإساس نرى بان هناك دورة للانسان عليه ان يكملها في حياته[4] . فهو يزرع جسما حيوانيا ويتوجب عليه ان يلبس الجسم الروحاني . والجسم الروحاني هو الرب من السماء . فآدم اذن رفض الجسم الروحاني ولبس التراب وأخطأ . ولهذا فان واجب الانسان هو ان ينتقل من الترابي الى الروحاني في دورة الحياة هذه . ان ادم لم يحقق هذا « اللبس » اما المسيح فقد حققه . ولهذا فاننا نطرح هذا السؤال : من استطاع ان يحقق « لبس » الروحاني ؟

لم يستطع لبس الروحاني الا عدد قليل جدا من الناس . ولم يلبسه لباسا كاملا الا المسيح ويليه بوذا . واما ايليا فانه لم يلبسه لباسا كاملا لانه كان عليه ان يعود . واذا كان على ايليا ان يعود فانه يعني انه لم يكتمل ولم يصل الى غاية الكمال ، وأقصد بأن المنتهى لم يأت . ولذلك لم يمثل ايليا القيامة ، ولم يحققها الا المسيح ويليه بوذا ، وكما نعلم ان بولس الرسول قد شدد على ان الموت هو اخر عدو ننتصر عليه ، وعندئذ يغلب . كيف يتم الانتصار على الموت وتحقيق القيامة ؟ الانتصار على الموت يتم بلبس الروحاني الذي هو الرب من السماء ، الذي هو الحياة ، والخضوع للموت يعني لبس الحيواني ، المادي .

هكذا نجد ان ادم هو طريق الموت وان المسيح هو طريق

الحياة ـــ انا هو الطريق والحق والحياة . فالطريق هو طريق الوصول والتحقيق ، الطريق الذي يؤدي الى الله .

والحق هو الله ، الرب في السماء ، والحياة هي البقاء والابدية والقيامة والانتصار على الموت . لذلك فقد أخطأ آدم فسقط ، وأتى المسيح لكي يغطي هذا السقوط وليعيد الانسان الى منزلته الاولى وهي : حالة النعمة والقداسة .

٤

اما العلاقة الثانية او المقارنة بين آدم والمسيح فهي العلاقة بين الحبل بلا دنس وبكر كل خليقة(٥) .

اننا نجد في متى ١:٢٥ بأن المسيح كان بكر خليقته . وفي لوقا ٢:٢٢و٢٣ نقرأ مايلي : « ولما تمت ايام تطهيرها صعدوا به الى اورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب في ناموس الرب (وليس في الناموس العادي المكتوب بالحرف والمتمثل بالشريعة) ان كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب » . وفي كورنثوس الاولى ١٥:٢٣ نقرأ مايلي : « اني اغار عليكم غيرة الله لاني خطبتكم لرجل واحد (المسيح) لأقدم عذراء عفيفة للمسيح) . وفي كولوسي ١:١٨و١٩ نقرأ مايلي : « وهو رأس الجسد الكنيسة الذي هو البدء ، بكر في الاموات لكي يكون هو متقدما في كل شيء ، لانه فيه سر ان يحل كل الملء » . وفي كولوسي ٢:٩ نقرأ مايلي : « فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » . وفي عبرانيين

۲۳:۱۲ « وكنيسة ابكار مكتوبين في السموات » . وفي رومية ۲۹:۸ « ... الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهين صورة ابنه ، ليكون هو بكرا بين اخوة كثيرين »[٦] .

ننطلق من دراستنا قائلين: المسيح حلّ فيه الملء، وفيه يحل كل اللاهوت جسدياً . والملء كله هو الكمال والحق أي الله . واللاهوت كله قد حل في جسده . اذا فقد زرع في جسم روحاني هو من الرب . وعندما نعود الى خلق ادم نقول ان ا لله قد أخذ الطين ونفخ فيه . اذاً فقد كان ادم الاول يمثل لاهوت الله الكائن في الجسد . ولذلك تقوم المقارنة بينهما في ثلاث نقاط رئيسية :

١ — كل بكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب .

٢ — كيفية وجود هذا البكر ، فاتح الرحم .

٣ — التشبه بصورة الابن ، بكر الخليقة ، لنكون كنيسة ابكار .

كان ادم فاتح رحم وكذلك كان المسيح .

عندما سقط آدم ، تحول الخلق من خلق حلول في مادة بدون امرأة الى خلق حلول روح في امرأة . ولم يتم هذا الا بعد وجود الخطيئة والشر والتجرد من النعمة . وكما نعلم ان كل مايحدث في العالم العلوي يحدث في العالم السفلي بشكل شبيه . لذلك كان العالم السفلي طيفا للعالم العلوي ، وكان العلوي مثالا له . ولكن مايحدث في العالم السفلي يحمل في ثناياه مبدأ السقوط أي الخطيئة ، فالزواج او العلاقة التي تمت بين مبدأ الذكر ، الله ، وبين مبدأ الانثى ، المادة الاولى[٧] ، والذي كان زواجا قدسيا أدى الى تشكيل حياة ابن بصورة قدسية لادنس

فيها ، عاد وتكرر في الوجود المادي بين مبدأ ذكر ، هو الرجل ، وبين مبدأ أنثى هو المرأة . وكان نتاجه هو الانسان . وهناك فرق كبير واسع بين مجيء الانسان الاول ادم من مبدأين لادنس فيهما ، وبين مجيئه من مبدأين بعد وجود الشر وتدخل القوى الشريرة . لذلك نرى ان بولس يشدد على ان الرجل خلق اولاً فهو اذن على صورة الله وان المراة خلقت ثانيا فهي على صورة الرجل . فالصورة الاولى ، اي الرجل تمثل المبدأ الاول والصورة الثانية ، اي المرأة ، تمثل المبدأ الثاني ، المادة الاولى . ويصر بولس على ان المرأة أغويت اولا فسقطت . ويشير هذا الى ان السقوط تم من خلال المادة والانصياع لها . فالمادة كانت واسطة سقوط .

واختلف مفهوم الزواج واصبح يخضع للشهوة ولتدخل الشيطان . لذلك فقد سادت الخطيئة ، وخضع الزواج للشر واعني انه تعرض للخطيئة . فسادت الخلافات بين الرجل والمرأة واخذ الواحد يخدع الاخر ويخونه . ولم يعد الزواج الى حالته الاولى . فما هي حالة الزواج الاولى ؟ هي مبدأ الجسد الواحد ، وهذا سر . وماهو مبدأ الجسد الواحد ؟ هو وجود الاول في الثاني ومجيء الثالث . وهذه العملية واحد . فالواحد والثاني واحد . والنتيجة العظيمة لاتتدخل فيها الخطيئة[٨] . لكن عندما انقسم الوجود الانساني الى قسمين ، رجل وامرأة ، أصبح الزواج طيفاً للزواج الاول ، لكنه يخضع للخطيئة . لذلك يفضل ان تظل المرأة عذراء وتخطب لله ، كما كانت مريم ، وان يبقى الرجل كما ولد .

وهناك مقارنة بسيطة بين حواء ومريم . حواء أغويت واما مريم فانها لم تغو . حواء خطبت نفسها لرجل ، لمبدأ أول ساقط ، واما مريم فانها

خطبت نفسها لمبدأ اول هو الحياة والكل في الكل . حواء حبلت من الرجل ، المبدأ الاول الساقط ، حملت بالالم الذي تشوبه الخطيئة ، فولدت قايين وهابيل ، الخير والشر . وأما مريم فانها حبلت من الله ، وحملت النعمة التي تعني الخلاص ، فولدت ابنا هو إبن الله ، الخير الكامل .

والآن نجد ان المسيح يعيد الى الحقيقة موضوع البكارة ، لكنه يعيدها الان بواسطة الانسان ذاته لكي يعود الانسان الى مجده وبره الاولين . فهو بكر من الله وهو فاتح رحم . انه فاتح رحم امرأة ، المبدأ الثاني ، التي مثلت المبدأ الثاني خير تمثيل ، المبدأ الثاني الذي حمل بروح الله . وكانت النتيجة ولادة ابن الله . وقد تمت الولادة بشكل تمثل فيه المبدأ الاول في مبدأ العذراء . فكما حبل المبدأ الثاني بالمبدأ الاول وولدت الحياة ، وكان الحبل يمثل مبدأ العذراء[٩] ، هكذا بالطريقة ذاتها ، حبلت مريم ، المبدأ الثاني ، لا من رجل مبدأ اول ساقط ، بل بالمبدأ الاول ، وولدت الحياة اي الابن . يقول المسيح « أنا الحياة » ويقول « لتبرر الحياة » .

لذلك لم يعد ادم يصلح لان يكون صورة الابن ، بكر الخليقة ، لانه سقط من النعمة ومن البنوة ، ولم يبق لنا سوى المسيح ، البكر الحقيقي ، فاتح الرحم ، الابن الحقيقي ، والحياة الحقة التي بها نحيا ونتحرك ونوجد . واما المسيح فانه المبدأ الاول الذي حل في المبدأ الثاني وكان الابن اي الحياة ، وهكذا يصبح مثالنا الحقيقي للحياة والبنوة وفتح الرحم . وماذا يقول بولس الرسول بهذا الخصوص ؟ إنه يريد ان يخطب اتباعه لرجل واحد ليقدمهم الى عذراء عفيفة للمسيح . فكما ان العذراء

كانت عفيفة وتقية لله ، كذلك نكون نحن عذراء نخطب ونقدم بعفة الى المسيح .

ومتى تمت هذه الحقيقة فإن المسيحية تصبح كنيسة أبكار . ومتى أصبحنا كنيسة ابكار فاننا نتشبه بالابن ، بصورة الابن ، فنصبح ابناء الله .

٥

هكذا نستنتج ان المسيح هو ادم الثاني ، اي الخليقة الجديدة ، لكنه ادم السماوي وليس ادم الأرضي او صاحب الجسم الحيواني[١٠] . ان المسيح يعيد الكل الى الكل ، يعيد الانسان الى الله مرة اخرى . فالصلة التي انقطعت بين الله والانسان استمرت . انها استمرت من خلال المسيح وليس من خلال الناموس . فالناموس لايعيد الصلة لأنه ليس كاملا ، بل ظل الانسان تحت الخطيئة بسبب الناموس ولم يصل الى النعمة ولم يحصل عليها .

وظل الانسان اليهودي تحت الناموس ، وظل الانقطاع يزداد بزيادة الشرور الناتجة عن الناموس . وقطع الله عهدا بأنه سيعيدهم الى ظلال الحقيقة ، وسيرسل لهم ابنه لكي يخلصهم من خطيئة ادم . ولما ظهر المسيح ، الذي هو الوعد الذي يعيد الصِّلة المقطوعة ، الذي يعيد الابن الى أبيه ، الذي يحقق ادم المخلوق من الله ،آدم الساقط الذي يعيده الى النعمة .. قتلوه .. لانهم ظلوا متعلقين بالناموس ولانهم ظلوا تحت الخطيئة .

ان اليهود لايفهمون الروح لانهم مقيدون بسلاسل الحرف ، ولا يحبون الانعتاق لان اغلال مملكة الشيطان[٢] مازالت تقيدهم . ولعمري لم اجد شعبا دخله الشيطان مثل الشعب اليهودي ، الذي كان المسيح يعمل دوما على طرد الشياطين منهم . انهم قتلوا الابن الذي يعيدهم الى أبيهم .

حواشي الفصل الاول

١ ـــ يخطىء سفر التكوين في التوراة ، إذ يذكر ان سقوط آدم كان نتيجة حتمية لمحاولة المعرفة . الله لايعاقب من يسعى الى فهمه ذلك لأنه اوجد الانسان من أجل هذه الغاية . لكن التوراة تخطىء ذلك لان من منع آدم عن المعرفة لم يكن الله بل يهوه . ولهذا ، ظل اليهود اتباع يهوه .

٢ ـــ يشير مبدأ العودة الى ان الخاطىء يعود الى عالم الارض ، عالم الموت والحياة ، ولن يخلص من هذه العودة حتى يكتمل كمال هذا العالم الارضي . ومتى حقق كمال هذا العالم يقوم من عالم الموت ويكون المنتهى ، اي تنتهي علاقته به . فالقيامة هي نهاية العلاقة بالحياة الارضية .

٣ ـــ تبقى علاقة الانسان قائمة بعالم الموت حتى يتخلص من الخطيئة . وبعد خلاصه هذا يقوم وتنتهي هذه العلاقة .

٤ ـــ دورة الانسان تتمثل في العودة ـــ فهو يعود مرات عديدة ليلبس الجسم الترابي او الحيواني . ولن يتوقف عن المجيء والعودة مالم يروحن هذا الجسم . ومتى أصبح الجسم الحيواني روحانيا ، بعد عودات عديدة ، يقوم من عالم الموت ولن تعود له علاقة به .

٥ ـــ آدم هو الملاك الذي وضع الله فيه نوره لينير العالم المادي بعد سقوط ابليس ،

الذي أدّى الى كثافة العالم المادي وحلول الظلام . لكن آدم أخطأ فظل الظلام مسيطرا . أما المسيح فهو الكلمة ، هو النور ، الذي تجسّد ليعيد العالم المادي المظلم الى نورانيته .

٦ ــ الحق يقال ان المسيح هو الروح الوحيد المتجسد الذي لا يطبّق عليه مبدأ العودة . هو الوحيد الذي أكمل خلال دورة حياة واحدة . لذا ، فالمسيح لم يكن موجودا في الجسد قبل تجسده . اما بوذا وغيره فقد تسنّموا الكمال بعد عودات كثيرة .

٧ ــ المادة الاولى المقدسة نتاج الفيض والصدور .

٨ ــ ولد آدم بدون خطيئة ، الامر الذي يعني ان الخطيئة الأصلية غير موجودة . لكن هناك خطيئة مردها الى الانتماء الى سلبية المادة والخضوع لها .

٩ ــ مبدأ العذراء هو حبل المادة اللا متعينة بروح الله ، هذا المبدأ الذي تكرر في مريم .

١٠ ــ الانتقال من آدم الاول الى آدم الثاني ، من الحيواني الى الروحاني يتم في الانسان ذاته . ففي حالته الاولى يكون آدم ، وفي حالته الثانية يكون المسيح .

١١ ــ في الدراسات الايزوتيرية والتيوزوفية لاوجود للشيطان بوصفه شخصاً . الشيطان او ابليس هو المقاومة السالبة القائمة في المادة ، القابلة لاتخاذ صفة الشر متى حققها الانسان وتنازل عن مقاومته الايجابية .

الفصل الثاني

الانسان العتيق والانسان الجديد

يضعنا مبدأ بكر كل خليقة ، امام موقف جديد من الوجود . ويعلمنا هذا المبدأ عظمة النعمة التي يعيدنا اليها او نهاية ادم الاول ، كما يعلمنا عظمة المسيح وبداية ادم الثاني الذي اصبح يعني الخليقة الجديدة . وبهذا فان العالم ينقسم من حيث زمنيته الى قسمين : زمان قديم يتمثل بآدم الاول ويشتمل على الناموس ، وزمان جديد يتمثل بآدم الثاني ، المسيح . وكذلك ينقسم هذا العالم ، من حيث جوهره الى قسمين : العالم القديم الذي سيطرت فيه شخصية الأنسان العتيق ، والعهد الجديد الذي سيطرت فيه شخصية الانسان الجديد . فما هو هذا الانسان الجديد الذي اتى به المسيح ؟

اننا نجد في الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى مقارنة بين المسيح ونوح . فالمسيح يشبه نوحا وفلكه والايام التي عاش فيها . واما

المقارنة فانها تتحقق من وجهتين : وجهة اولى بسيطة لاتعقيد فيها ، ووجهة ثانية سرية ايزوتيرية وغنوصية وروحية .

الوجهة الاولى ، تشير الى مايلي : كان مجتمع نوح مجتمع الخطيئة والشر . فقد كثرت شرور الناس لدرجة ان الله ندم على خلقه[1] . وكان لابد من زوال الخطيئة والشر . وبالتالي كان لابد من مجيء طوفان يأخذ الجميع فيقضي على كل ماهو قديم . فكما ان طوفان نوح اخذ الجميع ولم يبق على شيء ، كذلك فإن المسيح يأخذ الجميع ولا يبقي على شيء . وهذا يعني امرين : ١ ــ ان الطوفان يشير الى غسل الخطايا والقضاء على كل ماهو عتيق ٢ ــ ان الطوفان يعني نهاية الماضي العتيق وجدية الحاضر ، او تجديد الحياة ،.. ويصبح كل شيء خليقة جديدة[2] .

الوجهة الثانية ، يشير الفلك الى الجسد الانساني[3] . فالجسد الحيواني العتيق المليء بالخطايا والشهوات يأخذه الطوفان . وأما الجديد فإنه يطفو ولا يخضع للزوال . لذلك يمثل الطوفان طرح الجسد الحيواني ويمثل الفلك لبس الجسم الروحاني . ودليلنا على هذا هو ارسال الغراب والحمامة . فما هو الرمز من وراء ارسالهما ؟

تشير بعض الدراسات الايزوتيرية القديمة الى ان الغراب والحمامة كانا يمثلان رمزا معيناً . فقد كانت الحمامة تمثل النقاء اي الروح (ولهذا لانعجب بأنها تمثل الروح القدس في المفهوم المسيحي) وكان الغراب يمثل الشر اي الجسد . ولما كاد الفلك ان يحط أرسل نوح غرابا ولكنه لم يعد . ويعتبر الرمز الروحي لهذه الحادثة كما يلي : يشير ارسال الغراب من الفلك الى ارسال اخر اثر للخطيئة في الانسان .

ولما كان الفلك يعني الجسد والغراب يعني الشر ، فقد تم ارسال آخر خطيئة في الجسد . وهذا يعني ان الجسد اصبح نقيا طاهراً . ولكن الغراب لم يعد لأنه مضى الى الجيف او الى الارض حيث طعامه ومعيشته ومملكته . اما الحمامة فانها ترمز الى ارسال الفضيلة والخير . وبالفعل فقد انطلقت الحمامة فعادت وبفمها غصن زيتون[٤] . وهنا نقف امام حقيقتين تغلفهما الرمزية .

ان عودة الحمامة تعني عودة السلام والروح . فقد انطلقت الفضيلة وعادت . ولكن عودتها تشير الى أمر له دلالته في علم الروح . لقد أعادت الحمامة السلام الى الجسد وحملت غصن الزيتون ، عربون الصداقة والوئام . وللزيتون رمز هام في الحياة الفكرية والروحية . كان الزيتون اشارة روحية خاصة بالعالمين القديم ، واليهودي والمسيحي المتوسطي . فهو رمز القديم والجديد معا . وكذلك الزيت الذي هو نتاج الزيتون يمثل رمزا سريا وروحيا . فالزيتون يشير الى عهد جديد حاسم في تاريخ الجسد والروح . اذاً ، فقد عادت الحمامة ، رمز الفضيلة ورمز الروح ، وحملت معها غصن زيتون ، رمز الوئام والسلام والعهد .

وعلى هذا الاساس تكون قصة نوح رمزا او اشارة الى مغزى روحي عميق لايفهم منه المسيحيون الا الحرف . فالفلك ، رمز الجسد ، ينقذ من الطوفان ، رمز إزالة الخطيئة وغسلها والقضاء عليها . والفلك لايحط على الارض مالم يعلم انه قد حان الاوان . فتمثل الموضوع بالحمامة والغراب ، رمزي الخير والشر . وكان لابد للخير ان ينتصر . وهكذا فقد بدأ عهد جديد .

أما العلاقة التي تقوم بين نوح والمسيح فهي علاقة التشبيه فقط . فكما ان الناس أيام نوح كانوا خطاة ، فإن الناس ايام المسيح كانوا خطاة ايضا . وكما ان الناس ايام نوح كانوا بحاجة الى طوفان يزيلهم مع آثامهم ، فان الناس(٥) أيام المسيح كانوا خطاة وبحاجة الى خلاص وتطهير كامل . وكما ان زمان نوح كان بحاجة الى تبديل من أجل تبديل القيم والمفاهيم ، فان زمان المسيح كان بحاجة الى تبديل القيم والمفاهيم . وكما ان الطوفان يشير الى نهاية القديم الذي زال وطمست آثاره ، فإن المسيح يشير الى انقضاء عهد ومجيء آخر . وكما ان الفلك يشير الى تبدل في الجسد ، من الحيواني الى الروحاني ، فان جسد المسيح يشير الى الجسد الروحاني وفناء الحيوان ، ويشير الى نهاية القديم وبداية الجديد .

٢

هكذا نرى بأننا نسير دائما على طريق « الخليقة الجديدة » فقد تمت هذه الخليقة الجديدة بالمسيح . أما الخليقة الجديدة على أيام نوح فإنها لم تكتمل ، لأن نوح عاد الى الخطيئة . وهكذا فقد ظل الفلك رمزا ، والطوفان رمزاً ، والخليقة الجديدة رمزاً ، ولم يتحقق الخلاص في الزمان القديم . واننا نستمر في لمس الخليقة الجديدة لدى دراستنا لبكر كل خليقة . ويشير بكر كل خليقة الى الخليقة الجديدة التي تحقق الروح والرب في الانسان ، هذا التحقيق الذي عجزت عنه الخليقة القديمة . ولكن الخليقة الجديدة عود على البدء ، الى حالة النعمة ، الى آدم القديم لتجديده اي لتحويله الى خليقة جديدة .

إننا نقرأ في أماكن عديدة من الانجيل والرسائل أقوالا تشير إلى العتيق والجديد وتتمثل في عبارات او كلمات يشير مضمونها الى رمز روحي . إننا نجد تعابير كالخميرة العتيقة ، والعجين الجديد ، والفصح الذي ذبح لأجلنا ، والنفس الحية والروح المحيية ، وصورة الترابي وصورة السماوي ، والخليقة الجديدة والأشياء العتيقة والانسان العتيق ، والتجدد بروح الذهن ولبس الجديد ونزع الاول وتثبيت الثاني ، والعهد الذي يشير الى كتابة النواميس في الأذهان ، وأخيرا نجد الولادة من فوق والولادة من الروح .

هذه عبارات وأقوال تحتاج الى دراسة وافية وصريحة وسرية . ولا يمكن تفهمها على ضوء الحرف بل على ضوء الروح . ولهذا فإن فهمها يمتنع على كل إنسان لا يتمرس بالتجربة الروحية . ومن جانبي فقد وجدت صعوبة كبرى للوصول بالأمور الى هذا الحد من التأويل .

ما الخميرة العتيقة ؟ إننا نسمع المسيح يحذر التلاميذ من خميرة الفريسيين ، ولكن التلاميذ ماكانوا يفهمون . وانا نرى لزاما علينا قبل البدء بدراسة الخميرة العتيقة ان نورد مثلاً من أمثلة الأناجيل ، او حادثة وقعت في بداية عهد المسيح بالتبشير والكرازة ، هي حادثة عرس قانا الجليل .

كان هناك عرس حضره المسيح حول فيه الماء الى خمرة . هذه هي الحادثة وهذا هو الحرف . فما هو مغزاه الروحي ؟

هناك حدان لا ثالث لهما : إما ان تكون الحادثة قد وقعت فعلا ، وإما ان تكون قد وقعت ورويت على سبيل المثال فقط لتبسيط الفهم .

ومن جانبنا نعتبر مسألة وقوعها أو عدم وقوعها سيان ، لأنهما يحملان تأويلا واحداً روحيا .

نجد في الرواية ان الشاربين دهشوا للخمرة المتأخرة (الجديدة) ، التي كان واجبا على صاحب الدعوة ان يقدمها منذ البدء . وتساءلوا عن مغزى هذا الأمر . أما الشرح الرمزي لهذه القصة فهو كما يلي :

كانت الخمرة تشير الى النشوة الروحية والغيبوبة ، وهذا مانجده قائما في كثير من الاساطير القديمة الحية ، وفي المسيحية ذاتها في رمز استعمال الخمر . ولما كانت هذه الخمرة تشير الى الغبطة والنشوة الروحية ، فإن المسيح قصد بتقديم الخمرة ان يعطي خمرة جديدة أفخم بكثير وأعظم من التي شربها اليهود . فكأن المسيح يقول لهم : إن خمرتي اعظم بكثير من الخمرة التي شربتموها ، الخمرة التي سقاكم إياها الآباء ، تلك الخمرة القديمة الرديئة . ولهذا فإني أعطيكم خمرة جديدة اي حياة جديدة ، أي نشوة جديدة ، أي روحا جديدا .

ونحن نرى من خلال الأمثلة الرمزية المعطاة مفهوم الانتقال من العتيق الى الجديد . فالطوفان انتقال من القديم الى الجديد ، والخمر انتقال من القديم الى الجديد . ولهذا يتوجب علينا ان ننتقل الى بحث الجديد ذاته .

٣

هناك في الرسائل تشديد على التنقية من الخميرة العتيقة ، ليكون

اتباع المسيح عجينا جديدا وذلك لانهم فطير . فهناك إذاً خميرة عتيقة وخميرة جديدة . الخميرة العتيقة فاسدة ولا تصلح : هي الناموس والانبياء . الناموس غير كامل ومبطن بالخطيئة والموت ، والانبياء لم يكتملوا وظلوا يتحدثون بالرمز والتأويل ، وقد اتهمهم المسيح بالسرقة واللصوصية وكانت تلك الخميرة تتمثل بالفريسيين ، أتباع الحرف . ولهذا فقد حذر المسيح من خميرتهم ، خميرة الحرف . وقد سادت تلك الخميرة فترة زمنية طويلة تمتد من آدم الى يوحنا ، مرورا بموسى زعيم الناموس . فالمسيح ينادي ، بلسان بولس ، بالتخلص من الخميرة العتيقة ليكون المسيحيون عجينا جديدا ، يختمرون بخميرة جديدة هي المسيح[٦] .

وهناك ايضا تشديد على التخلص من الختان الذي كان وسيلة الطهر في القديم . لقد كان الختان وسيلة مادية بحتة أكثر ماتتصورها بصورة منحطة حيوانية تعبر عن العناية بالجسد ، وتطهره اعتقادا بأن تطهير الجسد يؤدي الى طهر الروح ونقائها . وهذا أحط مايمكن ان نجده في التقليد اليهودي . فقد كان اليهود يعتنون بالختان ويعتبرونه دليل طهر . فهو إذاً يرتبط ارتباطا مباشرا بالجسد . وقد جاء المسيح ليخلصهم من هذا الزعم الجسدي الحيواني ، المنحط ، منادياً ، بلسان بولس ، بأن الختان لاينفع في يسوع المسيح بل الخليقة الجديدة . وهذا يعني ان المسيح لا ينادي بطهر الجسد بل بطهر الروح ، ولا يؤمن بشريعة الجسد التي هي الناموس بل بشريعة الروح التي هي ناموس الله ، ولا يؤمن بالجسم الحيواني بل بالجسم الروحاني ، ولا يؤمن بأن الخلاص يأتي من جراء تطبيق هذه التقاليد العمياء بل إنه يكون نتيجة خليقة جديدة .

وهناك نجد ايضا تشديداً قوياً على خلع الانسان العتيق الفاسد من جهة التصرف السابق . فما هو الانسان العتيق من جهة التصرف السابق ؟ وماهو التصرف السابق ! يشير التصرف السابق الى القديم والعتيق ، الى الناموس ، الى الخطيئة ، الى آدم الاول الساقط . ويؤكد المسيح على التخلص من العتيق فلا يتصرف الانسان كما كان يتصرف سابقا بحسب شهوات الغرور ، أي الجسد ، بل عليه ان يلبس إنسانا جديدا هو المسيح ، المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق . ومتى لبس هذا الانسان الجديد فإن الناس يتجددون بروح ذهنهم . وهكذا نجد نهاية العتيق الذي يبلى فيه الانسان العتيق ويفنى ، وبداية الجديد الذي يحيا فيه الانسان الجديد بذهنه وروحه وقدسيته .

وعندما نستمر في دراسة الرسائل يستمر التشديد على الجديد والعتيق ، ونجد التشديد على خلع الانسان العتيق ، العتيق حسب آدم والجديد حسب المسيح . وأما هذا الجديد فإنه يتجدد للمعرفة حسب صورة الله خالقه . وبالاضافة الى هذا ، فإن التشديد على العتيق والجديد يستمر . فالاول ، ا ي العتيق ، ينزع والثاني ، اي الجديد ، يثبت .

وبهذه المشيئة التي أرادها الله للجديد فان الناس يتقدمون بتقديم جسد يسوع مرة واحدة ، اي بتقديم جسدهم ايضا . وهكذا يكون الجديد عهداً جديدا . ومتى كان هذا العهد الجديد فإن الانسان يولد من فوق ، من الروح .

٤

الخليقة الجديدة ؟ ماهي هذه الخليقة الجديدة التي لا تتم الا بالمسيح ؟

في الفصل السابق رأينا ان مقارنة فعالة قامت بين آدم والمسيح ، آدم أول والمسيح ثان . لكن آدم هو اول من حيث الوجود الزمني والمسيح ثان من الزاوية ذاتها . أما الأول حتى امتداد زمني معين ، فإنه يمثل العتيق لأنه لم يمثل حقيقته ولم يحققها . كانت حقيقته من الله ، انبثق من روحه ، وكان نتيجة وجود الروح في المادة ، ولم يأت الى الوجود عن طريق رجل وامرأة . لقد أعطيت كل هذه المواهب لآدم الذي كان على صورة الله ومثاله . آدم هذا الذي عاش في الفردوس ، أي النعمة ، وخضعت له الحيوانات والطيور والزحافات والارض بكاملها ، ومجدته الملائكة وسر به الله ، آدم هذا عصى الارادة الالهية وسقط صريعاً مريعاً . وبسقوطه سقطت النعمة واستبدلت بالناموس ، وسقط الخير واستبدل بالشر ، وسقطت مملكة الله واستبدلت بمملكة الشيطان . فعاش الناموس وعاشت الخطيئة والشر والشيطان بسقوط آدم . وأصبح آدم مثالا لسيطرة الجسد ونوازعه وغرائزه وماديته .

وقد حاول الانسان بعد سقوطه ان يكفر عن خطيئته . فلم يقدم نفسه لله بل قدم الذبيحة . ولكن الله لم يرض لأن الامور كانت بحسب

ناموس الخطيئة لاناموس الله . ولذلك فقد احتاجت البشرية الى فداء ، لكي يعود الانسان الى مستواه الذي سقط منه ، الى حالة البر والنعمة .

وكان المسيح هو الفداء أو الذبيحة ، وقدم جسده الذي دخل بدمه الى قدس الأقداس مرة واحدة دون وساطة الذبيحة المادية الحيوانية . ولما تم تقديم الجسد فانه نزع الاول اي الجسد الحيواني ، وثبت الثاني اى الجسد الروحاني . وهكذا فقد أصبح خليقة جديدة كل من يتبع المسيح . وهذا مايمكن ان نقوله بهذا الصدد :

آ ــ سقوط من النعمة ، وحاجة للعودة الى النعمة والبر .
ب ــ سقوط الى الجسدية ، وحاجة للعودة الى الروحانية .
ج ــ فداء الجسدية ، للحصول على الروحانية .

فلولا السقوط الى الجسدية لما ملكت الخطيئة والموت والشر . والتعلق بالجسدية استمرار في حالة الخطيئة بواسطة الناموس الذي أبقى على الخطيئة . ولذلك يعتبر العهد القديم حتى المسيح ، عهد الخطيئة والموت والشر ، عهد العصيان والمعصية ، عهد الذبيحة المادية . ولقد أنقذنا المسيح من العهد العتيق كما يلي :

اولا : بعودته الى حالة النعمة والبر ، اي بعودته الى حالة آدم الاول ، الى المخلوق الاول الذي نزل من الله مباشرة . ولما كان ادم قد سقط فانه خليقة عتيقة ، ولما كان المسيح قد ارتفع فانه خليقة جديدة .

ثانياً : بانتصاره على قوى الشر والخطيئة والموت . فقد ملكت هذه القوى على الانسان وسيطرت عليه فأصبح الانسان الخاطىء انسانا

عتيقا ، وأصبح الانسان الذي يتبرر بالمسيح وانتصر معه على الخطيئة والموت انسانا جديدا .

ثالثاً : بانعتاقه من الناموس . الناموس يمت بصلة وثيقة الى الحرف . والحرف يشد الى الأسفل ويقيد الانسان . ولما كان الناموس قد وضع للخاطىء ، فا نه يتوجب على الانسان ان يتحرر منه . ويعتبر التحرر من الناموس عودة الى الروحانية . فانسان الناموس إنسان عتيق ، وانسان النعمة والايمان انسان جديد .

رابعاً : بتقديم جسده فداء . كما نعلم ان الجسد بعد السقوط أصبح جسما حيوانيا . ولما كان قد أصبح جسماً حيوانياً فإنه يعمل بهذه الحيوانية . لذلك اعتمد العهد القديم على الذبيحة الحيوانية ، وذلك لأن الانسان لم يعد بامكانه أن يقدم جسده ليكون هيكلاً لله بسبب سقوطه الى الحيوانية . أما المسيح فإنه جعل جسده هيكلاً لله ، ولذلك فإنه حقق الله بكماله . وكيف جعل المسيح جسده هيكلاً لله ؟

ا ــ زرع جسد المسيح روحانياً .
ب ــ تحقق ملء اللاهوت فيه جسدياً .
جـ ــ تقديم هذا الجسد ذبيحة حية .

إن بكر كل خليقة يستوجب امتلاك جسد روحاني . ففي آدم زرع جسد حيواني أدى الى سقوطه . وفي المسيح ، آدم الثاني ، زرع جسد روحاني أدى الى ارتفاعه . ولكي يفتدي الانسان فقد قدم جسده

ذبيحة حية . وبالتالي فقد تحققت في المسيح ، الخليقة الجديدة التي قضت على الخليقة القديمة . ولكن هذه الخليقة فأنها لا تتحقق الا بلبس المسيح ، أي بخلع العتيق . ولهذا يصرح بولس الرسول بأن الكل قد صار جديدا : العودة الى الفردوس ، الى النعمة ، الى البر ، الى الله ،والقضاء على العتيق ، على الجسد الحيواني ، على الخطيئة والموت والشر . ففي المسيح لا يوجد موت بل حياة وقيامة ، وفيه لاتوجد خطيئة بل صلاح ، وفيه لايوجد شر بل خير ، وفيه لايوجد ظلام بل نور ، وفيه لايوجد أي أثر للشيطان ، اي للمقاومة السالبة ، بل كل الروح والله ، وفيه لايوجد جسم حيواني بل جسم روحاني .. وفي المسيح يوجد كل ماهو جديد . ومن يتبع المسيح فانه يكون خليقة جديدة .

وبهذا نستطيع ان نستغني ، كمسيحيين ، عن القديم المتمثل بالناموس . فليس للناموس وجود في المسيحية ، وليس للعهد القديم وجود فيهما لأنهما رمز للخطيئة والموت بل طريق لهما . أما في المسيح فلا يحيا إلا الجديد . فهو قد قدم جسده فمتنا معه لكي نحيا حياة جديدة . ولما كان الجسد مثالا للموت والخطيئة ، فإن تقديمه يعني القضاء على الموت والحيوانية والجسدية ويعني الحياة . ولا تكون الحياة بدون موت . موت ماذا ؟ موت الجسد ، أي تقدمة الجسد للحياة . وقد قدم المسيح جسده فكان حياة ، بينما خضع آدم لجسده فكان موتا . ففي آدم الموت وفي المسيح الحياة . ولما كانت الحياة تتمثل في المسيح ، بكر الخليقة غير المدنس بخطيئة ، فان من يتبعه ويعمل بتعاليمه يكون خليقة جديدة حسب صورة خالقه ، ويكون حياة .

٥

تعني الخليقة الجديدة ان الانسان قد تجدد . فما هو هذا التجدد ؟

تشير الخليقة الجديدة الى مفهوم التجدد . ومع ذلك ، يتحتم علينا العودة الى مفهوم الناموس ومعناه . فقد وجدنا في الفصل الأول من الكتاب الاول أن هناك ناموسين : ١ ــ ناموس الموت وناموس الجسد ــ ناموس الحرف ، ٢ ــ ناموس الروح اي ناموس الله وهو ناموس الحياة . فهناك اذا ناموسان : ناموس الموت والخطيئة . وناموس الحياة والبر . ويشير ناموس الحياة الى ان ناموس الله مكتوب في ذهن الانسان وقلبه . كما يشير ناموس الحرف والموت الى ان الخطيئة مكتوبة في الجسد . فالناموس الحرفي المكتوب ، مكتوب في الجسد لانه ناموس الجسد ، والناموس الالهي هو الناموس المكتوب في الذهن والقلب . لذلك نرى ان المسيح هاجم ناموس الحرف ، ونادى بتحقيق ناموس الله ، أي الروح ، اي ناموس الحياة ، فأعطى لمن يتبعه حياة .

ونستطيع الآن ان نعرف كيف يتم التجديد :

ا ــ يتم التجدد بتجديد روح الذهن .

ب ــ يتم التجدد بلبس المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق .

ج ــ يتم التجدد للمعرفة حسب صورة الخالق .

هـ ـــ يتم التجدد بتقديم الجسد ذبيحة .

و ـــ يتم التجدد بالولادة من فوق ، من الروح .

ان تجديد روح الذهن يعني العودة الى ناموس الله المنحوت في قلب الانسان وعقله ، الى الضمير . وهذا ماشدد عليه بولس بان الناس قد حصلوا على الايمان وعلى الضمير منذ البدء . فتجديد الذهن يعني تحقيق ناموس الله وتجديد روح الذهن حسب طريقة المسيح .

وان لبس المخلوق بحسب الله في البر والقداسة والحق يعني العودة الى الله ، عودة الى الانسان كما اراده الله . فالانسان حسب ارادة الله مخلوق بالبر والقداسة . وفي العودة الى هذا البر والقداسة يتجدد الانسان .

وإن التجدد للمعرفة حسب صورة الخالق هو على درجة كبرى من الاهمية . هنا تدخل الغنوصية لتلعب دورا هاما في الموضوع . فالتجدد للمعرفة يعني أن نعرف الله في داخلنا . وفي هذا الصدد يقول المسيح « اعرفوا الحق والحق يحرركم » . ان معرفة الحق ، والحق هو الله ، تحررنا من كل جهل وشر . فالمسيح قد اتهم اليهود بأنهم قتلوه لانهم لم يعرفوا . فالمعرفة ضرورية من أجل التجديد . فما التجديد للمعرفة ؟ متى عرف الانسان الله في داخله فإنه يحققه ، ويحقق صورة الخالق . لذلك تقول الآية بالتجدد للمعرفة حسب صورة الخالق . ولا يتم هذا التحقيق بدون تجربة روحية كبرى ورؤيا يشاهد فيها الانسان ويعرف أسرار الوجود .

وإن التجدد بلبس الجديد يعني لبس المسيح بكماله . وعندما يلبس الانسان المسيح فانه يصبح جديدا ، بمعنى انه يحقق اللاهوت في الجسد . ولايتم هذا الا بالتخلص من سيطرة الجسد الحيواني نهائيا .

وأما التجدد بتقديم الجسد ذبيحة فهو نتاج لبس الجديد ، أي المسيح ــ الروح . فالجسد الذي يتركز فيه الناموس يجب ان يضحى به لأنه ملجأ للخطيئة والموت . ولا يمكن التضحية بالحيوان عوضاً عن الجسد طالما اننا نلبس الجسم الحيواني ، بل يجب ان نلبس الروحاني لكي نضحي بالحيواني ، فلا نضحي إلا بجسدنا نحن ، وهل تعني التضحية الجسدية كذبيحة ان نقتل الجسد ؟ كلا ، هي تعني أن نجعل من أجسادنا هيكلاً للرب ،حيث يضحى ويذبح الحيواني من اجل الروحاني . وهذا يعني الانتقال من الحيواني الى الروحاني في الانسان ذاته .

وأخيرا ، فإن التجدد الحقيقي يعني الولادة من فوق ، من الروح . وفي هذا الكلام قمة الروحانية . فكيف تتم الولادة من فوق ؟

أ ــ المسيح ولد من فوق بالحبل بلا دنس ، اي بولادة من الروح .

ب ــ الولادة من فوق تعني الحصول على الروح القدس ، أي الاعتماد به .

ج ــ الولادة من فوق تعني لبس المسيح .

د ــ الولادة من فوق تعني البراءة والنقاء والطهر .

اننا لانولد من فوق مالم يحل الروح القدس علينا . وكيف يحل الروح القدس ؟

ان حلول الروح القدس يعني تحقيق الله في الانسان . ومتى تحقق الله يأتي الله اليه ، وهذا هو المجيء . ومتى أتى الله الى الانسان فانه يصبح ابنا لله . فالولادة من فوق هي تحقيق الصورة التي هي في داخلنا لله . وان تحقيق الصورة يؤدي الى تحقيق الله ذاته . فيعطينا الله من قوته وتنبثق هذه

القوة والطاقة ، التي هي الروح القدس ، منا وتحل فينا . وهكذا تكون الولادة من فوق ولادة في الروح . وهذا هو التجديد .

تعتبر الولادة الجديدة ، اي الخليقة الجديدة ، اكثر المفاهيم سرية في الفكر المسيح . فهي تعني لبس المسيح ، لبس الله ، حلول الله ، تحقيق الله . ولا يتم هذا اللبس او التحقيق حسب العتيق بل حسب الجديد . ولما كان الجديد اي الحصول على الروح القدس هو الاعتماد ، فاننا نعتمد لله ونختن ارواحنا واجسادنا له . فالاعتماد لله لايكون بالماء بل بالروح القدس . فهو اذا حلول الروح القدس .

ولا تتم الولادة الجديدة او الخليقة الجديدة ، بالمظاهر والتقاليد المسيحية الموروثة بل بالمعرفة والايمان والسرية . وما لم يكن الانسان صاحب تجربة روحية فانه لايحقق شيئا . لذلك أجد ان المسيحيين لايحققون الروحانية القائمة في المسيحية .

اما ان هناك فئة ممن يسمون أنفسهم مسيحيين ينادون بالتجدد بطرق مادية بحتة ، هي الحرف ، فان الواجب يدفعني للشفقة عليهم . انهم لايفهمون .. واني أغفر لهم لأنهم لايعرفون . انهم يمثلون حركات يهودية تحاول ان تضرب المسيحية ... من حيث انهم يدرون او لايدرون .

حواشي الفصل الثاني

١ ــ الله لايندم لأنه لاينقسم على ذاته ولأنه كلي المعرفة وكلي الخير .

٢ ــ في الدراسات الايزوتيرية ، الروحية والسرية ، اشارة الى مراحل وأدوار في الطبيعة قبل وجود الانسان وبعده ، فالأيام السبعة ادوار وليست أياما . وفي كل دور تحققت مرحلة من مراحل الخطة الالهية . ففي الطوفان رمز الى نهاية دور ، وبدء دور جديد .

٣ ــ في الدراسات الروحية السرية الرمزية يتماثل الفلك والهرم وتابوت العهد والهيكل ، والمدينة لدرجة أنها تعبر عن رمز واحد هو الجسد .

٤ ــ رمز الى تجديد العلاقة مع الله . يجب ان نذكر أن هذه الروايات أممية الأصل .

٥ ــ ليس المقصود جميع الناس . انما نقصد اليهود وحدهم .

٦ ــ لهذا كان المسيح نقطة تحول في التاريخ من عنصرية شديدة الى محبة شاملة واخوة انسانية ، من حصر التاريخ بشعب الى علانيته وشموله وعالميته ، من التعلق باله قومي الى عالمية الله .

الفصل الثالث

العهد القديم والعهد الجديد

اننا لانجد فرقا بين العهد الجديد والانسان الجديد ، وبين العهد القديم والانسان العتيق وذلك لان العهد الجديد والانسان الجديد يعبران عن دخول جديد لقدس الأقداس ، ليس بدم عجول وتيوس ، بل بدم سفك من أجل مغفرة الخطايا ، وكذلك يعبر عن دخول الى قدس الأقداس ليس عن طريق البرقع أو الحجاب بل عن طريق المكاشفة والرؤيا والعيان . ولهذا السبب ما عدنا نرى وجوبا لبقاء العهد القديم والانسان العتيق . فقد ولى العهد القديم بمجيء العهد الجديد وولى الانسان العتيق بتحقيق الانسان الجديد . لقد ولت الولادة من الجسد التي تحمل الخطيئة والموت وحلت محلها الولادة من فوق ، أي الولادة من الروح . واختلفت الامور . الحرف قد ولى وانقضى والروح قد جاء وأحيا . العهد القديم حرف يقتل ، والعهد الجديد روح يحيي .

ان الفرق بين العهدين يظهر كما يلي :

١ ــ العهد العتيق حرف والعهد الجديد روح .

٢ ــ العهد العتيق موت والعهد الجديد حياة وقيامة .

٣ ــ العهد العتيق جسم حيواني والعهد الجديد جسم روحاني من السماء .

٤ ــ العهد العتيق ذبيحة دم الحيوان والعهد الجديد ذبيحة دم الانسان .

٥ ــ العهد العتيق ناموس حرف والعهد الجديد ناموس الله .

٦ ــ العهد العتيق دخول الى قدس الأقداس عن طريق الحجاب والبرقع ، والعهد الجديد دخول الى قدس الأقداس بالمكاشفة والبنوة والرؤيا الروحانية .

٧ ــ العهد العتيق دخول الى الهيكل المادي ، والعهد الجديد دخول الى الهيكل الروحي .

٨ ــ العهد العتيق عبودية والعهد الجديد بنوة .

٩ ــ العهد العتيق لا مشاركة فيه مع الله والعهد الجديد شراكة الانسان مع الله .

١٠ ــ العهد العتيق آدم الأول الترابي والعهد الجديد آدم الثاني الروحي .

١١ ــ العهد العتيق موت الجسد والعهد الجديد قيامة الجسد .

١٢ ــ العهد العتيق خليقة عتيقة والعهد الجديد خليقة جديدة .

١٣ ــ العهد العتيق عهد تجلى فيه الناموس والعهد الجديد عهد تجلت فيه كلمة الله .

١٤ ــ العهد العتيق حقل السقوط والعهد الجديد حقل النعمة .

١٥ ــ العهد العتيق ايمان بموعد يتم والعهد الجديد تمام الموعد وتحقيقه .

١٦ ــ العهد العتيق كهنوت على درجة هرون ، كهنوت مادي ، والعهد الجديد كهنوت على درجة ملكي صادق . كهنوت يدوم الى الابد ، كهنوت الله ، كهنوت روحي .

١٧ ــ العهد العتيق عناية الملائكة[1] والعهد الجديد عناية الله ذاته .

١٨ ــ العهد العتيق منّ في البرية والعهد الجديد خبز نازل من السماء .

١٩ ــ العهد العتيق شريعة وناموس والعهد الجديد دين .

٢٠ ــ العهد العتيق عبودية وخوف والعهد الجديد حرية وبنوة .

٢١ ــ العهد العتيق إله قومي وطني والعهد الجديد إله كلي ، كامل .

٢٢ ــ العهد العتيق انحطاط الناسوت ، والعهد الجديد كمال الناسوت .

٢٣ ــ العهد العتيق عدم لاهوت والعهد الجديد لاهوت .

٢٤ ــ العهد العتيق ختان للجسد ، والعهد الجديد ختان للروح والقلب والذهن .

٢

نلاحظ ان مقومات العهد الجديد روحية في أساسها وأن مقومات العهد العتيق مادية تامة . فمن حيث المعمودية فقد وجد الختان في العهد العتيق ، وليس الختان معمودية او طهرا . وأما المعمودية بالماء فقد كانت حلا وسطا بين الختان والمعمودية بالروح القدس . ويمتاز العهد الجديد بمعمودية الروح التي يتم فيها اعتماد الانسان بروح الله ، فتحل روح الله فيه .

ومن جهة ثانية نرى في العهد الجديد طريقا مفتوحا الى الله فتحه المسيح لكي ندخل الى قدس الأقداس ، طريقا كرسه المسيح بالجسد . فلم يعد الدخول الى قدس الاقداس ، بواسطة الهيكل (تابوت العهد) المصنوع بالحجارة بل بواسطة الجسد الذي هو هيكل الله . فالعهد الجديد يمتاز بتقديم هذا الهيكل ـ الجسد لله واراقة دمه من أجله .

وقد اختلف اللاهوت بكامله بين العتيق والجديد . ففي العتيق لم يوجد لاهوت وذلك لأن ملء اللاهوت لم يحل جسديا (والدين هو الدخول الى اللاهوت) . فالناموس لم يعط بحلول لاهوت بل برتبة ملائكة ، وأما اللاهوت فقد حل في المسيح ، في ولادته بالروح ، في بكوريته ، في معموديته وفي قيامته . ونرى اللاهوت الذي حل بجسد المسيح ظاهرا في هذه المراتب الاربع . فلدى الولادة حل الروح القدس في بطن مريم ، وفي البكورية نجد روح الرب في جسد روحاني ، وفي المعمودية

نجد تكريسا للروح القدس وتحقيقا له قاصدا انه قد تم وكمل ، وفي القيامة برهان قائم على أن المسيح كان لاهوتا كاملا ، وناسوتا كاملا .

الفرق كبير بين العهدين .

في العهد الجديد تقدمة للجسد ــ الهيكل لكي يكون مقرا حيا لله واهراق دمه من أجل الخلاص ، وفي العهد العتيق لانجد الحديث الا عن ذبائح حيوانية . وفي العهد الجديد يقدم الجسد قربانا ويكون فصحا بسبب موت المسيح . وأما فصح العتيق فهو تقدمات ذبائح حيوانية ، لاعلاقة لها بالانسان .

وان مايهمنا هو الناحية الروحية البحتة في الموضوع . فقد كان المسيح ملء لاهوت وملء ناسوت . وأما ملء اللاهوت فهو الرب وأما ملء الناموس فهو الجسم الروحاني . وعندما يتحقق العهد الجديد فإنما يعني ان تحقيق حضور الله قد تم في الانسان ، فلا ندخل الى الله ، إلى قدس الاقداس في تابوت عهد وهيكل حجري بل ندخل اليه ، الى قدسيته فينا نحن . والعهد العتيق فصل بين الانسان وبين الله . ويختصر لاهوت العهد الجديد كما يلي : الانسان ابن الله ، هو روح منه . ويستطيع أن يدخل الى أقداسه من خلال ذاته هو . فليس هناك انقطاع بين الله والانسان . ولكن هذه الصلة التي قطعها العتيق لم تحقق إلا بالعهد الجديد ورئيسه المسيح . فلولا المسيح لظل الانسان قابعا في ظلام العتيق ولظل عبدا لا إبنا ، مقيدا لا حرا .

في العهد الجديد نجد الرب ونعلم ان الرب هو الروح وحيث تكون روح الرب فهناك حرية . ولا تتحقق هذه الحرية في العهد العتيق لانه لا

رب هناك بل ناموس أعطي بتسلسل الملائكة . وحيث لاتوجد حرية لايوجد روح . ماذا نقصد بالحرية ! الحرية انعتاق من الجهل ودخول الى عالم المعرفة والروح . وكل عملية تحرر هي عملية صعود في سلم الحرية ، في عالم الروح . ولهذا فإننا نستطيع ان نصعد في عالم الروح في العهد الجديد فقط .

لقد فتح لنا ملكوت الله في العهد الجديد . فقد أصبح يتحقق فينا الى مالا نهاية . ملكوت الله داخلنا ، الله داخلنا ، ونحن هيكله. وأما في العهد العتيق فقد كان الله قابعا ومقيدا في الهيكل او في تابوت العهد ، وكان الله خارجنا ولم يكن داخلنا ، وكان ملكوت الله ينتظر بمراقبة . وفي العهد الجديد تبدلت الامور بكاملها : فليس الانسان ، بواسطة المسيح ، آدم الاول ، وليس هو عبدا او مقيداً بقيود الخطيئة والناموس والحرف ، بل هو آدم ثان ، وهو حر ومتحرر من الناموس والحرف ، وهو ابن الله وهيكل له ، وجسم روحاني بالمسيح . لقد تبدلت فلسفة العهد الجديد : خليقة جديدة تنطلق في رحاب الروح وفي ملكوت الله تحقق الله وتمثله على هذه الارض . وبكلمة ، فقد أصبح العهد الجديد منطلقا للانسان ليكون ابنا لله وبالتالي إلهاً مقدساً .

٣

إلام يرمز الدم ؟ ولم كان رمزا لعهد جديد ؟ وإلام يرمز الخبز ! ولم يرمز الى الجسد .

لا اتردد أبدا عن القول باستحالة فهم الذين الا عن طريق الروح والمثال والرمز . ولهذا كان علينا ان ندرك عمق الحقيقة الانسانية وعظمتها من خلال المسيح .

عندما يتحدث المسيح عن الخبز فانه يشير الى جسده . ويقول بأن الخبز قد نزل من السماء ، وهو خبز الحياة . ولما كان الخبز هو الجسد فإنما يعني ان الجسد قد نزل من السماء . وعندما نتحدث عن الجسد فإنما نقصد المادة الاولى التي أوجدها الله وحل فيها . فهذه المادةالأولى قد نزلت فعلا من السماء لأن الله اوجدها . وهي أصبحت جسدا ورُمز الى الجسد بالخبز .

المسيح يقدم هذا الخبز ــ الجسد ، الذي يعطيه الى التلاميذ ليأكلوه . وهكذا يتوجب على التلاميذ ان يأكلوا الخبز ــ الجسد ، وأعني أنه عليهم ان يكون جسدهم مادة أولى تكسر من أجل الروح ، وتخضع لها ، ولايكون الانصياع لها ، بعد وجودها على الارض ، بل الى الروح التي في السماء كما هي في الجسد ايضا ، في الخبز . ولابد من العودة بهذا الخبز ــ الجسد ، المادة الاولى ، الى روحانياتها الاولى حيث كانت مكانا نفخ الله فيها . وبالتالي لابد لهذا الجسد ــ الخبز ان يقدم ذبيحة . وهذا مافعله المسيح . لقد قدم جسده ــ خبزه ذبيحة ولم يقدم حيوانا وذلك لان الله لم يحل ولم ينبث كليا في جسم الحيوان بل في جسم الانسان . فمن المؤكد إذن ان يضحى بهذا الجسد من أجل تحقيق الروح .

ومما لاشك فيه ان العناية الالهية قد وضعت خطة الانسان . فهي قد زرعته جسما حيوانيا وذلك لكي يصير جسما روحانيا . فهناك إذاً

دورة حياة على الانسان ان يسير خلالها ليكملها ، اذ عليه ان ينطلق من نقطة بداية الى نقطة نهاية . ونقطة البداية هي معرفة الحق وجعل الجسد مركزا له وهيكلا . وعلى هذا الصعيد فإن الانسان يسمو في سلم الروح ويعلو في درجاته . وعندئذ يتحول الجسم الحيواني الى جسم روحاني ولكن كل انسان حسب رتبته ، وأعني أنه لايمكن للجميع ان يصبحوا في درجة المسيح . وفي هذا الجسد ، الذي هو هيكل الله ، يجب ان تتم الذبيحة. وهكذا لن تكون الذبيحة بعد الان في الهيكل المصنوع بالحجارة بل في الجسد ذاته الذي هو هيكل الروح ومكان اقامتها . وعندئذ يصعد الانسان في سلم الروحانية إن كان لايخضع لجسده .

ولهذا فانه يستحيل تقديم الجسد كذبيحة وكفصح إن كان الانسان يخضع له . لقد خضع ادم لجسديته فسقط . وأصبح ادم عبدا للمادة وطرد عنصر الروح منه . لذلك لم يقدم ادم جسده ذبيحة لله . ولم يجعله هيكلا لله ، بل قدمه ذبيحة للشيطان وأسكنه فيه ، فظل عبدا للمادة . فمن الضروري إذا ان يقدم الجسد للروح ، لله ، لكي تتم الحرية منه والانطلاق في عالم الله . ولهذا فقد قدم المسيح جسده بعد ان جعله هيكلا لله ، فحقق الله فيه . فكانت تقدمة جسده أفضل ذبيحة وأفضل فصح .

وأما الدم فإنه رمز للحياة . وهذه فلسفة حياة للمسيح . فقد كان المسيح وراء الحياة ، وراء تحقيقها وتبريرها . اذ لامعنى للحياة مالم تبرر . وبم يرمز الى هذه الحياة بأفضل صورة ؟ إنما يرمز اليها بالدم[٢] . ولهذا فقد أعطى المسيح حياته ، ورمز اليها بالدم ، الى الجميع . وقد مثلها بالخمر

الذي هو تعبير روحي للنشوة والغبطة الروحية والروحانية ايضا . ولما أعطى المسيح دمه فكأنه أعطى الحياة مقابل الجسد . إذاً ، أعطى الجسد والروح .

ولما كان الدم رمزا للحياة ، وكانت الحياة مفهوما روحيا بحتا ، فما لاشك فيه ان تابع المسيح ومحققه يعمل على تقديم جسده وحياته ، أي دمه . وبهذا يقول بولس للذين لم يعملوا الكفاية في سبيل المسيح : « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة » . فكيف يجاهد الانسان حتى الدم ضد الخطيئة ؟ لقد رأينا أن الخطيئة تتركز في الجسد ، لذلك يتوجب على الانسان ان يجاهد ضدها . ويتوجب عليه ايضا ان يقدم جسده لكي لا تمكث الخطيئة في الجسد فيطهر منها ويصبح نقيا قابلا للدخول الى قدس الاقداس ، ومتحررا من كل دنس . وعندئذ يموت الجسد ويحيا الروح . وموت الجسد لايتم الا بعد تقدمته ذبيحة لله ، للروح ، ولهذا لابد من المجاهدة ضد الخطيئة لكي ننتصر على الجسد الذي يكون ذبيحة وقربانا . وأما عندما تتم التضحية بالجسد فإن الجسد يجاهد حتى الدم ، بمعنى أنه يحقق الروح فيه .

ولهذا فقد أعطى المسيح دمه ، رمز الحياة ، وجسده رمز الذبيحة . ولعلنا لانخطىء ان قلنا ان الجسد الذي أعطاه المسيح كان رمزا لموت الخطيئة واندحار الشر والشيطان ، والانتصار على العهد العتيق ، عهد الجسد والناموس ، ونهاية مملكة الانسان العتيق الذي خضع للجسد أي للمادة ، وان الدم هو كمال ذبيحة من الوجهة الروحية[٣] . فالجسد لم يعد جسدا حيوانيا والدم لم يعد دم حيوان ، بل اصبح الجسد روحانياً يحمل

دماً انسانياً يرمز الى حياة حية تبررت بتقديم ذاتها الى مصدرها لكي تحيا فيها الى الابد .

أما تلخيص الفكرة فيكون كما يلي :

أراد المسيح أن يعود بالجسد الى حالته الاولى أي وقت الخلق . وأما سبيل العودة فهو تقدمة ذبيحة في هيكل الله أي الجسد . فقد كانت حالة الجسد الاولى حالة نعمة لأنها عبرت عن مادة اولى حبلت بروح الله . لم تكن تلك المادة دنسة او خاطئة . ولكن الخطيئة أصابتها عندما سقط الانسان الى عالم المادة . ويريد المسيح الآن ان يعيد الأمور الى حالتها الأولى ، الى روحانياتها . لذلك ، فقد قدم جسده ذبيحة ، فأمات الخطيئة فيه ولم يخضع له أبدا ، بل لم يخضع لأي مفهوم مادي على الاطلاق . وبهذا انتصر على مملكة الشيطان والشر . وعندما أمات الخطيئة في الجسد ، بعد ان قدمه ذبيحة حية ، أصبح الجسد روحانيا أي هيكلا لله . وفي هذه العملية جاهد المسيح حتى الدم ، حتى التضحية العليا التي تفوق تضحية الجسد ، تضحية تطلبت منه الصلب لتحقيق ارادة الله ــ وهذا أمر لم يفعله غيره . وهكذا كانت تضحيته على صعيدين ، على صعيد اللاهوت وعلى صعيد الناسوت . فعلى صعيد الناسوت ، فقد ضحى به كلياً من أجل تحقيق اللاهوت . وعلى صعيد اللاهوت فقد تجسد من أجل تحقيق اللاهوت في الناسوت . وقد اشار الى اللاهوت بالدم والى الناسوت بالجسد والخبز ، وهكذا فقد زال سقوط آدم من الوجود بمجيء المسيح ، وبتحقيقه لله في ملء اللاهوت ، في الجسد . لقد خضع آدم للجسد فمات ، وخضع المسيح لله فأصبح حياة وقيامة .

علم المسيح بموته ــ وموته رمزي من الوجهة الروحية وذلك لأنه انتصر على الموت ــ فقال لتلاميذه بأنه لايشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم الذي يشربه معهم جميعا في ملكوت ابيه . وهذه العبارة تحمل من السرية الروحية قدرا عظيما :

أ ــ انه لايشرب من نتاج الكرمة تلك ..

ب ــ الا في ملكوت أبيه .

ومن أجل تقديم تفسير فانه لابد من إقحام الروحانية السرية . فقد حقق المسيح وهو على الارض ، اللاهوت في الناسوت تمام التحقيق ، لذلك سمي بالكمال ، وملء الزمان ، والملء ، والكوني والكل . فالمسيح على الارض كان هو المسيح في السماء ولم يمنعه التجسد من اتمام الرسالة التي من أجلها قد أتى . ولقد أعطى الرسالة الى تلاميذه ولن يشربها معهم مرة اخرى . فقد عرف المسيح بأنه سيصلب وبأنه لن يكون قادرا على التحدث اليهم في العالم المادي ، فعلمهم فلسفة مبدأه الروحي ــ المادي . علمهم فلسفة الجسد ــ الخبز وفلسفة الدم ــ الروح . ولما كان المسيح يحمل العالمين ، الروحي والمادي ، اللذين حققهما ، فقد أبقى على مبدأ الوحدة في الوجود الاول ــ انبثاث الروح في المادة الاولى ــ فإنه لن يشرب ذاك النتاج مرة ثانية الا في ملكوت الله . ولما كان ملكوت الله يشير الى الله في الانسان فانه لن يشربها معهم الا بعد ان يغادرهم ويجذبهم اليه فيرونه بالبصيرة والرؤيا والغيبة ويعلمون حقيقته الالهية . ولعل المسيح قد طلب من التلاميذ ان يشربوا دمه وأن يأكلوا خبزه رمزاً لعهد جديد ليفعلوا كما فعل . ولن يعرفوا حقيقة هذا

القول الا بعد صعوده الى السماء . وعندئذ يرونه روحيا فيدركون حقيقة الروح والجسد ويعون المبدأ المسيحي الكامل . وعندئذ سوف يشربه مرة ثانية معهم في الملكوت ، أي في عالم الروح ، وعالم الروح يتحقق في العالم المادي أيضا . وان ما يبرهن لنا على صحة هذا المبدأ هو ماتفوه به المسيح وقال : « انكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء[٤] . وهنا توجد صعوبة روحية كبرى .

إذاً ، متى فعل التلاميذ كما قال لهم المسيح فانهم يعلمون بموته . وكيف مات المسيح ؟ لقد صعد جسده الى السماء . فالخبز الذي نزل من السماء صعد الى السماء ، وأعني الجسد ، المادة الاولى ، الذي نزل من السماء وصعد الى السماء . وكيف صعد ؟ انه صعد تماما كما نزل . لذلك فهو قد حقق عملية الخلق تماما — الروح في المادة الاولى — وعودة المادة الاولى الى الروح . وهكذا فان الجسد قد صعد وكان دليلا على موت المسيح . ولكن موت الرب يعقبه مجيء . وكما نعلم ان المجيء هو عودة الروح او حلول الروح . ولذلك فانه لن يشرب معهم الكاس ولن يأكل معهم الجسد — الخبز الا بالمجيء او في ملكوت السماء الذي يشير الى تحقيق الروحانية التامة وروحنة الجسد الذي يصبح مادة اولى مروحنة صافية تعود الى مصدرها . ان كل الاشياء تصبح روحا في نهاية الامر . ولا يتم هذا الا عندما يضحى بالجسد ويقدم ذبيحة حية .

٥

هذا هو العهد الجديد امامنا ! العهد الجديد يفتح قلبنا ويجعل

ناموس الله مكتوبا فيه . ان موسى لم يستطع ان يزيل البرقع الذي كان على قلب اليهود . فظل مغلقا . ولكن المسيح قد استطاع . ولن يرفع البرقع عن قلب بني اسرائيل الا عندما يرجعون الى الرب . لقد كان هنالك برقع يفصل الله عن الانسان . اما المسيح فقد رفع البرقع وازال الستار اوالحاجز بيننا وبين الله ، وفتح قلوبنا التي يسكنها الله .

ولهذا فقد انفصل العهد العتيق عن العهد الجديد . كلاهما يتناقضان الى أبعد حدود التناقض . الواحد ينفي الاخر ولا يلتقيان . ولابد من قضاء على العهد العتيق لكي نحقق العهد الجديد . اما المسيحيون فان قلوبهم قد غلظت واسماعهم ثقلت وعقولهم تبلدت لأنهم مازالوا يؤمنون بالحرف وبالناموس وبالعبودية وبتابوت العهد وبالانسان العتيق وبآدم الاول وبالخطيئة والشر ، هذه المفاهيم القائمة في العهد العتيق . والمسيحيون انفسهم لايرون نور الانجيل وبهاء المسيح ، لأنهم مازالوا يربطون المسيحية باليهودية .

لاصلة لليهودية بالمسيحية . القديم انقضى ، وهو ذا الكل قد صار جديدا . فكيف نمزج العتيق بالجديد ؟ ان اجتماعهما يؤدي الى محو الجديد والتعلق بالقديم وذلك لأنه يستحيل ان توجد صلة وصل بين الاثنين . فلا صلة للحرية بالعبودية ، للبنوة بالعداوة ، للروح بالحرف ، لناموس الله بناموس الحرف ، للحياة والقيامة بالموت ، لذبيحة الجسد بذبيحة الحيوان ، للجسم الروحاني بالجسم الحيواني ، ولاصلة تجمع بين كون الله يحيا على جبل عال يصعد اليه نبي او في تابوت عهد او هيكل

مصنوع بالحجارة يسمى قدس أقداس يدخل اليه نبي يستجديه ويناديه وبين كونه الها يسكن القلب والعقل .

انني اعتقد بأن الوثنية اليهودية كانت أشد وطأة من غيرها من الوثنيات وذلك لأنها أقحمت الاله بشكل مزر ومحقر . ولكنني ، كما اعلم ، ان اليهود لم يعبدوا الاله لم يعبدوا الاله بل عبدوا الارواح وكان من بينها ابليس . لقد تدخل ابليس كثيرا في حياة اليهود وقدم لهم الكثير فأضحوا أصدقاء أوفياء له .

لذلك فان العهد الجديد أنقذنا من وثنية ضَيقة خطرة على الانسانية ومن سلطة قوية لمملكة الشيطان وبليعال . لقد أنقذنا من الخطيئة والموت والناموس . وبهذا فقد وضع المسيح حدا فاصلا بين العتيق والجديد . فالعتيق مادي ، جسم حيواني ، ترابي ، واما الحديد فروحي ، جسم روحاني ، وسماوي . العهد القديم لايلبسنا الا صورة الترابي ، اما العهد الجديد فإنه يلبسنا صورة السماوي . فكيف يمكن جمع العهدين ؟ انما يجب الفصل بينهما حتى النهاية .

ان من يتعمق في علم الروح وتتحقق تجربته الروحية ، يعلم ان العهد الجديد لايتفق مع العهد القديم .

٦

تتحول الذبيحة ــ الجسد الى رحمة ، وذلك لان الرحمة لاتتفق مع الذبيحة الحيوانية. واما الذبيحة ــ الجسد فانها تقدمة الانسان ذاته الى

الوجود الالهي . وهذا الجسد ليس الا الخبز النازل من السماء ، المادة الاولى ، التي حلت فيها الروح . ويهب هذا الخبز النازل من السماء الحياة للعالم . فالخبز هذا يختلف اختلافا تاماً عن المن . فالمن الذي سقط في البرية لم ينزل من السماء ولم يخلص الانسان . أما الخبز ، فإنه يشير الى الحقيقة الانسانية بكاملها . يقول المسيح في يوحنا ٦:٥١ « الخبز الذي انا اعطي هو جسدي . ومن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية » . ان شرب الدم وأكل الجسد يمنحان الحياة الأبدية لأنهما حياة موهوبة من الله للعالم . ولذلك فإنني شددت في الفصل السابق على ان الجسد ـ الذبيحة هو المادة الاولى التي تقدم قربانا للروح اي للرب . ومن أجل هذا القربان او التقدمة تصبح هذه المادة ذبيحة مقدسة حيث تحقق الروحانية . فيمسي الجسد جسما روحانيا .

ان الجسد لابد وان يقدم كذبيحة وذلك لأنه لايفيد شيئا بل ان الروح هو الذي يحيي . فالجسد الذي هو هيكل الروح يقدم كذبيحة . وكيف يقدم ؟ يخبرنا بولس في رومية ١٢:١ « اطلب اليكم ايها الاخوة برأفة الله ان تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ، عبادتكم العقلية » وهكذا نرى ان العبادة هي العبادة العقلية التي هي أساس القربان والذبيحة . ولذلك فان المسيح يضع نهاية لذبيحة الحيوان ويطلب الرحمة والعبادة العقلية . ومتى كان الجسد ، وهو هيكل الروح ، ذبيحة فانما يعني ان ناموس الله يتحقق في الجسد وان الذبيحة ، العبادة العقلية ، أصبحت تقدم في الجسد ذاته لا في الهيكل المصنوع بالحجارة وبكفارة الذبيحة الحيوانية .

ويشدد المسيح على مغفرة الخطايا . ولهذا لابد من وقفة طويلة عند هذا الموضوع .

كيف تتم مغفرة الخطايا لمن يقدم جسده ذبيحة حية مقدسة ، عبادة عقلية ؟ في كولوسي ٩:١٢ نجد مايلي : « فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا » . فمتى اكل الانسان هذا الجسد الذي يسمو على القربان المادي وعلى الذبيحة الحيوانية بكثير فانه يقدم جسده ذبيحة في هيكل الله وليس في هيكل الحجارة . يقول بولس في عبرانيين ١٠:٥ « لذلك عند دخوله الى العالم يقول : ذبيحة وقربانا لم ترد ولكن هيأت لي جسدا » .

الله لايريد ذبيحة وقربانا بل يريد رحمة وجسدا . فالجسد أصبح الذبيحة لأن الله قد استعاض عن الهيكل الذي يفرض ان الله يسكنه واللاهوت يحل فيه ، بالجسد الذي أصبح الهيكل الجديد وأصبح اللاهوت يحل فيه . لذلك فقد اختلف كل شيء . وأصبح الناس مقدسين بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة . وهذا يعني ان تقديم يسوع لجسده الذي حل فيه كل ملء اللاهوت يرمز الى خلاص تام للانسان والى مغفرة للخطيئة ، وذلك عندما يقدم الانسان جسده كما قدمه المسيح .

فالغفران لايحصل عليه بالقرابين والذبائح الحيوانية والتقدمات المادية وذلك لأنها امور يهودية وثنية . لقد انقضى عهد الوثنية اليهودية بمجيء المسيح وبمجيء الكل . وبدأ عهد جديد لمشاركة الانسان مع الله ، الجسد هيكله وروحه من روح الله . والذبيحة يجب ان تتم في الانسان ذاته . والغفران لايتم الا بتقديم ذبيحة هي عبادة عقلية .

وإني أعجب كيف يستمر المسيحيون في تقديم الذبائح التي تعود الى وثنية يهودية ! لذلك أجرؤ وأقول ان المسيحية التقليدية تعود بالمسيحية الى وثنية قديمة . فالمسيح لايهتم بالحرف بل بالروح . يقول يوحنا في الاصحاح السادس : « الروح هو الذي يحيي ، اما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي أكلمكم به هو روح الحياة » . ولهذا نلخص الموضوع كما يلي :

١ ــ الانتقال من ذبيحة حيوانية الى ذبيحة جسد الانسان الذي هو خبز الحياة .

٢ ــ المغزى الروحي لمفهوم الذبيحة : العبادة العقلية .

اما المسيحيون فما زالوا يتعلقون بأمور لاتمت الى واقع الروح بصلة .

هناك اعتقاد عام بالحصول على المغفرة من جراء شرب الخمر وتناول الخبز . وينطلق المسيحيون التقليديون في هذا لأن المسيح قد أوصى بأن يتم هذا لذكره ، ولأنه لاتتم المغفرة مالم يشرب الانسان دمه ويأكل خبزه . ولكن ، كما رأينا ، فقد علمنا ان شرب الدم يشير الى الحياة القدسية وأن أكل الخبز يشير الى تقدمة الجسد ــ الذبيحة كعبادة عقلية . ويشير هذا الكلام الى مشاركة فعالة في المسيح ذاته ــ هذه المشاركة لانفهمها تماما الا في الفصل الذي سوف نتحدث فيه عن المسيح الكوني ــ في جسده وفي روحه . فالمسألة لم تعد تخرج عن الانسان ذاته طالما انه يحمل المسيح فيه او الرب وطالما ان جسده هيكل لله او المسيح . ولذلك فان عملية الذبيحة تتم في داخله بتقديم ذبيحة ، وبتحقيق الروح القدس فيه اي

بشرب الدم . ولا يتم هذا الموضوع خارج جسده ، وكذلك لايتم الغفران .

وحتى نكون منصفين ، فان مانراه في التقاليد المسيحية يشير الى حقيقة رمزية كبرى . لكن هذه الرمزية لا تتحقق . لذلك فان التقاليد تتحقق وحرفية الدين ، اي ان الدين التقليدي ، يتحقق واما روحانيته فانها لاتنجز ولا تتحقق . وفي هذا خروج عن مبدأ فهم اسرار الله ـــ الانسان .

فالمغفرة هي التخلص من الخطيئة . ولا يتم الخلاص منها مالم يقدم الانسان جسده كذبيحة لله . صحيح ان المسيح قدم جسده من أجلنا ودمه ايضا . لكن المسيح كان مثالنا الحي وهو يطلب منا ان نقدم اجسادنا ودماءنا ، أي أن نحمل الصليب . ولهذا السبب يقول بولس بأننا لانجاهد حتى الدم . ويعلم بأننا لانقدم أجسادنا ذبيحة لله . فالمغفرة اذاً هي مسألة يقوم الانسان بها في داخله . فلا تغفر خطيئة مالم يقم الانسان بعملية الخلاص التي نادى بها المسيح : تقديم الجسد والدم معا في هيكل الله . ولهذا فاني اطلبِ من المسيحيين ان ينتقلوا من الحرف الى الروح ، ومن التقليد الى التطبيق الحقيقي والحي .

إن مسألة الغفران لاتأتي من خارج الانسان بل من داخله ، فالمسيح يقول بأنه كلما قمنا بشرب الدم وأكل الخبز نخبر بموت الرب حتى يجيء . اننا نخبر بعملية الله كلها في الجسد اي موت الجسد ، ذبيحته ، وقيام الروح ، اي الجهاد حتى الدم ، ليكون الدم رمز الخلاص اذ يسفك الانسان نفسه في سبيل الله . وهذا لايعني ان يذبح الانسان نفسه ويسيل

دمه كالحيوان بل انه يذبح نفسه في أعماقه ، ان يذبح جسده في قدس أقداس الله . ولهذا فان المسيح فتح باب قدس الاقداس مرة واحدة برش دمه وسفكه في هيكل ذاته . في هيكله الداخلي الذي هو هيكل الله الحقيقي . ولهذا فان دم الانسان الذي يسفك في الداخل وليس في الهيكل المصنوع من الحجارة ، يدخلنا الى قدس أقداس الرب . فلا حاجة لأن يدخلنا غيرنا ، اذ لايدخل احد الى محراب نفسه والى محراب الله الا الانسان ذاته . ولا يستطيع احد أن يقوم بهذه العملية الا الانسان ذاته . اما التقليد فإنه رمز مادي لايؤدي الى نتيجة روحية الا اذا رافقه ايمان عظيم لايكون مصدره الدين التقليدي بل المؤمن ذاته .

فالدم ، الجسد ــ الذبيحة ، يطهرنا من كل خطيئة . واذا قام الانسان بهذه التقدمة والقربان في محراب ذاته أي في قدس أقداس نفسه فانه يحصل على المغفرة ويتخلص من الخطيئة ، فيخلص . ولكن لابد ان نجعل من المسيح غاية لنا لأنه كان وما زال وسيبقى كمال التضحية وتمام الذبيحة وملء اللاهوت في الجسد . ولذلك فهو الذي نقلنا من عبودية الحرف الى حرية الروح .

ومتى قمنا بهذه العملية فان المسيح يحيا فينا . وهذا يعني ان تعاليمه ترسخ فينا ، في قلوبنا ، فيكتب فيها ناموس الله ويرسخ فيها قدس أقداسه ، ويسكن الله فينا ، في هيكله ، ونستغني عن الهيكل المادي . ولهذا فان الانتقال يتم بكامله من مادية الجسد الى روحانيته ، من المادة الى الله وذلك لكي يتم كل شيء في الانسان ذاته .

وفي لوقا ١٤:١٥ نجد مايلي على لسان المسيح : « طوبى لمن يأكل

خبزا في ملكوت الله » . ولما كان ملكوت الله داخلنا ، فان الانسان يأكل خبزا في هذا الملكوت . وهذه رمزية روحية كبرى . فلما كان ملكوت الله داخلنا فان أكل الخبز « الجسد » لا يتم الا في داخلنا . فعوضا عن ان نأكل خبزا في هيكل مصنوع بالايدي فاننا نأكله في هيكل الله ، في ملكوت الله ، في داخلنا . وأما أكل الخبز فانه لايكون بتناوله بل بتقديمه ذبيحة حية . وكيف نقدم خبزنا ، جسدنا ، ذبيحة في داخلنا ؟ هنا تقع سرية الموضوع وروحانيته الكبرى ، ولا ندري كيف يتم هذا مالم تتوفر عندنا التجربة الروحية الناصعة والعميقة .

٧

المسيحية عميقة عمق الحياة والوجود ، عمق الروح ولا نهائيتها . لذلك لانستطيع ان نأخذ اي شيء ذكر فيها الا مأخذ الرمز والروح ، ذلك يكون عندما نتعمق الى ابعد حد ممكن في سريتها وروحانيتها . لقد كان المسيح أعظم مثال في الوجود الالهي وأعظم من حقق الله في الوجود ، ويليه بوذا . ولقد أراد المسيح أن يعلمنا امثولة عظمى : ان نفعل كما فعل هو . فاذا فعلنا مثله ، فاننا نحصل على سلطان عظيم لمغفرة الخطايا لأننا نكون قد وصلنا الى نقطة سامية جدا : هي ذبيحة الجسد في هيكل الله ، في قدس أقداسه . ولم يصل احد الى هذا الحد سوى المسيح لانه كان ذبيحة الله ذاته .

لقد نقلنا العهد الجديد الى حقل الألوهية ، وأصبحنا نستطيع من

خلال هذا العهد الانتقال من حقل العالم المادي الى حقل العالم الروحي ، من الانسان الى الله ، من الهيكل المادي الى الهيكل الروحي . ولم أجد خلال دراساتي للاديان دينا تعمق في ذات الله كالمسيحية والبوذية . فالمسيح دخل إلى وجود الله لانه كان في حضنه وفيه . فهو يعرف الله ويتكلم عنه . لقد دخل المسيح الى ذات الله بينما لم يجرؤ نبي ان يتحدث عن تلك الذات . ولما كان المسيح قد حدثنا عن ذات الله ، لانه يعرف الله ، فانه يكلمنا بكلام هو روح حياة ، بل هو حياة أبدية علمنا المسيح إياها لكي نحققها . ولكن المسيح تكلم بالسرية والرمزية والأمثلة فكان التعبير عن هذا الكلام صعباً ، واية صعوبة . ولهذا ، فإني أشدد على ضرورة التجربة الروحية وعلى أهميتها لفهم روح المسيحية . ومتى توفرت هذه التجربة فان اليهودية تموت وتضمحل وتتخلص المسيحية من تقليدها وحرفها ويهوديتها .

حواشي الفصل الثالث

١ ــ ملاك الأرض هو لوسيفر ، الملاك الساقط .

٢ ــ تشير عقيدة العهد القديم الى ان الدم هو النفس (تثنية ١٢ : ٢٢) .

٣ ــ الخمر يشير الى النشوة الروحية ، والدم يشير الى الروح ، والخبز يشير الى الجسد . والجسد نزل من السماء كما نزلت الروح . ولهذا فان سر الجسد ــ الروح هو ان يكونا طاهرين كما كانا في جوهرهما . وتقدمتهما تشيران الى النقاء الروحي الكامل .

٤ ــ تطبق المسيحية التقليدية هذه الحقيقة الروحية بحرفيتها .

الفصل الرابع

المسيح الكوني

تقوم عظمة المسيحية على فكرة المسيح الكوني[1] . ولهذا فان بولس ويوحنا يعتبران فيلسوفي هذه الديانة السامية[2] . فقد كانت المسيحية الاولى تعرف بمسيحية يوحنا ، وأصبحت بعدئذ تعرف بمسيحية بولس . ولكننا نعتبر بولس المفكر الرئيسي في مبدأ المسيح الكوني وذلك لأنه لم يرافق المسيح الارضي ــ ولعله رآه ــ او لانه لم يحيي معه ولم يقض اوقاته معه . وليس تحوله الى المسيحية الا تعبيرا حيا لمبدأ المسيح الكوني .

ماذا حدث لبولس ؟

لايدرك كثيرون من المسيحيين الا جانب الرواية من تحول بولس . انهم يدركون مايقرأونه حرفيا . ولكنهم لايعودون الى سيرة بولس الاولى التي عبرت عن تعمق في الشريعة والناموس ومحاولة رصينة لفهم روحانية الشريعة . وما لاشك فيه ان يأس بولس كان قاتلاً وشديداً حين اكتشف ان الشريعة حرف وليست روحا . لذلك كان عيد المسيحية في جهد

دائم لكي يصل الى جوهر الدين . ويعتبر هذا الجهاد الدائم للوصول الى الروح تجربة روحية . هكذا عاش بولس التجربة الروحية . ولم يكن ظهور المسيح له الا اكتمالاً لتلك التجربة وملء لها .

كان بولس أعظم من موسى . وهذا الاخير الذي تسلم الناموس لم يزد عليه شيئاً . اما بولس فقد ناقش الناموس وعمل على كشف اغواره وسبر اعماقه . ولما كان بولس يبحث عن السر العميق في الناموس ، فانه اكتشف فجأة انه لايكتمل ، انه ناقص ، وانه لايعني شيئا او لاينفع شيئا مالم يكن خاضعا لتجربة روحية . ولا ننس غمالائيل ، معلم بولس ، الذي كان يمتاز بتجربة روحية على رتبة بسيطة . ففي اعماق بولس كان تساؤل دائم وبحث متواصل ودراسة رصينة وحركة للروح تدأب وتضطرب . ونحن نعلم انه متى تحركت الروح فان ذلك يكون دليلا على وجود تجربة روحية ستكتمل . وقد اكتملت تجربة بولس الروحية بغيبوبته وانجذابه ورؤيا المسيح .

هكذا كانت تقوم عقيدة بولس في المسيح الكوني على رؤياه ، اي على تحوله من الناموس الى الدين ، من الحرف الى الروح . وكانت هذه العقيدة أساسا لمسيحه الكوني الذي يحيا فيه . فكيف يحيا المسيح في بولس ، وفي كل انسان ، وكيف ينجذب الانسان وتكون له تجربة روحية ، فيرى ؟

٢

اما الدعائم التي يقوم عليها مبدأ بولس في المسيح الكوني فهي :

الايمان ، الحياة في المسيح ، النعمة ، الوساطة ، الشراكة ، وحدانية الروح والرؤيا .

اولاً : إننا نستطيع ان ننظر الى الموضوع من زاويتين : الايمان من حيث هو عمل روحي تلقائي في الانسان ، والايمان من حيث انه فعل حياة . ويعتبر الايمان من زاويته الاولى دعوة مسيحية لجميع الذين يؤمنون بالمسيح ، كما يعتبر الايمان من زاويته الثانية دعوة مسيحية الى الذين يفهمون المسيح في الباطن ، أي في عمق الروح . ولهذا نرى في المسيحية دعوة الى الايمان للذين لم يروا . فلقد طوب المسيح الذين يؤمنون ولا يرون . فلو كان الايمان محصورا بالذين رأوا المسيح التاريخي ، المسيح الذي عاش في الجسد ، لما تجاوز عدد المسيحيين الآلاف فقط . لذلك كان الايمان لجميع الذين يؤمنون لكي يسموا مسيحيين . وقد اهتم بولس بهذا الموضوع وانتبه لأهميته فنادى الذين آمنوا بمسيحيين[٣] .

فما هي فلسفة هذا الايمان ؟ انه إيمان بمسيح كوني لم يعد يرى في الشخص بل في الروح والعقل والقلب . ومما لاشك فيه ان هذا الايمان يمتاز برقته وبراءته وروحانيته . بماذا يؤمن المسيحيون ؟ انهم يؤمنون بالمسيح الذي كتب عنه التلاميذ والرسل .إنه مسيح لم يروه ببصرهم بل ببصيرتهم وروحهم . ويكون هذا الايمان فعلا تلقائيا في الانسان ، ينطلق منه لكي يعبر عن حدسه الروحي بوجود مخلص ومنقذ . ولكن هذا المنقذ يدعوه من خلال الايمان به ، الى تحقيقه في من يؤمنون به . ولذلك ، فقد عمل الرسل والتلاميذ الى زرع تعاليم المسيح في قلوب المسيحيين ، فيذكر بولس في رسالته الى اهل افسس ٣:١٦و١٧ « لكي يعطيكم بحسب غنى

مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الانسان الباطن ليحل المسيح بالايمان في قلوبكم » . وفي رسالته الى اهل غلاطية ٢ : ٢٠ « .. فمن أحياه (المسيح) الان في الجسد فإنما احياه في الايمان ، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه إلي » .

ولهذا تكون دعوة الايمان هذه نداء لكل من يريد ان يجعل من المسيح الكوني[٤] ، الذي تجسد في زمان معين ومكان معين ، حياة له ومثالاً يحتذى به . أما أكثرية الناس فإنهم يجعلون من المسيح قدوة لهم يعملون على تطبيق تعاليمه العامة ، وأما القلة ـــ وأقصد القلة التي لاتعد بسبب ندرتها ـــ فانهم يحققون المسيح في داخلهم ويحيونه ، فيحيا فيهم . ولا غرو ان المسيح الذي يدعو له بولس في انجيله للايمان به هو المسيح الكوني الذي لم يره المؤمنون .

٣

ويتطور بولس في فلسفة الايمان بالمسيح الكوني . فمن هو المسيح الكوني الذي يؤمن به ؟

تعتبر الآية قمة ماتوصل اليه بولس في التعبير عن الحياة في المسيح . قال بولس : « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في . فمن أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الايمان ، إيمان ابن الله ..» ، « كنت ميتاً وها أنا حي الى أبد الآبدين ولي مفاتيح الهاوية والموت » .

وفي هذا التعبير الصريح يحيا بولس في المسيح ويحيا المسيح فيه . فهو قد تأيد بالقوة بروح المسيح في الانسان الباطن، فامتلأ بالمسيح. فمات في المسيح لكي يحيا فيه ، وصلب معه لكي يقوم معه ، وهاهو الآن حي وله مفاتيح الهاوية والموت . لذلك فقد تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه الذي تمجد ، بواسطة ابن الانسان ، في الانسان . ولذلك أصبح يستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويه لأنه مملوء به ولأنه حال فيه ولانه رأس كنيسة الجسد .

لهذا نرى ان تحول بولس الى المسيح كان تعبيرا كاملا عن فلسفة المسيح الكوني . انه لايحيا هو بل ان المسيح[٥] يحيا فيه . ويمتلىء بولس بالمسيح . فكيف يحيا بولس في المسيح ،وكيف يحيا فيه المسيح فيمتلىء به ؟

تتركز فلسفة بولس على لبس المسيح . كيف يلبس الانسان المسيح ؟ إن خلع آدم الاول ولبس آدم الثاني يشير الى نقطة التحول في هذا المبدأ العميق لذلك فقد خلع بولس الجسد حسب الشهوات والغرور والخطيئة ، كما خلع الناموس الذي يرمز الى الخطيئة ويحتضنها ويتضمنها ، وخلع كل عتيق ، فلبس كل جديد . إنه لبس الروح . ولما كان المسيح هو أعظم تعبير عن الروح الحي ، لذلك فقد لبس بولس المسيح ، فحل فيه المسيح ، وأصبح جسده هيكلا لروح الله . ولما كان المسيح هو الحياة ــ أنا هو القيامة والحياة ، أنا هو الطريق والحق والحياة ــ فقد انتصر بولس على الموت وأخذ مفاتيح الهاوية ، وهكذا يحيا فيه المسيح .

وهذا يعني ان بولس الذي عرف المسيح بالروح ، يلبسه في الروح . فهو لايلبس المسيح التاريخي بقدر مايلبس المسيح الكوني . لذلك فقد اجتهد بولس ، كما فعل يوحنا ، ان يخلص المسيح من براثن اليهودية ففعل مايلي ليبرهن على صدق مسيحه الكوني : انقذ المسيح من بنوة داود فنظر اليه بأنه القدوس الذي نزل عليه الروح القدس ، وجعله ابن الله فسماه ابن العلي الذي عليه روح الرب والذي تمجد الله فيه ، وسمى اتباعه مسيحيين . وأنقذه ايضا من الناموس ، فقضى على الحرف بالروح . فلا يمكن فهم المسيح ولبسه بالحرف بل بالروح . وقضى على الجسد ، المتمثل بالناموس ، لذلك لم يشهد ولم يعاين الا المسيح الكوني ، وتجلى له في الرؤيا ، وبرهن انه بكر الخليقة — وليس بكر الخليقة الا المسيح الكوني .

لقد مات بولس . فمن هو بولس الذي مات ؟ وحيا بولس ؟ ومن هو بولس الذي حيا ؟

بولس الناموس والحرف ، بولس في الجسد ، قد مات . وبولس الروح ، بولس الجديد قد حيا . وكان الصلب عملية الانتقال من الموت الى الحياة ، ويشير بولس الى الصلب بأنه نقطة التحول في مسيحيته . لقد صلب مع المسيح مع أنه لم يشهد عملية الصلب . ولكنه فهم مغزى الصلب ، فكان الصليب يشير الى السقوط والموت ، سقوط الانسان وموته ، ولكنه أصبح يشير الى خلاص الانسان ، واذا كان بولس قد صلب مع المسيح ، فيعني انه قد مات معه وتخلص من السقوط المتمثل في الانسان الاول ، انسان الخطيئة والموت . ولأنه صلب مع المسيح فيعني انه قد حيا وامتلأ به فانتصر على الموت والخطيئة . ولكن عملية الصلب

والموت ، وعملية الحياة والقيامة لا تتمان الا بتحقيق تعاليم المسيح . وليس عملية الصلب والموت . وعملية الحياة والقيامة لا تتمان الا بتحقيق تعاليم المسيح . وليس تحقيق تعاليمه الا مسألة تحقيق المسيح في ذاته . لهذا ، عمدت الى النظر الى الايمان من زاويتين : زاوية تعبر عن ايمان الناس عامة · وزاوية تعبر عن تحقيق المسيح في الانسان الباطن . وأما بولس فانه حقق الثانية ونادى بها .

إن الحياة في المسيح والامتلاء به قضية روحية بحتة لايسهل فهمها . وتظل هذه الحياة وهذا الامتلاء مسألة روحية تتعلق بتجربة ولا تخضع للفهم الا بالروح . فالامتلاء بالمسيح هو الحياة فيه وحياة المسيح فيه ولبسه . وهذه أمور لايدركها الا الروح الذي يتفحص أعماق الله ويشهد بأننا جميعا أبناؤه .

ثانياً : تتركز فلسفة بولس في التعبير الكامل عن النعمة . كيف عرف بولس النعمة ونادى بها وهو لم يرافق المسيح ولم يكن تلميذاً ؟ لهذا السبب كانت النعمة نتيجة لمبدأ بولس في المسيح الكوني .

فالمسيح الذي مات على الصليب ــ والصليب رمز السقوط والفداء ــ والمسيح الذي هو آدم الثاني ، والمسيح الذي تمجد الله فيه ، والمسيح الذي قضى على الناموس والحرف والخطيئة والموت ، هو نعمة للعالمين . فالمسيح أعاد الانسان الى حالة النعمة ، وحالة النعمة هي حالة البر .

المسيح هو عودة بالانسان الى الله ، الى النعمة ، الى البر . المسيح الذي أصبح سيد الارض والسماء ، والذي انتصر على مملكة الشيطان

والشر ، هو حالة النعمة والبر ، فمن حيا في المسيح حيا في النعمة . لذلك كانت تعاليم المسيح نعمة للانسان وبرا له لأن من يعمل بها ويتبعها ويؤمن بها يخلص ، فيحقق أوميغا وألفا الوجود ، الله . فهل هناك نعمة أعظم واسمى من ان نكون ابناء الله ؟ وهل هناك نعمة أعظم وأنبل من ان نحقق ملكوت السماء في داخلنا ؟ ولا تتحقق هذه النعمة الا بفهم المسيح الكوني .

ثالثاً : تعتبر الوساطة حجر الزاوية في فلسفة بولس . فكيف تتم هذه الوساطة بين الانسان والله ؟

يقول بولس في رسالته الاولى الى تيموثاوس ٢:٥ « لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس والانسان ، يسوع المسيح » . وقبل ان ندخل في صلب الموضوع يجدر بنا ان ننظر الى الوساطة من وجهتين :

آ ــ إن الوساطة لم تتحقق بين الانسان والله في القديم . فالناموس لم يكن وسيطا ولذلك كان الانسان عبدا . لقد سلم الناموس والشريعة الى موسى فأعطاهما للانسان . وكانت الشريعة نواهيا وأوامر وضعت لشعب سقط في الخطيئة . فالناموس كان وسيلة زجر وقسوة وعنف لاعادة الابن الضال الى حظيرته ــ وهذه الطريقة تخرج من ارادة الله وعنايته وأبوته ومحبته . لذلك لم تأت الشريعة من الله . ولهذا السبب ذاته لاتعمل الشريعة على تحقيق البنوة لأن الانسان خاف الله ، بل كرهه وعصاه ، ولاتعمل على اعادة الصلة بين الانسان والله ، لأن الصلة لاتعود الا لدى امتناع الانسان عن المعصية والخطيئة .

ب ــ ولما كان الناموس عاجزا عن تحقيق الوساطة لانه غير كامل ولا يفيد شيئاً ، فلا بد اذن من تجسد روح سامية سمو الله ، عظيمة عظم الله فتجسدت روح الله في المسيح . وماذا عنى تجسد هذه الروح العظيم ، الالفا والاوميغا ، الألف والياء ، البداية والنهاية ؟ كانت روح المسيح المتجسد رمزا لسلطان الانسان ، لسيطرته على الموت والخطيئة ، لحصوله على النعمة ، لعودته الى حضن الآب ، لاسترجاعه البنوة ، ولعودة الصلة التي قطعتها الشريعة . فالتجسد يعني الوساطة ، وساطة المسيح لكي يتجسد ويفتدي آدم الذي أخطأ . وهذا يعني ان المسيح قد علم طريقة لتحقيق الله ، للعودة اليه . وهكذا كانت تعاليمه واسطة او وساطة للعودة الى الآب . وبهذه العودة تتحقق بنوة الانسان لله .

يعلمنا المسيح ان الجسد هيكل الله ، وان الله فينا وان المسيح فينا ، واننا نستطيع ان ننتصر على الوجود بكامله اذا تبعنا وصاياه وحققنا تعاليمه . وهذا ما لا نستطيع ان نجده او ان نراه في الناموس . الناموس يعلمنا الخضوع كعبيد، والمسيح يعلمنا الحرية ، الناموس لايعلمنا المعرفة والمسيح يحثنا على المعرفة[6] . الناموس يستعبدنا للجسد ولذبيحة الحيوان ، والمسيح يحررنا في الله ويطلقنا في الروح ويعلمنا ان نقدم ذواتنا ذبيحة لكي يحيا الله فينا . لهذا كانت تعاليم المسيح وساطة لمن يريد ان يحقق الله فيه . ولم يتعلم بولس الرسول هذه الوساطة من الناموس بل من المسيح ... المسيح الكوني الذي عرفه بروحه .

رابعاً : تقودنا فكرة الوساطة الى موضوع اكثر اهمية في فلسفة بولس ، ألا وهو الشراكة .

لنستمع الى مايقوله بولس . كورنثوس الاولى ١:٩ « أمين هو الله الذي به دعيتم الى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا » . عبرانيين ٣:١٤ « لأننا قد صرنا شركاء المسيح » . عبرانيين ٣:١٣ لأننا قد صرنا شركاء المسيح » . عبرانيين ٦:٤ « لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس » . رسالة يوحنا الاولى ١:٧ « ولكن ان سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطيئة » . رسالة يوحنا الاولى ١:٣ « شركتنا نحن هي مع الآب مع ابنه يسوع المسيح » .

يبدو لنا ان الشراكة لاتتم الا بواسطة المسيح . فكيف يجعلنا المسيح شركاء ؟ يقول بولس في رومية ٨:١١ « وان كان روح الذي أقام يسوع من الاموات ساكنا فيكم ، فالذي أقام المسيح من الأموات يحيي أجسادكم المائتة ايضا بروحه الساكن فيكم » .

يقر بولس بأن روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكن فينا . واذا كان روح الله ساكنا فينا ، فنكون ، كنتيجة حتمية ، شركاء لله . ومما لاشك فيه ان هذا الكلام يعتبر حقيقة واقعة من حيث الظاهر فقط . اما من حيث الباطن فانه لايعبر عن حقيقة . فقد كان الانسان الاول خاضعا للجسد وللناموس ولا يحقق اي شيء من الله فيه او اي شيء في الله . اما بمجيء المسيح فقد تعلم الانسان فلسفة البنوة والشراكة . وكأني بالمسيح يهتف بالاخرين : أيها الناس ، ياغلاظ القلوب ، الا تعلمون انكم شركاء الله لأنكم أبناؤه وورثته ؟

ولما كان المسيح هو الذي علمنا هذه الشراكة ، فاننا لانكون شركاء

الله قبل ان نكون شركاء المسيح . ولذلك يشدد بولس على شراكة المسيح اولا . اننا نشاركه الجسد والروح ، ونشاركه الصلب والموت ، ونشاركه الحياة . ومتى شاركناه فانه يحيا فينا ، ومتى حيا فينا فان الله يحيا فينا ، وبالتالي نصبح شركاء له . لكن لمن تكون الشراكة ؟ لاتكون الا لمن استناروا وذاقوا الموهبة السماوية والتجربة الروحية . هؤلاء يصبحون شركاء للروح القدس . فلا تتم الشراكة الا بالمسيح لأن كل ما أتى قبله كان ناموسا قضى على الشراكة وأبعد الانسان عن الله . فسقط الانسان بسبب تدخل قوى الشر ، هذا التدخل الذي نتج عن ابتعاد الانسان عن الله وانقطاعه عنه وعدم مشاركته له في الوجود الروحي والمادي .

وهكذا فقد أعاد هذه الشراكة عندما نادى بمبدأ البنوة ، وعندما شدد على ان الله يسكن فينا . وهذا أمر لانراه في الناموس . الناموس لايذكر اننا أبناء الله . المسيح وحده يذكر ويبرهن . لذلك يشارك الانسان المسيح صلبه وموته وقيامته ، يشاركه في الموهبة الروحية ويتذوقها .. فيصبح شريكا .

واني اعترف ان هذه الشراكة تظل متاهة كبرى لمن لايعرفون التجربة الروحية ـــ الموهبة الروحية . فبولس لم يصل الى ادراك هذه الشراكة الا بالروح . لذلك نراه يتحدث عن المسيح الكوني الذي لايدرك الا بالروح ، بالايمان ، وبتحقيق صورة الاله فينا .

خامساً : لعلنا لو اقدمنا على تأويل فكرة المسيح الكوني بروحانيتها وكمالها لأزحنا الستار عن كل غموض . المسيح ، في نظر بولس ، هو

المسيح الكوني المتجسد . وحتى لا يظل ايمان بولس تلقائيا لاعمق فيه فانه يركز على المسيح الكوني فيقول : « يسوع المسيح هو امس واليوم والى الابد » . وبهذا القول ينظر بولس الى المسيح الكوني معتبرا اياه بانه حي على الدوام لانه القيامة والحياة . لذلك ينظر بولس الى المسيح ــ الروح ، الروح القدس ، الذي يحيا في الانسان ويسكن فيه . ويعبر بولس عن هذا بامتلاء الانسان بالروح القدس ، وبأننا نحيا ونتحرك ونوجد به . فإن كان الله ساكنا فينا ــ والمسيح ساكن فينا ايضا ــ وان كنا نمتلىء به ونحيا به ونوجد به ، وان كنا نتأيد بقوته ويحل علينا الروح القدس ونشارك الآب مع ابنه يسوع . فان المسيح الذي يهدف اليه بولس هو المسيح الكوني الذي كان منذ البدء ، وبه خلق الكل .

سادساً : ان حياة المسيح فينا وسكنى الله في هيكلنا وتحقيق الله في الانسان وثبات المسيح فيه وثبات الانسان فيه ، هو امر يجعلنا اعضاء في جسد المسيح . واذا تحقق روح المسيح فينا فاننا نلتصق بالرب ونصبح واحدا معه . وعندئذ يدرك الانسان وحدانية الروح . وتكون غاية الانسان ان يعرف ابن الله وان ينتهي الى وحدانية الايمان . إننا نلتصق بالرب ونصبح واحدا معه وندرك وحدانية الروح ونصل الى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله .

نلاحظ انه لايمكننا ان نعرف سر ابن الله مالم نلتصق بالرب ونصبح واحدا معه . ألم يلتصق المسيح بالرب فأصبح ابنه وبالتالي هو الرب؟الا يسعى بولس ان يسير نحو الغرض ذاته لجعل دعوة الله العليا في المسيح يسوع ؟ ان نحن تبعنا المسيح وصلبنا معه ، وحيا فينا ، فاننا نحقق

دعوة الله العليا . وماهي هذه الدعوة ؟ هي معرفة ابن الله ، اي معرفة يسوع المسيح .

فالمسيح هو سر الوجود ، سر الله . به نعرف الكل لأنه الكل . به نعرف الله لأنه حقق الله . واذا لبسناه فاننا نلتصق بالرب . واذا التصقنا بالرب فاننا نصبح واحدا معه[٧] . ولا يتم هذا الالتصاق الا بتجربة روحية كبرى ، كتجربة بولس . ولا تتحقق هذ التجربة مالم نعش تجربة المسيح الكوني . وتصبح حياتنا عندئذ مستترة مع المسيح في الله . الا يعتبر هذا الكلام أعلى مايمكن ان نجده في علم الروح !

كيف تستتر حياتنا مع المسيح في الله ؟ انها لا تستتر الا بالانسان الباطن بحسب المسيح الكوني . ولا يتم هذا الاستتار الا بتجربة روحية عظيمة يحل فيها المسيح باطنياً . ومتى تم هذا الاستتار مع المسيح فإنا نوجد في الله ونتحد به ونحيا فيه . ولاشك ان الذين عاينوا او شاهدوا وقاموا بتجربة روحية وذاقوا الموهبة الروحية ، والذين حل عليهم الروح القدس ، يدركون معنى هذا الكلام الذي يستعصي على الاخرين .

٤

مازال المسيحيون يعبدون المسيح الشخصي لذلك لايحققون التجربة الروحية بل الدين التقليدي . نحن نعلم ان تجربة التلاميذ الروحية كانت ضعيفة لما كان المسيح معهم . فهم لم يحققوا المسيح الا بعد صعوده لأنه

جذبهم . وبهذا الانجذاب حصلوا على الروح القدس .. هذا الروح الذي لم يحصلوا عليه قبلا .

ونحن لانستطيع ان نتحدث عن المسيح الشخصي لأننا نؤمن دون ان نرى . فالتلاميذ الذين ظلوا على اتصال روحي مع المسيح بعد صعوده نظروا اليه نظرة المسيح الكوني الذي يحل فيهم او يتراءى لهم او يتأملونه او يستغرقون فيه وتستتر حياتهم فيه . والذين لم يروا ، ونحن معهم ، يؤمنون بالمسيح الكوني .

اني انادي بمبدأ المسيح الكوني لأنني ، عندما أحاول ان أفهم عمق حياة المسيح في حياته الزمنية ، لا أصل الى نتيجة واضحة وبسيطة . وأما عندما أتعمق في سر عظمة المسيح : في الصلب ، في المعمودية التي ندفن فيها معه ، في الخبز الحي ، في القيامة ، كل شيء في المسيح أعجوبة الوجود ، أجد أن الأمور تتضح حينما القي عليها نورا من الروح ، وأراني ازداد فهما كلما تعمقت في التجربة الروحية .

يستحيل على المسيحي ان يفهم سر التجلي ، معنى الانجذاب ، او ان يفهم المسيح تماما الا بالروح . ان فهم المسيحي روحيا يعني المسيح الكوني ، فلا مسيحية بدون مسيح كوني يتحقق في تجربة روحية .

ولا يستطيع اليهود ان يفهموا مبدأ المسيح الكوني « المسيح يحيا فيَّ » لأنهم يعتقدون بمسيح شخصي ، ملك ، قائد مُحارب ، يقتل ويضرب ويزني كبعض انبيائهم . اما بولس فقد فهم المسيح الكوني الذي يؤمن به دون ان يرى بعينه ، المسيح الملك الروحي ، المسيح الاله ، الذي يتحقق فينا كلما زدنا تعمقا في وجوده .

وهذا لايعني ان المسيح الشخصي يقل أهمية عن المسيح الكوني ، بل يعني ان فهم المسيح الشخصي لايتم الا من خلال فهم المسيح الكوني . وهذا مايقصر في فهمه المسيحيون التقليديون الزمنيون واليهود .

حواشي الفصل الرابع

٢ ــ المسيح الكوني هو سر الله المكتوم منذ الأزل في الكون ، البداية والنهاية ، الالف والياء .

٢ ــ اني اعتبر المسيحية الحقة متضمنة في انجيل يوحنا ورسالتيه ورسائل بولس

٣ ــ اعمال الرسل ١١:١٦ « ودُعي التلاميذ مسيحيين في انطاكية اولا » .

ملاحظة : كان المؤمنون يسمون تلاميذ في بدء البشارة المسيحية .

٤ ــ هو الاله اللاشخصي الذي نعرفه ونحققه بالروح ، وليس هو الاله الشخصي الذي نعبده بالشريعة والطقوس .

٥ ــ المسيح يشير الى الروح ، وتشير الكنيسة الى مملكة الروح .

٦ ــ المسيحية ، على نقيض اليهودية ، تعلم الانسان المعرفة لكي يتحرر « اعرفوا الحق والحق يحرركم » .

٧ ــ يعتقد الهندوس ان هناك روح الانسان وتسمىّ أتمان وروح الله وتسمى براهمان ، وهناك وسيط وُجد الكل به يسمى براهما . ان روح الانسان في الفكر الهندوسي ، مصغر لروح الله . ولكن هذه الروح تستطيع ان تتحد بالله اذا استمدت حياة من الله ، ومتى استمدت حياتها او طاقتها من روح الله وعملت على تحقيقها تماما ، فانها تصبح الله ، اي انها تتحد به وتصبح واحدا معه . ويشير بعض الهندوس الى ان هذا الاتحاد لايتم الا بتجربة روحية يعمل فيها براهما كوسيط .

الفصل الخامس

الروح والروح القدس

في البدء خلق الله الانسان . وتؤكد الديانات القديمة ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله . ولما كان الله لاشكل له فان صورة الانسان ومثاله ليسا على صورة الله ومثاله إلا في الروح . وبناء على هذا ، يكون للانسان روح استمدها من الله لأنها انبثقت منه . وتقر الحكمة القديمة ان هذا الانسان هو الكون الاصغر الذي يتمثل فيه الوجودان الروحي والمادي . وتقول بعض الفلسفات ان الانسان هو ممثل الله على الارض ، فهو اذا اله صغير .

إننا نعالج الآن موضوع الروح بشكل مختصر ..

نستطيع ان نشبه الروح بشجرة كبرى جذورها عميقة في السماء وأغصانها عميقة في الارض ومتوزعة فيها . وهذه الشجرة التي تصل بأغصانها الى الارض ، يتفرع منها الوجود بكامله . فالشجرة هي الله

والاغصان هي امتداد الله في الوجود وتوسعه فيه . ولما كانت الشجرة وأغصانها تمثل وجودا واحدا ، فإن الله والوجود يمثلان وجودا واحدا . وتكون الشجرة روحية في جوهرها ومادية في مظهرها ، ويكون الله متعاليا ومحايثاً ايضا .

وتتصف الروح بصفات عديدة : الحركة ، الحياة ، الارسال ، النور والاشعاع ، الوجود الواحد في كل مكان . وتتصف المادة بالكثافة . ولكن لما كان الروح والمادة من مصدر واحد فنقول ان المادة هي روح كثيفة[1] ، تماما كما أن الظلمة هي نور كثيف جدا . فالصعود في سلم الوجود هو صعود من الاكثر كثافة الى الأقل كثافة . فالروح هو ماهو أقل كثافة والمادة هي ماهو اكثر كثافة[2] . ونستطيع القول ان الروح هي عنصر الحياة في الانسان والوجود . ولما كانت الحياة تتدرج في ممالك الوجود بنسب متفاوتة ، فانها تتركز في الانسان بأعلى درجة لها وبأعظم نسبة .

فالانسان يحتوي في جسده على الوجودين : المادي والروحي اللذين لايمكن الفصل بينهما . فالمادي هو وعاء الروحي ، أي هيكله ، ويتألف من عناصر المادة بأكملها . فهو المادة كلها . وعندما نقرأ أن الله اخذ طيناً فإنما يقصد مجموع عناصر المادة التي جعل الله منها مخططاً لبناء الانسان . ولما كان جسد الانسان قد بُني بعد الوجود المادي ، فانه مِن المؤكد ان تكون مادته جسدا يشتمل على الكون بكامله . وفي هذا الكون المادي كله حلت الروح . ولهذا نستطيع القول ان الروح لاتحل الا في مادة كلية شاملة لان طاقتها يجب ان تكون معادلة لكتلتها . فلكي تحل

الروح في الانسان يجب ان تكون مادة الانسان كتلة مادية كاملة . لذلك نقول ان مادة الانسان كتلة مادية كاملة . لذلك نقول ان مادة الحيوان لاتحمل الروح العاقلة الكاملة لأن جسده غير كامل . وهذا مايقول به بولس في كورنثوس الاولى الاصحاح الخامس عشر . ولهذا فقد تركز في الانسان عالم الروح وعالم المادة . والاثنان واحد في الجوهر .

وقبل ان نغوص في موضوعنا فانه يجدر بنا ان نتحدث في الانسان ذاته . فالانسان يحمل في جسده روحا . وأما الروح ، فلكي تكون في الجسد ، فإنها يجب ان تمتد . لذلك كان في الانسان روح ونفس وجسد . فالروح هي الاله المصغر في الانسان وهي تمتد كما تمتد الشجرة من الاعلى الى الاسفل لكي توجد في انحاء الوجود كله . ولكي تمتد هذه الروح فإنها تعطي من صفاتها للجسد . فليست حياة الجسد الا امتداد الروح فيه أي اعطاء الروح صفتها للجسد . فتكون الحياة صفة ملازمة للجسد . ويجدر بنا ان نقول ان النفس هي الحياة الناتجة عن حلول الروح في الجسد ، أي هي امتداد الروح حتى تصل الى اخر درجة من درجات وجودها ، هو التكاثف أي المادة .

وبقدر ماتعمل الروح في المادة ترتفع هذه في عالم الروحانية . وأعني أنه كلما أعطت الروح صفاتها للجسد فانه يتروحن . وما الفرق بينهما الا فرق في الكثافة والاهتزاز . ولم يستطع الا القليل من الناس ان يجعلوا اجسادهم روحا ، وعلى راسهم يوجد المسيح ويليه بوذا . وكيف تتم عملية التروحن هذه ؟ انها تتم عندما لايخضع الانسان المادة بل للطاقة الماثلة

فيه ، وعندما يتركها تعمل في جسده تماما . وعندئذ يبدأ الانسان في تحقيق الله فيه .

كيف تعمل الروح في الانسان ؟ الروح تعمل في السكينة والهدوء . وعلى الانسان ان يحافظ على هذه السكينة . يقول بولس ان اجسادنا هياكل للرب . وماذا يجب ان يحدث في الهيكل لكي يكون هيكلا حقا ؟ على الهيكل ان يكون طاهرا . وهكذا ، فإنه من الاهمية بمكان ان يكون الجسد طاهرا . وكيف يكون طاهرا ؟ انه يكون طاهرا بتطهير الفكر فيه من الشهوات والخطيئة . فالحقد يكسر هدوء الروح ويقضي على سكينتها . والغضب يفجر سكينة الروح ولا يترك للعقل مجالا او متسعا للعمل . والكره والشهوة والرذيلة والسكر امور تقضي على سكينة الروح . انها تقضي على صورة الله في الانسان ، فتثير الجسد وترميه في حضن الشيطان والشر . لذلك نستطيع ان نربط بين السكينة وبين تحقيق فعاليات الروح . ففي السكينة تتحقق المحبة والروحانية . العقل الغاضب لايستطيع ان يفكر ، والفكر الحاقد لايستطيع ان ينتج . والنفس الثائرة لاتستطيع ان تعي ، والجسد الشهوي لايستطيع ان يحقق الروحانية . فهذه أمور تقضي على نقاء الفكرة والروح . لهذا يلجأ القديسون الى السكينة والهدوء لكي يتأملوا ويستغرقوا في الذات أولا ، وفي الذات الالهية ثانيا . إنهم يعلمون أنفسهم ان يركزوا عقلهم ، ويسيطروا على حواسهم وانفعالاتهم التلقائية اللاواعية ، ويحرروا وعيهم من براثن الغريزة والشهوة والجهل . وعندئذ يبدأون في تحقيق روحهم ، فيصبحون روحانيين .

ومتى بدأت الروح ان تفعل في الانسان ، فان المادة تكتسب

صفاتها فتتروحن . وكما قلنا ان هنالك صلة بين الروح والجسد ، هي النفس[٣] . وهذه النفس روحانية ومادية وليس لها وجود قائم بذاته بل هي وسيلة لاعطاء الروح صفاتها للمادة . وتتركز هذه النفس في الاعصاب ومراكز الاعصاب ، والاماكن الحساسة في الجسد الانساني . وتتحول هذه النفس الى روح او جسد وفقا للعقلانية التي توجد في الانسان . فاذا وجهتها العقلانية والحكمة فانها ستكون وسيلة لسيطرة الروح على الجسد او لسيطرة الجسد على الروح اذا وجهتها الشهوة والجهل والشر . واذا استطاع الانسان ان يوفر لنفسه تفكيرا رصينا وقام بجهاد داخلي كبير للوصول الى الحقيقة ، فان النفس تتحرر اخيرا من قيود المادة ، وتدخل عالم الحرية ، عالم الروح . ولا يتم هذا الا بترويض المادة : العقل جامح ويجب السيطرة عليه ، النفس منفعلة ويجب التغلب عليها وتحويلها الى موضوعات لاتنفعل بها ، والاعصاب ثائرة ويجب تهدئتها وتدريبها على السكينة والهدوء . والشهوات قائمة في الجسد ويجب تحويلها الى فضائل . ونستطيع ان نلخص كل هذا بالتركيز العقلي والاستغراق . فبالتركيز نوجه قوى العقل والتفكير كلها الى موضوعات جديدة للمعرفة ليتم توجيه العقل كما نشاء . وبالاستغراق ننغمس في الموضوع انغماساً عميقاً . في العقل نوجه وفي الاستغراق ننجذب .

ولهذا نرى ان العملية شاقة جدا . وتخبرنا الحكمة الشرقية ان من ينتصر على عقله ويوجهه ينتصر على الوجود . وهذا يعني ان من يركز عقله على الموضوع تركيزا تاما فإنه يحقق ذاته والوجود القائم فيه . ولهذا فان عمل الانسان شاق وصعب للغاية . وعلى كل انسان يريد ان يصل الى

النورانية ، الى الروح والحق ، الى تحقيق حضور الله فيه ان يسيطر على نفسه وعقله وان يركز على موضوع الروح لكي يستطيع ان يستغرق فيه . فالتركيز هو توجيه العقل والاستغراق هو الاتحاد بالموضوع نتيجة الانجذاب اليه .

لذلك يرى سقراط وغيره من حكماء الشرق وعلماء الروح ان المعرفة هي معرفة النفس ، اي الاستغراق في النفس . ويرى فلاسفة الروح ان الاستغراق في النفس ، في الداخل ، يعني الدخول الى قدس الله . وزيادة الاستغراق يعني زيادة في التحقيق . وفي الانسان يتم التركيز في العقل وفي النفس : ففي العقل تتم السيطرة على جموح التفكير وفي النفس تتم السيطرة على الانفعالات والشهوات . لذلك فان التربية الروحية تهدف الى نقطتين : اولا : الى تطهير العقل من الجموح والتشتت ، ثانيا ، الى تطهير النفس من الانفعالات . فالغيبوبة اي الاستغراق في عالم الداخل لاتتم الا اذا كانت النفس هادئة وطاهرة ونقية والعقل هادئا ومركزا جدا . وقد يتم الاشراق الروحي بدون عملية تركيز . لكن عملية الاشراق تكون قصيرة جدا لاتساعد على الاستغراق في عالم الله والروح . لقد حدث الاشراق لعديدين لكنهم لم يستمروا في معرفتهم وفي رؤياهم وذلك لأنه انخطاف . أما الاستغراق الذي ينتج عن تركيز فانه يساعد على التعمق في عالم الله والروح . ولهذا فقد وجد فرق بين القديسن . فمنهم من وصل الى درجات عليا في الاستغراق في الله حتى توحد معه ، وعلى رأس هؤلاء المسيح وبوذا ، ومنه من حقق روحانية جيدة وعالية لم تستقر في الدرجة الاولى والعليا للوجود الالهي .

لذلك ، لابد وان يخضع الجسد للتجربة الروحية . ومتى خضع واتصف بصفات الروح فانه يتروحن . وكما قلنا ان النفس صلة للوصل بينهما ، من خلالها تعطي الروح من صفاتها للجسد . فيكتسب الجسد روحانية وتتحقق مملكة الله في الانسان . ولا تتحقق هذه المملكة بالطقوس التقليدية وبالمظاهر التي لاتجدي لانها لاترتبط بالدين والروح بأية رابطة او صلة . ولهذا ، فان وحدة الروح والنفس والعقل تتم وتتحقق عندما تفعل الروح في الانسان وتحقق مملكة الله فيه . فالنفس ليست الا قوة الانبثاق من الروح .

ويحدث هذا الوجود الثلاثي ، او الوحدة الثلاثية ، في الانسان وذلك لانه يمثل الاله على الارض . ولما كان الاله ثلاثة اقانيم في جوهر واحد ، هكذا يكون الانسان ثلاثة اقانيم في جوهر واحد . ولذلك لابد للانسان من ان يحقق هذه الاقانيم ويجعلها واحدة حتى يحقق الله او الروح فيه. واذا لم يصل الى هذه الدرجة من التحقيق فإن نزاعا هائلاً وخصاماً شديدا يظل قائما في المادة فتنقسم مملكة الانسان[٤] على ذاتها ، فيدخل الانسان مملكة الشر والشيطان مستعيضا عنها بمملكة الروح والله.

كيف تتم وحدة الثلاثة في الانسان ؟

العقل هو زعيم المادة ، والروح هو جوهر الوجود ، والنفس هي الصلة بينهما اي هي الامتداد في كلا الاتجاهين اي هي طاقة الانبثاق من الروح الى الجسد . فالجسد بالنسبة للروح هو الابن ، والروح هي الاب والنفس هي الروح القدس اي طاقة الانبثاق . ولابد من تقديم مثال واقعي

يقربنا من الحقيقة . ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار ان الأمثلة المادية لاتنطبق على الحقيقة الروحية لكنها تقربنا من الفهم والتصور .

المثل : امامنا المصباح الذي يتصل بالسلك الذي يتصل بدوره بالمولد . كل منهما على حدة لايشكل وحدة . فالسلك ليس كهرباء لكنه يتصف بالكهرباء متى حملها . والمصباح لاينير الا باتصاله بالسلك . فلنقل ان المصباح هو العقل وان السلك هو النفس وان المولد هو الروح . فالروح تولد وتعطي للعقل بواسطة النفس التي هي الامتداد ، تماما كما يولد المولد ويمتد بكهربائه المولدة بواسطة السلك الى المصباح . ويضيء هذا المصباح بفعل ماهية الكهرباء ، مع انه ليس كهرباء .

فالكهرباء جوهر يوجد في مولد وينبثق منه ويمتد ، والسلك وسيلة الانتقال والعقل هو مكان الاضاءة . ولا يمكن ان تظهر الاضاءة بدون المصباح . كذلك لايمكن تحقيق الروح الا بالعقل الذي يأخذ منها بواسطة النفس . فكما اننا نستطيع ان نبدل في قوة المصباح كذلك نستطيع ان نبدل في قوة العقل . اننا نستطيع ان نضع مصباحا قوته مائة شمعة او خمسون او مائتان ، ونتدرج بهذا التبديل حتى نصل الى وضع مصباح يعادل طاقة المولد . ماذا يحدث الان ؟ المصباح يعادل طاقة المولد ، هذه الطاقة ذاتها التي تسيل في السلك الذي يحمل الطاقة كلها . وتصبح الكهرباء وحدة وتصبح طاقة المولد معادلة لطاقة السلك ولطاقة المصباح . فيصبح المصباح حاملاً لطاقة المولد كلها وكذلك السلك . ويكون الثلاثة واحدا لان الطاقة تظهر في الثلاثة بنسبة واحدة . فالمصباح يضيء بكامل طاقة المولد والسلك يحمل كامل طاقة المولد ايضا .

وعندما نطبق هذا التشبيه على العقل نقول : العقل يأخذ استنارته من الروح بواسطة النفس . والنفس تحمل صفات الروح والعقل واذا انغمس العقل في الروح اي اذا استغرق فيها فإنه في النتيجة يصبح معادلا لها وذلك متى حققها خير تحقيق . فيشع العقل بنورانية الروح وتحمل النفس ، اي الجسد ، نورانية الروح التي تصبح نورانية الجسد . ويصبح الثلاثة واحدا لأنهم يحققون طاقة واحدة تظهر في الثلاثة بجوهر واحد . وعندئذ تتحقق الروح في الجسد . فلا يعود هناك مانسميه جسدا لأنه اصبح نورانيا تعادل نورانيته نورانية الروح . وهناك عقل يشع او يضيء او ينير بمقدار نورانية الروح ويصبح واحدا معها . هكذا يتحقق الوجود . ألم يقل بولس من التصق بالرب فهو روح واحد ؟

هذا مايحدث في الانسان ذاته . ولكن لما كان روح الانسان متصلا بروح الله فإن الانسان يحقق الله فيه كما حقق الروح فيه . فالروح هي الله . ومتى حقق الوحدانية فيه فإنه يحقق الوحدانية مع الله . ولهذا يشدد بولس على هذه الوحدانية في افسس وفي كورنثوس الاولى . ففي ذاته يحقق الانسان حياة الابن وفي الله يحقق حياة الآب . فيصل الانسان عندئذ الى درجة عليا من النورانية فيبطل جسده ان يكون جسدا بل يصبح وجودا واحدا لافرق فيه بين المادة والروح وتمحي الاقانيم لتصبح جوهرا . وهذا ماحققه المسيح في القيامة وبوذا في النيرفانا .

٢

وها نحن الان ننتقل الى الواقعة ذاتها في الوجود الالهي . فماذا نعني

بالثلاثة في الواحد ؟ اننا سنقدم أمثلة عديدة حتى نفهم أعماق الموضوع وأبعاده .

اولاً : نأخذ مثال الشمس :

اننا لانستطيع ان نتصور شمسا بدون نور وحرارة ، ولا نستطيع ان نتصور نورا وحرارة بدون شمس . فالشمس والحرارة والنور ثلاثة هي واحد . والآن نتساءل : ماهي الشمس بذاتها او في جوهرها ؟ هل هي الحرارة لوحدها ؟ هل هي النور لوحده ؟ هل هي الحرارة والنور ام ان النور والحرارة ينبثقان منها ؟ وماهي الحرارة والنور ؟ هل هما الشمس ام انهما ينبثقان منها ؟ وهنا تكمن الصعوبة(٥) .

اننا نستطيع قول مايلي : الحرارة هي الشمس متى كانت في الشمس ، والنور هو الشمس متى كان في الشمس . فماذا يكون النور متى خرج من الشمس ، وماذا تكون الحرارة متى خرجت من الشمس ؟ اننا نقول عندئذ حرارة الشمس ونور الشمس ، اي الحرارة المنبثقة من الشمس والنور المنبثق من الشمس . وماهي الحرارة خارج الشمس ؟ هي حرارة الشمس لكنها ليست شمسا لانها ليست في الشمس . وماهو النور خارج الشمس ؟ هو نور الشمس ولكنه ليس شمسا لانه ليس في الشمس .

والآن نقول ان الحرارة والنور لايعادلان الشمس الا اذا كانا في الشمس . ولكن لما كانت الشمس تشع وتنبعث منها حرارة فإنها ترسل النور والحرارة . ولأن الشمس تخضع للمادية فان الحرارة والنور تخضعان للمادية ايضا . لذلك فإنهما يخضعان للزمان والمكان ، للبعد والقرب .

ولهذا فانه كلما اقترب النور والحرارة من الشمس كانا شمسا حتى انهما يصبحان شمسا في الشمس لأن قوتهما تكون معادلة لقوة الشمس . ولكن متى فارقتا الشمس فإنهما يضعفان حتى تكون حرارة الشمس ونورها على الارض

وهناك مثل قريب جدا وبسيط ، هو مثل الشمعة . الشمعة هي حرارتها ونورها عندما تكون الحرارة في الشعلة ويكون النور في الشعلة . ولكن متى ابتعد النور والحرارة فانهما لن يكونا الشمعة ذاتها وذلك لانهما يخضعان للزمان وللمكان . ويكاد النور ان يصبح ظلاما والحرارة برودة متى ابتعدا عن مركز الشمس والشمعة . فهناك تكون حالة بين الحرارة والبرودة وحالة بين النور والظلمة على مسافة معينة من الشمعة او من الشمس ، فيها يتم تكاثف النور والحرارة .

نقول ان هذا المثل يعتبر تشبيها قويا جدا لمفهوم الثلاثة والواحد . الشمس والحرارة والنور هي واحد . ماهو جوهر الشمس ؟ للشمس جوهر . ومتى كانت الحرارة في الشمس فهي الشمس . ومتى كان النور في الشمس فهو جوهر الشمس . ولكن لما كان مثال الشمس خاضعا للمادية فانه لايصح ان يعطى كمفهوم لفهم الثلاثة والواحد خير فهم مع انه مثال جيد . أما نقطة الضعف في هذا فلا تقع في المثل ذاته بقدر مايقع في التطبيق . فلو ان حرارة الشمس ظلت شمسا في كل مكان وزمان ، وعلى اية مسافة كانت ، ولو ظل نور الشمس شمسا في كل زمان ومكان ، وعلى اية مسافة كانت ، لكان هذا المثل رائعا جدا ولانطبق تماما على الثلاثة والواحد . ولكن نقطة الضعف هي مادية المثال . فالله واحد

في كل مكان وزمان ولا ينقص في اي مكان بينما تنقص الحرارة وتتضاءل وكذلك ينقص النور ويتضاءل .

ثانياً : يعتبر مثالنا الثاني أقل روحانية من مثالنا الاول .

يعتبر المثلث جوهرا على الرغم من أنه ثلاثة . فما هو المثلث بذاته او بجوهره؟هل هو الاضلاع الثلاثة والزوايا الثلاثة أم هو شيء ما أكثر؟ وماهي الشمس ، هل هي الحرارة والنور ام هي شيء ما اكثر ؟ انها بدون شك شيء ما أكثر . لها جوهر ولكنه يبدو جوهرا ماديا في الظاهر وهو في الحقيقة جوهر روحي[٦] . فالأضلاع الثلاثة مثلث ، فهل المثلث ذاته شيء رابع ؟ وهل الشمس شيء رابع ايضا ؟ للمثلث جوهر وللشمس جوهر ولكن لكليهما صفات أي أقانيم .

ثالثاً : الآن نقدم مثالا اكثر روحية من مثال المثلث .

تتشكل لدينا ثلاثة أقانيم للعلم : العلم والعالم والمعلوم . ونحن لانستطيع ان نتصور العلم بدون علم ومعلوم . ولا نستطيع ان نتصور المعلوم بدون عالم وعلم . فما هو العلم بذاته اي بجوهره ؟ وماهو العالم بذاته اي بجوهره ؟ ان جوهرا واحدا يربط بينهما هو العلم . ولكن هذا العلم يتمثل في العالم والمعلوم . المعلوم في العالم ، والعالم في العلم ، والعلم في العالم ، والعلم في المعلوم ، والمعلوم في العلم ، ولا يتحقق الواحد بدون الاخر .

رابعاً :ننتقل الان الى مثال أفضل .

الانسان يفكر ، وكيف يفكر الانسان ؟ نقول ان للانسان تفكيرا

ويصدر عن التفكير او ينبثق عنه فكر ، او نقول : للانسان فكر وتنبثق عن هذا الفكر فكرة . لنأخذ أياً منهما .

نستطيع ان نلخص هذا القول كما يلي : هناك التفكير ، هناك الفكر الذي ينبثق عن التفكير ، وهناك طاقة انبثاق الفكر عن التفكير اي قدرة التفكير على التفكير . اذاً هناك ثلاثة . التفكير والفكر وانبثاق الفكر عن التفكير . فلولا جوهر التفكير في الانسان لما فكر الانسان ، ولما انبثق فكر عنه او تفكير . فما هو انبثاق الفكر عن التفكير ؟

هو قدرة الفكر على التفكير . وماهو الفكر ؟ هو تفكير الفكر . اذاً هو التفكير ذاته .

الان أفكر فأعطي فكرة . اين هي الفكرة ؟ وما هي ؟ الفكرة لاتبعد عشرة أميال عني او نصف ميل بل هي في تفكيري ، اذاً هي تفكيري . وماهي الفكرة ؟ هي نتاج او هي تفكيري المجسد في فكرة او في فكر . وكيف توجد الفكرة او الفكر ؟ بانبثاقها او بانبثاقه من تفكيري ، فإذاً ، التفكير والفكر وانبثاق الفكر عن التفكير واحد . ولايفرق بينها زمان ومكان . ففكري الذي هو نتاج تفكيري هو في تفكيري ، وانبثاق الفكر عن التفكير لم يؤد ، كمثل الشمس ، الى ابعاد الفكر عن التفكير ، بل ظل فيه . لذلك يعتبر المثال أفضل الامثلة للبرهان على الثلاثة في واحد .

خامساً : ننتقل الآن الى الانسان وذلك لكي نعطيه كمثال قبل الانتقال الى الحقيقة الالهية .

ماهو جوهر الانسان ؟ هل هو جسد ونفس وروح ؟ لكن ،

ماهو جوهره ؟ هل هو شيء ما اضافي او اكثر او هو الثلاثة معا ؟ الانسان هو ثلاثة في واحد . ولكنه لايكون واحدا ان لم يحقق الوحدة التي تحدثنا عنها . لاتوجد قوة في الوجود قادرة على فصل الثلاثة لانها واحدة في الانسان . فهل الانسان الذي هي فيه شيء ما غيرها ؟

سادساً : الان ننتقل الى الذات الالهية .

تؤمن المسيحية، وكذلك أنا ، بالثلاثة في الواحد ، وتسمى الاقانيم الثلاثة في جوهر واحد او الآب والابن والروح القدس . ويصعب على غالبية الناس ، من مسيحيين وغير مسيحيين ، ان يتصوروا هذه الحقيقة لسببين رئيسيين : اولا ، يعجز المسيحيون عن تصورها لانهم لم يتعمقوا في فهم اللاهوت المسيحي من خلال المعرفة والايمان والتجربة الروحية . ثانيا ، اما الاخرون فلأن دينهم لايسمح لهم بالتحدث عن الذات الالهية ولأنه لم يعلمهم شيئا عن الله والروح . فلم يبحث ذلك الدين في ذات الاله . أما المسيحية فقد فعلت . لذلك لايعتبر دين كهذا دينا بل شريعة . فالدين هو البحث في الله ، هو لاهوت الله المتجسد في الناسوت . ولا يعتبر دينا كل شريعة لاتبحث في الذات الالهية .

نقول الله ونقول الروح القدس ونقول الابن . كيف يكون الله ثلاثة ويكون واحدا؟هل ان الله كان هكذا قبل الخلق او بعد الخلق؟لايهمنا هذا كثيرا ، بل يهمنا ان نقول مانعرفه عن الله ونحن موجودون ، أي بعد ان تكونت الخليقة ، وذلك لأننا لانستطيع ان ندخل الى روح الله تماما فنعرف الأزمنة والأوقات والكل معرفة كلية وشاملة .

الله روح ولهذه الروح قدرة او طاقة على الصدور . اذا هناك طاقة

على الصدور . اذا هناك طاقة او قدرة في الروح ذاتها للانبثاق . وهنا يوجد حل للموضوع . الروح تنبثق عنها قوة . اذا فالقوة التي تنبثق عنها تسمى روح قدس ، ونتيجة الانبثاق نسميها ابنا . فالروح هي الاب ، تنبثق عنها طاقة نسميها الروح القدس ، ونتاج الانبثاق يكون الابن . فالروح وطاقتها ونتاجها واحد ، وهي كالتفكير والفكر وانبثاق الفكر عن التفكير .

فالله يظل بجوهره الواحد في حالة الانبثاق لانه لاينقص. وانبثاقه يعادله هو وما ينجم عن انبثاقه يعادله أيضا . وفي الرمز نسمي الله بالآب والانبثاق بالروح القدس وما ينجم عن انبثاق الله عن نفسه بالابن . فالانبثاق ، أي الروح القدس ، أقنوم لكنه هو انبثاق الله في ذاته ، والله لايخرج عن ذاته كما تفعل الحرارة والنور . ونتاج الانبثاق ، اي الابن ، أقنوم لكنه هو الله المنبثق عن ذاته . فاذا كان الأمر هكذا ، فلم نسمي الآب والابن والروح القدس ؟ .

اننا دعونا الامر بهذه الرمزية لأن الخلق قد تم بهذا الشكل أي الانبثاق والفيض والصدور . فلا يمكن ان يكون هناك خلق بدون انبثاق والا فاننا نضطر ان نقر بمادة أولية نادى بها بعض الفلاسفة. والله لاينبثق عن ذاته الا في حركة من ذاته . وفي حركة الله انبثقت طاقة من الله هي الله ذاته ، وانبثاق الطاقة من الله كانت الله ودعيت بالابن[1] . ولهذا فإن الله لاينقسم بالوجود وبالجوهر ، فهو واحد في كل مكان . اما الشمس ليست كذلك لان نورها يتضاءل كلما ابتعد عن المركز . أما الابن المنبثق عن الله لايتضاءل ولا يتبدل في زمان او مكان ، ولايختلف حسب

المسافات والأبعاد ، وذلك لأن الانبثاق ، الروح القدس ، ونتاج الانبثاق الذي هو صورة الله ذاتها او الله في انبثاقه ، ظل في الله . فليس الابن الا الله لأنه هو الله في انبثاقه وصدوره .

سابعاً : الان ننتقل الى الذات الالهية بعلاقتها مع الانسان .

قلنا ان الانسان ذاته ، ممثل الله على الارض ، يحقق الثلاثة فيه لأنه إله مصغر . وان ما يحدث في العالم الالهي يحدث في العالم الارضي ولكن برتبة تختلف . فالانسان هو ممثل الله على الارض وعليه ان يحقق الثلاثة لتعود الى وحدتها . والآن نحاول ان نطبق الثلاثة والواحد على العلاقة بين الله والانسان .

الله هو الآب والانسان هو الابن والروح القدس هو الرباط بينهما او هو الله في امتداده الى الانسان او هو صورة الله ومثاله في الابن .

اننا عندما نقرأ في الاناجيل والرسائل نلمس حقيقة لاينتبه لها المسيحيون انتباها كافيا . ففي وقت من الأوقات يصرح المسيح ان الاب اعظم من الابن (وحقا ان الله أعظم من الانسان). فكيف يكون الابن مساويا للآب ؟ يقول المسيح ان الابن كان في حضن الاب ، ومن رأى الابن فقد رأى الآب . فهل انه كان يقصد نفسه فقط ام انه كان يقصد الانسان ؟ انه بدون شك ، كان يقصد الانسان ايضا لانه كان انسانا .

الله هو الروح الكبرى ، الأب ، والابن هو الروح الصغرى ، الصوري أي الابن . فالابن انبثاق من الله . وقدرة الانبثاق او طاقته كائنة في الابن . ولكن الابن لا يساوي الله في صورته

الجسدية بل في صورته الروحية . لذلك يكون الثلاثة واحدا عندما يحقق الابن الآب فيه ، وذلك لكي يحقق ماهو قائم في عالم الروح . ففي عالم الروح لايختلف او لا ينقسم الله في ذاته ، وفي عالم المادة لاينقسم الانسان او لايختلف في ذاته اذا هو حقق الله في علياته فيه هو . ولا يتم هذا التحقيق الا اذا وجدت علاقة بين الانسان والله . فما العلاقة او ماهو رباط او وسيلة التحقيق والمشاركة ؟

لقد تحدث المسيح عن المشاركة ، مشاركة الابن في الله ، في الآب . وكيف تتم هذه المشاركة ؟ انها تتم بالروح القدس اي المسيح الذي هو روح الله . والآن لنطبقها على الانسان . يتوجب على هذا الانسان ان يحقق صورة ابيه فيه . ومتى حقق هذه الصورة فان الصورة تعكس صاحبها بشكل جلي . فهناك امتداد بين الانسان والله ، هو روح الله أي الروح القدس ، كما ان هناك امتدادا بين الارض والشمس هو نور الشمس وتعمل هذه الروح على إعطاء صفة الروحانية المتزايدة للانسان الذي يبدأ في تحقيق ذاته أي الله فيه . وتحل هذه الروح اكثر فأكثر وتضيء في الانسان كلما أخذ منها ، تماما كما يضيء المصباح اكثر كلما استزاد كهرباء من المولد . ولذلك فان الانسان على صلة دائمة مع الله . قال المسيح : اطلبوا تعطوا ، اقرعوا يفتح لكم . فماذا يعطى الانسان ؟ انه لايعطى المال او المهنة او المركز الاجتماعي او الارضيات بل يعطى بر الله وملكوته ، أي أنه يعطى روحانية ، أي أنه يعطى الله . فهو يأخذ من الله فالله يمتد في الانسان بروحه التي هي الروح القدس . ويستطيع الانسان ان يأخذ من هذه الروح قدر مايشاء بتجربته الروحية ، باشراقه ،

باستغراقه ، بانجذابه ، وباتحاده به ، ولا يتم الاتحاد مع الله الا متى كان الانسان قد أخذ الله إلى داخله ، وأسكنه فيه ، وحقق صورته فلا يكسرها . وكلما حققه أخذ من روح الله واستزاد منها حتى يصبح الله . ولم يحقق أحد هذه الحالة التي تمت الوحدة فيها أكثر من المسيح ويليه بوذا .

٣

نحن ننتقل إلى بعض الأفكار الغنوصية التي بحثت في موضوع الواحد والثلاثة[٨] .

تعتقد بعض الأفكار السرية القديمة ان الله ، مبدأ الواحد ، اوجد مادة اولية[٩] ، المبدأ الثاني ، وأنه حل بها اي وضع روحه فيها اي نفخ فيها . وهذا مايقوله هؤلاء : الله هو الواحد ويرمز له بالرقم واحد ، والمادة الاولى هي الثانية ويرمز لها بالرقم اثنين ، والحياة التي تولدت من حبل المادة بالروح هي الثالثة ويرمز لها بالرقم ثلاثة . وتشير هذه الفكرة الى انه لاوجود لثلاثة بل لواحد . فالثلاثة هي الواحد في الثاني ولاشيء اكثر . والاثنان هو امتداد الله في الوجود . فالاول في الثاني هو واحد في الاثنين . فلا وجود للاثنين الا في الواحد الذي هو في الاثنين . هذا الاول في الاثنين هو الثلاثة . فالثلاثة هي الواحد في الاثنين او هي الاثنان وفيه الواحد . والثلاثة تبدو وكأنها أقانيم ثلاثة لكنها بالفعل هي جوهر واحد .

ويفسر بعضهم الثلاثة تفسيرا قريبا جدا ولكنهم يعطونها الآن

صفات الآب والام والابن . ففي المثال الاول نجد الروح والمادة الاولى والحياة وأما في مثالنا هذافاننا نجد الآب والام والابن . ويعادل الاب الروح والأم المادة الاولية والابن الحياة . فهم يقولون ان الاب ، الواحد ، نفخ في الأم ، الثاني ، فحملت به ، وكان الابن هو نتاج الحمل فالابن ليس الا الآب في الأم ، والأم ليست الا مبدأ الوجود في اقتومه الثاني . وقد اقترن هذا التفسير الثاني بمفهوم خلق الانسان الذي ، كما يقولون ، قد خلق بهذه الطريقة .

وما يهمنا في هذا البحث هو البرهان ان الوجود يقوم في اقانيمه الثلاثة التي تعبر عن جوهر واحد ، في الله ، في الانسان ، في الله والانسان معا ، وفي الوجود ذاته . ونحن نميل للاعتقاد بأن مسألة الثلاثة والواحد لم توجد الا بوجود الفيض والصدور . وذلك لاننا لا نستطيع ان نبحث في جوهر الله الا وهو ممتلىء الوجود لان بحثنا عندئذ ينتقل الى العدم[10] . ولهذا توجب علينا ان نبحث في جوهره الذي لاينقسم . وأما هذا الجوهر فإنه لم ينقسم بعد الانبثاق بل ان الوجود اصبح يقوم على ركائز ثلاثة هي واحدة في جوهرها . انه لايوجد سوى الله .

اما تعادل الثلاثة في الوجود فإنه لايتم الا عندما يحقق الوجود وجود الله وحضوره في الانسان . ففي المادة يتعالى الله ويحايث ، ولكنه في الانسان يحيا . وما لم يحققه الانسان فإنه يتسامى عليه ويتعالى . ولذلك يكون الله خارج الانسان وداخله ، وبقدر مايكون فيه يكون خارجه .

ان الرقم ثلاثة اشارة الى الوجود الروحي والانسان . لذلك لاتتحقق هذه الوحدة الثلاثية الا في الله ، في الانسان ، وفي العلاقة بينهما . هي في

الله وحدة وفي الانسان وفي العلاقة بين الله والانسان وحدة . لهذا نجد ان المسيح ينادي برقم ثلاثة ، فيكون هذا الرقم افضل أشارة للمغزى الروحي في المسيحية . انه بالفعل افضل الارقام لانه يتحقق في نطاقين : نطاق الله ونطاق الانسان . وأما في المحيط المادي الترابي فان الرقم أربعة هو الذي يتحقق . ولذلك فانه لايمكن تحقيق الله في المادة او في الحيوان لأنهما خاضعان للرقم أربعة .

ففي الرقم ثلاثة لم يتحقق الوجود بشكل روحي ومادي ، يعبر عنه بالروحانية والحرية والعقل . وفي الرقم اربعة يتحقق الوجود بشكل مادي بحت يعبر عنه بالغريزة والحتمية . ففي عالم الانسان تسود الحرية ، حرية في الله ، وفي عالم المادة والتراب والحيوان تسود الحتمية والجبرية . ولانستطيع ان نجد الله في الوجود المادي لأنه متعال ومحايث في آن واحد ، لكننا نستطيع ان نجده في الوجود الانساني لأنه فيه يحل وفيه ينبثق او ينعكس . ولهذا فان الوحدة لاتتحقق الا بالثلاثة التي هي واحد في اثنين . واما مايلي الثلاثة فإنه تعدد وتقسيم وتأليف وتركيب . وهذا أمر يمت الى صفات المادة وليس الى الانسان . لذلك فإننا نفهم الله في الثلاثة ـــ الواحد ، وكذلك الانسان ، والعلاقة بينهما .

٤

اننا نجد كلمة الروح القدس موزعة في الاناجيل والرسائل وتستعمل لغرض واحد ولكن بمعان متعددة ظاهريا . ونجد ايضا كلمة

الروح التي تستعمل للغرض ذاته . وليس هناك فرق بين الروح والروح القدس الا مجازا . فالروح هو الروح القدس ولايوجد اختلاف بينهما الا في ان الروح هو الروح القدس حين تتم تجربة روحية تتصل فيها روح الانسان بروح ربها فيحل روح القدس عليها . وليس الروح القدس الا امتدادا لروح الله اي ماينبثق عنه من أجل تحقيق الانسان في الله والله في الانسان .

اننا نجد حالات عديدة تستعمل فيها هذه الكلمة للدلالة على الغيبة والاشراق او التجربة الروحية . فداود قال بالروح القدس ، ويوحنا كان في الروح في يوم الرب،وسمعان قيل له في الروح بأنه لن يموت حتى يرى المسيح ، وبولس وبطرس وغيرهما من التلاميذ كانوا في الروح او كانوا يصلون فرأوا . وتدل هذه المسألة الى ان كون الانسان في الروح او تكلمه بالروح القدس دليل على تجربة روحية عميقة ، يكون في غيبة او في اشراق او في استغراق .

وهنا استعمال هام لمفهوم الروح القدس . فالمسيح والتلاميذ يشددون على ان الانسان ينال قوة عندما ينال الروح القدس . وفي حالة يوحنا نجد بأنه قد امتلأ بالروح القدس وهو في بطن امه ، وان المسيح حبل به بالروح القدس . وهناك من آمنوا فنالوا الروح القدس لدى وضعهم اليد عليهم . وهناك من اعتمدوا ونالوه ايضا . وهناك الروح القدس ، المعزي الذي يرسل اما من المسيح او من الله وكلاهما واحد .

وبالاضافة الى هذا نجد عمقا اكثر في مفهوم الروح والروح القدس ، فروح الله ساكن في الانسان ، والروح يفحص كل شيء حتى

اعماق الله والروح يحيي ، والذي يحكم حسب الله بالروح ، والروح هو الذي يحيي لأن الروح هو الحق .

ويدلنا هذا الى ان الروح والروح القدس واحد ويشيران الى غاية واحدة . ولكننا مع ذلك سننظر الى الموضوع من زوايا متعددة :

أولاً : الاعتماد بالروح .

يشدد بولس على ان يدفن الانسان مع المسيح في المعمودية . ويشدد يوحنا المعمدان في اماكن متعددة من الاناجيل ، على ان المسيح سيعمد بالروح ، والروح القدس ونار . ويشدد بولس على ان يتم الاعتماد بالروح القدس وليس بالماء . فماذا يعني هذا ؟

ان الاعتماد بالروح القدس هو درجة سامية يعني الدخول الى عالم الروح . ولا يمكن ان يعتمد الانسان بالروح القدس مالم يكن قد خضع أولاً لارشاد روحي كبير . وعندما يصل الى درجة روحانية كافية فانه يعتمد . وليس الاعتماد بالروح القدس الا دخول الانسان الى محراب الروح والله . ويخطىء المسيحيون عندما يعتقدون ان وضع اليد على انسان يجعله يحصل على روح القدس او ان الروح القدس منحة او نعمة تعطى لانسان دون اخر[١١] . الروح القدس يعطى لانسان دون اخر ، وهو نعمة ، لكنه يعطى لمن مارس الطقوس الروحية السرية ، وأعني لمن دخل الى هيكل الروح طاهرا بالرشاد مرشد .

ثانياً : تقبل الروح القدس .

نجد في الانجيل ان عددا من الناس تقبلوا الروح القدس . وفي مكان ما يشير التلاميذ الى ان عددا من الذين تقبلوا الكلمة حل عليهم

الروح القدس تماما كما حل على التلاميذ يوم حصلوا عليه . ان هذا التقبل لايعتبر منحة بل كان جهادا من الذين تقبلوه في عالم الروح وفي سرية المجاهدة الروحية . فهم لم يتقبلوه لأنهم قالوا اننا نؤمن بل نالوه لأنهم حققوا المسيح ، الروح ، في داخلهم . فكانت الغيبة والاشراق وكان الحصول على الروح .

ثالثاً : الولادة من فوق .

وهنا يسيء المسيحون فهم هذا الموضوع ويعتقد بعضهم ان الولادة من فوق تعني النعمة التي يمنحها الله لانسان دون آخر . وأما الولادة من فوق فهي الولادة من الروح . ولما كان للانسان روح ، وكان ملكوت الله فيه ، فنسأل كيف تتم الولادة من فوق ان كانت الولادة يجب ان تكون فيه هو ؟ إن في هذا منتهى الرمزية والسرية والروحانية .

الولادة من فوق هي استجابة الانسان لعالم الروح فيه وتقبله له ودخوله إلى قدس اقداس الرب . ولا يكون هذا الدخول بالقرابين والتقاليد وتبديل الملابس وبالحركات العديدة التي نشاهدها بل بتجربة روحية . ومتى تمت هذه التجربة وتمت معها الغيبة ، فإن الانسان يتصل بروح الله ويحصل على الروح القدس ، أي أنه ينال روح الله . وعندئذ تأتيه تلك الروح فتنمو فيه وتتحقق فيه ، وبالرمز يكون قد ولد من فوق . فالولادة من فوق هي ولادة روحية جديدة لأنها ليست ولادة من تحت أي ولادة مادية . وتتم هذه الولادة بمعمودية الروح اي الدخول بالمسيح وبالروح القدس الذي هو فينا الى محراب الروح ــ الرب . كما تتم ايضا بتقبل تعاليم الروح السرية والوصول الى حقل الروح والتجربة الروحية .

رابعاً : المعزي هو الروح القدس .

الله يرسل المعزي او المسيح يرسله . فالمسيح والله واحد لأن المسيح حقق الله . لذلك يقال بأن هناك آلهة . والآلهة هم عدد من المتسجدين الذين حققوا الله ، فأصبحوا آلهة . لاتوجد آلهة بل يوجد إله واحد لأن الروح واحد .

متى يرسل المعزي الى الانسان ؟ لايرسل المعزي الا متى حقق الانسان تجربة روحية كبرى . وكما نرى ان التلاميذ لم يحققوا تلك التجربة عندما كان المسيح معهم في الجسد . ولكنهم ، بعد ان صعد ، اتصلوا به بالروح . فكان الاتصال دليل حصول على الروح القدس المعزي . ولا يمكن الحصول على المعزي ، الروح القدس ، بدون تجربة روحية . ولا يمكن ان يحل الروح القدس على التلاميذ او على غيرهم الا بتجربة روحية ، ولايمكن ان يتم الاعتماد بالروح القدس الا بتجربة روحية . وهكذا ، لايمكن الدخول الى قدس الاقداس الا بتجربة روحية . فالحصول على الروح القدس هو رمز لتجربة روحية تصل بصاحبها الى درجة تحقيق الله .

ان مايدلنا على هذا هو ماذكره بولس والتلاميذ في أماكن متعددة في الأناجيل والرسائل ان الذي يحكم في الانسان هو الرب ، وان الروح يحيي ، وان على الانسان ان يحيا حسب الله بالروح ، وعندئذ ينال الانسان الروح القدس . ولايناله الا إذا حيا حسب الله بالروح ، أي عندما يتحقق الله في أعماقه .

خامساً : حلول الروح القدس يعني الحصول على القوة في أشكال

عديدة . إنها تظهر في التكلم باللغات والالسن ، في التنبؤ ، في شفاء الامراض وفي إقامة الموتى ، وفي غفران الخطايا .

ان من يصل الى درجة من الروحانية ويتقوى بالروح يستطيع ان يقوم بأعمال عجائبية . فقد قرأت كيف أن أتباع بوذا كانوا يسيرون على الماء ، وكيف ان روحانيين عديدين كانوا يسيطرون على حياتهم وعلى أعضائهم ، وكيف ينتصرون على الموت ويشفون الأمراض . لقد شدد المسيح على ان من يفعل مثله يستطيع ان يقوم بالمعجزات التي قام بها وأكثر .

سادساً : ملكوت السماء هو الروح في الانسان . ولكن هذا الملكوت لايتحقق مالم يدخل الانسان الى قدس أقداسه . فالمهم في الدعوة المسيحية هو تحقيق الله في الانسان . فالانسان يتمجد والله يتمجد فيه ، وروح الاب يتكلم في الانسان ، والرب هو الذي يحكم فيه .

ومما لاشك فيه ان تحقيق ملكوت السماء في الانسان يشير الى تحقيق مملكة الروح . واكثر ما يعبر عن هذا التحقيق في علم الروح هو إرسال المعزي او إرسال الروح القدس أو حلوله او الولادة من فوق او تقبل الروح القدس . وتشير هذه كلها الى تحقيق ملكوت الله في الانسان واتصال الانسان بروح الله لكي يحيا فيه .

سابعاً : ملكوت الله يعطى للاطفال . وهذا يعني انه يستحيل تحقيق روح الله فينا ، روح الحق ، مالم نكن ابرياء ، إن أنقياء القلب والفكر يدخلون الملكوت (وليس الدخول عملا مادياً) . ولقد شبه المسيح أنقياء القلب والأطهار بالاطفال لأن روح الطفل نقية لم تتلوث بالشر . انها ماتزال في

قمتها . فلا يدخل احد ملكوت الله مالم يكن نقيا صافياً . ونحن نعلم انه لايتم الدخول الى قدس الأقداس الا لمن كان طاهرا ونقيا .

٥

ان الروح القدس ، مهما تعددت أوصافه ، يشير الى حقيقة واحدة : تحقيق مملكة الله في الانسان . وأما هذا التحقيق فإنه تجربة روحية لايقوم بها الناس لأن الدين فقد معناه . وتعتبر هذه التجربة الوسيلة الوحيدة للدخول الى الأعماق . ويعبر عن هذه التجربة ، متى تمت ،بمملكة السماء او بالروح او بالرب او بالروح القدس او بالحق ، وهي كلها دلالة للقوة الروحية التي تنشط في الانسان وتعمل فيه فيحيا الانسان فيها .

ومتى استطاع الانسان ، بتجربته الروحية ، ان يدخل الى أعماق الروح ، فإنه يحقق الملكوت الموجود فيه ، ملكوت الله ، ويحصل على الروح القدس . ولما كان الروح القدس يأتيه من فوق فإننا نقول بأنه يحل فيه . والواقع انه لايوجد فوق او تحت او شرق او غرب او جنوب او شمال في علم الروح . فالله في كل مكان . وأعظم مكان لله هو الجسد الانساني . ولهذا فإن الملكوت هو في الانسان ، ويعتبر تحقيقه حصولا على الروح القدس . ومتى تم تحقيق الله في الانسان فان الانسان يصبح خالقا كالله لأنه يسيطر سيطرة تامة على العالم المادي ، فيقيم الموتى ويشفي المرضى ويرسل فكره وروحه ويكون في كل مكان ، لامكان . لقد حقق

المسيح هذه المعجزة كما حققها غيره من كبار الروحيين . ولكن تحقيق كل قديس او نبي او روحاني كان على رتبة معينة .

٦

إن غالبية المسيحيين لايعرفون من الدين المسيحي الا مظاهره فهم مازالوا ينظرون الى الأمور كما نظر إليها اليهود . لذلك لم يستطع اليهود فهم المسيح لأنه كلمهم عن مملكة الله ودعاهم ليحققوا الله فيهم ، بينما كانوا يفكرون بمملكة الأرض. وأما المسيحيون فقد أعادوا الامور الى ماكانت عليه من وثنية قديمة . انهم يعتبرون الحرف ويجهلون الروح . انهم ينظرون الى ملكوت الله بمراقبته كما فعل اليهود ، ويفهمون الروح القدس بأشكال مادية لايأبهون بالانسان ولا يقيمونه بشيء . لذلك فقد تدنت المسيحية بسبب المشرفين عليها .. إنهم ليسوا روحانيين لانهم لايعرفون التجربة الروحية .

وأما اليهود فانهم ينفثون سمومهم في المسيحية وذلك بسبب حرفيتها وجمودها . إنهم يشترون بعض المسيحيين او يضللونهم بدعايات مستترة وبتفاسير كاذبة . انهم شهود يهوه والسبتيون والمتجددون . أليس مايضحك ان يقول المتجدد بأنه تجدد مع المسيح بمعمودية الماء التي يغطس نفسه فيها ؟ ألا يعلم هذا المتجدد المسكين ان معمودية الماء قد أبطلت وان معمودية الروح ، التي هي تجربة روحية لايفهمها ، هي الاصل في تحقيق الروح والدخول Initiation الى أعماق الروح !

حواشي الفصل الخامس

١ ــ راجع كتاب « مقالة في العقل والنفس والروح » و « المادة والروح » لمؤلفهما ندرة اليازجي .

٢ ــ الفرق بين الروح والمادة هو الفرق بين درجة الاهتزاز والكثافة .

٣ ــ راجع فصل « النفس » من كتاب « مقالة في العقل والنفس والروح » .

٤ ــ ان قول المسيح في انقسام المملكة على ذاتها يشير الى انقسام مملكة الانسان . فإذا لم تنقسم هذه المملكة على ذاتها فإنها تحقق الروح ومملكة السماء ، كما تحقق الوحدة اي الجوهر الواحد . واذا انقسمت فإن الشيطان يعمل على تجزئة الثالوث القائم في الجوهر . وعندئذ ينقسم الوجود على ذاته . كان هدف المسيح وغايته ان يعلم مبدأ تحقيق الوجود وإكماله لكي لاينقسم . فالغاية من وجود الانسان هي تحقيق الوجود بكامله والقضاء على الانقسام الظاهري فيه ، اي الثنائية والتعدد .

٥ ــ ليس هناك فرق اساسي بين الحرارة والنور . فالحرارة نور وهي في حالة ركود ، او في جسم ، والنور حرارة وهي في حركة سريعة . راجع كتاب « النظرية السائلة للنور والحرارة » للعالم لسلي .

٦ ــ يقر العلم الروحي ان جوهر الشمس هو النور . لكن النور يبدو ناراً وليست النار الا تكثيف النور .

٧ ــ يذكر جاكوب بوهمه في كتاب « اورورا » مايلي :

الاب هو الكل

الابن هو قلب الكل

الروح القدس هو الحركة الحية في قوى الاب كلها ، في الكل .

٨ ــ تشير المدارس الروحية السرية بكليتها الى مبدأ التثليث .

٩ ــ ليست المادة الأولية ، في الدراسات الايزوتيرية السرية ، الا النار الكونية المنبثة في الوجود .

١٠ ــ يشير العدم في المبادىء السرية القديمة الى العمق ، الى الوجود المحض ، الى السكون .

١١ ــ لاتكفي الطقوس والتقاليد للدلالة على مغزى الاعتماد بالروح .

الفصل السادس

النعمة

متى دخلنا الى محراب النعمة نجد أنها استعملت بتعابير عديدة .
وكانت نعمة الله عليه : الدخول بالايمان الى هذه النعمة : حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة : كما ملكت الخطيئة في الموت هكذا تملك النعمة : لاتسود الخطيئة من كان تحت النعمة : حصلت بقية حسب اختيار النعمة : فان كان بالنعمة فليس بعد بالاعمال : فإني اقول بالنعمة المعطاة لي : لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا : كمذكر لكم بسبب النعمة التي وهبت لي من الله : ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة : نعمة الرب يسوع المسيح معكم : لتكون لكم نعمة ثانية : افرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته : لست أبطل نعمة الله : سقطتم من النعمة : دعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى اعمالنا بل بمقتضى النعمة :

اننا نستطيع ان نصنف هذه النعمة كما يلي :

أ ـــ النعمة المعطاة لي .

ب ـــ الدخول الى النعمة .

جـ ـــ الخطيئة والنعمة او الاعمال والنعمة .

د ـــ النعمة والمواهب .

هـ ـــ النعمة الثانية .

و ـــ السقوط من النعمة .

ز ـــ القصد والنعمة .

ما النعمة المعطاة ؟ كيف تعطى هذه النعمة ؟ هل هي تعطى لانسان دون اخر ؟ او انها تعطى لانسان اكثر من انسان اخر ؟ وهل أنها اعطيت للمسيح كما أعطيت لاي نبي اخر ؟ او ان المسيح هو النعمة ؟

في ما يتعلق بالمسيح نجد ان نعمة الله كانت عليه . والمسيح ذاته سيكون سلاما مع الله ووسيلة وصول الى النعمة ، كما انه سيكون نعمة مع الناس . وبهذا نرى ان نعمة الله كانت على المسيح ، وكان المسيح نعمة تعطى للاخرين .

وفي ما يتعلق ببولس نجد ان نعمة قد أعطيت له لانه تعب اكثر من الرسل الاخرين ، ولأن الله دعاه بنعمته وافرزه من بطن أمه ، كما أننا نجد انه وسيلة نعمة ثانية .

وفي ما يتعلق بالانسان عامة نجد ان هدفه ينحصر في الدخول الى النعمة بالايمان بالمسيح لكي يتبرر ، وانه يستطيع ان ينتصر على الخطيئة بها ، وان السقوط من النعمة دخول الى الناموس .

وفي مايتعلق بفلسفة النعمة نجد أن هناك قصدا يتحقق بمقتضى هذه النعمة ، وان النعمة هي طريق الخلاص من الناموس والخطيئة ، وان هناك اختيارا للنعمة ، كما ان المواهب تختلف بحسب النعمة .

ان قراءتنا لهذا الكشف عن النعمة يطرح هذا السؤال أمامنا : هل يستطيع الانسان ان يحصل على النعمة ؟ واذا كان الانسان قادرا على الحصول عليها ، أفلا يتنافى هذا مع قول بولس باعطائه النعمة وبافرازه من بطن أمه ودعوة الله له بنعمته ؟ الا نرى بأن هذه النعمة تعطى ؟ .

وفي الجانب الثاني نجد ان النعمة تؤخذ ويتم الحصول عليها بالايمان . ولكن هل هذا يعني ان النعمة التي نحصل عليها تصبح نعمة معطاة ام ان ايماننا هو الذي جعلنا نحصل عليها ، فأصبحت النعمة نتيجة ايمان ؟

ان دراسة الروحانية والاسرار والمبادىء العميقة في علم الانسان تعلمنا ان اكتساب الانسان للمعرفة الروحية وتعمقه في الايمان وحصوله على درجة سامية اخلاقية انما يكون نتيجة لبحثه المتواصل الدائم في تجربة روحية يحقق فيها الله ، الروح . ومتى تم هذا التحقيق فان النعمة تتحقق ويأتي كل شيء من الاعلى ، من السماء ، وتكون الولادة من فوق ، وتكون الخليقة الجديدة . فالنعمة هي هذه الولادة من جديد ، وهي التجربة الروحية التي يدخل بها الانسان الى عالم الروح ، والله ، وهي الايمان الذي يحققها .

عندما يتحدث بولس عن النعمة المعطاة له فانما يقصد جهاده الروحي وتجربته التي حققها في عالم الله ، عالم الروح . وكانت تلك التجربة

نعمة سماوية لأنها جعلته يولد من جديد ، وليست هذه الولادة ، من فوق ، الا نعمة . ان المسيحيين يسيئون تأويل تجربة بولس وفهمها . فلا يمكن ان يكون بولس قد حصل على النعمة بشكل سريع وهو خارج عن الايمان بالمسيح الكوني . لذلك فقد عرف بولس التجربة الروحية التي اكتشف المسيح فيها . وفي اكتشافه المسيح بتجربته حصل على نعمة المعرفة . فاعتبر ايمانه نعمة عظيمة .

وأما أن يكون بولس قد حصل على النعمة وهو في بطن امه عندما افرزه الله ، فلا يعني ان النعمة قد اعطيت له حينذاك بل ان قصد الله ومعرفته المسبقة كانت نعمة لبولس . لذلك فقد حصل على النعمة منذ ولادته ، وحتى عندما كان في بطن امه ، لانه سيكون داعيا لنعمة ومحققا لتجربة روحية كبرى وعميقة تصل ذروتها في المسيح . ويكفي بولس ان يكون الله ، في معرفته وتصوره ، قد علم مستقبله .

فالنعمة المعطاة مجاز للحصول على النعمة من خلال التجربة الروحية . ومتى تمت هذه التجربة فان اتصال الانسان يتم مع الأعلى ، ويكون كل شيء من الأعلى . وأقصد ان التجربة الروحية هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله وللاستغراق فيه ، هذه المعرفة وهذا الاستغراق اللذان هما النعمة .

فهناك اذن نعمة معطاة هي النعمة التي يعطيها الآب عندما يستغرق الانسان فيه ، وهي نتيجة تجربة روحية فعالة ، وهناك الدخول الى النعمة بالمسيح .

هل ان النعمة المعطاة هي النعمة المكتسبة ذاتها اي النعمة التي

ندخل اليها بالايمان ؟ فان كانت النعمة الاولى هي الثانية فان النعمة واحدة وتتساوى النعمة المعطاة بالدخول الى النعمة . وان كانتا تختلفان فهناك محاباة ولا عدالة . واني اقر بان النعمة واحدة وان الاختلاف ليس الا رمزا في التعبير عن نوعية التجربة الروحية .

النبي او القديس يتحدث عن نعمة معطاة . لكننا نفهم ان تلك النعمة لم تعط الا بعد جهاد عنيف في عالم التجربة الروحية . بطرس لم يحصل على النعمة عندما كان صيادا ، وبولس لم يحصل عليها عندما كان تلميذا لغمالائيل يتعلم الناموس ويغوص الى اعماقه . فكيف كانت نعمة معطاة ؟ انها معطاة بالنسبة للاخرين الذين ينظرون الى هؤلاء الرسل بأنهم نخبة ممتازة يقومون بتأدية رسالة إلهية . ولكننا نعلم ان معظم تلاميذ المسيح كانوا تلاميذاً ليوحنا، وان المسيح لم ينتخب تلميذا الا وكان له شيء من التجربة الروحية . وبهذا فإن النعمة هي تحقيق لتجربة روحية وهي تحقيق الله في الانسان بأفضل شكل وأجمل صيغة وأسمى مفهوم .

وعندما نبحث في موضوع مريم والنعمة ، نعلم ، حسب التعاليم الروحية السرية ، ان مريم لم تحمل بالمسيح روحا لو لم تكن امرأة قامت بتجربة روحية كبرى ، هي سامية غاية السمو . وعندما تمت تجربة مريم تلك حملت بالروح وذلك لأن روحانيتها أصبحت كبرى وسامية تجعل منها بل تساعدها على ان تتصل بالله روحيا . فمريم كانت قديسة كبرى ، رائية كبرى ، بريئة وعظيمة بين النساء . كانت مريم ، قبل حواء ، تمثل المبدأ الانثى في الوجود الذي حمل بروح الله دون وساطة رجل . ومما

لاشك فيه ان مريم تمتلىء بالروح القدس لأنها وصلت الى درجة من القداسة جعلتها تتصل بالله وتحمل روحه في أحشائها . ان حادثة مريم نادرة في التاريخ لأن ندرتها قائمة على ندرة التجارب الروحية بين النساء والتي تصل الى هذه الدرجة من التحقيق الالهي . ان استغراق مريم في القداسة والالوهية جعلها تحمل روح الله فيها .

ولم تعرف مريم المجدلية خلاصها الا بعد تجربة روحية قامت بها . فامتلأت كغيرها بالروح القدس . ولم يعرف التلاميذ الخلاص الا بالتجربة الروحية ايضاً . وكذلك بولس فإنه لم يعرف الخلاص والله الا بعد تجربة روحية عميقة .

وعلى هذا الاساس نعلم ان هؤلاء قد حصلوا على النعمة بعد جهاد طويل ندعوه في علم الروح بالتجربة الروحية . لقد دأب هؤلاء في جهادهم وممارستهم في الطريق الروحي الذي أوصلهم الى النعمة . فلم تكن النعمة معطاة لهم بقدر ما كانت مكتسبة . ولا تسمى النعمة معطاة الا عندما نعلم ان معرفة الله المسبقة تجعلها معطاة لهؤلاء .

ويستحيل ان نعترف بعطاء النعمة لانسان دون إخر وذلك لكي لانقع في موضوع فلسفة العودة . فإما ان يأتي انسان معين مجهزا بطاقة روحية اكثر من غيره واما ان يأتي جميع الناس متساوين بالطاقة ذاتها . فإن أتى اناس مجهزين بطاقة أكبر فإنما يعني ان هناك عودة وتصح نظرية عدم إكمال الوجود في دورة واحدة . وتعتمد هذه النظرية على المبدأ القائل ان الانسان قد وجد على هذه البسيطة ليحقق الكمال . واذا لم يكن قادرا على إكمال الوجود ، اي الوصول بالوجود الى الله الذي هو خاتمة الوجود ،

في دورة واحدة ، فإن عودة تترتب عليه لكي يستمر في التحقيق . وتستمر عودة الانسان بل عوداته ، وتتكرر حتى يحقق الوجود . وتقر هذه النظرية بأن مجيء الانسان يعتمد على درجته السابقة . فهو اذاً سيكمل دورة حياة سابقة . وهكذا فان نظرية المجيء بنعمة اكبر تعني العودة بطاقة أكبر . وهذا ماسنتركه للبحث فيه مطولاً في الفصل السابع من القسم الرابع .

لكن هذه النظرية تدفعنا الى الخوض في موضوع اكثر عمقا هو ارادة الله وتدخله في شؤون البشر بحيث انه يوكل الى الروح برسالة معينة ويرسلها الى الوجود . وبهذا الارسال تعطى له نعمة . فبولس ، على الرغم من عدائه للمسيحيين ، كان اناء مختاراً لله من بطن امه . وفي هذا الارسال تحقيق لارادة إلهية ولغاية تعبر عن تدخل الله . وتكون النعمة معطاة .

اننا لاننكر على العناية الالهية قصدها ومرماها . فبولس يتحدث عن القصد والنعمة . لكنه يتحدث عن هذا القصد والنعمة بشكل معين . فهو يدعو الناس جميعا الى هذه النعمة . فما هي النعمة التي يطالبنا بولس ان ندخل اليها بالايمان ؟

٢

لما كنت من المؤمنين بأن لاشيء يأتي من فوق ما لم يكن قد صعد من تحت ، وأعني ان لاشيء يعطى من فوق مالم يكن قد طلب من

تحت ، اي ان لاشيء يأتي من الله مالم يكن قد صعد من الانسان . اي ان لاشيء يأتي من فوق مالم يكن قد تحقق في الانسان ذاته ، فاني سأبحث معنى النعمة من وجهة الفكر المسيحي وليس من وجهة الفكر الكنسي .

يدعو بولس جميع المسيحيين للدخول الى النعمة . وفي هذا النداء برهان على امكانية دخول كل انسان الى النعمة . ولا يتم الدخول الى هذه النعمة الا بالمسيح . وهنا يتوجب علينا ان نذكر ان بولس ذاته والتلاميذ لم يحصلوا على هذه النعمة الا بتجربتهم في المسيح ايضا . وتعتبر هذه النعمة معطاة لأنهم كانوا تلاميذا ، لكنها في الحقيقة مكتسبة . ويستطيع جميع المسيحيين ان يدخلوا الى النعمة بالايمان . لذلك تتحقق النعمة بهذا الشكل وعلى درجات حسب المواهب الروحية .

والآن ، وبعد ان فهمنا معنى الدخول الى النعمة المعطاة فإنه يتوجب علينا ان نؤول معنى الدخول وكيفيته . فكيف يتم هذا الدخول ؟

اولا ؛ لكي نفهم معنى النعمة يتوجب علينا ان نقارنها بالناموس . لقد رأينا كيف ان الناموس اعطي بموسى وكيف ان النعمة اعطيت بالمسيح . فما هي ماهية النعمة ؟

الناموس لايؤدي الى النعمة اي لايدخلنا اليها وذلك لأنه حرف وليس روحا . فالناموس لاينقذ لأنه جسد ومادة وبالتالي لاتتم التجربة الروحية فيه . اما المسيح فقد علمنا تجربة روحية كبرى ، هي تجربة الاستغراق في الله لتحقيقه فينا . ولهذا تكون النعمة التي جعلنا المسيح ندخل اليها هي محراب الروح . فالنعمة هي تحقيق الله في الانسان من

خلال تجربة روحية . ولهذا فان الناموس تنتفي منه النعمة لأنه لايتضمن هذه التجربة .

ثانيا ، لما كانت هذه النعمة لاتتم بالناموس وتتم بالمسيح ، فان المسيح يكون النعمة وطريق الدخول اليها . فهو النعمة لأنه حقق الله تماماً فكان الله ، ولذلك فاننا لانحصل على نعمة الله الا بالمسيح اي ان نعمة الله ونعمة المسيح نعمة واحدة . وهو طريق الدخول الى النعمة لأنه علمنا طريق تحقيق الله في الانسان ، تحقيق الآب في الابن . وهذا مالم يعلمنا إياه الناموس الذي أوجد انقطاعا هائلا وفجوة كبرى بين الانسان والله ففصل بينهما ، وجعل الانسان عبدا .

فالنعمة حاصلة للانسان بالايمان بالمسيح الذي هو وسيلة النعمة . ولهذا فاننا ، على ضوء فهمنا للتجربة الروحية ، لابد وان نقسم النعمة الى قسمين من حيث الظاهر : نعمة معطاة ونعمة مكتسبة . فالنعمة المعطاة هي النعمة التي حصل عليها التلاميذ والرسل . اذا هي النعمة التي تم الحصول عليها بتجربة روحية كبرى ، تبدو بأنها معطاة من الله ، وبعد استغراق كبير في المسيح . وهذه النعمة سامية جدا لانها جهاد الروح في تحقيق الروح العليا اي الله . والنعمة المكتسبة هي تلك التي يتم الحصول عليها من خلال الايمان بالمسيح . وهذه الثانية تعلم للمسيحيين عامة ولا تكون على درجة نعمة الرسل والتلاميذ لأنهم لايحققون الله فيهم كما فعل الرسل ولايقومون بتجربة روحية عميقة كما فعل الرسل ايضا . وفي هذا تقع المسؤولية على عاتق المسؤولين الدينيين ــ الزمنيين .

ثالثا ، ان هذه النعمة المعطاة للمسيحيين او التي يدعو بولس اليها

لكي يتم الدخول اليها هي نعمة معطاة . ولم تكون معطاة ؟ إنها اصبحت معطاة للمسيحيين تماما كما أعطيت للرسل والتلاميذ . إنها أصبحت معطاة لان المسيح قد اصبح معطى لهم . فالمسيح ــ النعمة معطى لهم لأنه قد أتى ليكمل الوجود ، ليحقق الله على الارض ، ليملأ الكل ، ليحقق ملء اللاهوت في الجسد . فالمسيح ــ النعمة هو الله . اذاً ، فقد أصبح معطى للمسيحيين . ولذلك فان النعمة معطاة لهم . ولكن كيف يتم هذا !

يقول بولس ان المواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا . واننا نستنتج مايلي :

١ ــ ان النعمة قد اصبحت معطاة لنا .

٢ ــ اختلاف المواهب بحسب هذه النعمة .

والان نسأل ؟ كيف تكون النعمة معطاة لنا وكيف يكون هناك اختلاف في المواهب فيها ؟ ألا يبدو هذا وكأنه تناقض داخلي كبير ؟ وجوابنا يكون كما يلي :

لما كان المسيح ــ النعمة قائماً وحقيقة ، فإنه أصبح معطى . فالمسيح معطى للمسيحيين ، وأعني ليس للمسيحيين بالاسم بل للذين يتبعون طريقته الروحية وتجربته . ولكن لما كان المسيحيون لايحققون المسيح الكوني فيهم ، لذلك فان نعمتهم تختلف ، وتكون نعمة من يحققون المسيح الكوني فيهم اكثر من غيرهم موهبة وأعظم في النعمة . ويسيء المسيحيون فهم هذا الكلام لاعتقادهم ان نعمة إنسان اكثر من نعمة انسان اخر ، كما يسيئون ايضا باعتقادهم بأنهم مخلصون اكثر من غيرهم .

فالنعمة معطاة للمسيحيين الذين يحققون النعمة ، لا للمسيحيين بالاسم ، وذلك لأن المسيح معطى لهم . واما تحقيق هذه النعمة فانه يعني اختلافا في المواهب . فالاختلاف في المواهب ينتج عن اختلاف في تحقيق النعمة . ولاشك ان الذين يحققون المسيح الكوني فيهم ، اي المسيح ـــ النعمة ، يحققون موهبة روحية كبرى . وليست الموهبة الروحية الا الروح في الانسان ، واكثر من هذا ، هي القيام بتجربة روحية لتحقيق هذه الروح القدس ، الله ، ولذلك تكون نعمة من يحقق الموهبة الروحية اكثر ، كبيرة .

ويستمر بولس في قوله : جدّوا للمواهب الروحية . ويعني ان يعمل الانسان من أجل تحقيق الموهبة الروحية . وكيف تتحقق الموهبة الروحية : إنها تتحقق بتجربة روحية . ولكن التجربة الروحية تتفاوت . وبتفاوتها تفاوت في النعمة . فالموهبة هي نتيجة لتحقيق التجربة الروحية التي تقودنا الى النعمة . فبقدر ما نحقق المسيح ـــ النعمة فينا نحقق النعمة . ولا يتم تحقيق المسيح الا بتجربة روحية كبرى .

لكن بولس يدعو الناس لأن يتنبأوا . فماذا يقصد بولس من دعوة الناس الى التنبؤ ؟

التنبؤ هو أعلى درجة في التجربة الروحية . فالمواهب الروحية ، في رأي بولس ، حسنة وصالحة ولكن التنبؤ أفضل . ويقصد بولس بالتنبؤ الوصول الى نقطة عليا في الروحانية بحيث ان المتكلم في الانسان يكون الرب ـــ الروح ، والمفكر فيه يكون الروح . وهو يقصد ان يحقق الانسان الله غاية التحقيق . وبهذا التحقيق ، في غايته العليا او درجته

العليا ، يتنبأ الانسان اي انه يصل الى درجة عالية من التجربة الروحية ، درجة الكشف . وفي هذه الدرجة العليا يحقق الانسان اكبر نعمة ، بل يصبح نعمة .

والآن نطرح هذا السؤال القيم ، كيف يدعو بولس الى التنبؤ والى المواهب الروحية ؟ يعلم بولس ان روح الله كائنة في الانسان . ويطالب هذا الانسان ان يحقق روح الله فيه . ومتى عمل الانسان على تحقيق هذه الروح فانه يحقق المواهب . فالموهبة موجودة في الانسان ، وليس عليه إلا تحقيقها . وكلما ارتفع في سلم تحقيق المواهب عن طريق التجربة الروحية ارتفع في سلم الروح حتى يصل الى القمة وهي التنبؤ . ولما كان بولس يدعو الى هذا التحقيق ، ولما كانت الموهبة قائمة ، ولما كان على الانسان ان يجد ويجتهد ويجاهد ، فليس عليه الا ان يحقق ماهو كائن فيه .

اننا نذكر كيف يقول بولس بأن الامم قد حصلوا على الايمان والنعمة منذ البداية[1] . فالنعمة قائمة في الانسان ولكنها لاتتحقق . فكيف يحققها الانسان ؟ انه يحققها بالايمان بها . والايمان بها ليس الا الايمان بالمسيح ــ الكوني ــ النعمة الذي حقق الله فكان الله . فالنعمة تعطى لجميع البشر على السواء ، مسيحيين وغيرهم ، وهي معطاة ، وموجودة فيهم منذ ان خلقهم الله .

٣

الآن نعلم ان النعمة هي غاية الانسان . وإما الغاية فانها قائمة في

الناموس الالهي المكتوب في الذهن والقلب والضمير . ومنذ البدء كتب الله ناموسه في الانسان ، أي انه كتب شرائعه فيه . وماهي الشرائع التي كتبها الله في انسان ؟ هي ان يحقق الله فيه .

لكن الانسان سقط ، فسقط من النعمة . ولهذا نقول ان الانسان قد خلق في حالة النعمة لأن شرائع الله ونواميسه كتبت فيه ونحتت في صدره وذهنه . ولكن الانسان لم يحقق شيئا من ناموس الله ، ناموس الروح ، الذي خط فيه وكتب . فسقط الانسان من نعمته .

وكيف تتم العودة الى النعمة ؟ انها تتم بعودة الانسان ، أي انسان ، الى نواميس الله المكتوبة في ذهنه وقلبه وضميره فيحققها . ولكن لما كان الانسان في حالة سقوط ، وقد أدى السقوط به الى خضوعه للناموس المكتوب بالحرف وليس للناموس المكتوب في الروح ، فإنه لايخلص لأن الناموس المكتوب بالحرف ليس هو طريق الخلاص . ولما كان المسيح هو مثالا يحتذى به للعودة بالانسانِ الى الروح ، الى الله ، وإلى تحقيق مملكة السماء في الانسان ، فانه سبيل الى النعمة لأنه اصبح نعمة بذاته بتحقيقه الكامل لله .

وما القصد من هذا كله ؟

لما كان الله مخططا للكون وللانسان ، فلا بد ان يتم تحقيق هذا المخطط . ومما لاشك فيه انه توجد في هذا المخطط مقوماته كلها وشرائعه . ولما كانت شرائع هذا المخطط ترى فيه وتوجد ، فان غاية المخطط هي تحقيق تلك الشرائع والقوانين . فالشريعة لاتتم الا بتحقيقها . ولما كان الانسان هو مخطط الله للوجود فان غاية الانسان هي تحقيق هذا المخطط . ولما كان

الانسان ـــ المخطط يحمل شرائع الله ونواميسه المكتوبة فيه ، فان غايته هي تحقيق الله فيه . ولما كان الانسان في حالة النعمة وكانت نواميس الله مكتوبة فيه وقد سقط منها لأنه لم يحقق نواميس الله فيه ، فان الانسان خضع لجسديته ولم يحقق شيئا من الله فيه . ولما كان التخلص من الناموس الحرفي يعني العودة الى النعمة ، فان الخلاص من الناموس يعني النعمة ذاتها . ولهذا فانه لاتتم النعمة الا بالنعمة ، أي أنه لاتتم العودة الى النعمة الا بالنعمة ذاتها أي بتعليم طريق الوصول الى النعمة . ولما كان المسيح طريقة عظمى ، بل أعظم طريقة ، للنعمة فان المسيحي الذي يلبسه يعود الى النعمة لأنه يحققه .

٤

لهذا نرى ان موضوع النعمة لايرى الا من زاوية واحدة فقط ، هي تحقيق الله في الانسان . فهي اذاً تحقيق مملكة الروح في الجسد ـــ الهيكل . ولما كان المسيح يمثل أعظم طريقة للوصول الى النعمة فان المسيحية نعمة اذا كانت تهدف الى تحقيق الله .

اما درجة التحقيق فانها تختلف من انسان الى انسان اخر وذلك بمقدار مايحقق المسيح فيه أي بمقدار مايؤمن . لهذا فان المواهب تختلف باختلاف التحقيق . والتحقيق يرتفع ويسمو بمقدار مانتوصل اليه من خلال التجربة الروحية . ولما كانت التجربة قائمة في كل انسان ، فانه

موهوب لكل انسان ان يدخل الى النعمة . وتتوقف درجة النعمة التي يحققها بنسبة او بدرجة تحقيقه للمسيح الكوني .

وجدير بنا قولنا ان النعمة لاتتم بالناموس بل بالمسيح . وجدير بنا قولنا ايضا ان اليهودية ، وهي ناموس حرفي ، تفشل ان تحقق طريق الخلاص .

حواشي الفصل السادس

١ ــ هذا يعني ان الأمم كانوا أقرب الى المسيحية من اليهود . فقد استيقظت فيهم النعمة التي منحها الله لجميع الناس لدى تبشيرهم بالمسيحية التي لم يأخذوها من الشريعة والتوراة . ألم يكن الرواقيون الذين نادوا بالمحبة والأخوة الانسانية أقرب الى الفكر المسيحي من اليهود الذين نادوا بالعرقية والعنصرية والاله الخاص ؟

القسم الثالث

الغنوصية والايمان والسرية
في
المسيحية

الفصل الأول

الايمان

ان موضوع الايمان يجذبنا الى روحانية المسيحية . فهو يعتبر ركيزة الدين . ولما كان الايمان هو العنصر الاول الرئيسي فان الدين لايتقوم بدونه . فما هو الايمان ؟

نستطيع ان نعرف الايمان بتعريفات ثلاثة هامة : اولا ، الايمان هو تلقائية الروح ، أي انجذاب الروح وتوقها الى حقيقتها ، أي فعل الروح في ذاتها ، اي عودة الروح الى حالتها الأولى . ثانيا ، الايمان هو حالة فوق عقلية . ثالثا ، الايمان هو إشراق داخلي .

اولاً : يعتبر الايمان فعلا روحيا لايُعبَّر عنه . الروح تقوم به لأنه من جوهرها . فهو طبيعة جوهرية في الروح . انه عمق الروح وفعلها في ذاتها وعملية عودتها الى حقيقتها . واننا نستطيع ان نلخص مفهوم الايمان بهذه الكلمات : هو توق الروح الى مصدرها .

الروح في توق دائم الى مصدرها أي الله . ويعتبر فلاسفة الروح ان الروح في غربة وتتوق للعودة ؟ انها في سجن وتريد الانعتاق منه والتحرر . لذلك كان الايمان حرية في الله . الروح لاتميل الى التجسد وذلك لانها تتجنبه قدر الامكان . التجسد ألم وعذاب والروح ترغب بالبقاء في حالتها الاولى . اما عندما يتم التجسد فانها تتوق الى العودة والالتجاء الى صدر الله .

في أعماقنا نداء دائم يحثنا على التعلق باللاوجود ، بالله . والعمق القائم فينا برهان قاطع على هذا اللاوجود ، الله . ففي أعماقنا حنين لاندري ماهيته . إلام نحنُّ ؟ اننا نحنّ الى حقيقة ما . ولاندري ماهيتها ، ولكننا مع ذلك نحنّ اليها ، ونتوق للعودة اليها وللانغماس فيها .

ولهذا ، فاننا نستطيع ان نعطي للايمان صفات ثلاثا جوهرية : توق الروح الى مصدرها بسبب شعورها بالغربة ، حرية الروح اي انعتاقها من المادة وانطلاقها في الله ، عمق الروح الذي لايُسبر . وتخبرنا الدراسات الروحية السرية ان القائم بتجربة روحية يتوق توقا فعالا الى الخلاص والتحرر . ومع انه يكون قد حقق الوجود الروحي وهو على الارض لكنه يتوق دوما للعودة الى احضان الله . ويعتبر هذا التوق انطلاقا في عالم الغيب .

ثانياً : يعد الايمان حالة فوق عقلية ، حالة لايعبر عنها بالعقل والفكر . ويتفق علماء الروح على وجود العقل الفوقي . فما هو العقل الفوقي هذا ؟ هو الروح . اما استعمالنا لكلمة العقل الفوقي فليس الا رمزا وسرية وذلك لأن الانسان يدرك بالعقل ولكنه يحيا بالعقل الفوقي . ويعبر

عن العقل الفوقي بالوصف الذي قدمه احد الحكماء عندما طلب منه ان يصف الحالة التي يكون فيها الانسان في حقل العقل الفوقي .

قال الحكيم النبي : في الانسان سبع طاقات رئيسية . ثلاث منها تتركز في القسم الادنى من الجسد كالمعدة وعضو البراز وعضو التناسل . وتعتبر هذه الطاقات الثلاث سفلى تجذب الانسان الى الادنى ، الى المادة ، الى الغريزة اذا أساء الانسان استعمالها . وهناك طاقتان في الصدر هما القلب والرئتان . فهما مركز الانفعال والعاطفة والالم والفرح والمحبة والغبطة . القلب يخفق والصدر بكامله يعلو ويهبط في حالات عديدة . وتعتبر هاتان الطاقتان نبيلتين تجذبان الانسان الى الأعلى ، لكنهما تجذبانه ايضا الى الاسفل . ففيهما يتأرجح الانسان بين الخير والشر . وهناك طاقة تتركز في قاعدة الدماغ ورأس النخاع الشوكي ، وهي القاعدة العقلية التي تسير الانسان . وتعتبر هذه الطاقة خيرا لانها لاتعمل الا في الهدوء والتفكير . وفيها يكون الانسان فاضلا ورصينا . وهناك طاقة اخيرة هي في الاماكن الحساسة العليا من الدماغ وفيها يكون الانسان نبيا وروحانيا وسماويا .

فسأله التلاميذ : ايها الحكيم ، انك لم تصف لنا هذه الحالة . اننا نريد وصفا لها . فأجاب الحكيم : سأصفها لكم . ولما حاول وصفها ، دخل تلك الحالة فوق العقلية واذ به في غيبة واشراق واستغراق . ولما استيقظ ، أي لما عاد الى الحالة العقلية ، قال لهم : هذه هي الحالة فوق العقلية التي لايعبر عنها . فلابد لمن يريد ان يعرفها ان يختبرها بنفسه .

الايمان اذا حالة فوق عقلية ، روحية ، فيه تعمل الروح بذاتها .

ولكنه يصعب الوصول الى هذه الحالة الا بعد ممارسة طويلة وشاقة في التركيز الفكري والاشراق والتأمل والاستغراق من جهة ، وفي التغلب على الشهوات وضبط الجسد والفكر معا وممارسة الفضيلة من جهة ثانية . ومتى تمت هذه الممارسة فان ضبط الفكر والقلب والأقسام السفلى يتم ، ويكون الانسان في حالة روحية يمتاز معها بالفضيلة والحكمة الرائعة .

وفي واقع الحال يستحيل التعبير عن حالة مافوق العقل لأن العقل لايدركها بل يتصورها او انه يراها من بعيد . فمن اراد معرفتها ، يستغرق فيها . واني أؤمن بقدرة العقل على الوصول . ولكن وصول العقل ليس وصولا تاما بل هو تصور . فكيف يصل العقل الى هذه الدرجة من الروحانية البدائية ؟

لنفترض انني اقف عند سفح جبل ارغب الصعود الى قمته لكي أطل على مايقع وراءه او بعده . لقد اخبرت بأن هناك هوة سحيقة وفجوة كبرى تفصل بين قمة الجبل والجبال الأخرى العالية والبعيدة التي تقع وراءه . انني ارغب في رؤيا تلك الجبال ولا سبيل لي الا صعود الجبل . وأنا أعلم علم اليقين أن هوية تسلق الجبل قد ردعت الكثيرين عن الصعود .

انني أبدأ بالصعود وتبدأ الصعوبة . وألاقي صعوبات وعراقيل كبرى ، لكنني أثابر . ويدفعني شيء في داخلي لكي استمر . وهذا الدافع أسميه الايمان ومحبة المعرفة . ويزداد ايماني بازدياد الصعوبة او يقل . ومتى وصلت القمة أشرف على الجبال النائية وأطل عليها . انني لا استطيع الوصول إلى تلك الجبال . ويعتبر الوصول الى قمة الجبل الذي صعدته حدا لا أستطيع ان أتخطاه . لكنه يساعدني على الرؤيا والتصور والعيان

وعندما نطبق هذا المثل على العقل ذاته نعلم ان التفكير ، لكي يصبح عقلاً ، ينتقل من الحس الى الادراك . والحس هو صعود الى الشعور والفكر . ومتى صعد الحس الى الشعور أو الفكر ، يصبح عقلاً . ومتى تحول الحس الى عقل فإنه يصبح تصورا . وعندما يتصور العقل يرى .. وعندئذ يحيى الانسان في حالة العقل اي في عالم الصور . ومتى كان الانسان في عالم الصور فان مايتصوره يكون موجودا[1] . ولا يستطيع العقل عندئذ ان يبرهن لأنه اذا انحدر الى الحالة الحسية فان البرهان ينعدم ، تماما كما ان المنحدر من قمة الجبل الى قاعدته لايستطيع ان يبرهن على مايقع وراءه او بعده بل يتصوره ، ولا يصفه الا بالتصور ، بمنطق عالم الصور . اذا نستطيع القول ان العقل ، وهو في عالم الصور ، يفكر ، وان كل ما يفكر به فهو موجود . واذا لم يكن هذه صحيحا فان العقل يتناقض مع هويته وهي التفكير والتصور . ويكون هذا التناقض شقاء للانسان لانه لايعرف شيئا ولا يتيقن من شيء .

هكذا يكون العقل ركيزة اساسية للتصور . لكنه لايستطيع ان يتجاوز حدود تصوره . لذلك يقوم مافوق العقل اي الروح بهذه المهمة . ولكن لما كان العقل ضروريا وقاعدة مادية لما فوق العقل ، فمن المؤكد انه يستحيل ان يصل الانسان الى حالة فوق عقلية مالم يكن مجهزا بطاقة فوق عقلية اخرى . ولذلك كان أصحاب الرؤى حكماء وأنبياء وروحانيين وعلماء .

ثالثاً : يعد الايمان اشراقاً داخلياً ورؤيا داخلية ، كما يعد طفرة داخلية في كثير من الأحيان . انه افتجاء او تبدل سريع في حالة العقل ،

في حالة الفكر . فكيف يحدث هذا التبدل السريع . انه يحدث او يتم بتفكير عقلي محض ورصين ويتبدل في الداخل نسميه اشراقاً ؟ الخاطىء الذي يتراجع عن خطأه من مجرد كلمة سمعها او من عظة تأثر بها ، والشرير الذي حولت حياته حادثة بسيطة ، والعالم المادي الذي تبدل بداخله ، والفيلسوف الذي تحول الى دراسة المبدأ الاول ، والملحد الذي يقلع عن إلحاده ويرتمي عند قدمي الاله ، يعتبرون أناسا خضعوا لاشراق في حياتهم هو نتيجة تفكير رصين أو نتيجة عمل داخلي حاسم اثارته في العقل حادثة او مسألة وجدانية هامة صدرت عن القلب او عن الشعور .

رابعاً : وهناك ايمان بسيط ينطلق عن بساطة جميلة ناصعة وعظيمة ، هي بساطة القلب المؤمن الذي لايستطيع ان يبرهن عقليا او جسديا ولكنه يؤمن . ويكون هذا الايمان شبيها بالنوع الاول ولكنه لايقوم على عقلانية عظمى او حكمة كبرى . ان هذا الايمان لهو قاعدة كبرى للعدد الكبير من الناس ، بل هو القاعدة الشعبية للايمان . واني وجدت بين من يؤمنون إيماناً بسيطاً روحانية كبرى . كما اني وجدت وثنية ايضا .

٢

عندما درس الفيلسوف العالم الكسيس كاريل تأثير الايمان في الشفاء خلص الى القول بأن للايمان تأثيراً كبيراً على الجسد . وعندما قرأت الأناجيل والرسائل وجدت أن عامل الايمان في الشفاء كان كبيرا . فالمسيح كان يقول للمريض او للخاطىء او للخاطئة ان ايمانهم قد

شفاهم . فمن هو الذي شفاهم حقا ، المسيح ام الايمان ؟ ولهذا أقول ان للايمان عمقا هو عمق الروح ، وله مفهوم سري لايدركه الكثيرون . ووجدت ايضا ان المسيح لم يصنع قوات كثيرة في الاماكن حيث كان الناس عديمي الايمان او قليليه . فلم لم يأت المسيح بآيات كثيرة حيث كان ايمان الناس قليلاً او منعدماً ؟ فمن كان الفاعل في الشفاء المسيح ام الايمان ؟

اذا قلنا بأن الفاعل في الشفاء كان الايمان بالمسيح ، فانه يتوجب علينا ان ندرس مفهوم الايمان من زوايا عديدة . ولكننا نكتفي بأن نسأل مايلي : كيف يشفى من يؤمن بالمسيح ولم يره ؟

كان المسيح يوبخ التلاميذ والاخرين وينعتهم بقلة الايمان . بطرس لم يستطع السير على وجه الماء لقلة الايمان ، ولم يستطع التلاميذ اخراج الشياطين لقلة ايمانهم . ويشدد المسيح على ان كل شيء مستطاع للمؤمن وان الحصول على كل شيء وقت الصلاة يكون للمؤمن ، وان من يكون له ايمان مثل حبة خردل يستطيع ان ينقل الجبال . فما الايمان ؟ وكيف يكون قوة وقدرة ؟

يشير المسيح الى واقع هام جدا يعلنه جهارا . فهو يقول ان من يؤمن به فإنه يستطيع ان يعمل الأعمال التي يعملها هو واعظم منها . فكيف يستطيع المؤمن ان يعمل اعمالاً أعظم ؟ يشير كتاب اعمال الرسل الى قبول الروح القدس وقت الايمان او وقت الاعتماد .

وهناك مقارنة بين الايمان والناموس بحيث ان الثاني يتعطل بوجود الاول . فكل ما ليس من الايمان هو خطيئة . ويشدد بولس على ان يكون

الايمان بقوة الله لا بحكمة الناس ، كما يطلب ان يحل المسيح بالايمان في قلوب الناس . ولا يتورع بولس عن التحدث في وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله ، ويعود بولس للتأكيد على ان المسيح هو رئيس الايمان وان كل من يؤمن بأن يسوع هو المسيح ، يولد من الله .

من هذه الدراسة نخلص الى قضية الايمان كما يلي :

اولا ، الايمان يشفي ويغفر . فكيف يكون الايمان وسيلة شفاء او دواء ناجعاً لأي مرض حتى للموت ؟ وكيف يكون وسيلة مغفرة ؟

يتساءل المسيح عن الذي لمس ثيابه لأنه شعر بنفسه بالقوة التي خرجت منه . لقد شعر المسيح بقوة خرجت منه . أين مضت تلك القوة ؟ هل هي هدرت أم أنها أعطت نتيجة فعالة ؟

نحن نقول ان القوة سيلان ينتقل من انسان الى انسان اخر . ولما كان المسيح قد حقق الله فانه يعتبر كمال القوة الفعالة . ولما حقق الله فانه حقق سلطان الله وقوته . والقوة تعطى وهي الروح القدس . ولما لمست المرأة المسيح شعر بأن قوة خرجت منه ، أي شعاعاً . وانتقلت تلك القوة الى المرأة ، فشفتها . وما كانت القوة لتنتقل لو أن المرأة لم تكن مؤمنة أي لو ان الفعل الداخلي او الاشراق او التلقائية الداخلية للروح او الشوق لم يكن موجودا وقائما فيها . وتسمى هذه التلقائية او الاشراق ايمانا . وهذا مايحدث للغفران . ان من يصل الى روحانية كبرى وعالية يستطيع ان يغفر خطايا الآخرين . انه يعطي من قوته أي من اشعاع روحه للروح المريضة فتشفى ، فالغفران هو الحصول على قوة مشعة من الاخر، وليس هو اي شيء اخر .. من الضروري ان يكون طالب الشفاء او الغفران

مؤمنا أي أن يقبل روحانية الروحاني وقوته وسيلانها وانتقال شعاعه اليه . وهذا أمر لايفهمه العلم بما فيه الطب .

ثانياً : الايمان قوة . كيف نستطيع ان نشفي او ننقل الجبال ؟

تشدد الدراسات الروحية السرية على استطاعة الروحاني الذي وصل الى درجات عليا في علم الروح القيام بأي عمل. فهو يستطيع ان يسير على الماء لانه يلطف من ثقل الجسد ويجعله روحا . ويستطيع ان يصوم لمدة طويلة دون طعام لأنه يطبق قانون الروح لا قانون الجسد ، ويستطيع ان يسيطر على جسده سيطرة تامة وكاملة لانه يكون قد عمل على اخضاع المادة للروح بممارسة طويلة مجهدة ، ويستطيع ان يرسل افكاره في كل اتجاه والى كل مكان لانه حرر فكره من قيوده المادية وأصبح شعاعاً وارسالاً ، ويستطيع ان يشفي الامراض ويقيم الموتى لانه يعطي سيلان روحه لغيره ، ويستطيع ان يخضع الوجود له . ان روحانيا كهذا ، حصل على الروح القدس ، أي حقق الله ، يقوم بالاعمال التي يقوم بها الله . وهذا ما قاله المسيح بالذات : من يؤمن به يستطيع ان يقوم بالأعمال ذاتها وأكثر . وتعتبر هذه القوة سيالة ، تنتقل الى الناس او الى الاشياء فتعطيهم حياة وتعيد الفوضى الى النظام .

ثالثاً : ضرورة الايمان بالمسيح لأنه رئيس الايمان .

لما كان المسيح هو الله فان الايمان به هو الايمان بالله . وحينما يؤمن المسيحي بالمسيح فانه يلبسه . ومتى لبسه فان المسيح يحيا فيه . فضرورة الايمان بالمسيح ليست الا لبس المسيح الكوني اي الاتصال بروح المسيح التي تحقق الكمال والحياة فيها . ومتى حيينا فيها فانها تحيا فينا . وهذا امر

لايدركه الا من قام بتجربة روحية . ونعني ان الروح يعطي لروح يطلب منه تماما كما اعطى روح ايليا روح أليشع . ولكن المسألة في المسيح تصبح مجرد شوق شديد ورغبة ملحة واشراق داخلي وانجذاب قوي لسكنى المسيح الكوني في الانسان . وعندما تغوص الروح الانسانية في روح المسيح ، تحل فيه هذه الروح وتحيا فيه ، وذلك عندما يكون المسيح ملءً وتماماً نأخذ منه ونستغرق فيه . اننا ناخذ من اشعاعه فيعطينا هذا الاشعاع . وليس هذا الاشعاع الا الله الذي تحقق في المسيح .
فالايمان بالمسيح الكوني هو ان نتصل بروحه ونتعلق بها ونجذب اليها ونستغرق فيها فتتشع فينا لأنه يعطينا من روحه . وهذا ماقصده المسيح عندما قال بأنه يرسل المعزي . فالمعزي هو سيلان روحه ، اي الروح القدس ، الذي يمنحه للانسان اي الروح الذي يحل في الانسان ، فيمتلىء بالمسيح .

رابعاً : البر لايكون الا بالايمان .

البر لايتحقق بالناموس ــ الشريعة . الناموس قانون مادي يحدد علاقات الانسان بربه . وأما النعمة فهي عودة الى العلاقة بين الله والانسان وهي حرية الانسان في الله . وليس العلاقة الا مسألة روحية بحتة . لذلك لايمكن تحقيق بر الله الا بالايمان . أما الايمان فانه لايكفي ان نقول : اننا نؤمن بالله . وإنما الايمان هو الفعل الروحي القوي ، التوق الشديد ، الاستغراق العميق ، الامتلاء بالروح ، ومن جانب اخر هو قبول الامتلاء بالروح اي تحقيق السيلان في الانسان الى الله ومن الله الى

الانسان . فالايمان هو الاستغراق في الله من خلال فعل الروح في ذاتها وفي الله .

خامساً : الايمان بالمسيح هو ولادة من الله .

لما كان المسيح ـــ النعمة هو أعظم من حقق الله فانه الطريقة المثلى لتحقيق الانسان لله في داخله . فلقد شدد بولس على الولادة من فوق ، من الروح ، من الله وذلك لأن الخليقة الجديدة جعلت من الروح ملجأ لها تحققها تحقيقا كاملا . ولما كان المسيح هو الروح المتجسد الذي انبثق من الله وهو الروح الذي حقق الله في الجسد فان من يؤمن به ، أي من يقبله في أعماقه ويدخله الى قلبه فيجعله يشرق فيه ، يكون مولودا من الله لأن روح الله تسكنه . فالمسيح واسطة كبرى ، كمسيح كوني ، وشراكة كبرى لانه عن طريقته التي علمنا إياها نحقق الله ونشارك وجوده .

سادساً : الايمان هو قبول الروح القدس .

يشدد بولس على ان الايمان يعني قبول الروح القدس . ولذلك نرى بان حلول الروح القدس لايتم مالم يكن هناك ايمان . فما هو هذا الايمان ؟ هل هو القول بالايمان والاعتراف فيه فقط ؟ كلا . انه الاستغراق في الانسان الباطن ، في الروح ، وانجذاب الروح الانسانية الى الروح العليا . وبهذا يكون الايمان انجذابا او اشراقا . ولايتم هذا الانجذاب إلا بتجربة روحية كبرى . وماهو الذي ينجذب الى الله ؟ هو الروح ، هو الابن ، الابن الذي يريد العودة الى ابيه . الروح ـــ الابن الذي يريد العودة الى الروح ـــ الآب .

سابعاً : الايمان وسيلة تحقيق النعمة .

لما كان الايمان وسيلة لتحقيق النعمة لذلك نقول ان النعمة لاتعطى من فوق ما لم يكن هناك ايمان . اذاً تمنح النعمة لكل مؤمن . ولكن النعمة تتناسب مع مقدار الايمان . وهكذا تكون حسب رتبة الايمان . فكلما زاد الانجذاب زاد التوق وفعل الروح ، زادت النعمة . ولما كان الانسان قد مُنح الايمان والنعمة منذ البدء فان الايمان شيء أساسي فيه وتحقيقه يعني تحقيق النعمة . فالايمان والنعمة موجودان في الانسان كنواميس وشرائع ابدية مكتوبة في صدره وذهنه وقلبه . لذلك ليس الايمان الا انجذاب الابن لابيه او فعلا للروح التي تتحرك وتتمخض او توقا للروح نحو مصدرها . ويعتبر هذا الانجذاب او التوق او التحرك تحقيقا للنعمة اي عودة للانسان قبل السقوط ، اي الحالة الروحية . فالايمان فعل روحي يعمل في الداخل ، يحقق ملكوت الله في الداخل ، ويحقق النعمة التي منحها الله لنا عندما خلقنا . فالنعمة قائمة في الانسان منذ بداية الخليقة . لكن الانسان تخلى عنها فسقط وأصبح بحاجة الى الايمان . وعندما سقط سادت الشريعة . ولا يعود الانسان الى النعمة الا بتحريك روحه وانجذابها وتوقها الى الأعالي مرة اخرى . وهذا لايتم مالم يشعر الانسان انه والله واحد وانه يشاركه . وعندئذ تتم وحدانية الروح . فيتحرر من عبودية الجسد بفعل الروح وتوقها وانجذابها وتحركها .

ثامناً : الايمان يتمثل بالمسيح .

لما كان الايمان هو الانجذاب لله والتوق له والاستغراق فيه والعودة اليه وقبوله فينا وتحقيقه في اعماقنا ، فإن المسيح يعتبر أعظم من حقق هذا

الايمان لأنه أعظم من حقق الله . لذلك كان المسيح طريقنا للخلاص بالايمان به .

٣

انني لاأرى عند أغلبية المسيحيين الايمان الذي ذكرته . اني اجد ايمانا تقليديا لايقربنا الى الله . انه ايمان مبطن بالوثنية لأنه مادي ويرتبط بالمادة بقدر مايعتقد الانسان بان الله يعطيه من ماديات او يحقق له اموره . وهكذا لاأرى الايمان في الشعائر وفي انواع الطقوس التي تقام لأنها لاتنبثق من الداخل .

لقد اصبح ايمان المسيحي متحجرا لأنه يقوم على شعارات وطقوس وتقاليد خارجية مادية لاتمت الى الروح بصلة . ومن الصعب ان نتحدث عن عظمة الايمان بين المسيحيين وذلك لانهم لايدركون عمق الروح المؤمنة .

ان المسيحية فقدت التجربة الروحية . ولهذا فقدت معها الايمان والروحانية وتمسكت بالقشور الخارجية وبالطقوس اليهودية البالية . ولا فرق اليوم بين ايمان المسيحي بالله وايمان اليهودي به . فكلاهما ايمان مادي يقوم على ركائز مادية، كلاهما ناموس وشريعة .

والمسيحية اليوم كاليهودية . انها قطعت العلاقة بين الانسان والله . فقد اقامت وسطاء من البشر وطقوساً يعتقد بأنها وسيلة الخلاص . لقد عادت القطيعة بين الله والانسان واصبح هذا الأخير يعجز عن الوصول

الى الله بل عليه ان يخضع لسطة دنيوية تقوم حاجزا بين الله الآب وبين الانسان الابن . وبهذا ، فقد ماتت الروحانية بقيام الشريعة في المسيحية التي تقف بين الله والانسان تماما كما ماتت الشريعة القاسية علامة القطيعة والانفصال .

حواشي الفصل الأول

١ ــ هو وجود ليس بمقياس وجودنا . هو اللا وجود وفق مقياس وجودنا ، وهو الوجود اللا سببي .

٢ ــ لهذا السبب يقود الناموس الى الخطيئة ويقود الايمان الى الخلاص . وللسبب ذاته طلب المسيح الايمان من بطرس الذي كان يشك كثيرا ويخطىء كثيرا حتى ثبت المسيح فيه ، فثبتت الكنيسة ، وذلك لان المسحية لاتُبنى بدون هذا الايمان .

٣ ــ هكذا تكون مغفرة الخطايا . واما التقاليد المتبعة فإنها لاتنفع شيئاً .

الفصل الثاني

المعرفة والغنوص

هل ان المسيحية تقوم على الايمان ام على المعرفة والغنوص ؟

عندما نقرأ الاناجيل والرسائل نجد انها ملأى بالايمان . وعندما نقرأ الفقه المسيحي نجد انه يقر بالايمان . ولكننا رأينا ان كلمة ايمان تحمل معنى لانجده في الفقه المسيحي اي في اللاهوت الكنسي . فاللاهوت الكنسي لم يعد معرفة الله او علم الله بل هو تنظيم شرائعي طقسي لايمت الى جوهر الله بصلة ولا يعلم التجربة الروحية وتحقيق المواهب .

ان كلمة اللاهوت التي تقابلها كلمة ثيولوجيا تعني علم الله او معرفة الله . هذا ما تعنيه هذه الكلمة في جوهرها وأساسها . ولكنها أصبحت اليوم دراسة لعقائد واجتهادات عديدة لاتمت بأي صلة لعلم الله ... واللاهوتي ، في وقتنا الحاضر ، يلم بعقائد المسيحيين المتعددة والمختلفة . فهو يتحدث في هذه العقائد ويبرر احتذاها او لايبررها ، وهو

يعلم مايقوله اصحاب الطبيعة او اصحاب الطبيعتين ، ويعلم ماتقوله الشرائع الكنسية ، ويعلم تفاصيل الانجيل وتطور المؤسسات الكنسية عبر التاريخ ، لكنه لايعرف الكثير عن الله لأنه لايقوم بتجربة روحية .

ان نقدنا للفقه الكنسي يقوم على قاعدتين : الاولى ، وهي ان هذا الفقه متضارب في اساسه اذ يجمع بين آراء عديدة مختلفة . ولا نستطيع ان نبرر انتهاء شخص من الأشخاص الى اجتهاد معين لأننا لاندري ان كان هذا الاجتهاد صحيحاً . فالمسيحي الذي يقر بصحة مذهبه مخطىء لانه لايعرف المسيحية الحقة من خلال ذلك المذهب . ولما كانت اراء المجتهدين متضاربة وليست هي الا بمجرد اجتهادات قام بها اناس اختلفوا فيما بينهم حول تفسير امر من الأمور ، فإن المذاهب المسيحية تعاني من الانحدار والتأخر لانها ليست مسيحية ولا تقوم على تجربة روحية . ولذلك لانوافق ان نسمي هذا الاجتهاد لاهوتا لانه لايخرج عن كونه شريعة وفقهاً . ولايحمل هذا الاجتهاد صبغة التأويل ، ذلك ان التأويل هو في أساسه رمزي ينقل الحرفي الى الروحي . ولهذا السبب ، لايوجد لاهوت عند المسيحيين بقدر مايوجد اجتهاد قام به اناس لايعرفون التجربة الروحية ، وأعني انهم لايمارسونها .

الثانية ، لايقوم اللاهوت الا على تجربة روحية حقة . فلكي يتحدث الانسان عن الله عليه ان يعرفه ، ولكي يعرفه عليه ان يدخل ملكوته او الحقل الروحي . فلا تتم معرفة الله الا اذا قمنا بتجربة روحية ندخل بواسطتها الى الذات الالهية ، أي الى مملكة الروح . ولكن اللاهوت التقليدي لايقوم على تجربة من هذا النوع ، بل هو تفسير عقلي او تعصبي

للفكرة المسيحية . واني وجدت تناقضا هائلا بين التفسير القائم في الاجتهاد المسيحي وبين الروحانية القائمة في المسيحية ويجب ان لاننسى ان لاروحانيين بدون تجربة روحية .

ونرى ان المسيحية الاولى لم تعرف الاجتهاد بل كانت تمارس التجربة الروحية . لذلك لم يوجد الاجتهاد الا بعد الانقسامات التي لم تقم على اساس روحاني بل على اساس الكره والبغض الذي ساد المجتمع المسيحي . ولا ننكر ان الانقسامات قامت على اساس من الاختلاف في التفسير ، لكننا لاننكر ايضا ان الذين فسروا لم يقوموا بتجربة روحية اي انهم لم يكونوا روحانيين ، اي لم يكونوا على مستوى التفسير .

فاللاهوت هو معرفة الله . ولما كان اللاهوت هو معرفة الله ، فكيف نقول ان المسيحية ليست غنوصية ؟ ويؤسفني ان أقول ان المسيحية التقليدية تتنكر للغنوص القائم فيها اعتقاداً منها أن الغنوص مبدأ فلسفي ينتمي الى الفلسفة او الى الوثنية . ولكنها تجهل ان من يغوص في معرفة الله لايكون وثنيا بل هو المسيحي الحقيقي او هو محقق الدين الصحيح . فالله لايفرق بين انسان وانسان ، ولا يهتم بالاسماء ، بل يهتم بالقلب والعقل[1] . واني اعترف بأن المسيحية قد نادت بالقلب والعقل معاً . انها نادت بالقلب على اساس انه مركز الانجذاب والاشراق والتوق ونادت بالعقل على اساس انه مركز المعرفة وقاعدة التركيز . ولهذا فقد شدد المسيح على محبة الله من كل القلب ومن كل الذهن .

ونحن نرى ان المسيحية تقوم على الايمان ــ بمعناه الروحي ــ وعلى الغنوص اي المعرفة ، ونسأل الان ، كيف تتم معرفة الله ؟ ان معرفة الله

لاتتم الى بالدخول الى محرابه ، اي بتجربة روحية تنقل الانسان من عالم العقل الى عالم الروح ، ليعود الى عالم العقل ثانية . ولهذا يصر اتباع الغنوص الذين يفضلون المعرفة على الايمان على ان الايمان لايفعل شيئاً بل ان المسألة تتوقف على المعرفة . فليس مهما ان تقول بأنك تؤمن بل مهم ان تقول بأنك تعرف . واما قولك بأنك تؤمن لاينفع لانك لاتفهم شيئا . فالمهم هو ان تفهم. ولذا كان لابد من الدخول الى محراب الله ، الى قدس الاقداس ، ولا يتم هذا الدخول بدون تجربة روحية تجعلك ترى . ومتى رأيت فإنك تعرف .

انني أقف الى جانب الغنوص ، ولكنني اقف الى جانب الايمان بمعناه الروحي . فالذين يعتقدون بتناقض الايمان والمعرفة يخطئون لأنهم يتحدثون عن ايمان بمسيح شخصي وعن ايمان لايعتمد على المقومات التي ذكرناها في الفصل السابق . لذلك يكون الايمان معرفة لأنه غوص في الروح ودخول الى عالم الله . الايمان توق واشراق وانجذاب ، لهذا فهو انجذاب الى الله ومتى تم هذا الانجذاب فان المعرفة تبدأ . فاذاً لانستطيع ان نعاين الروح مالم نقم بتجربة الايمان ، التي هي تجربة روحية . فالايمان والمعرفة لايتناقضان الا عند الذين لايفهمون ماهيتهما . لذلك يستحيل الايمان بمسيح شخصي لأنه ايمان يمنعنا من الدخول الى محراب المسيح الكوني الذي هو الله . فالايمان بمسيح شخصي يدفعنا الى الانجذاب الى مسيح شخصي ، الى المكان الذي وجد فيه ، الى المدينة التي عاش فيها الخ ويكون ايمانا بسيطا جدا . اما الايمان بالمسيح الكوني فإنه يدفعنا للانجذاب الى مسيح كوني ، يملأ الكل ، هو الله ، فنستغرق فيه ويحيا

فينا . لذلك لاتتم التجربة الروحية بدون ايمان بمسيح كوني ، ننجذب اليه ونتوق لرؤياه . ولا تتم هذه الرؤيا مالم نستغرق فيه . ولا نعرفه الا بهذا الاستغراق .

في المسيحية غنوصية كبرى تنطلق من مبادئها الأصيلة وهي اللاهوت . ولما كان اللاهوت في الناسوت ، فانه يتوجب على الناسوت ان يفهم اللاهوت ليحققه . واذا لم تتم عملية الفهم والمعرفة هذه فان الحياة الروحية باطلة وتكون الديانة شخصية جدا ، ربما ترتمي في احضان الوثنية مرة اخرى ، الوثنية كما يتحدث عنها التقليديون . ولما كان اللاهوت هو معرفة الله فإننا لانحقق الدين الا بفهمه .

اننا ننطلق في فهم غنوصية المسيحية من نقاط ارتكاز هامة .

١ ــ لما كان الجسد مركزا لملء اللاهوت فإن الحقيقة الانسانية ترتكز على المعرفة ، معرفة ابن الله ، لذلك تتوجب المعرفة .

٢ ــ لما كان خلع الانسان العتيق ولبس الجديد لايتم الا بالمعرفة حسب صورة خالقه ، لذلك تتوجب المعرفة .

٣ ــ لما كان الانسان قد وجد على الارض ليعرف . فان المعرفة ضرورية .

٤ ــ لما كانت الحرية لاتتحقق الا بالمعرفة ، فان المعرفة ضرورية .

٥ ــ لما كان الايمان هو الانجذاب ، فاننا ندخل الى محراب الروح ، وبالتالي فاننا نعرف .

اولاً : يقر بولس ويشدد على وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله . واما وحدانية الايمان فقد علمتنا انها الاتحاد بالروح العليا . واذا كانت وحدانية

الايمان تعني الاتحاد بالروح العليا فان معرفة الروح العليا تكون لازمة لأننا نعاينها عندئذ ، وتتحقق معرفة ابن الله .

ثانياً : تعلمنا المسيحية ، اكثر ماتعلمنا ، التجربة الروحية . فالانتقال من مرحلة الانسان العتيق الى الانسان الجديد لايتم الا بتجديد روحي . وليس هذا التجديد الا تجربة روحية ترفع الانسان الى الأعلى ليولد من الأعلى ، من الروح ، على صورة خالقه ، اي يكون شبيهاً بالله . ومتى تمت هذه التجربة فان المعرفة تتم .

ثالثاً : ان وجود الروح على الارض ، أي تجسيدها ، هو عملية نزول وصعود . فكلما نزلت فانها ستصعد . والمسيح يقول لايصعد إلا الذي نزل . ولا يتم الصعود بدون ايمان ومعرفة . ففي الروحانية السرية ، الايزوتيرية ، لايوجد فرق بين الايمان والمعرفة . على الانسان ان يفهم الله ويعرفه . ولا يستطيع ان يعرفه بدون تجربة روحية .

رابعاً : يقول المسيح : « اعرفوا الحق والحق يحرركم » . ويقول بولس بأن الحرية لاتوجد الا في الله . ولقد اعطت المسيحية تفسيرا عظيماً لمعنى الحرية . فالحرية تعني معرفة الحق ، وهذه المعرفة تحررنا :

أ ـــ معرفة الحق تعني معرفة الله .

ب ـــ تحررنا الحرية من القيود المادية ، من مملكة الشر ومن الجهل .

جـ ـــ الحرية لاتتحق الا في الروح لأنها انطلاق في عالم الروح والمطلق .

ان معرفة الحق واجبة وهي جوهر وجود الانسان . فقد وجد

الانسان ليعرف . وغايتنا هي ان نعرف الله . ومتى عرفنا الله فاننا نتحرر من الجهل . لذلك فقد قال المسيح « اغفر لهم لأنهم لايعرفون ماذا يفعلون » ، وهو يعني بأنهم يجهلون ماذا يفعلون . فالجهل يقف مقابل المعرفة . ومن يعرف لايقترف الخطيئة ، ومن يجهل يقترفها . فالمعرفة طريق خلاص لانها تحررنا من الجهل الذي يؤديَ الى الخطيئة . اننا مقيدون بسلاسل المادة وعلينا ان نتحرر ، ولا نتحرر الا بالمعرفة . لذلك فان الحرية تتحقق في الله . فهي اذا معرفة مستمرة . كلما عرفنا تحررنا . وتستمر معرفتنا وتستمر معها حريتنا حتى تصبح حرية تامة ، اي نصبح روحا لاتتقيد بالمادة ولاتعود اليها[٢] . فالحرية تحقيق للكمال ، اذا المعرفة تحقيق للكمال . ولماكان هدف الانسان هو ان يكون كاملا على هذه الارض مثل ابيه الذي في السماء ، ولما كان الكمال يقوم على التحرر من انغلاق المادة في عملية تتروحن المادة من خلالها ، كان التحرر يقوم على معرفة الله ، فان غنوصية كبرى تقوم في المسيحية .

خامساً : الايمان انجذاب يجعلنا نقف في حضرة الله . ومتى وقفنا في حضرته فاننا نعاين . وعندما نعاين نعرف . كيف استطاع المسيح ان يعاين الله ويعرفه ؟ المسيح يقول بأنه عرف الله لانه كان في الآب . ولما كان المسيح قد حقق الله فيه فانه عاينه ، فعرفه . ولما زادت معرفة المسيح بالله واستغراقه فيه فانه حصل على الالوهية بكاملها لأنه اخذها بكاملها . لذلك لاتتم المعرفة بدون انجذاب . والانجذاب عملية حضور ـــ استغراق في الله ـــ وعملية رؤيا ـــ معرفة الله .

سادساً : تقوم غنوصية المسيحية على فلسفتي بولس ويوحنا . ففي

يوحنا غنوص كامل وفي بولس غنوص كامل . ولذلك فقد وجه كل من يوحنا وبولس كتابتهما الى اهل الغنوص وذلك لان الايمان قاعدة عقلية بحتة . فاذا تم الانجذاب ، فلا بد للعقل ان يعود الى حقيقته الوجودية القائمة ، ومتى تمت عودته فانه يعلم انه قد رأى وعاين . فالرؤيا لم تكن بالعقل ، ولكن المعرفة كانت بواسطته . ان الانسان يعود الى عالم العقل ممتلئا بعالم الصور التي عاينها او بعالم الفناء الذي دخل فيه .

لقد سهل على اهل الغنوص الدخول الى المسيحية لانهم وجدوا ان غنوصيتهم تتحقق فيها . لذلك لقحوا غنوصيتهم بالايمان . وأعني ان المسيحية أضافت الى غنوصيتهم عنصر الايمان اي التجربة الروحية . لقد كان سهلا على القديس يوستينوس ان يتحول الى مسيحي لأنه كان مشبعاً بفلسفة الاغريق ، وعلى الأخص بفلسفة افلاطون . لقد فهم الكلمة لأنه فهم العقل الاول عند افلاطون وافلوطين والافلاطونية المحدثة . وسهل على الاغريق ان يفهموا لأنهم كانوا على درجة جيدة من التجربة الروحية والغنوص . وسهل على أهل آسيا الصغرى ان يصبحوا مسيحيين لانهم لم يكونوا خاضعين لشريعة مادية حرفية كاليهود ، بل كانوا ينطلقون من فكر غنوصي .

ان صعوبة فهم بولس ويوحنا تعود الى غنوصيتهما . لذلك تعمد المسيحية التقليدية الزمنية الى اهمالهما او إلى قلة التركيز على هذين المسيحيين الكبيرين . فالمسيحية هي مسيحية بولس ويوحنا . لذا ، فهي مسيحية غنوصية ، هي المعرفة في اعلاها ، هي الايمان ــ المعرفة ، هي

التأسيس على قاعدة عقلية قوية يعمل فيها الفكر والقلب معا . هي الاقبال على معرفة الحق من اجل الخلاص . لذلك تمتلىء المسيحية بالغنوصية .

٣

كان المسيح يقول لليهود بأنهم يضلون لأنهم لايعرفون الكتب ولا قوة الله . وأما اليهود فانهم كانوا يعتقدون بأنهم قرأوا الكتب . فكيف انهم لم يعرفوها ؟ لم يعرف اليهود لأنهم لم يعرفوا الغنوص ، ذلك انهم كانوا عبيدا للشريعة او كانوا عبيدا بواسطتها . ولم يعرف اليهود قوة الله . كيف يعرف الانسان قوة الله ؟ اما انه يعرف الله في داخله واما انه يعرفه في الطبيعة . واما معرفة الله في الطبيعة فانها تقوده الى الطبيعة والى العمل على دراستها وفهمها . فاذا عرفناه في الطبيعة فاننا نحاول ان نميط اللثام عنها لكي نعرف جوهرها .

وكما اعتقد ان العلم الحديث الذي يسير في دروب المعرفة سوف يكتشف في المستقبل اموراً روحانية هامة[٣] . العلم يهدف الى المعرفة ولكنها ليست معرفة ملقحة بالايمان . ولو كان العلماء يلقحون معرفتهم بالايمان لعرفوا الله . لهذا تكون المعرفة هي الدافع . ولولاها لما حاول الانسان ان يقوم بتجربة روحية او مادية .

واما معرفة الله في الداخل فهي التجربة الروحية التي نادى المسيح بها . هي التجربة التي يقوم عليها الدين . لذلك فانّ الاستغراق في الروح لايتم الا باستغراق في الداخل ومتى تم الاستغراق في الداخل فاننا نصبح في

عالم الرؤيا فننجذب الى مركز الرؤيا ، الروح العليا ، فنعرف ونعلم .

وكان المسيح يقول لتلاميذه بأنه قد أعطي لهم ان يعرفوا اسرار الملكوت . فلمَ لم يقل المسيح انه قد اعطي لهم ان يؤمنوا بملكوت الله ؟ أليس لأنه لايعرف ملكوت الله الا من يدخله ؟أولا تتم الرؤيا بدون انجذاب اي تجربة روحية . لذلك فان المسيحية تعتمد على الايمان ـــ المعرفة . ولا تفرق المسيحية بينهما لأنهما واحد في النتيجة ـــ وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله . كان المسيح يشدد على المعرفة . فهو عرف الله ، ويطلب من تلاميذه ان يعرفوا اسرار الملكوت . ولم تعط تلك الاسرار لهم جزافاً . ان علم الروح يعلمنا بأنه لايمكن ان تعطى اسرار الملكوت أي أسرار الروح لأناس لم يقوموا بتجربةٍ روحية ، ذلك لأنهم لايستطيعون ان يتصوروا شيئاً . يجب عليهم ان يروا اولاً اي ان يعاينوا من خلال التجربة ، وان يدركوا ويفهموا ويعرفوا .

وفي الأناجيل نرى ان ابراهيم آمن ولكنه لم يعرف . فقد آمن بالله ولكنه لم يعلم الى اين يمضي كما اخبره الله بأن يمضي . ويبدو ان المعرفة كانت ابعد من ان يحققها انبياء العهد القديم لانهم لم يعاينوا الله ، اي ان تجربتهم الروحية كانت ناقصة . أما عندما اكتمل الزمان وحل الملء فان الايمان وصل أقصاه وأصبح والمعرفة شيئا واحدا .

٤

المسيحية تفضل الايمان على المعرفة وتضعه في المرتبة الاولى . إنها

تفضل الايمان لأنه تجربة روحية . فلا تقوم معرفة للذات الالهية بدون تجربة روحية . فالايمان اول والمعرفة ثانية . ويقابل الايمان والمعرفة عند الشرقيين التأمل والاستغراق . ولا يتم استغراق بدون تأمل . فالتأمل اولاً لانه كالايمان انجذاب والاستغراق ثانيا لأنه كالمعرفة نتيجة . ولكن ، وفي الفعل ، ليس هناك فرق بين الاثنين لأنهما عملية واحدة . ونستطيع ان نقول ان غاية الايمان هي المعرفة ، معرفة الله . فنحن نؤمن بالله لكي نعرفه . ولهذا فان المعرفة ضرورية .

قليلون هم الذين يحققون الايمان والمعرفة على الطريقة المسيحية الحقة . فالمسيحيون يخطئون عندما يعلمون الايمان التقليدي السطحي ، الايمان بشعارات وطقوس لاتعلمنا الروحانية ولا تحققها . فالايمان حركة الروح في اتجاه الله ، اي اتجاه ذاتها ومصدرها . والروح يشهد بأننا أبناء الله ، كما يذكر بولس ، ويفحص أعماق الله ، وانه لايتم الفحص اي التعمق بالذات الالهية الا بتجربة روحية ننجذب بها الى الله .

لذلك يشدد المسيح على محبة الله من كل القلب ومن كل الفكر . وتعتبر محبة القلب ايماناً قوياً أي توقاً وانجذاباً ، وتعتبر محبة الفكر تركيزاً على الله واستغراقا فيه وبالتالي معرفة . وأما كلمة محبة فإنها تعني الجاذبية . فمن يحب ينجذب ويلتصق . فالمحبة هي الجاذبية في لغة العلم . ولما نقول ان الله محبة فإنما نعني أنه يجمع الكل فيه ، اي ان الكل يوجد فيه بتناسق وانسجام عظيمين ، اي ان الكل ينجذب اليه لكي يشكل وحدة تامة . فالمحبة جاذبية . ويطلب من الانسان أن ينجذب الى الله بكل ايمانه ، اي قلبه ، وبكل فكره ، أي عقله . فالتركيز على الله يتم بالعقل والقلب معاً .

ومتى ركزنا على الله فإننا نحيا فيه ، أي ننجذب الى مركزه ، فنغوص فيه ويزداد غوصنا الى درجة العمق ، فنفهمه ونعرفه .

أما المسيحيون التقليديون فإنهم لايعرفون الله لانهم لاينجذبون اليه . ولم يعرف الله إلا قديسون قليلون مارسوا التجربة الروحية فانجذبوا واستغرقوا وعرفوا .

وإن من يعرف الله لايتحدث عنه لأنه لايوصف . لذلك لم يكتب هؤلاء شيئاً عن تجربتهم الحقة . فقد ذكروا أنهم عاينوا ورأوا . وذكروا بأن تجربة روحية قد حدثت لهم ، وتحدثوا عن الغبطة التي استولت عليهم وتستولي ، لكنهم لم يقولوا شيئاً عما رأوا . انهم عرفوا لكنهم لم يخبروا شيئا عن هذه المعرفة . لذلك فإن الديانة تنقسم الى قسمين كما ينقسم الايمان : ديانة روحية عليا هي تجربة روحية تؤدي الى المعرفة والاستغراق في الذات الالهية ، وديانة تقليدية هي ممارسة الطقوس وعبادات تحول الدين الى ناموس وشريعة .

وقد طبق المسيحيون نسبة كبرى من مفهوم الشريعة والناموس ، وذلك لانها لاتقوم على المعرفة والغنوص . وكما أعتقد ان الصلاة في المسيحئية غنوص ، أي معرفة ، لأنها انجذاب عميق الى الله ينتج في رؤيا ، وبالتالي معرفة . والتأمل يقود الى المعرفة . لذلك يجب أن تقوم فلسفة للدين ، عميقة وشاملة . ولكن هذه الفلسفة لاتقوم لأن التجربة الروحية غير قائمة . وفي رأيي انه لايوجد اختلاف بين الفلسفة والدين طالما أنهما واحد . ولكن الذين لايفهمون الدين الا من خلال تقليدهم وماديتهم وقلة معرفتهم ، يضعون حاجزاً بين الفكر الحاذق والايمان العميق . إن رجال

الدين قضوا على الدين . وأعني ان مفسري الدين ، لامؤوليه ، قضوا على اللاهوت . وهكذا فقد تم القضاء على المعرفة ، معرفة الله .

الدين هو دخول الى محراب الله ، أي الذات الالهية وذلك لأن النزول يقابله صعود . وقد علمنا المسيح نقطة اوميغا الصعود لانه تسنّمها . فكما نزل صعد . والصعود هو عملية العودة الى حضن الله ، هو كالايمان عودة ، وهو عملية معرفة ، كالاستغراق . ويعتمد كل من الايمان والاستغراق على قاعدة عقلية بحتة ، لأنه يستحيل ان نقوم بتجربة روحية ، تأمل واستغراق ، ما لم نروض العقل اي ما لم يتعلم العقل التركيز ، وما لم يتعلم القلب الاشراق . ولا يتم هذا الا بتنقية العقل والقلب وطهرهما . ويكون هذا لكي لايكون هناك عائق يعيق انطلاق الفكر والقلب ولكي لايتقيدا . لذلك كانت الحرية تعني الانطلاق من قيود المادة كالشهوات والانفعالات والحقد والكره وحب المال وحب الدنيا .

وإني ألوم المسيحيين التقليديين لأنهم يحاربون العقل وأعني التفكير الذي لايعتمد على قواعد واهية لمفهوم الايمان . فمن المؤكد ان يوجد الغنوصي العظيم الذي يؤمن ايماناً فكرياً وروحياً دون ان يؤمن بتقاليد وشعائر هي أبعد ماتكون عن الايمان . فالغنوصية ايمان فوقي يكتمل في الروحانية . وتحتاج هذه الغنوصية الى الدين لكي يلقحها بعنصر الايمان . فالدين ايمان وغنوص .

ولهذا يكون الناموس خاليا من الايمان بالغنوص . ولهذا كان الفرق

هائلا بين المسيحية واليهودية . وعلى هذا الأساس يجب ان يتم الانفصال بينهما . فالمحبة تعلمنا الدخول الى الذات الالهية بالمعرفة والايمان ، فتتحقق الحرية ، أما اليهودية فإنها تبقينا في عالم القيود .

حواشي الفصل الثاني

١ ــ لم يفرق بولس بين الوثنيين واليهود وغيرهم ، وعلى غير ذلك ، جعلهم واحدا في المسيح الكوني اي في الروح . لقد أخذ بولس من الجميع . فالوثني لايعتبر وثنياً من وجهة نظر الدين بل من وجهة نظر التعصب المذهبي . ويقر بولس ان ابناء الله هم الذين يطيعونه في كل أمة .

٢ ــ راجع فصل « العودة » في كتابي « المادة والروح » ، والفصل الرابع من القسم الرابع .

٣ ــ لاتختلف الروح عن المادة الا بدرجة الاهتزاز . فالمادة روح كثيفة . ولهذا يكون كل تقدم في معرفة المادة تقدما في معرفة الروح .

الفصل الثالث

الهيكل والكنيسة

لاتخلو ديانة من وجود المعابد والهياكل . فلم شيدت هذه المباني وبنيت ؟ تختلف الردود بحسب الديانة وبحسب رتبتها الروحية . فكلما كانت الديانة أقرب الى الشريعة ، أو كانت شريعة ، جعلت من المعبد أو من الهيكل مسكناً لله او بيتاً له . وكلما كانت الديانة أقرب الى الروحانية ، أو كانت روحانية ، جعلت من المعبد مكاناً لالتقاء المؤمنين فقط .

ولما كان بحثنا يتصل باليهودية فإننا نأخذ موضوع الهيكل[١] وفق النظرية اليهودية . لقد عبد اليهود إلهاً تتضارب فيه الآراء . فالغنوصية تقول ان إلههم لم يكن إله رحمة أو إله محبة أو إلهاً مطلقاً بل إلها اكثر مايكون ميلا الى الشر . والمسيحية تشارك الغنوصية في نظرتها هذه . ومع هذا كله لنقل مع اليهود أنهم عبدوا إلهاً . فلم بنى اليهود مسكناً او بيتاً له ؟

تبدأ دراستنا بالعودة الى تابوت العهد الذي مثل الهيكل الأول لليهود او البيت الأول لالهـهم الذي رافقهم في صحراء التيه . فقد كان تابوت العهد منقسماً الى ثلاثة أقسام رئيسية تجمع معاً . فهناك الفسحة الكبرى وهناك الاعمدة الخمسة وهناك غرفة الطهر وغرفة قدس الاقداس . وهنا لابد من دراسة تابوت العهد هذا من الوجهة المادية والرمزية على السواء . فمن الوجهة المادية كان اليهود يعتقدون بأن الله يرافقهم اينما ساروا وذهبوا . ولهذا السبب ذاته وصفت إلههم في فصل سابق بأنه كان إلهاً وطنياً . ولم يكن بإمكان الانسان العادي ان يدخل الى قدس الاقداس بل كان يسمح للنبي فقط[٣] .

ولكن عندما وصل اليهود الى فلسطين ، كما تورد التوراة ، أقاموا هيكلاً لكي يسكن الله فيه . ولم تكن اقامة الهيكل الا بسبب إلهام من الله وطلب منه . فقد طلب الله من داود ان يبني له هيكلا . ولكن داود قام بحروب عديدة واقترف خطايا عديدة فطلب الله منه ان يتخلى عن هذا العمل « الجليل » لابنه سليمان من بعده . وأما سليمان هذا فقد بنى هيكلاً لله فسكن الله فيه . واغتبط الشعب اليهودي لأنه علم بأن الله ساكن في الهيكل وهو معهم لايتركهم ، وآمنوا بهذا الزعم . ومما لاشك فيه ان هيكل سليمان يمثل الرمزية والسرية والروحية . فأوانيه تشير الى دلائل روحية تخرج عن دراستنا هذه . وكل مانستطيع ان نقوله هو أن هيكل سليمان الذي جعله الماسون الكنعانيون نموذجاً لهيكلهم يدل دلالة واضحة على ان سليمان لم يتوصل الى رتبة المعرفة في العلوم السرية الايزوتيرية[٤]

٢

نستنتج من هذا ان الله يسكن الهيكل الذي بني له بطلب منه ذاته . ولذلك فان اليهود يحافظون على الهيكل محافظة جدية ورصينة ، لأنه أصبح عهدا مع الله ودليلاً قاطعاً على ان الله يسكن معهم وأنهم شعبه . ولهذا فقد اعتقدوا بأنهم الشعب المختار . ولما كان الهيكل عزيزا عليهم الى هذه الدرجة فإنهم لايسمحون بتدميره وتخريبه . وليست مسألة تدميره او تخريبه الا نهاية لوجود الله معم ومفارقته لهم . لذلك فقد وجدوا صعوبة كبرى في تهديم الهيكل على أيام هدريان ، قيصر الرومان ، فاعتقدوا ان الله فارقهم . والآن يعتقد اليهود بأن الله لايعود اليهم الا اذا بنوا له هيكلا ليسكن فيه وبينهم . ولهذا نرى ان اليهود يتجمعون من كل انحاء العالم في فلسطين ليشكلوا أمة وليتم ماقيل في أساطيرهم التاريخية وميثولوجيتهم . انهم يعملون الان من اجل الاحتفاظ بالقدس ، المدينة المقدسة ، اورشليم السماوية ، ويجتهدون في بناء هيكل جديد على أنقاض هيكل سليمان لكي يعود الله إليهم . وكما نعتقد ان اليهود قد عادوا الى ماكانوا عليه زمان المسيح ـــ ينتظرون المسيح الذي يكون لهم ملكا ويكون دلالة على تجسد الله فيهم وبينهم .

فما هي حقيقة الهيكل والكنيسة والمعبد ؟

لما كنت من اتباع الرمزية والروح ، لما كنت تيوزوفيا في كياني ،

فإنني أعتمد اعتمادا كليا على التأويل الروحي . ولهذا فإني أعود باليهود الى فيلسوفهم فيلون الاسكندري وأرشدهم إليه .

يعتقد فيلون ان تابوت العهد والهيكل يشيران الى الجسد الانساني . فالفسحة الكبرى تشير الى العالم الخارجي والأعمدة الخمسة تشير الى الحواس الخمس وغرفة الطهر وقدس الاقداس تشير الى طهر الانسان والى وجود روح الله فيه . ويؤول فيلون هذا بشكل روحي رمزي كبير . فهو يعتقد ، على عكس مايعتقده اليهود ، بأن مايمنع دخول الانسان الى قدس الاقداس هو الحواس الخمس لانها وسيلة الاتصال بين الداخل والخارج . ولما كانت الحواس الخمس مادية ، فإنها ترتبط بالمادة وتتصل بها وتعبر عنها وتنغمس بها ، ولذلك فهي أساس الشهوات والانغماس في الملذات ، ولهذا السبب يتوجب على الانسان ان يطهر حواسه الخمس فينقيها من ملذاتها وشهواتها . ومتى تم تطهير الجسد من الشهوات اي الحواس واصبحت فاضلة ، يكون باستطاعة الانسان ان يدخل إلى قدس الاقداس . لذلك يكون الهيكل في رأي فيلون هو الجسد . وفي هذا الجسد يتم الانتقال من العالم الخارجي الى العالم الداخلي . ولماكانت الحواس هي صلة الوصل بين العالمين فإنه يتوجب تطهيرها من الدنس . والعالم الداخلي هو قدس الأقداس الذي يسكنه الله . فالعملية كلها هي عملية تطهير الجسد ـــ الهيكل من الدنس ، والولوج إلى قدس الاقداس ، إلى مسكن الله في الانسان . ويشير فيلون ، كما قلنا سابقاً ، الى أن الهرم وتابوت العهد وفلك نوح وهيكل سليمان والمدينة المقدسة تعني الجسد الانساني ، وذلك لانها ، ومن وجهة النظر

الروحانية السرية اي الايزوتيرية تنقسم الى أقسام الجسد ذاته . وبالفعل ، تعلمنا هذه العلوم ان ماقاله فيلون صحيح وثابت من الوجهة الرمزية .

وأما في ما يتعلق بتشتت اليهود وعودتهم فإنه يقول ، كما ذكرت سابقاً في فصل المجيء ، ان التشتت هو القضاء على الشهوات في الانسان ــ تماماً كما فعل نوح عندما أرسل الغراب الذي كان رمز الخطيئة الاخيرة في الجسد ــ وان التجمع هو تجميع الفضائل في الجسد الانساني . لهذا ينصح فيلون اليهود ان يظلوا في أماكنهم أي في أوطانهم لأنه لا علاقة بين تجمعهم في قومية يهودية وبين عبادة الله . ويحث اليهود على أنهم يستطيعون ان يعبدوا الله في اي مكان يقطنون فيه . ويحاول ان يقنعهم بأن تأويل التوراة يجب ان يكون تأويلاً رمزياً حتى يفهموا روحانيتها ورمزيتها .

٣

اننا ننتقل الآن الى فلسفة تابوت العهد والهيكل .

لما كان اليهود شعبا اتخذ من الناموس شريعة له ، فلا بد انه يعبد الله من خلال ناموسه هذا . ويوافق بناء الهيكل ما جاء في ناموسهم . ولما كانوا شعباً خاطئاً فإنهم كانوا يتقربون الى الله القائم بينهم في الهيكل . فما هي وسيلة التقرب هذه ؟ الضحية الحيوانية والقرابين والطقوس . كان اليهود يعتقدون بأن الله يغفر الخطايا ، لذلك فإنهم كانوا يقدمون الأضاحي الدموية في غرفة الطهر التي كانت تحتوي المذبح كما كانوا

يعتقدون ان خطاياهم تغفر لهم لدى تقديم الذبيحة . ولهذا كانوا يعتمدون على ذبيحة الدم لمغفرة الخطايا .. اما الذبيحة فإنها كانت دم الحيوان . وعلى هذا الأساس ، اعتمد الناموس على ذبيحة الدم وجعلها صلة الوصل بين الاله القابع في الهيكل وبين الانسان الذي يتطهر بدم الحيوان الذي يقدمه كفدية .

أما فيلون فقد نقض هذا المفهوم من أساسه . فهو يقول ان الجسد هو الهيكل وأن من أراد ان يكون طاهرا فإنما عليه ان يعبر حواسه الخمس ويجتازها الى غرفة الطهر القائمة فيه . ولما كان الدخول الى غرفة الطهر طهرا فعلى الانسان ان يطهر حواسه . ومتى طهر الانسان حواسه فإن قدس الاقداس ينفتح له . وهكذا يعتقد فيلون بأن الانسان يستطيع ان يعبد الله اينما شاء وليس على جبل معين او مكان معين او في بلد معين ، ذلك لأن الله كائن فيه هو .

لكن اليهود لم يفهموا الرمز والروح من كلام فيلون ولم يؤولوا التوراة تأويلاً رمزياً وروحياً . لذلك أخذوا الحرف وتبنوه ، وفعلوا بحسب ما أملى عليهم الحرف . وليس الحرف سوى الناموس . ولهذا تعتبر ديانة اليهود ناموساً ، ذلك لانها مادية الى درجة كبرى . فإلههم إله قومي يسكن معهم ولا يحب غيرهم ويُبنى له بيت ، وتُقدم له القرابين والضحايا . وبمَ تختلف هذه الطقوس عن طقوس الأمم ؟ انها لاتختلف بشيء عن إله الفينيقيين الوطني ، الاله الذي كانت تعتمد عليه كل مدينة . فاليهود كانوا يلتجؤون الى إلههم كالفينيقيين لكي ينصرهم في حالة الحرب . ان إله اليهود إله وطني يسكن هيكل المدينة وليس إلهاً عالميا كإله المسيحية .

ولهذا السبب ذاته ينتظر اليهود في الوقت الحاضر عودة الههم اليهم بعد تجمعهم . ويؤمنون بضرورة بناء الهيكل ليسكن فيه . هذه نظرة مادية بحتة ، فماذا فعلت المسيحية ؟

٤

المسيحية هي ديانة الروح لأنها ليست من مملكة العالم ، ولما كان المسيح هو رئيس الايمان ، ورأس المسيحية ، فإننا نأخذه كمثال رئيسي . ففي يوحنا ٢ : ١٩ نقرأ مايلي : « أجابهم يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه . واما هو فكان يقول عن هيكل جسده » . وفي افسس ٥ : ٢٣ نقرأ مايلي : « المسيح رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد » . ونقرأ في مكان آخر ان حجاب الهيكل انشق عندما أسلم المسيح الروح .

يبدو من هذا ان المسيح اعتبر الجسد هيكلا لله وانه لم يقصد الهيكل المبني بالحجارة بل قصد الهيكل المبني باللحم والدم . وكما يبدو ان المسيح هو « رأس الكنيسة ومخلص الجسد » . ويعني هذا القول الأخير ان المسيح الكوني هو الروح وان الروح الكائنة في الكنيسة أي الجسد هي مخلصته . لذلك نرى ان المسيح يندد بالهيكل الحجري ويتحدث عن الهيكل ـ الجسد أو عن الجسد ـ الهيكل . فكيف يقيمه المسيح في ثلاثة أيام ؟ إن هذه القيامة رمز لموت كل انسان . وتشير العلوم الروحية

الى ان كل إنسان يظل ثلاثة أيام بحسب مقياسنا الأرضي حتى يقوم[٥] وأعني حتى يتم الانفصال التام بين الجسد والروح .

لماذا انشق حجاب الهيكل عندما أسلم المسيح الروح ؟

عندما أسلم المسيح الروح تركت الروح هيكل الجسد . ولما كانت هذه هي الحقيقة العظمى في مبدأ المسيح ، فقد انشق الهيكل للبرهان ان الهيكل المصنوع من الحجارة لايقوم الله منه ولا يصعد منه بل يصعد من الجسد ـــ الهيكل . ان انشقاق الهيكل دليل على اهتزاز مملكة اليهود الحرفية امام جبروت روح المسيح وتشقق مملكتهم بكاملها . لذلك رافق صعود المسيح تشقق الهيكل المادي .

وبهذا يشير المسيح الى حقيقتين : الحقيقة الأولى ، وهي ان الله لايسكن الهيكل والا لما غادره ولظل ساكنا فيه . والحقيقة الثانية هي انه لو كان الله يسكن الهيكل لما انشق الحجاب . ولما مات المسيح انشق الهيكل دليلا على ان المسيح هو الله . وهذا درس قاس لليهود .

والآن ننتقل الى اماكن اخرى في الأناجيل والرسائل تظهر فيها أهمية الهيكل والكنيسة .

في كورنثوس يقول بولس : « اما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . ان كان احد يفسد هيكل الله فيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو » . « ألستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس ؟ فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله » . « اية موافقة لهيكل الله مع الأوثان » ؟ « انكم أنتم هيكل الله الحي » . وفي كولوسي نقرأ مايلي : « هو رأس الجسد الكنيسة لأنه فيه يحل

الملء » . وفي تيموثاوس نقرأ : « الله ظهر في الجسد وتبرر في الروح » .

يبدو من هذا كله ان بولس يسير على غرار المسيح وذلك لأن مسيح بولس هو مسيح كوني . فالمسيح الكوني يسكن الانسان ولا يسكن هياكل مصنوعة بالأيادي . وهكذا تناقض المسيحية اليهودية في كل مجال وفي كل حقل . ففي أعمال الرسل نقرأ مايلي : « سليمان بنى له بيتاً لكن العلي لايسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي » . فبولس يعتقد ان الجسد هو هيكل الله ولهذا يقول .« اجعلوا أجسادكم هياكل للرب » . ويشير بولس الى ان الرب هو المسيح ، هو الروح الذي يسكن الانسان فيقول : « ان الله بالحقيقة فيكم » . وفي متى نقرأ مايلي لدى مقارنة بين الهيكل المادي والجسد : « ولكن اقول لكم ان ههنا اعظم من الهيكل . فلو علمتم ماهو » .

هكذا نرى ان المسيحية تحول الهيكل المادي المصنوع بالحجارة الى الهيكل الروحي الذي هو الجسد . وكيف تتم مراسيم الانتقال ؟

اولا : كما علمنا ان اليهود كانوا يقدمون الذبيحة الحيوانية لمغفرة الخطايا[٦]. وأما الان فإن المسيحية لم تعد تطلب تقديم الذبيحة الحيوانية بل أصبحت تطلب تقديم الجسد كذبيحة حية . فالذبيحة مازالت قائمة ، لكنها انتقلت من الحيوان الى الانسان . فالانسان هو الذبيحة . ولما كان المسيح قد طلب الرحمة لا الذبيحة فان الذبيحة الآن أصبحت تعني العبادة العقلية . ولهذا يقول بولس في رومية : « اطلب اليكم ايها الاخوة ان تقدموا أجسادكم ذبيحة مقدسة مرضية عند الله ، عبادتكم العقلية » ولهذا لم يعد الله يطلب من الانسان تقدمة مادية تنوب عن خطاياه

لكي يغفر له وذلك لأن الله ذاته يسكن جسده . فجسد الانسان طاهر وعلى الانسان ان يحافظ على طهر الجسد وعلى نقائه حتى يظل مسكنا لله . ولا يتطهر الجسد الا بالعبادة العقلية . وتعتبر هذه العبادة العقلية الذبيحة التي يقدمها الانسان لله . وأما العبادة العقلية فهي الروحانية. وليس تحقيقها الا طهرا للجسد . ولذلك لم يعد الانسان بحاجة الى الهيكل المادي .

ثانياً : الله لايسكن في هياكل مصنوعة بالايدي . في اعمال الرسل نقرأ مايلي : « الاله الذي خلق العالم وكل مافيه هو رب السماء والارض لايسكن في هياكل مصنوعة بالايدي » ... « لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع انه عن كل واحد منا ليس بعيدا . لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » .

يعتبر هذا الكلام انتقالاً صريحاً من عبادة الله في الهيكل المادي الى عبادته في الجسد ـــ الهيكل . فالله لبس بعيداً عن كل واحد منا لأنه فينا . ونحن لانتلمسه في الهيكل المادي بل في الجسد . ولما كنا نحيا فيه ونتحرك ونوجد فانه موجود فينا بالتأكيد . ولهذا فلا حاجة لعبادة الله الا في هيكله ـــ الجسد .

ثالثا : الهيكل والكنيسة مفهوم قديم يرمز الى الروحانية المجسمة . فالمسيح كان الصخرة وكان الكنيسة . ففي كورنثوس نقرأ مايلي : « لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تتبعهم والصخرة كانت المسيح ». وفي أعمال الرسل نقرأ مايلي : « هذا هو موسى الذي قال لبني اسرائيل نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم . له تسمعون . هذا هو الذي كان في

الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء » .

في هذا الكلام سرية كبرى ورمزية روحية لاتحد . ويبرهن لنا هذا الكلام ان المسيح هو الصخرة الروحية وانه الكنيسة[٧] . فكيف وجدت الكنيسة والصخرة في البرية ؟ اذا كان المقصود بالكنيسة تابوت العهد فان المسيح هو الذي كان يسكنه . اذاً هو الذي كان يكلم موسى في جبل سيناء . وان وجود المسيح في تابوت العهد لدليل على ان التابوت يشير الى الجسد وأن المسيح يشير الى الروح في الجسد. وكما قلت، ان هذا الكلام هو قمة في الرمزية . لذلك نقول ان الجسد هو الهيكل وان المسيح هو الروح .

رابعاً : ان الانتقال الى مفهوم الرمزية والسرية يزداد كلما تعمقنا في الأناجيل والرسائل . ففي عبرانيين يشير بولس الى كنيسة أبكار . ويقصد بولس ان الجسد هو كنيسة الروح التي هي البكر . ويقصد أيضاً ان اليهود لم يجدوا في جبل صهيون وفي المدينة المقدسة الا كنيسة ابكار . اليهود كما قلنا شعب مادي . فهم يريدون ان يجدوا في جبل صهيون وفي المدينة روحانية كبرى . ولكن الجبل ، كما يقول لهم ، ليس الا تراباً وليست المدينة الا بيوتا . ولكنها مع ذلك محافل ملائكة وكنيسة أبكار . ويعني بهذا ان الكنيسة هي مقر الروح اي البكر . ولقد كان المسيح رئيس كنيسة أبكار . والمقصود باليكر ان يظل الانسان كما أتى ، ان لايتبدل بل ان تظل روحانيته بنفس القوة التي أتى بها .

وتستمر الرمزية والسرية . ففي كورنثوس نقرأ مايلي : « فليصمت في الكنيسة وليكلم نفسه والله » . « وفي وسط الكنيسة

أسبحك » . « وفي كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهني » . في الاذهان كونوا كاملين » .

ان رمزية هذا الكلام تعني ان الانسان يكلم الله ونفسه في كنيسة جسده . ولايمكن ان يشير المعنى الى الكلام المادي مع الله في الكنيسة المادية وذلك لأن الانسان يستطيع ان يكلم نفسه والله في كل مكان . ويسبح الانسان الله في وسط الكنيسة . ويعني بأن الانسان يسبّح في جسده . فالجسد هو مكان التسبيح ، وهو المكان الذي يتكلم فيه الانسان مع الله ومع نفسه . واما التكلم بخمس كلمات بالذهن فإنه أكثر مايعبر عنها في كتاب Pistis Sophia . وليس بإمكاننا هنا ان نتحدث عن رمزيتها[٨] .

إن بولس ، زعيم السرية في المسيحية ، يتحدث عن الجسد الواحد الذي يتحقق في الزواج . ويعترف ان هذا السر عظيم ولكنه يقصد به من نحو المسيح والكنيسة . فماذا يقصد بولس ؟ تعلمنا التعاليم السرية ان زواجاً أولياً قد تم في الوجود . وكان ذلك الزواج حلول الروح في المادة . ويتكرر هذا الزواج بين الرجل والمرأة . فالرجل رأس المرأة كما ان المسيح هو رأس الكنيسة . وهنا أصبحت المرأة تمثل فكرة الجسد والرجل يمثل فكرة الروح . فهو مبدأ الذكر وهي مبدأ الانثى . فالمسيح كالرجل هو رأس الكنيسة التي هي المرأة . وكما يكون زواج الرجل والمرأة جسداً واحداً ، فإن المسيح والكنيسة يصبحان واحداً ، أي الروح والجسد هيكلاً واحداً .

خامساً : يبدو ان الكنيسة درجات . ويعتبر التنبؤ أعظم درجة في الكنيسة . يقول بولس ان من يتنبأ فإنه يعطي للكنيسة بنياناً . وهذا يعني ان التنبؤ هو أعلى درجة يصل إليها الانسان عندما يحقق روحانيته بعد تجربة روحية قاسية وطويلة . ومتى وصل الانسان بروحانيته هذه الى هذه الدرجة وتنبأ فإن جسده يكون هيكلاً او كنيسة عن حق . لذلك تتحقق الكنيسة في الجسد كلما ازداد الانسان روحانية . ولا استطيع ان ابرهن بطريقة افضل من كلام بولس في افسس : « واخضع كل شيء تحت قدميه واياه جعل رأساً فوق كل شيء ، للكنيسة التي هي جسده » .

سادساً : ان موضوع بطرس والصخرة سأتركه للفصل الثاني من القسم الرابع . ولكن لابد من القول ان الصخرة كانت المسيح منذ البدء ولم تكن بطرس . وليست الصخرة الا دليلا على الروحانية في الجسد وليست هي هيكلا مادياً . فالصخرة تشير الى الروحانية التي يجب ان يتمثل بها الانسان ليس الا ، وهي الايمان الذي طلبه المسيح من بطرس والذي كان بطرس بحاجة له لكي يبني كنيسة عليه[٩] .

الاناجيل والرسائل تبرهن على صحة مبدأ الجسد ــ الكنيسة . واني أعتبر هذا التأويل على درجة كبرى من الأهمية والروحانية . ولكن المسيحيين لايعرفون الا الكنيسة والهيكل المادي . فإلى أي درجة نوافق على هذا التصرف .

في المسيحية التقليدية شيء من الوثنية وكثير من الطقسية . وهي في حالها الراهن لاتمت الى الروحانية بصلة . فلقد تجسدت الكنيسة اكثر من اللازم وأصبحت تحمل مدلولاً مادياً لاتنتصر فيه الروحانية أبداً . وفي مادية

المسيحية التقليدية شيء من اليهودية . فالكنيسة الظاهرية التقليدية تؤمن برئيس دنيوي هو أشبه مايكون بملك اليهود او نبيهم . وهي تؤمن بتجسد الله فيها ، هذا التجسد القريب من مفهوم تجسد الله في هيكل اليهودية .
فما هي الكنيسة ؟

الكنيسة من الوجهة الاجتماعية هي مجموعة المؤمنين بالمسيح الذين يصبحون اعضاء في جسده . ولكن هل يبرر هذا القول وجود المادية في الكنيسة ؟ كلا . لأن الامور تظل في اطارها الروحي . فلسنا نقبل بوجود ممثل للمسيح ، وذلك لأن المسيح قائم في كل واحد منا ، والله قائم في كل واحد منا ، وروح القدس قائم في كل واحد منا ، وذلك متى حقق كل واحد منا روحانيته بتجربة روحية . فلم المادية ؟ ولم التمثيل ان كان كلنا المسيح[10] ؟

المسيحية مازالت تحمل مادية اليهودية . ولهذا السبب يجب تخليصها من براثن اليهودية . وكل مسيحي يفهم هذا القول من الناحية الروحية يعلم ان الجسد الانساني هو هيكل الله ، وان الجسد هو التقدمة ، هو الدم الجديد ، هو الذبيحة الجديدة . ولايريد المسيح الذبيحة المادية بل الرحمة والعبادة العقلية . فالعبادة العقلية تتم في الجسد اينما كان الجسد ، وهي كمال ذهني .« في الاذهان كونوا كاملين » .

ومع هذا كله لانتورع عن القول بان الكنيسة المادية تصلح لأن تكون لقاء بين المسيحيين وذلك عندما يفهم المسيحيون المسيح الكوني[11] . وكما قلت اننا جميعا اعضاء في جسد المسيح ، أي أننا جميعاً اعضاء في هيكل المسيح . وكل واحد منا ، متى لبس المسيح الكوني ،

فإنه يحيا في المسيح وفي جسده اي في هيكله . ولذلك لايكون للكنيسة معنى الا اذا فهمنا المبدأ الروحي في المسيحية .

ولهذا السبب يشير بولس في كورنثوس الثانية الى أمر هام جدا عندما يقول : « لأننا نعلم انه ان نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله ، بيت مصنوع بيد أخرى » . فما هو بيت خيمتنا الأرضي ؟ هو الجسد . وما هو البيت غير المصنوع باليد ؟ هو الروح .

ان السكنى في عالم الارض هو سكنى الجسد . وما هو الذي يسكن الجسد ؟ هو الروح . فالجسد هيكل للروح . ليتنا نصلي في هذا الجسد ونركع فيه ونقدم انفسنا فيه ويكون دمنا ذبيحة داخلية تنتج عن عبادة عقلية صرفة ! في هذا الجسد تتم اعمال العبادة كلها ، وفيه ندخل الى قدس الاقداس . لقد علمنا المسيح الدخول الى قدس الاقداس مرة واحدة ، وذلك بتقديم اجسادنا نحن ذبيحة لله . وهذا هو ما يقوله بولس في الرسالة الى العبرانيين .

حواشي الفصل الثالث

١ ـ نفضل كلمة الهيكل على كلمة الكنيسة لان هذه الكلمة الثانية عبرية في أساسها .

٢ ـ النبي في العرف اليهودي هو الكاهن . والكاهن كلمة عبرية في اساسها .

٣ ـ يهوه يكلم أحد أنبياء اسرائيل طالباً منه ان يبني له بيتاً ليسكن فيه . ويبرر يهوه طلبه هذا بأنه أخرجهم من مصر وساعدهم في الصحراء والبرية .

٤ ـ سرق سليمان مبادىء حيرام ابي الصوري الكنعاني ، وقتله بعد أن بنى الهيكل . ولهذا تعتبر رموز الهيكل مبادىء كنعانية ، كما ان النجمة السداسية لاتعتبر نجمتهم . ومن يدرس مبادىء الحكمة السرية يعلم كيف انهم سرقوها وشوهوها ، كما يعرف الرمزية القائمة فيها .

٥ ـ القيامة تشير الى الكمال ، الى تحقيق الوحدة الثلاثية في الوجود ، والعودة باهتزاز المادة الى اهتزازها الاول ، اي الروح ، وتعني ايضاً نهاية علاقة الانسان بعالم المادة وعدم خضوعه للموت ، والتخلص من عودات كثيرة الى الكرة الارضية .

٦ ـ كان اليهود في بداية عهدهم يقدمون القرابين والذبائح بأنفسهم في الهيكل أما بعد هرون ، مؤسس اليهودية وناقض الاسرائيلية ، وتشكل طبقة الكهنة الرتبية

حُرموا من هذه الهبة وأضحى الكاهن يستغل هذه المهمة ويحصرها فيه . ومن هنا نشأت طبقة الكهنة اليهودية التي ورثتها المسيحية التقليدية . وكما نعلم ان المسيح حارب هذه الطبقة بكل قوته ، وهي التي تآمرت عليه وصلبته .

٧ ــ التجربة الثالثة التي وقعت للمسيح في البرية وهو يُجرَّب من ابليس هي تجربة الهيكل . واذا كانت الحادثة قد وقعت في البرية ، والهيكل موجود في الكنيسة ، فان الرمز القائم هو ان الهيكل يشير الى جسد المسيح .

٨ ــ راجع كتابي « المادة والروح » الفصل الذي أتحدث فيه عن الانسان وأجساده .

٩ ــ لما كان بطرس قد أُفرز الى اليهود فإنه تبنّى تقاليدهم . لقد علّم في هيكلهم ومجمعهم . ومن هذا المجمع نشأت فكرة الكنيسة الواقعية التي ترأسها طبقة الكهنة التي تتدرج في السلطة الدنيوية ويعبد فيها المسيح الشخصي . أما بولس ، معلم الامم المسيحيين والمسيحي الاول بعد ستفانوس ، فإنه لم ينطلق من هذه الفكرة ولم يقم الكنيسة الحجرية بل كنيسة الروح ، كنيسة المسيح الكوني . فلم تتجسد تعاليمه في شريعة كما فعل بطرس . ولهذا نجد فيها المسيح اللاشخصي .

١٠ ــ حتى يتحقق الجسد بأعضائه فانه يتوجب على كل عضو ان يكون كاهنا .

١١ ــ « حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي أكون في وسطهم » . تشير كلمة « حيثما » الى « كل مكان » .

الفصل الرابع

المعمودية والختان

ان دراستنا تقوم على اليهودية بالختان مقابل المسيحية بمعمودية الروح القدس والنار. وبتفصيل اكثر تقوم هذه الدراسة على ختان الجسد في اليهودية مقابل ختان القلب والذهن اي ختان الروح في المسيحية. وبشكل افضل نقول الختان المصنوع باليد في اليهودية والختان غير المصنوع بيد في المسيحية. ومن الوجهة الروحية البحتة نقول الختان هو الانسان العتيق والمعمودية هي الانسان الجديد أي الخليقة الجديدة. الختان هو لبس خطايا البشرية والمعمودية هي ختان المسيح، الأول هو ختان الكتاب والثاني هو ختان القلب والروح، الاول يخضع للجسد ويقاوم الروح والثانية هي حياة الروح وتجديد الذهن ومقاومة الجسد.

سننتقل في بحثنا عبر مراحل ثلاث: الختان، معمودية الماء، ومعمودية الروح القدس ونار.

يضعنا الختان وجها لوجه امام الانسان العتيق ، انسان الخطيئة ، انسان الجسد ، انسان الشهوات ، وانسان الناموس . فالختان لاينفع كما يقول بولس . انه وسيلة مادية بحتة لا علاقة لها بما هو روحي ، بل هو وسيلة لختم الجسد للشيطان وليس لله .

لما كان يوحنا قد أتى ليكون وسطاً بين القديم والجديد فقد نبذ الختان ونادى بمعمودية الماء . فإلام يرمز الماء ؟ وماذا يعني ان يعتمد الانسان بالماء ؟

في معمودية يوحنا بالماء رمز الى الحياة والتطهير . فالماء يرمز الى التطهير ايضا[١] . لكن الماء ، مع انه رمز للحياة ، ليس هو حياة كاملة ، والتطهير ليس تطهيراً كاملا . ونحن نجد في الدراسات الروحية القديمة ان الماء كان يرمز على الدوام الى انبثاق الحياة . فالحياة تنبثق من الماء . ولهذا ، كان الماء رمزا للحياة . وفي الوقت ذاته يشير الماء الى ازالة الاوساخ الجسدية . وهذا رمز يشير الى ان الماء وسيلة افضل بكثير من الختان ، بل ليس الختان شيئا . ولما كان يوحنا المعمدان قد حقق درجة روحانية معينة فانه لم يستطع ان يعمد باكثر من الماء .

وفي معمودية المسيح بالروح القدس رمز الى الحياة الكاملة والطهر الكامل . والحياة الكاملة هي الروح والطهر الكامل هو قدس الاقداس[٢] . اذاً في معمودية المسيح تبطل المعمودية بالماء ويبطل الختان وتصير الحياة جديدة بالخليقة الجديدة التي نزلت من السماء بالروح القدس .

ولما كان المسيح يرمز الى تحقيق الخليقة الجديدة فانما كان عليه ان

ينهي الخليقة العتيقة ، انسان الخطيئة والموت . لذلك فقد مر المسيح بالمراحل الثلاث ، الختان ومعمودية الماء ومعمودية الروح القدس . فلم مر المسيح بالمراحل الثلاث وماذا قصد من هذا ؟

لما كان المسيح صغيرا خضع للناموس لأنه لم يكن باستطاعته يومذاك ان يتحكم بجسده . ولهذا يقول بأن الله أرسله في شبه جسد الخطيئة مولودا تحت الناموس لكي يبرر الجسد وينهي الناموس . ولهذا تعلمنا الدراسات الروحية بأننا لانستطيع الانتصار على موضوع مالم نكن فيه . فكي يتم الانتصار على الجسد فلابد من التجسد ، ولكي يتم القضاء على الختان فلا بد من الختان .

وبعد ان قضى المسيح ثمانية عشرة سنة في التأمل وكان ينمو بالروح ، أدرك الحقيقة . فقد عرف ان الختان شيء يمت الى الجسد فقط وان لاعلاقة له بالروح . فقد اعتقد اليهود أن ختانهم يرمز الى بقائهم في الحظيرة اليهودية ، وأنهم ختنوا للرب (كأن الختان علامة مسجلة) . وبهذه العلامة يظهرون ولاءهم بأنهم مختونون . وفي ادراك المسيح لهذه الحقيقة مضى ليعتمد عند يوحنا . فماذا قصد المسيح من معمودية يوحنا ؟

كانت معمودية يوحنا طريقا وسطا بين الجسد والروح ــ كانت طريقة التوبة عن الخطايا . لذلك فانه شجعها لفترة لكي يبرهن على وجود معمودية أعظم وليقلع اليهود عن طريقتهم البالية التي كانت تدل على استمرار النسل بالختان[٣] ، فقبل الاعتماد من يوحنا المعمدان . وفي الاعتماد حل عليه الروح القدس . وبحلول الروح القدس بطلت المعمودية بالماء

وختان الجسد وذلك لان درجة الحياة العليا قد تحققت بمعمودية الروح .

٢

نحن نعلم ان الجسد يزرع حيوانياً ويقوم سماوياً اي روحانياً . فالختان هو زرع الجسم الحيواني والمعمودية بالروح القدس هي زرع الجسم السماوي . لذلك يكون الختان رمزاً للانسان العتيق والمعمودية بالروح رمزاً للانسان الجديد . فماذا حصل للانسان ؟

اولا . لابد من القول ان معمودية الروح القدس تبطل معمودية الماء . فلمَ يعتمد الناس بالماء ؟ ألأن المسيح قبل الاعتماد بالماء ؟ ان المسيح قبل الاعتماد بالماء ليس لأن الماء وسيلة لتحقيق الحياة العليا . فلو كان الماء حقاً كما نقول لبطلت معمودية الروح القدس .

اننا نجد في أعمال الرسل الحادثة التالية : « فحدث بينما كان ابلوس في كورنثوس ان بولس ، بعد ان اجتاز في النواحي العالية ، جاء الى افسس . فاذا وجد تلاميذه قال لهم : هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا له : ولا سمعنا انه يوجد الروح القدس . فقال لهم : فبماذا اعتمدتم ؟ فقالوا : بمعمودية يوحنا . فقال بولس : ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب ان يؤمنوا بالذي يأتي بعده اي بالمسيح يسوع . فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب . ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون » .

يشير هذا المقطع من اعمال الرسل الى ان معمودية يوحنا بالماء قد

انتهت . فلمَ يعمد المسيحيون بالماء ؟ كما اعتقد ان المسيحيين لايدركون معنى المعمودية بالروح القدس . فمعمودية يوحنا قد انتهت بحلول الروح القدس على المسيح . وقد عمد المسيح الى تعليم تلاميذه بأن يعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس ، ولم يذكر انه علمهم بأن يعمدوا بالماء . يوحنا ذاته قال بأن الذي يأتي بعده سيعمد بالروح القدس . فلمَ يعمد المسيحيون بالماء ؟

ما المعمودية ؟

تعلمنا الكتب السرية والروحية القديمة ان الروحانيين كانوا يعمِّدون ويعمَّدون . ولكن المعمودية لم تكن تتم بمراسيم بل كانت اشارة الى دخول الانسان الى درجة روحية كبرى ، واعني انها كانت تعني قبول الانسان في درجة روحية أعلى . ولم يكن العضو في حلقة روحية يعمد الا بعد ان يكون قد حقق روحانية كبرى (ولهذا حل الروح القدس على المسيح بعد تجاوزه درجة المعمودية بالماء التي ترمز الى درجة روحية وسطى) وأعني بعد ان يكون قد قام بتجربة روحية كبرى . فالمعمودية تعني معمودية الروح اي الدخول الى هيكل الروح حيث يتم حلول الروح . ولما كنا قد اتينا على ذكر حلول الروح سابقا ومعنى الروح القدس فإننا سنعيد تفسيره بشكل مقتضب موجز :

هناك انتقال حاسم في حياة الانسان ، هو انتقال من الجسدية الى الروحانية . ويسمى هذا الانتقال معمودية . ولا يتم هذا الانتقال بمراسيم او برش ماء او تغطيس بماء لأن المسألة ليست ظاهرية وتقليدية بل هي باطنية ، هي ولادة جديدة ، ولادة روحية . فكان يترتب على المريد ان يقوم

بتجربة روحية ليتم تطهيره فكريا وجسديا وليحقق الروحانية . ومتى تم لهذا المريد ان يدق باب الروح كدليل على ولوجه عالم الروح وطهره ــ لأنه لايتم الولوج الى قدس الأقداس مالم يكن الانسان طاهراً ــ فإنه يعمد . وكلما وصل الى درجة اعلى في روحانيته يعمد ايضا . ولم يكن العماد يتم بمراسيم بقدر ما كان اشارة الى ان المريد قد اعتمد بالروح اي انه حقق الروحانية وبالتالي يستحق المعمودية .

ماذا يحدث للمعتمد ؟ وكيف تكون المعمودية بالروح وسيلة لخلق انسان جديد او للدخول الى حياة جديدة ؟

ان حياة الجسد تعني حياة الخطيئة والموت . فلابد من التخلص من هذا الجسد الذي تحكمه الخطيئة ، ويخضع للناموس . ولايتم الخلاص بوسائل الناموس ذاتها وذلك لأنها جسدية مادية . ولهذا يتوجب على من يريد التخلص من جسديته ان يدق باب روحانيته . وكيف يدق الانسان باب روحانيته ؟ انه يدقه بتجربة روحية ينتقل فيها من الجسدية الى الروحانية[1] . ومتى تحققت هذه التجربة الروحية فان الانسان يصبح معمدا بالروح . فليست المعمودية بالروح سوى الاعتماد بالروح العليا اي استغراق الانسان في روحانيته . ولما كانت المعمودية تشير الى زوال الخطيئة والى ازالة شهوات الجسد ، فان الروح هي التي تزيل الاوساخ وتقضي على شهوات الجسد . لذلك لابد من الاعتماد فيها .

اما معموديّة الماء فهي اشارة الى ازالة الخطايا عن طريق التوبة فقط . اذاً هي رمز ليس إلا لإنهاء حالة جسدية بحتة هي الختان وتهيئة لحالة اعظم هي دخول الى قدس الأقداس . فمعمودية الماء هي رمز

الغسل[٤] . وذلك لأن الاقذار لاتزال بدون غسل . وهي اشارة الى انبثاق ذلك لأن الماء رمز للحياة . وكما نعلم ان الحياة تقوم على درجات : مملكة مادية ، مملكة نباتية وحيوانية ، ومملكة انسانية . وكما يبدو ان المملكة النباتية والحيوانية لاتقوم بدون ماء . فالماء رمز لانبثاق الحياة . ولكن الحياة لاتكتمل في الممالك الحياتية الاولى ، لذلك يتوقف هذا الماء عن ان يكون رمزا كاملاً للحياة ، ولا يكون رمزا الا لحياة وسطى بين المادة والحياة العليا . ولما كانت الحياة العليا تتركز في الانسان لذلك فإنها تسمى الروح .

ولما كان الانتقال يتم من الجسدية الى الروحانية ، فلابد اذن من وجود نقطة وسطى بين الحياة الدنيا والحياة العليا . ولما كانت الحياة الدنيا تقوم على رمز الماء لذلك كان الماء اشارة الى انهاء الجسدية اي المادية . ولكن لايتم الولوج الى الحياة العليا لان تأثير الماء يتوقف عند حد الحياة الدنيا . ولايتم الدخول الى محراب الحياة العليا الا بمعمودية جديدة هي معمودية الروح ، اي الحياة العليا . ولا يطبق هذا الا في عالم الروح فقط . لذلك لايسعنا القبول بمعمودية الماء لأنها رمز لحياة سابقة للحياة الروحية هي أفضل من جسدية الختان ، لكنها لاتوصلنا الى الله . فما الطريقة والوسيلة التي يتم بها الوصول الى الله ؟ .

هي التجربة الروحية ، أي الاعتماد بالروح ، أي تحقيق المواهب الروحية الكائنة في الانسان ، اي تحريك الروح القدس القائم في الانسان ، اي تحقيق الله في الانسان ، أي تحقيق المسيح في الانسان ، اي المعمودية بالروح القدس . لذلك نرى ان المسيح لم يقبل بمعمودية الماء

لأنه تجاوزها ونادى بمعمودية الروح القدس . ولهذا رفض التلاميذ والرسل ، وعلى رأسهم بولس ، معمودية الماء لينتقلوا الى درجات الحياة العليا التي لاتتم الا في حالة روحانية بحتة،هي تحقيق الروح،والتي هي غطس الجسد في الروح وليس في الماء[٥] .

ولما كانت معمودية الروح هي الوسيلة العليا للطهر لذلك فان النار ترافقها . فما المقصود بالنار ؟ تشير الدراسات الروحية القديمة الى ان النار كانت رمزا لتطهير كبير . فالنار ترافق عملية المعمودية والطهر[٦] . (أليست جهنم النار ، ذات النار القوية ، اشارة الى حرق الخطيئة والاكتواء بها للقضاء عليها ؟) . لذلك تعني معمودية الروح الطهر الكامل والنمو الروحي الكامل بحيث ان مملكة الروح القائمة في الانسان تحقق . ولما كانت النار وسيلة للطهر فقد استعملت كدلالة ورمز للمعمودية ، فهي تطهر الجسد من كل ادرانه . ولما كان التلاميذ قد حصلوا على الروح القدس على هيئة ألسنة من النار ، لذلك تكون النار رمزاً للقدسية وللروحانية . ولما كانت النار دليلا على الطهر الكامل فإن المعمودية بالروح هي الطهر الكامل وهي أعلى درجة حياة . ولاتتحقق هذه الدرجة العليا في الحياة الا بالحياة في الروح . ولاتتحقق الحياة في الروح الا بالحياة في المسيح الكوني ، أي بالروح . ولا يتم هذا بدون تجربة روحية .

٣

كيف نفهم المعمودية في المسيحية الحقة ؟

اولا : يشدد بولس على ان ندفن مع المسيح في المعمودية التي فيها نقوم ايضا معه . وها نحن نجد في هذه العبارة نقطتين هامتين :

أ ـــ ندفن مع المسيح في المعمودية .

ب ـــ نقوم ايضا معه في المعمودية ؟

كيف ندفن مع المسيح في المعمودية ؟ ان معمودية يسوع عنت حلول الروح القدس . وحلول الروح القدس يعني التخلي عن الجسد وعن الجسدية والمادية والاستغراق في عالم الروح ، وذلك لكي يتحقق الله في الانسان . ولما كانت المعمودية عملية تخلٍ عن الجسدية فهي دفن للجسدية ، لذلك لابد من دفن الانسان لجسده في المعمودية . ومتى تم دفن الانسان لجسده فان عملية القيامة تتم .

لذلك يتشكل عندنا مفهومان للمعمودية : دفن وقيامة . فالدفن مع المسيح في المعمودية يعني التخلي نهائيا عن الجسد ، دفن الجسد ، والقيام مع المسيح هو تحقيق حالة الروح وعدم العودة الى الجسدية . ولايتم دفن الجسد مع المسيح في الماء ـــ كما يعتقد المتجددون الحرفيون ـــ بل يتم في دفن الجسد في الروحانية ، حيث يموت الجسد وتحيا الروح ، فتقوم من جسدها المدفون ، وذلك لكي يقوم الجسد في عالم يمتلىء بالروحانية . وعندئذ يعتمد الجسد في الروحانية ويتروحن هو .

ثانياً : ان دفن الجسد يعني نهاية الناموس والخطيئة كما يعني خلع الانسان القديم . ومتى تم خلع هذا الانسان القديم فان لبس الجديد يتم . فما هو الانسان القديم وما هو الانسان الجديد ؟ الانسان القديم هو انسان الختان ، انسان الجسد ، انسان الخطيئة . فكيف يتحول هذا

الانسان الى انسان جديد ؟ انه يتحول بالمعمودية . وكيف يتم هذا ؟ أبمعمودية الماء ؟ كلا . بل بمعمودية الروح ، وماهي معمودية الروح ؟ هي تجديد الذهن كما يقول بولس في رسالته الى أهل رومية . وإلام يؤدي تجديد الذهن ؟ إنه يؤدي الى انسان خلق من جديد ، من الروح . وهكذا ينتقل الانسان من طور الجسم الحيواني الى طور الجسم الروحاني السماوي . وهكذا فإنه يدفن القديم في جسد المسيح الذي أتى فيه بشبه جسد الخطيئة ، ويقيمه جسداً جديداً وروحانياً . فالمسألة هي عملية تخلٍ عن القديم ، عن الخطيئة التي تسكن في الجسد ، ولبس جسد جديد تسكن فيه الروح . فمعمودية الروح هي الانتقال من الجسدية الى الروحانية . الانسان الجديد هو انسان الروح ، هو لبس المسيح الكوني . ولا يتم هذا بدون تجربة روحية .

ثالثاً : لما كان بولس راغباً في اظهار المسيحية الى اليهود بتعابير تكاد ان تكون قريبة من التعابير اليهودية اذ كان ملما بناموسهم لتقريبها الى ذهنهم ، لذلك فإنه عمد الى استعمال كلمة الختان . فأصبحت المعمودية تعني ختان القلب والروح وليس ختان الجسد . فما هي المعمودية التي يختن فيها القلب والروح ؟ هل هي معمودية الماء ؟ كلا بل هي تجديد الذهن وقبول المسيح الكوني . ويمضي بولس الى الطرف الاقصى من فلسفته عندما يقول بأن المسيح لم يرسله ليعمد بل ليبشر . لماذا ؟

يقول بولس في رسالته الى رومية بأن الامم مجدوا الله من أجل الرحمة . ولما كان الأمم لايخضعون لناموس مكتوب بالحرف بل خضعوا

لناموس مكتوب في القلب والذهن . هو ضميرهم ، لذلك كانوا اسرع الى قبول المسيح من اليهود . لذلك فقد عمد بولس الى التبشير بينهم ولم يعمد الى العماد لأنهم لم يكونوا عبيد الختان ولأن قفزتهم الى حقل الروح تتم بتحريك ضميرهم . لكننا نرى بولس يعمدهم بالروح القدس . ويسألهم ان كانوا قد قبلوا الروح القدس لما آمنوا . ان ايمانهم بالمسيح الكوني يكفي ان يقودهم الى معرفة الروح العليا التي تسكنهم . ومتى قبلوا الروح العليا فإنها تفعل فيهم . ومتى فعلت هذه الروح بعد تجربة روحية فانهم يحققون قدسيتها . وهكذا يحل الروح القدس عليهم .

أما اليهود ، اولاد ابليس والأفاعي ، فقد ضللهم الختان ، ختان الجسد . فكانوا يعتقدون أنهم ، باختتان جسدهم ، يختتنون لله . لذلك فقد اضطر بولس الى القول بأن الله لايطلب منهم ختان الجسد بل ختان القلب والفكر والروح والذهن . فالولادة الجديدة لاتتم باختتان الجسد ولا بمعمودية الماء بل باختتان القلب والروح والذهن ، وذلك لان الله يطلب العبادة العقلية والرحمة وتجديد الذهن . فمعمودية الروح القدس هي تجديد الذهن والقلب والروح بتجربة روحية تصل أقصاها في التنبؤ والطهر الكامل .

نرى كيف ان الذين يتقبلون الروح القدس يتنبأون . كيف يتنبأ هؤلاء ؟ انهم يصلون بتجربتهم الروحية الى درجة سامية ويصبحون انبياء . لذلك فان كل انسان بإمكانه ان يكون نبيا او قديسا إن هو مارس التجربة الروحية ودخل قدس الاقداس . وليست النبوة او الكهانة محصورة بانسان دون آخر[٧] . فالنبوة او الكهانة هي الدخول الى عمق الانسان

والحصول على الروحانية التامة التي نسميها الروح القدس ، والتي تخوله ان يفحص أعماق الله ، ولذلك أصبحت تعني في عرف بولس معمودية الروح القدس التي تجعل من الانسان إنساناً جديداً .

رابعاً : لما كان المسيح قد ضحى بجسده ـــ والجسد رمز للناموس والخطيئة والشهوة والشر والمادية ـــ وحقق روحانية عليا هي روحانية الله ، فإن بولس يشدد على الاعتماد الى الجسد الواحد والاستقاء من الروح الواحد . وهذا يعني انه لايمكن ان تتم معمودية الروح القدس مالم يضح بالجسد ويقدم قربانا على مذبح قدس الاقداس . ولهذا نرى ان المسيح وبولس كانا يشددان على تقديم الجسد كذبيحة حية مرضية عند الله ، عبادتنا العقلية . ولما كان الجسد هو الهيكل ، فان الذبيحة تتم في هذا الهيكل بالذات . وماهي التقدمة ؟ هي الجسد ؟ هكذا يقدم الجسد في هيكل ذاته . ولما كان المسيح هو باعث هذه الفكرة ومقدمها ، فان أتباعه يعتمدون لهذا الجسد فيدفنونه في المسيح ـــ الروح ـــ لكي يعتمدوا لروح واحد هو المسيح الكوني ـــ الروح الذي علمهم معمودية الروح ، الولوج الى قدس الاقداس ، الى الله .

خامساً : نلاحظ ان بولس ينادي بانجيل الايمان بيسوع المسيح بينما بطرس ينادي بانجيل الختان . فهناك انجيلان . انجيل للأمم هو انجيل الايمان وانجيل لليهود هو انجيل الختان . ولما كان الانجيل يعني البشارة ، فلهذا نقول بأنه يوجد تبشيران : تبشير بانجيل المسيح في الأمم ويقوم على الايمان والنعمة والتجربة الروحية وتقبل المسيح الكوني وتجديد الذهن والعبادة العقلية ، وانجيل الختان الذي ظل يحاور اليهود بواسطة بطرس

(اليهودي ـ المسيحي) ليقنعهم باستبدال معتقداتهم بمعتقدات جديدة[٨] . وهذا يعني ان انجيل الختان كان يستعمل كلغة لليهود وحرفيتهم للقضاء عليها ولاعطاء تلك الحرفية روحانية .

ولكن بولس لايتورع عن استعمال كلمة الختان . وقد استعملت هذه الكلمة في أقصى معانيها الروحية . فبولس ينتقل من ختان الجسد الى ختان الذهن والروح ، ويقول : نحن الختان الذين نعبد الله بالروح » . ومما لاشك فيه ان هذه العبارة تحمل تأويلاً روحياً عميقاً .

آ ـــ نحن الختان .

ب ـــ الذين نعبد الله بالروح .

نحن ختان اذاً . ولكن ختاننا كمسيحيين يختلف اختلافاً جذرياً عن ختان اليهود . هذا ختان للروح وذاك ختان للجسد . فما هو ختان الروح ؟ هو عبادة الله بالروح وليس بالتقاليد والطقوس والذبائح . وكيف تتم عبادة الله بالروح ؟ انها تتم بتقديم الجسد ذبيحة للروح . ولكن لما كان المسيح قد شدد على الرحمة ، فكيف يتم تقديم الجسد ذبيحة للروح ؟ انما هذا يتم برفض الجسد والتخلي عنه ودفنه ولبس الروح والاستغراق بها والقيام من الجسدية فيها . لكن هذه العبارات لم تذكر للأمم لأنهم كانوا يمجدون الله من أجل الرحمة .

اننا نرى بأن هذه العبارات المقصودة قد استعملت فقط لاقناع اليهود ولاعطاء مادية لغتهم فلسفة روحانية جديدة . لكنها لم تستعمل للأمم لانهم لم يخضعوا للشريعة او الناموس . فمع اليهود تم التحدث بلغة تحول

حرفيتهم الى روحانية ، ومع الأمم تم التبشير بروحانية مباشرة . لذلك فقد اختلفت التعابير وهذا مايصعب على المسيحيين فهمه .

٤

ان خضوع المسيحية لليهودية بمفاهيمها يعني تقويض روح المسيحية . لذلك لايمكن ان نقحم اليهودية المسيحية في المسيحية . وفي الوقت الحاضر يتم هذا الاقحام من وجهتين : الوجهة الاولى ، هي الحرفية التي طغت على المسيحية والتي تتمثل في سلطة دنيوية مادية لاتفقه الروح . والوجهة الثانية ، هي الدس الذي يقوم به اليهود أنفسهم وبواسطة اتباعهم ، أدعياء اليهودية المسيحية ، لمحاربة المسيحية بأبنائها .

وإني أرى لزاماً بأن أحذر المسيحيين من كل هذا . فقد كتب في الأناجيل والرسائل ان الانبياء الكذبة سيندسون وسيضعفون ايمان غيرهم بل انهم سيؤثرون على المختارين منهم وعلى المؤمنين . وهذا ما نراه في الدعوات التي تشل المسيحية في الداخل وفي التفسير الحرفي المادي الذي هو لغة يهودية لتخريب المسيحية من الداخل وتقويضها وتهديمها . وفي المسيحية ذاتها يهودية من هذا النوع .

المسيحيون في الوقت الحاضر يعودون الى التوراة ويبرهنون أمورا ذكرت فيها ولا يفهمونها روحيا[٩] . وهذا يعني انهم يحاربون روح الانجيل . وهكذا يكون امرهم قضية يهودية محضة . والمسيحيون يعودون الى معمودية الماء وينادي بهذا المتجددون ويفسرون هذا الكلام بتفسيرات مادية تقضي

على الروح . وفي هذا كله تخل عن المسيحية وعودة بها الى طقوس وعادات تم الاستغناء عنها بمجيء المسيح .

المسيحية التقليدية لاتعرف التجربة الروحية ، وبهذا تقصر في فهم المسيحية . المسيحية التقليدية اليوم هي يهودية مسيحية ، نصرانية ، وليست مسيحية . ومالم تعمل المسيحية على فهم المسيح الكوني والمعنى الروحي فإنها تقع فريسة للحرف .

حواشي الفصل الرابع

١ ــ يرمز الماء الى التطهير الداخلي لأنه درجة أولى للوصول الى قدس الاقداس . انه الفكرة الأولى للوجود ، والتي انبثق منها الوجود المادي ، اي الحياة . لقد كان استعمال الماء عادة قديمة اعتمدها الأقدمون قبل اليهودية والمسيحية في تقاليدهم الدينية . أما اليهود فإنهم استعملوه للطهر الخارجي كالوضوء وغسل الأيدي .

٢ ــ يشير الروح القدس إلى توحيد الوجود في شخص الانسان وعودته الى الله ، كما هو في الله . ليحقق الحركة الحية فيه . الروح القدس هو قوى الكل في الكل .

٣ ــ الختان علة رئيسية في زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار. وكما تروي اساطيرهم في التوراة ، يقول يهوه الاله لابراهيم بأن الأمم ستتبارك منه . فلمَ اختار اليهود الختان بعضو التناسل ؟ يشير هذا الاختيار الى ان من يتحدّر من نسلهم يكون مباركا . ولهذا فقد حصروا البركة في النسل بواسطة الختان .

٤ ــ « قال الله ليكن جلد في وسط المياه . وليكن فاصلاً بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد . وكان ذلك ، ودعا الله الجلد سماء » تكوين ١:٦و٧ .

تشير هذه الآية الى وجود مياهين ، فوق الجلد وتحته . ويفصل بينهما الجلد الذي هو السماء . وتدل الدراسات الروحية ان الحياة ، تحت الجلد ، هي العالم

المادي الكثيف الذي تلوث بالشر بفعل سقوط لوسيفر . كما تدل ان الحياة فوق الجلد هي العالم الروحي اللطيف الذي هو عرش الله وعالم الخير . وتدل الدراسات انه يتوجب على من يريد تحقيق الخير ان يتخلص من الحياة الدنيا ، عالم المادة ، ويجتاز الجلد ، باب الدخول الى ملكوت الله ، ليصل الى الحقيقة .

اما يوحنا المعمدان فقد عمّد بالماء ، المياه فوق الجلد ، الذي يشير الى ولادة جديدة . لهذا يطلب التخلص من عالم المادة وتجاوزه الى عالم السماء . وقد ثبّت المسيح هذه الحقيقة عندما أكد على الولادة من فوق ، من الماء والروح . لكن المسيح يعمّد بالروح ، بالله . الذي هو الكل في الكل .

٥ ــ ختن المسيح واعتمد بالماء وبالروح القدس . ولما كان المسيح يجسّد المراحل الثلاث فإنه ألغى المرحلتين الأوليتين . ولذلك يموت الختان والناموس وتنتهي معمودية الماء ، ويبدأ عهد جديد هو مرحلة الدخول الى قدس الاقداس ، الى الله بالروح .

٦ ــ النار هي الحياة المنبثة في الوجود ، هي أصل كل الاشياء . كما تقول بعض الفلسفات القديمة وعلى رأسها فلسفة هيراقليطس .

٧ ــ حصرتها اليهودية بطبقة الكهنة . اما المسيحية فقد عممتها وجعلتها شاملة وعالمية .

٨ ــ كما يبدو ان المسيحية التقليدية قامت على الطقوس اليهودية بعد تعديل طفيف ، مما جعلها تخضع لها . ولم يكن هذا الا من خلال انجيل الختان الذي أفرز بطرس له .

٩ ــ مازال المسيحيون التقليديون يباركون الزواج على غرار ساره وراحيل ، هذا الزواج الذي ساده تعدد الزوجات ، وليس على غرار مريم او اي زواج اخر . ألم يوجد زواج بار الا في اليهودية؟وهل تم زواج ابراهيم من سارة في فلسطين أم في مابين

النهرين ؟ فاذا كان زواج سارة مباركا فإنما يعني ان الله قد باركه وفق طريقة زواج طقوس مابين النهرين وان العودة الى اليهودية بهذه التفاصيل يقضي على الزواج . المرأة في اليهودية لاتختتن لكنها في المسيحية تعمد . فهي في المسيحية افضل .

الفصل الخامس

الصليب

في دراستي للأناجيل وجدت ان المسيح يذكر الصليب قبل ان يصلب عليه . ونحن لو تصورنا ان أحد المستمعين سأل المسيح ان يوضح له معنى الصليب ، فبم كان المسيح يجيب ؟ وكما نعلم ان التلاميذ انفسهم ما كانوا يعلمون بصلبه الا بأيام قليلة قبل عملية الصلب ــ وحتى التلاميذ أنفسهم كانوا لايصدقون او كانوا لايفهمون . فكيف كان المسيح يكلم الناس بالصليب وهم لايعرفون عمق الرمز والمثال القائمين فيه ؟

المسيح يشدد على انه لايقبل تلميذاً له ما لم يكن يحمل الصليب ، كما يشدد على نكران الذات وحمل الصليب . ونحن نستنتج ان المسيح كان يربط بين الصليب والتلمذة ، وبينه وبين أتباعه ، وبينه وبين نكران الذات . فماذا يقصد المسيح بالصليب ؟ ولم كان الصليب رمزاً للخلاص ؟

ومن جانب اخر يشدد بولس على نقطة هامة في فلسفة الصليب . فقد أورد ان المسيح احتمل الصليب مستهينا بالخزي ، وانه تحمل اللعنة ، بل صار لعنة لأنه صلب لكي يفتدي من كانوا تحت لعنة الناموس . فلم يشير هذا القول الى الخزي واللعنة ؟

عندما نتعمق في هذا الموضوع نجد اننا نقف امام معضلة روحية كبرى تمتد أصولها في وجود الانسان ذاته . كما اعتقد ان مسألة الصليب مثار لجدل كبير وذلك لعمق روحانية هذه المسألة . ولذلك فقد جهل الكثيرون معنى الصليب حتى تنكر له البعض فقالوا باستحالة الصلب . ولم يدرك البعض الاخر المغزى الروحي والمادي لمعنى الصلب والصليب .

وها نحن نعود الى الانسان ، بداية الانسان .

تعلمنا العلوم الروحية ان الصليب يعني التقاء الطبيعتين الروحية والمادية . فالطبيعة الروحية تتمثل بالخط العمودي والطبيعة المادية تتمثل بالخط الأفقي . ويشير الخط الأول الى الروح والخط الثاني الى المادة . فالصلب يشير الى التقاء الطبيعتين .

وتعلمنا هذه العلوم ان التقاء الخطين يشير الى تشكيل الوجود واعادة توحيده في كيان واحد . وتعلمنا أيضا ان كل وجود لابد وان يُغلف على ذاته بدائرة . وهكذا تقول هذه العلوم ان الصليب الذي تحيط به دائرة يشير الى الكمال ، الى حالة النعمة ، الى البر والقداسة والحق[1] . وأما الصليب بدون دائرة فانه يشير الى السقوط ، سقوط الانسان ، من الكمال ومن النعمة ، من البر والقداسة والحق . ولهذا فقد اصبح الصليب اشارة الى السقوط وبالتالي دلالة على السقوط .

يعتقد علماء الروح ان الوجود قد بدأ بنقطة في العدم . ويعتقدون ان النقطة قد امتدت فشكلت خطا افقياً . ويشير امتداد النقطة في اتجاه الى تكوين المادة . ويعتقدون ايضا ان ابتداء نقطة أخرى من اعلى واتجاهها نحو الخط الأفقي ، على المادة ، يشير الى حلول الروح في الجسد وتكوين الحياة . ولهذا قلنا بان الصليب يشير الى الطبيعة المادية والروحية والى التقائهما في نقطة تكوين . ولكن لما كان كل وجود ينغلق على ذاته ويشكل دائرة — كما هو الحال في اي نظام كوكبي او مادي ، صغيرا كان ام كبيرا — فان الصليب الذي ينغلق على ذاته بدائرة يمثل الكمال . وأما الصليب الذي لا ينغلق على ذاته فانه يشير الى السقوط والخطيئة . لذلك فقد اصبح سقوط آدم يعني الصليب ، كما اصبح يشير الى اللعنة والخزي .

لم تحمل المسيح الخزي والعار واللعنة ؟

ان فلسفة الروح هي ان الخلاص يتم من خلال الموضوع ذاته . ولهذا رأينا في فصل سابق — المسيح وبكر كل خليقة — ان هناك تقابلاً بين آدم والمسيح . فاذا كان ادم هو ادم الاول فان المسيح هو آدم الثاني . وان كان ادم هو رمز السقوط من النعمة فان المسيح هو رمز العودة الى النعمة ، وهو النعمة ايضا . وان كان الانسان العتيق (آدم) هو انسان الموت ، فان المسيح (الانسان الجديد) هو رمز الحياة والقيامة .

وعندما نريد ان نبحث في هذا التقابل فاننا نقول بأن العلامة المميزة هي الصليب . فكما ان الصليب كان رمزا للسقوط لذلك فانه سيكون رمزا للصعود والقيامة والنعمة والخلاص . وهذا ما نراه في مبدأ صلب

المسيح . لقد ولد المسيح تحت الناموس لكي ينقذ الناموس ومن كان تحته . فهو لايستطيع ان ينقذ ويخلص من هم تحت لعنة الناموس ما لم يتحمل لعنة الناموس ذاتها . ولا يستطيع ان يقضي على السقوط في النعمة ما لم يتحمل خزي السقوط فيحقق رمز السقوط ويجعل منه اشارة للخلاص .

انني اعتبر صلب المسيح أعظم رمز روحي يتحقق . اننا نجد في علم الروح رموزا . وتشير الرموز والارقام الى دلائل وحقائق روحية . واني وجدت بان المسيح قد حقق افضل الرموز والارقام : الايام الثلاثة ، والاقانيم الثلاثة ، والثلاثة والثلاثين ، والاثنا عشر ، والاربعون ، والصليب . الخ ... ولم تبق هذه الرموز بدون تحقيق . لقد حققها المسيح ، لذلك فانه يستحق ، عن حق وعن جدارة ، اسم الاله . انه حقق اعظم الرموز في عالم الروح . ولا يحقق هذه الرموز الا أعلى الارواح . كما أعتقد ان المسيح هو أعظم روح تجسدت ، وتليها ، حسب رأيي ، روح بوذا ..

لذلك نرى ان المسيح تحمل اللعنة والخزي ، وذلك لكي يكون الفداء كبيرا وعظيما . ونحن نذكر بأنه كلما كثرت الخطيئة ازدادت النعمة . ولا تزداد النعمة الا بالطريقة ذاتها التي كثرت فيها الخطيئة . ولما كان الصليب اعظم رمز للسقوط فان الصليب ذاته سيكون اكبر رمز للخلاص وللعودة الى النعمة . ولهذا فان المسيح لن يقبل تلميذاً لا يحمل الصليب ، ولا يسمح لأحد ان يتبعه ما لم يحمل الصليب ، ولا يقبل احداً ما لم ينكر ذاته . ان آدم لم ينكر ذاته فسقط ، ولذا فانه يترتب على من أراد ان يحقق آدم الثاني ان ينكر ذاته لكي لا يسقط ، لكي يصعد ،

لكي يعود الى النعمة ويحيا في البر . لقد انتصر المسيح على السقوط بتحقيق السقوط وافتداء الجسد بالروح ، وتحمل المسيح اللعنة لينتصر على اللعنة ، وتحمل الخزي لينتصر عليه .

٢

ولكن كيف يصلب المسيح وهو الروح العليا ؟ وكيف يتحمل اللعنة والخزي وهو اعظم من مثّل الله وحققه ؟ الا يتناقض هذا كله ويبدو وكأنه وضع شاذ ؟

لقد وضع هذا الأمر الكثيرين في موقف صعب لا يعرفون ماذا يقولون وماذا يقررون . فلقد خرجت سفسطات انكرت موضوع الصلب لأنه لايمكن ان يصلب من أتى الى الوجود بطريقة ولد بها بالروح القدس. ان من يولد بالروح القدس لابد وان يصعد بالروح القدس دون تدخل الصليب .

ان جوابي على هؤلاء هو اعتقادي الراسخ بأنهم لم يتعمقوا في معنى الوجود وانبثاق الوجود وتكوينه وتشكيل الحياة ، ولم يقوموا بتجربة روحية كبرى . انهم يعتقدون بطبيعة واحدة ، ولذلك فانهم لايعرفون معنى التجسد ومغزاه . ولو عرفوا معنى التجسد لعلموا انه ، في التجسد ، تم التقاء الطبيعتين وتم تشكيل الحياة بأعلى رموزها ومعانيها على الكرة الارضية . ولما كان المسيح يحمل جسداً فانه يحمل طبيعة روحية واخرى مادية . فالمسيح كان انسانا كاملا : والانسان الكامل هو الصليب

المغلّف بدائرة . وان على هذا الانسان ان يقوم بأكبر تحقيق لأعظم مفهوم روحي وجد في الوجود وهو خلاص الانسان من السقوط . لهذا كان على المسيح ان يتحمل السقوط واللعنة لكي يحقق الصعود والبر والنعمة .

ان بولس يدرك عظمة هذا السر وعمقه . فهو يعلم ان المسيح ، الروح العليا ، قد اتضع وأطاع . فكيف اتضع المسيح ولماذا ؟ وكيف أطاع ولماذا ؟

لقد سقط الانسان ، ممثل الله على الارض . لقد سقط الانسان ، صورة الله ومثاله . ويا لهذا السقوط المريع ! ان سقوط الانسان ادى الى انتشار الشر في الوجود والى وقوع العالم تحت سيطرة الشيطان . ولهذا فانه لم يكن ممكنا ان يتم الخلاص او تعليم الانسان طريقة الخلاص الا بارسال روح عليا تقبل ان تتضع لكي تقوم بهذا العمل العظيم . ولهذا فقد أطاع المسيح حتى الموت ، موت الصليب ــ هذا الموت على الصليب الذي يعتبر لعنة وخزيا . لقد فعل هذا كله لخلاص الانسان . فوجد المسيح في هيئة انسان . وليست هيئة الانسان الا الطبيعة المادية . ولهذا فقد مثل المسيح تلاقي الطبيعتين عن حق وليس كآدم الاول . ان تلاقي الطبيعتين في آدم الاول يشير الى السقوط واما تلاقيهما في المسيح فانما يشير الى الخلاص والنعمة والوحدة .

وماذا يعني الموت ؟

ان سقوط الانسان يعني الموت[٢] . إذ ، ما كان ادم ليموت لو انه لم يسقط . والموت خضوع للمادة ، والمادة اشارة للخطيئة . والخطيئة دليل على سقوط العالم تحت سلطة الشيطان . ولذا فقد قبل المسيح القيام بهذا

الدور الهائل . ولما كان السقوط من النعمة يقابله الصعود الى النعمة ، فان الموت يقابله الحياة والقيامة . فكيف يصعد المسيح بجسده ؟

لقد حقق المسيح اعظم رمز روحي . انه وجد بشبه جسد الخطيئة والشهوة لكي ينقذ الناموس ، ووجد للموت لكي ينقذ الموت . وبالفعل فقد انتصر المسيح على الموت لما مات على الصليب ، أعظم رمز للخلاص الروحي . لذلك اصبح المسيح روحا كاملا وعاد ، وهو على الارض ، الى ألوهيته . ولذلك صرح المسيح وهو على الصليب « لقد أُكمل » . ماهو هذا الذي اكمل ؟ لقد اكمل تحقيق الوجودين الروحي والمادي من خلال رمز سقوط الوجودين . ولهذا فانه لايموت من كان كالمسيح بل يصبح جسده روحا لانه يتأله ويتروحن نتيجة لتحقيق أعظم رمز للوجود ـــ هو الصليب .

٣

يقول بولس العظيم ، من اعتبره روح المسيحية ، ان المسيح قد صالحنا مع الله بدم صليبه . وهنا نأتي الى موضوعين ملتصقين : الدم والصليب .

الدم ، كما ذكرنا سابقاً ، هو تضحية الانسان ونكرانه لذاته ، وتقدمة ذاته ذبيحة للروح ، لله . ولما كانت التضحية لا تتم خارج الانسان ، فان الدم هو دم الانسان وليس هو دم الحيوان . وفي هذا نقطة

بدء عظيمة ، هي تقدمة الهيكل ـــ الجسد قرباناً للروح . وبهذه التقدمة تتم أعظم عبادة ، عقلية ومادية . ففي العبادة المادية يقدم الجسد عوض الحيوان ويعتبر الجسد هو الهيكل ، وفي العبادة العقلية يكون قدس الاقداس في الانسان ويوجد فيه . ولما كان المسيح قد قدم دمه ـــ والدم تعبير عن تقديم الحياة الدنيا للحياة العليا ـــ فانه يعتبر رمزا عاليا في عالم الروح وفي علم الروح . ولما كان الصليب رمزاً للعودة الى النعمة والى البر والقداسة فانه بالتالي عودة الى الله .

ولهذا يكون الصليب مصالحة مع الله[٣] . فالجسد الذي هو مسكن الخطيئة قد اصبح هيكلا للروح القدس ، والصليب الذي هو رمز السقوط قد أصبح رمزاً للنعمة . وبهذا يكون الصليب صلحا مع الله . وكما نعلم ان الله ندم على خلقه للانسان في قصة نوح وذلك لأن الانسان وصل في سقوطه الى حد بعيد ، وان الله سخط وغضب لدى سقوط آدم . ماذا فعلت يا آدم لماذا أكلت من الشجرة المحرمة ، شجرة المعرفة ؟

ولما سقط الانسان واصبح خاطئاً ، لم يستطع ان يقدم ذاته لله لانه خاطىء بل استعاض عن ذاته بالحيوان . ولما كان المسيح قد حقق رمزا عاليا جدا فانه قدم ذاته ، هيكله الجسدي ، مضحيا به ، ورفع من حيوانية جسده الى روحانية جسده ، وصلب على الصليب ، رمز السقوط واللعنة ، لذلك فانه اصبح رمز ومثال المصالحة مع الله لأنه أعاد كل شيء الى ما كان عليه في البدء ، وقت كان ذلك البدء في وفاق مع الله ، وقت كان ذلك البدء واحداً .

٤

واما الصليب فانه يشير الى صلب الانسان العتيق لابطال جسد الخطيئة لأن الذي مات قد تبرأ من الخطيئة .

اننا ندرس هذه العبارة مبتدئين من نهايتها .

أ ــ الذي مات تبرأ من الخطيئة .

ب ــ ابطال جسد الخطيئة .

جـ ــ صلب الانسان العتيق .

ان المسيح قد مات فتبرأ من الخطيئة . وإننا رأينا في سطور سابقة كيف مات مقدماً دمه وآخذاً من الصلب ، رمز اللعنة والسقوط ، رمزا للفداء . فالمسيح لم يعرف الخطيئة لأنه خلع آدم الاول المادي ، وخلع جسد الخطيئة ، لأن الناموس يحيا في الجسد ، وخلع الانسان العتيق اذ صلبه . ولهذا نرى ان المسيح قد توج حياته بالقضاء على رمز سقوط الانسان وتحقيق صعوده . فهو لم يقترف خطيئة كتلك التي اقترفها آدم . كلاهما قد ولدا بطريقة واحدة ولكن آدم لم يحقق بينما المسيح حقق ، وكلاهما كان آدم ، لكن الاول سقط والثاني صعد ، الاول مات والثاني قام ، الاول خضع للجسد والثاني أبطل الجسد ، الاول جعل جسده مقراً للخطيئة والثاني جعل جسده هيكلا طاهرا لله الاول أصبح الانسان العتيق والثاني اصبح الانسان الجديد . ومما لاشك فيه ان هذا الكلام يصعب فهمه ، ولا يدركه الا الذين يقومون بتجربة روحية او الذين يتعمقون في دراسة العلوم الروحية السرية .

٥

اننا ادركنا السرية في صلب المسيح . وتعد هذه السرية أعلى رمز في العلوم الروحية . ولما كان اليهود يجهلون ويتعلقون بالحرف فانهم جهلوا روحانية المسيح . واننا نقدم مثال إقدام اليهود على صلب المسيح دليلا على اعتبار الصلب اهانة كبرى بل لعنة . ولذلك فان اليهود حملوا اللعنة وظلوا يمثلون الانسان العتيق ولم يبطلوا جسد الخطيئة وبقوا قابعين في ظلال الناموس . لذلك كان الصلب لليهود عثرة ولليونانيين جهالة .

فمن وجهة نظر اليونانيين كان الصلب عملية لا تعني لهم شيئا . إنهم كانوا يجهلون عمق روحانية المسيح ولم يطلعوا على الدراسات السرية الروحية العميقة . ولكن اليونانيين ، على الرغم من جهالتهم ، فانهم تقبلوا المسيح قبل اليهود . لماذا ؟ لأنهم ، كالامم ، كانوا مجهزين بالايمان والنعمة ولم يكونوا تحت اللعنة — وهذا برهان قاطع على ان اليهود وحدهم كانوا تحت اللعنة لأنهم صاروا في ظلال الناموس ، وخضعوا للخطيئة ، وحاربوا اللعنة باللعنة ولم يتقبلوا الافتداء الذي قام على اللعنة ، فأصبحوا لعنة . لقد تجهز اليونانيون بالضمير ، بناموس الله المكتوب في الأذهان فصاروا مسيحين .

اما اليهود فانهم وجدوا في صلب المسيح عثرة . أليس الصلب في نظرهم لعنة ؟ ألم يكن يصلب على الصليب المجرمون والاشقياء ؟ فكيف يكون الصليب لهم خلاصاً او فكرة خلاص ؟ وكيف يصلب الاله ؟

وكيف يكون المسيح إلهاً ويصلب ؟ لقد جهل اليهود المغزى الروحي من الصليب ولم يدركوا عمق السر فيه . وكيف يستطيع اليهود ان يفهموا هذا السر وهذا العمق والروحانية وهم يخضعون للحرف والناموس ؟ وكيف يوافقون على روحانية الصلب وهم الذين قاموا بالصلب ؟ وكيف يقدمون على صلب إلههم ؟

ان اليهود لم يدركوا عظمة الفكر الالهي ولم يكونوا على درجة روحية عالية . وكما اعتقد ، والغنصويون على حق بذلك ، انهم خضعوا للشيطان دائماً . ودليلنا واضح : الشيطان يحارب كل فضيلة يحاول ان يقوم بها انسان . ولما كان المسيح قد دحر الشيطان وانتصر عليه وقهره ، فإنه (أي الشيطان) اعتمد على شعبه الخاص ، ومن خلال يهوذا الاسخربوطي ، فتحرك الشر في قلوبهم . ان مملكة الشيطان تقوم على الخطيئة وايقاع الناس فيها . ولما كان اليهود تحت الخطيئة فانه أبقاهم فيها فأقدموا على فعلتهم الشنعاء تلك . اليهود امتثلوا للشيطان وامتلأوا به على الدوام . وظل الشيطان يفعل فيهم حتى النهاية ، لذلك فقد استحقوا لقب « أبناء الغضب » .

لكن بولس يريد ان يقول للمسيحيين ، للذين تقبلوا الرسالة ، أن عثرة الصليب قد بطلت . ان عثرة الصليب تبطل متى ادرك المسيحيون حقيقة الصليب . ولكن هذه العثرة تظل لليهود لأنهم لم يقروا بالصلب ولأنهم رفضوا الصليب الذي هو رمز الخلاص من السقوط ، فظلوا في حالة السقوط .

٦

المسيحي لايجد في الصليب عثرة بل خلاصا . فالصليب الذي هو رمز السقوط يصبح سبيل الصعود الى النعمة . والمسيحي يعلم ان الانسان القديم الذي كان يخضع للناموس كان يعاني من الخطيئة لانه كان تحت الجسد ، والجسد تتملكه الخطيئة . ويعلم المسيحي بأنه قد تخلص من الشر بصلب المسيح . ولكنني اعتقد ان صلب المسيح لا يخلص المسيحي بالكلام او بوضع الصليب في منزله أو على صدره ، بل ان المسيحي لايكون مسيحيا ما لم يحمل الصليب . وكيف يكون حمل الصليب هذا ؟

اننا نحمل الصليب عندما نفهم الرسالة المسيحية في أعلى صورها الروحية ــ وهذا ما يقصر به المسيحيون . ان حمل الصليب يعني ان تحيا فينا كلمة الله وان تتحقق مملكته لكي نرتفع من السقوط . ان حمل الصليب يعني ان نكون أنقياء وأطهاراً في أجسادنا وافكارنا . ان حمل الصليب يعني ان نطرد شهوات الجسد وغرور العالم وان نتعلق بالله اي بالسماويات . ان حمل الصليب يعني ان نطرح انساننا العتيق ، انسان الجسد ، وان نلبس انساننا الجديد ، انسان الروح ، وان نتجدد في أذهاننا وأرواحنا . ان حمل الصليب يعني العودة الى النعمة ونكران الذات . ان حمل الصليب يعني تحقيق وحدة الطبيعتين ، المادية والروحية .

ولهذا فان بولس يريد ان يكون الايمان بالصليب وسيلة للعلاقة بيننا وبين المسيح . فهو يعتقد ان الصليب قوة الله للمؤمنين وانه جهالة

للهالكين . ويشدد بولس ايضا على ان فهم الصليب لا يتم بالحكمة لأنه يتعطل . وبالفعل نجد صعوبة في فهم عملية الصلب والصليب . واذا حاول الانسان بحكمته العقلية ان يفهم هذا الموضوع فان الصلب يتعطل . فالمؤمن يؤمن بأن المسيح قد صلب من أجل الانسان لكي يعلم الانسان طريق تحقيق الله فيه ، ويؤمن ان الصليب رمز للخلاص والفداء .

ان بولس يكلم ضمير اليونانيين ولا يكلم حكمتهم . وفي رأيي ان تحليل بولس للصليب أعمق من الفلسفة اليونانية بكاملها . ويدعو بولس اليهود الى الايمان لأنهم بدون هذا الايمان لايفهمون القوة والرمز في الصليب . ولهذا نرى ان قوة الصليب تقع في الايمان الذي يدل الانسان على تضحية ابن الله وتقديم ذاته من أجل تحقيق الوجود الانساني .

٧

ها نحن نصل اخيرا الى فلسفة بولس في فهم الصليب وفي تحقيقه .

يقول بولس بأنه قد صلب مع المسيح فليس هو الذي يحيا بل المسيح يحيا فيه . فكيف صلب بولس مع المسيح مع انه لم يصلب معه فعلا ؟ وكيف يحيا المسيح فيه ؟

هذه هي قمة فلسفة بولس في المسيح الكوني . فبولس يحمل صليب المسيح ويعني بأنه قد تفهم المغزى الروحي للصلب . فهو يعلم ان المسيح قد صلب لأنه يحقق أعظم رمز روحي . وهكذا فان بولس قد صلب معه . وبهذا يكون قد حقق الرمز الروحي في الوجود الانساني .

ومتى صلب بولس مع المسيح فان المسيح يحيا فيه . ونحن نعلم ان بولس يفهم المسيح الكوني الذي نحيا ونوجد ونتحرك به . ولما كان المسيح الكوني في فلسفة بولس يعني الروح ، فان بولس ، يصلب مع المسيح ، اي انه يحقق الرمز الروحي من الوجود الانساني ، يحيا فيه الروح ويلبس المسيح . وأما الروح في فلسفة بولس فانها تحمل معنى المسيح والله والروح القدس .

لم يستطع تلميذ من تلاميذ المسيح او رسول من رسله ان يطرق باب الصليب بالعمق الذي طرقه بولس وبحث فيه . لقد ادرك بولس المسيح الكوني ولذلك فان دراسته للمسيح وتجربته الروحية كانت عميقة جدا . ولذلك فقد استمد تعابيره وألفاظه وأقواله من فهمه للمسيح الكوني . وبناء على هذا يتجاهل المسيحيون التقليديون بولس ويتجنبونه . ومما لاشك فيه ان تجاهلهم وتجنبهم له وعدم تعمقهم في فهمه لهو دليل قاطع على اندحار المسيحية التقليدية . فلا تستطيع المسيحية ان تعود الى روحانياتها بدون معرفة بولس ويوحنا .

اليهود صلبوا المسيح فصلبوا معه الحقيقة وظلت اللعنة تتبعهم . لقد احتجزوا اللعنة وعوضاً عن ان يعلقوها على الخشبة علقوا المسيح مخلصهم عوضاً عنها . وظلت اللعنة تسرح وتمرح في مجتمعهم وفي المجتمعات البشرية بسببهم .

لقد شدد المسيح على كل من يريد ان يتبعه ان يبيع كل مايملك فيعطيه للفقراء وان يتبعه حاملاً الصليب . فحمل الصليب يعني انكار الذات ، انكار الجسد ، القضاء على الشهوات ، عدم التعلق بالدنيا والتعلق بالله ، رفض المادية والسير في خطى الروحانية . لكنني عندما ألقي

نظرة على العالم المسيحي ، اعلم ان هذا العالم لا يحمل صليب المسيح ، وأتيقن ان الخراب والدمار يتبعانه لأنه لا يدرك عمق فكرته . إني أرى رجال الدين يحملون الصليب على صدورهم ولكنني أرى بأنهم لا يحققون الصليب .

ليت المسيحية تفهم عمق مغزى الصليب لتدرك الى أية درجة تسيء اليهودية ، وإلى أية درجة يسيء المسيحيون التقليديون أنفسهم ، الذين قضوا على روحانية المسيحية وتبعوا اليهودية في حرفيتها ، اليهودية التي تريد ان تنشيء حوارا جديدا هو اليهودية ـــ المسيحية .

حواشي الفصل الخامس

١ ــ تتبنى الثيوزوفية والحكمة السرية رمز الصليب الذي تحيط به دائرة كاملة .
٢ ــ وجد الموت بعد سقوط لوسيفر .بالقدرمات آدم ، ويموت الجميع ، لأنهم لا يحققون وجودهم كما هو كائن في الله . أما المسيح فقد انتصر على الموت لأن وجوده ظل محققا كما هو عليه في الله ، فكان الثالوث الواحد عندما أتمّ .
٣ ــ يشير الصليب في الدراساتِ الايزوتيرية الى صلب المادة وإبطالها ، أي تقديم الجسد ذبيحة ، قرباناً ، للروح .

الفصل السادس

النور والظلمة

الله نور . وهو نور السموات والارض . والخليقة كلها انبثقت من النور . فأي مكان للظلام في الوجود ؟ تخبرنا الديانات ان النور قد أتى من الظلام وان الوجود من العدم . لذلك نرى أنه من واجبنا ان نتحدث في هذا الموضوع .

كيف يأتي الوجود من العدم ؟ فهل كان الوجود عدماً ؟ إذاً اين كان الله ؟ هل كان الله يملأ زاوية من زوايا الوجود ــ العدم ؟ ألا يتناقض هذا مع قولنا ان الوجود كان عدماً ؟ وهل للعدم وجود ؟ وكيف يوجد العدم ؟ فإذا قلنا ان العدم يوجد ، ألا يكون دليلاً قاطعاً على أنه موجود ؟ واذا وجد العدم فلا حاجة للوجود لأن العدم وجود . ولكن العدم ليس شيئاً ، فكيف يكون وجوداً ؟ ليس العدم وجوداً على المستوى الارضي ، بل هو الوجود الذي سبق الوجود المادي . فالعدم تسمية لعدم وجود المادة ،

أي وجود الروح . ولما كان الله موجوداً قبل الوجود ، فالله هو العدم ، اللاوجود[1] . وهذا ما تعبر عنه كتب الصوفية والروحانيين[2] .

والظلام ! كيف يأتي النور من الظلام ؟ انه يأتي من الظلام تماماً كما يأتي الوجود من العدم . ان ليل الوجود ظلام . وتجربة الروحاني الأولى ظلام . ولكن النور ينبلج من الظلام ويشرق ، فهل يوجد ظلام ؟ الظلام انعدام للنور . فإذاً ، لاوجود للظلام . وهو غياب للنور . ولما كان ا لله نوراً ، فكيف وجد الظلام وكيف انبثق النور منه ؟ ليس الوجود ظلاما بل نورا . لكن وجود الظلام يشير الى عدم وجود شيء،الى وجود الله في الوجود ، فكان الكل ظلاما . ولكن الكل كان نورا ، لذلك فان النور مضمون في الظلام ، والوجود مضمون في العدم .

فالوجود لايتحقق بدون عدمية والنور لا يتحقق بدون ظلام . والانتقال من الظلمة الى النور هو انتقال من العدم الى الوجود . ولكن كيف يأتي الوجود من عدم ؟ لما كان الله يملأ الوجود بكامله ، فانه وجود ونور ، والله ليس فيه أي أثر للظلمة . فكيف وجد مبدأ النور والظلام ؟

اننا نفكر بهذه العبارات ونحن نحيا حياتنا المادية الأرضية . فالأمور تبدو لنا بشكل نور وظلام . وهكذا نؤمن بوجودهما . فالنور والظلام يشيران الى حقيقتين في الوجود : الحياة والموت ، الخير والشر ، الصيف والشتاء . والواحد ينفي الاخر ويثبته ايضا اذ لايمكن فهم الواحد الا في الثاني في حياتنا الارضية . وليس الظلام الا مجازاً لغفلة الروح او عدم استنارتها . والصوفيون يشبهون الانسان بغرفة مظلمة لاتضاء الا بشمعة او بنور . ولكي تنار الغرفة ، فمن الضروري جدا ان نشعل هذه الشمعة .

ومتى أشعلناها فان الظلام يتبدد . أين مضى الظلام ؟ وكيف اختفى من الوجود ؟ وكيف انعدم في النور ؟ فهل انه انعدم ؟ انه يعود متى انعدم النور . فالظلام هو عدمية النور . ولكن لما كان الوجود قائما في النور ، فمن اين اتى الظلام ؟ ولما كان الله خاليا من الظلام فكيف أتى .

ان فهم هذه الامور تحتاج الى تجربة روحية عميقة . ويعلمنا علماء الروح بأن الله لايفهم بالايجاب بقدر مايفهم بالسلب . واذا فهمنا الله بالايجاب فاننا نصل الى الله الشخصي الذي يتصف بصفات وتكون له شخصية ويعبد بطرق مباشرة وبطقوس عادية . واذا فهمنا الله بالسلب فاننا نحيا فيه بأرواحنا . فكيف يكون الله سلباً ؟الله لاوجود ،الله عدم،الله فناء ، الله لاموصوف ، الله مطلق ، الله لانهاية ، الله ظلمة ، الله لا محدود . اذن ، ماذا يحدث للروحاني الذي يقوم بتجربة روحية : انه يفنى في الله وينعدم فيه ويتصل به وتكون تجربته ظلاما يعقبه نور . فنرى من هذا كله ان كلمات الفناء والعدم والمطلق والظلمة والنور تعقب بعضها بعضا لدى فهمنا لله . وهكذا فان الروحاني لايفهم الله بالايجاب اي بالشخص بل بالسلب ، باللا شخص ، وذلك لان الله لايوصف . واذا اعطيناه صفات فانه يصبح شخصاً ويتصف بصفات بشرية . وهكذا يسبغ عليه الانسان صفاته هو . فيخضع الله للانسان وليس العكس .

ولهذا نرى ان الله لايفهم ولا يدرك بالايجاب . فالله اللا موصوف هو السلب ، هو الفناء ، هو العدم ، هو الظلمة ، هو يقظة الروح ، هو النور ، هو اللا نهاية . وتكاد هذه المفاهيم ان تتناقض في عقل الانسان العادي ، ولكنها تبدو واضحة للانسان الذي قام بتجربة روحية .

٢

النور يوجد في الظلام كما توجد النقطة في الفراغ . والوجود يوجد في العدم كما توجد النقطة في اللاشيء . فالنور ينبثق من عدمية النور ، والوجود ينبثق من عدمية الوجود . ولما كان النور ينبثق من الله والوجود من الله ، فان الله هو الظلام واللاشيء والعدم والنور . وهكذا نرى ان الوجود قد قام على السلب وعلى التناقض الظاهري الذي جعل منه الفلاسفة تناقضا حقا .

والتناقض الظاهري ليس حقيقة لأنه لاوجود للظلام ولا وجود للفراغ . فوجودهما قائم بوجود الوجود . فالعدم موجود من حيث الوجود والظلمة من حيث النور . فكيف يوجد الظلام والعدم ؟ ان ا لله نور ، فكيف يصدر الظلام او كيف ينبثق منه ؟ الظلام لاينبثق من النور ، بل ان الوجود ، بمعناه المادي والحرفي ، رمز للعدم والظلام وذلك بوجود النور .

ان انتقالنا الى دراسة النار يساعدنا على فهم الموضوع بشكل أفضل . فما هي النار ؟

النار هي تكثيف النور . فالهيولى الاولى والسديم الاول يعودان بأصلهما الى النور الذي تكثف . فالنار نور مكثف ، والعلماء لايدركون هذه الحقيقة . ولهذا نرى بأن الله يظهر لموسى في نار ويحل الروح القدس على التلاميذ بشكل نار ، ويوصف الله بأنه نور ونار ، ويستعمل المسيح كلمة النار مرارا . فالنار هي النور المكثف في الوجود المادي ، لذلك لاينتج نور في الوجود المادي بدون نار . فالشمس نار تضيء . والظلام هو

تكاثف النور في حدوده الدنيا والقصوى . ولذلك نقول بان الذين يموتون اشرارا يذهبون الى النار والظلمة . النار للتطهير والظلمة دليل على الابتعاد عن نورانية الله . ولكننا نلاحظ ان الاثنين يسيران جنبا الى جنب ولا يفترقان .

وهكذا فقد أصبح الظلام يشير الى الشر والخطيئة والابتعاد عن الله ، أي عدمية الله والنور . وليست عدمية الله ـــ النور الا وجود الشيطان ـــ الظلمة[٣] . ولما كان الوجود قائما على السلب والتناقض الظاهري فان الظلام يقابل النور والشيطان يقابل الله والخطيئة تقابل الخير والعدم يقابل الوجود . وهذه كلها موجودة من حيث الوجود المادي . فليس الظلام والخطيئة والشيطان والعدم جوهرا قائما بذاته بل هي انعكاسات لانعدام الجوهر الحقيقي ، وليست هي اضدادا بقدر ماتكون ظلالا وسلبا[٤] .

ومن هذا نستنتج ان الصراع قائم في الوجود بين مبدأ النور وعدمه أي الظلام . وتشير الأناجيل والرسائل الى هذه الحقيقة . فالمسيح يضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت . والمسيح يطلب الا يكون النور الذي هو في الانسان ظلاما وعندما اسلم الروح كانت ظلمة على الارض فأظلمت الشمس . وفي المسيح كانت الحياة والحياة كانت نور الناس . والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه . ودينونة العالم هي ان النور قد جاء الى العالم واحب الناس الظلمة ، وان من يعمل السيئات يبغض النور . والمسيح نور العالم ومن يتبعه فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة . وبولس أبرق حوله نور من السماء عندما كان منطلقا الى دمشق .

ويدعو بولس الى شركة ميراث القديسين في النور . ويقول بأن المؤمنين أصبحوا نورا في الرب وكانوا قبلا في ظلمة . ويشدد بولس على ان لايشترك الانسان في أعمال الظلمة ويعترف بأن كل ما أظهره المسيح هو نور . ويقول بأن المسيح يضيء النائم اذ يقول له استيقظ ليقوم من الاموات . ويندد بولس بظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات . وينادي أهل تسالونيكي بأنهم أبناء نور وأبناء نهار . ويقول بأن الذين استنيروا فقد ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس .

ويقول بطرس بأن كوكب الصبح يطلع في قلوب المؤمنين . وفي رسالة يوحنا الاولى نجد ان الله نور وليس فيه ظلمة البتة . وفي رؤيا يوحنا نجد امرأة متسربلة بالشمس وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكبا . ويوصف الله بأنه نور ونار . والمسيح ، عندما تجلى ، صارت ثيابه بيضاء كالنور وظللته سحابة نيرة . ويوحنا يقول بان الذي يسير في النهار لايعثر لانه ينظر الى نور هذا العالم . ويشير الى قول يسوع بأنه النور الذي هو معهم . ويحثهم بأن يسيروا مادام النور معهم لكي لايدركهم الظلام . وما دام النور معهم فعليهم ان يؤمنوا بالنور لكي يصيروا أبناء نور . والمسيح قد جاء نورا الى العالم حتى لايمكث من يؤمن به في الظلمة[٥] . وبولس يقول في رسالته الى أهل رومية بأن لايحكموا في شيء حتى يأتي الرب الذي ينير خفايا الظلام . ويوحنا يشدد على السلوك في النور كما هو في النور لكي تكون شراكة . ويقول متى ان الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً ، والجالسين في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور .

٣

وبالاضافة الى النار فاننا نجد ان كلمتي النار والنهار تستعملان في الاناجيل والرسائل : المسيح سيعمد الناس بالروح القدس والنار . والمسيح أتى ليلقي نارا على الارض ، ويذكر يوحنا ان من يمشي في النهار فانه لايعثر لانه ينظر نور هذا العالم ، ولكن من يمشي في الليل يعثر لأن النور ليس فيه . ويقول بولس : جميعنا ابناء نور وأبناء نهار . ويستمر في قوله : اما نحن الذين في نهار فلنصحُ لابسين درع الايمان والمحبة . وفي رؤيا يوحنا ذكر لسبعة مصابيح نار امام العرش متقدة في ارواح الله السبعة .

وبالاضافة الى هذا كله نجد كلمات كالموت والحياة والصيف والشتاء : الجالسون في كورة الموت . متى صار غصن شجرة التين رخصا تعلمون ان الصيف قريب . صلوا لكي لايكون هربكم في شتاء ولا في سبت . انا هو القيامة والحياة ، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة . بل يكون له نور الحياة .

اننا قبل ان نعود الى موضوع النور والظلمة يتوجب علينا ان نفسر بعض ما جاء في العبارات والآيات التي ذكرناها الان . ونبدأ بالصيف والشتاء . والصيف يشير الى الحياة . هذا مانراه في مثال شجرة التين . والشتاء هو موت الحياة . فالصيف هو نور الحياة والشتاء هو ظلمة الحياة . وهكذا تقوم الظلمة مقابل الحياة والقيامة ، والصيف مقابل الشتاء .

واما النار فانها اشارة الى درجة عظمى في التطهير . فالنار تأكل وتلتهم كل ما لا يقاومها ويقف امامها وتصهر كل معدن وتطهر كل داء او جرثوم . وهذه هي النار التي يلقيها المسيح ، النار التي هي تكثيف النور . فهو اذن يلقي النور بشكل مادي ، النار التي هي العنصر الاول في الوجود المادي . وهذه النار لن تبقي على شيء لأنه لايصمد امامها الا النار ذاتها . وأما النهار فإنه يشير الى يقظة الروح والى انعدام الليل أي الظلام . ولذلك فلابد من ان يتطهر الانسان بالنار وان يسير في النهار . واما مصابيح النار فهي ارواح الله التي ليست نورا كاملا بل هي اقرب ماتكون الى النار ، كروح مكثفة ، تشتعل لتنير الحياة في العالمين . وكما نعلم ان الدراسة الروحية تشير الى ان الملائكة ، ارواح الله ، هي المسؤولة عن رعاية الوجود وعن العناية به .

٤

الآن نعود الى النور مرة اخرى .

الفكر الغنوصي يشير الى ان الحكمة قد سقطت من فم الله . والحكمة نور . فكيف سقطت الحكمة ؟ كان سقوطها نتيجة لتألب قوى الظلام عليها فأضعفت من نورانيتها . ولما ضعف نورها سقطت . وكان على الله ان يرسل نورا عظيما لانقاذها . فأرسل المسيح ، المنقذ ، وحارب قوى الظلام والشر فانتصر عليها وأعاد للحكمة نورانيتها . واننا نجد تسبيح الحكمة لله في كتاب Pistis Sophia . ففي هذا الكتاب نجد الصراع الذي

قام بين قوى الظلام وقوى النور ، كما نجد انتصار النور على الظلام . وليس التجلي ، حسب ما ورد في هذا الكتاب ، الا صعودا للمسيح . فقد روى المسيح لتلاميذه بعد ان انتهى من تجليه كيف انه اجتاز السموات ــ هكذا يذكر بولس ــ واجتاز مراحلها كلها وممالكها ، المظلمة والمنيرة . وقد دهشت مملكة الظلام من شدة نورانية المسيح . وابتهجت الحكمة بمجيء المسيح فخلصت وازدادت نورانيتها . وهكذا فقد انتصرت مملكة النور على مملكة الظلام .

واما المسيحية فانها تعتقد بان الانسان هو الذي سقط وليست الحكمة ، وان المسيح قد أتى لينقذه . وتصح الحادثتان بتعبيرهما الروحي وذلك لأن عملية الخلاص والانقاذ كانت واحدة . فالمسيح قد صارع اجناد الظلام لكي ينتصر النور .

اننا نجد في المسيحية فكرة الصراع بين الشر والخير وبين النور والظلام . فالمسيح قد أتى لينقذ الجالسين في كورة الموت فأشرق عليهم نوره . وأتى المسيح ايضا للمحافظة على نورانية الانسان والابقاء عليها سليمة من الظلام . والمسيح هو نور العالم لأنه حقق نورانية الله بكاملها . وهو النور الذي يضيء في القلوب ، فيتبدد الظلام . وكذلك هو النور الذي يسير أمامنا لكي نصل[٦] .

ولكن النور قد رُفض واحب الناس الظلمة . ولهذا فان مملكة الشيطان مازالت سائدة على الارض . وليس صلب المسيح الا عملية رفض للنور وتحبيذ للظلام . ولما مات المسيح وأسلم الروح انشق حجاب الهيكل المادي وكان دليلا على انتصار الهيكل الروحي ، وأظلمت الشمس وكانت

ظلمة على الارض . وبالامكان تفسير الموضوع في شكلين : اولا . اما ان يكون صلب المسيح انتصارا لقوى الشر والظلمة ، فخيمت هذه الظلمة على اليهود . ثانياً . واما ان يكون صلب المسيح اشارة الى رفض النور وقبول الظلام . ومهما كان الأمر فان الظلمة خيمت على اليهود لأنهم ابناء الظلمة . ان صلب المسيح يشير الى انطفاء النور وتخيم الظلام لآونة .

المسيح نور اشرق على الجالسين في الظلمة . ولكن الجالسين لم يعتبروا عظمة النور هذه ؟ المسيح دعا ابناء الظلمة لكي يسيروا معه في النور ليشاركوا في النور ، ولكنهم رفضوا . والمسيح دعا كل مؤمن لكي يكون شريكا في النور والحياة .

٥

نجد في المقاطع السابقة اشارة الى الهرب في السبت والى الرياح الاربع والمجيء على سحابة والقيامة والحياة وشجرة التين . فكيف يكون الهرب في السبت ؟

المسيحية التقليدية واليهودية على السواء تجهلان معنى السبت . انهما تجعلان من يوم السبت مفهوما ماديا بحتا . اما المسيحية الحقة ، مسيحية المسيح والانجيل ، فانها تميط اللثام عن السبت . فالسبت للانسان وليس الانسان للسبت . الانسان رب السبت . فما هي حقيقة السبت ؟

في السبت استراح الله . ومما استراح الله ؟ هل الله يتعب ؟ كيف يفسر الناس أمورا هي على غاية من الغنوص بهذا الشكل المادي ؟ وكيف نفسر قول بولس بأن الله قد أقسم بأنهم لن يدخلوا راحته ، أي سبته ؟ فكيف لايدخل اليهود راحته ؟ فالسبت اشارة الى الراحة ، اي اليوم السابع ، والى عدم دخول اليهود راحة الرب .

الله لم يتعب حتى يستريح . والسبت لايشير الى يوم معين وذلك لأننا لاندري كيف كان الوجود . انما الايام السبعة اشارة بل رمز الى الادوار السبعة للوجود . وليس يوم السبت الا الدور السابع لتشكيل الوجود . وأما ان الله يستريح في هذا اليوم ، فليس يعني انه تعب فاستراح . ان راحة الله تعني الزمان الذي تتم فيه روحانية المادة . فالزمان المادي يتغلف برقم سبعة ، لذلك يشير هذا الرقم الى كمال الزمان . فراحة الله هي اكتمال الزمان ، يوم تعود الامور المادية الى مجراها الروحي . وتعلمنا العلوم الروحية معنى يوم الرب ، وما هو الرقم الذي يشير الى يوم الرب . ولكننا نخرج عن دراستنا في شرح من هذا النوع . فليس السبت اذن نهارا بل هو دور . وفي هذا الدور تتم حقيقة يريدها الله ، اي عودة البداية الى النهاية واتصال النهاية بالبداية ، فينغلق الوجود على ذاته ويكمل دوراته التي تصل مرحلتها الأخيرة بالسبعة ، الرقم الذي يشير الى راحة الرب ، الى كمال الوجود . لقد حقق المسيح هذه الدورة عندما قال بان الانسان هو رب السبت . ويشير المسيح الى هذه الحقيقة ان لايكون هرب الناس يوم تطلب منهم أعمالهم ، يوم يكملون فيه دوراتهم في الوجود ، سيما وان الانسان هو في الدور السابع من التكوين .

أما الرياح الاربع فهي أقاصي المسكونة . وهذه غنوصية سرية ذكرت في الاناجيل وفي رؤيا يوحنا على السواء . وفي الواقع نجد بذور رؤيا يوحنا في أماكن متفرقة من الاناجيل . فالله يجمع مختاريه من أقاصي الأرض . اذاً ليس مختارو الله من أمة واحدة ولا ينتمون الى مجموعة واحدة من الناس . ان مختاري الله موجودون في أطراف العالم . وليس مختار الله الا من يقوم بتجربة روحية يصل من خلالها الى الفناء في الله او الاتحاد به . فالمختارون ليسوا طائفة تسمى باسم معين بل هم الابرار .

واما القيامة والحياة فانها لاتشير الى قيامة عامة كما يفهمها المسيحيون التقليديون او اليهود او الطوائف الأخرى . القيامة هي الصعود من الموت ، اي الانتصار على الموت . والانتصار على الموت هو تحقيق الكمال . وتحقيق الكمال هو الانفصال النهائي عن مملكة الأرض والمادة(٧) . وأما المجيء على السحاب فهو رمز روحي يشير الى كل تجربة روحية يعاين فيها الرائي الروح ، وهي أكثر ماتكون بهذا الشكل . فالروح لا مادية وهي ترى في الأعالي ، يغلفها السحاب او الضباب . وهذا الضباب رمز للعيان الروحي . أما شجرة التين(٨) فهي رمز الموت ، رمز الشتاء ، واخضرارها رمز الحياة ، رمز الصيف .

٦

هكذا نرى كيف ان المسيحية تنادي بمبدأ النور والظلمة ، وتشير الى الصراع القائم بين مملكة النور ومملكة الظلام ، بين مملكة الخير ومملكة

الشر . لقد أشار زارادشت الى هذا الصراع وتنبأ بانتصار النور والخير على الظلام والشر . ولكن هل استطاع زارادشتُ ان يحقق ملء النور ؟

لقد نادى زارادشت وغيره بمبدأ النور ولكنهم لم يصلوا الى تحقيق ملء النور . فلم يستطع زارادشت ان يتجلى كالمسيح . عندما تجلى المسيح صارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج وأضاء وجهه بالنور . لقد حقق زارادشت وغيره شيئاً من النورانية ، بل درجة جيدة في النور . موسى شاهد النار ، النور المكثف ، وزارادشت نادى بالنار ، النور المكثف . أما المسيح فقد كان هو النور . ولم يحقق نبي نورانية الله مثلما حققه المسيح ، واننا نستثني بوذا الذي وصل الى درجات عليا من النورانية .

ماهي هذه النورانية ؟ ان من يصل الى درجات عليا من الروحانية ، من خلال تجربة روحية كبرى ، ينير لأنه يصبح نوراً . وهذا أمر لايدركه الناس ورجال الدين ويتنكرون له لأنهم تنكروا لزارادشت وبوذا ولانهم لا يمارسون التجربة الروحية . فالرؤيا عيان للنورانية التي تطغى عليها الظلمة . وبداية التجربة الروحية ظلمة اما نهايتها فهي نور ساطع .

الانسان نور ، وباستطاعة هذا الانسان ان يضيء في الظلمة . أما النور المادي الذي نتحدث عنه وعن سرعته وثبات سرعته فليس هو من النور الالهي بشيء . فإذا كان النور العادي يسير بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية فإن النور الالهي كلي الحضور لأنه كلي السرعة . وعندما يحقق الانسان نورانيته فإنه يكون كلي الحضور وكلي السرعة . لكن الذين حققوا هذه النورانية هم قلة في تاريخ الانسان ، ويعتبر المسيح من الأفذاذ بينهم .

٧

المسيحي ابن للنور وباستطاعته ان يحقق النور دوماً وأبداً . ولكنه بعيد عن النور لأنه لايحقق اقوال المسيح ولا يفهم روحانيتها . ولذلك فإن النور لايتحقق الا بروحانية كبرى . والأرواح التي حققت الله وهي على الأرض أصبحت نوراً ، وأما الأرواح الشريرة فقد اصبحت ظلاما . والشر يلازم الظلام والخير يلازم النور . لذلك فإننا نرى ان ظهور قديس او قديسة او ملاك يكون بشكل نور .

والله نور كلي لا نستطيع ان نحيا فيه بالجسد على الاطلاق . وقد اختبرت هذه الحقيقة بنفسي . كنت في الخامسة عشرة من عمري أقرأ رؤيا يوحنا . وقد هالني ما جاء فيها . وكفتى ، في بداية حياتي ، كنت أخاف واترك الغرفة بسبب ما كان يصيبني من هلع . لكنني مع ذلك قررت ان ارى الله في حلمي . وكانت ليلة عصيبة جدا ورهيبة الى ابعد حدود التصور . ففي حلمي رأيت نوراً قوياً جداً ، هو أقوى من نور الشمس بمرات عديدة ، أحاط بي ففنيت فيه . شعرت بأنني مت وأنني لم أعد حيا . ولم أشعر لوجود جسدي ، بل شعرت انني قد انطفأت .. انه موت الحياة . ولما أفقت لم أعرف ان كنت حيا ام ميتا . فركضت في خوفي وأنا أبكي . ولما سمع والداي صراخي وبكائي اقبلا علي يلطفان علي من أمر خوفي . ولكنني لم أنقطع عن شعوري بالموت . وقد حاول اهلي معرفة ماهية حلمي . لكنني صمت .

وكما اعتقد ان بولس قد مات ليحيا في المسيح ، وان مبدأ النور الذي يضيء في الانسان يحول ظلامه الى نور . فمن أين يأتي الظلام طالما ان الله موجود بصورته ومثاله في الانسان ؟ اني سأترك هذا الموضوع لفصل قادم . لكن الظلام موجود في الانسان . ومن واجب هذا الانسان ان يحوله الى نور . ان تحول الظلام الى نور يعني نهاية الشر والخطيئة . فالظلام القائم في الانسان دليل على انعدام النور فيه ، وعلى وجود السلب في المادة .

ان رسالة المسيح تنحصر في انه كان رسول النور ليحقق النور في مملكة الظلام . اننا نحيا بأجسادنا في مملكة الظلام ولذلك فإنه يتحتم علينا ان نجعل من هذه المملكة المظلمة مملكة نور وحياة . وهكذا يتجدد الانسان ، يتجدد للمعرفة ، ويتجدد للنور والحق . فالتجدد هو التحول من الظلام الى النور . والمسيحية هي التجدد الذي عنى نهاية الانسان العتيق ، انسان الظلام ، وبداية الانسان الجديد . الخليقة الجديدة ، انسان النور .

ولما كان اليهود قد صلبوا نور العالم فإنهم مازالوا يسيرون في ظلام العالم . انهم ينتظرون النور . فيا ويحهم ! لقد اعدموا النور وظل الظلام الذي هو عدم النور . انهم لايعرفون المسيح الا متى أشرق فيهم وأنار .. المسيح الكوني .

حواشي الفصل السادس

١ ــ يقول الحلاج « انا الله، أنا العدم » .

٢ ــ العدم هو السكينة ، اي السكون المطلق . فكيف تم الفيض والصدور من العدم ؟ ان كل اهتزاز وصوت يصل الى نقطة نهايته او عدمه ، لكنه لايفنى لأن لاشيء يفنى بل يحفظ . وفي هذه الحالة لايقاس . انه موجود ولكن اهتزازه لايقاس . هنالك اصوات في الوجود واهتزازات لاتسمع ولاترى وهي مادون الصوت والاهتزاز الأرضيين ، ولكنها تسجل . أما عندما تصل درجة الاهتزاز الى اللاوجود فإنها تنعدم . انها تعود الى حالة السكينة ، او السكون المطلق . لذلك كان كل شيء في الوجود المادي سكينة ، اوسكونا مطلقا او عدماً . ولما نبض هذا السكون وتحرك واهتز ، نشأت الحياة . وعندما تتوقف حركة المادة ، في الظاهر ، تعود الى حالتها الاولى ، اذ ، العدم هو الوجود المحض .

٣ ــ لم يوجد الظلام الا بسقوط لوسيفر . وليس خلق الله للنور الا مجازا ، وأعني انه أضاء المنطقة المظلمة الناتجة عن سقوط لوسيفر ، وفي الواقع ، لاوجود للظلام في الكون ، ذلك لان ما لا نراه موجود . فالعين لاترى سوى اهتزازات قليلة جدا من الاشعة الكونية ، وتعتبر كل مالا تراه ظلاما . فالظلام يتناسب مع وجود المادة ومع قدرة انعتاقها من تدني اهتزازها وكثافتها . فالظلام يشير الى محدودية المادة ــ والنور

يشير الى خلاصها من خلال عودتها الى حقيقتها ، الله ، حالة ما قبل السقوط . فالانسان الذي يرفع من درجة اهتزازه ويقلل من كثافته ، يستنير . لذلك فقد أدخل الله النور في المادة ولم يدرك ابليس هذا الامر ، « النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه » (يوحنا ، الفصل الاول) فابليس لايدرك النور لانه ظلام ، والانسان السيىء لايدركه ايضا . أما البار فإنه يدركه ويعرف الحق . واليهود شعب جالس في الظلمة : « الشعب الجالس في الظلمة رأس نوراً ... »

٤ ــ ليس الشيطان شخصا . هو السلب القائم في المادة . هو المقاومة السالبة التي تحول دون تحقيق الله . لذلك فقد ارتبط بالظلمة ، بالشر ، بالمادة والخطيئة .

٥ ــ تجسد الابن يشير الى إعادة المادة ، في حالتها الحاضرة ، إلى نوارنيتها ، الى حالتها السابقة اللا متعينة ، كما يشير الى وضع نهاية لحالة السقوط .

٦ ــ تشير قيامة المسيح الى حقيقة النور . فالايام الثلاثة الى قضاها في القبر تشير الى الموت وسيطرة الظلام . والأيام الثلاثة الأولى للخلق تشير الى الموت وسيطرة الظلام . ففي نهاية اليوم الثالث للخلق انبلج النور وانتهى عهد الظلام الذي سبب سقوط لوسيفر . وفي نهاية اليوم الثالث للقيامة انتهى الموت والظلام . لذلك فقد أعاد المسيح العالم ، في قيامته ، الى حالته الاولى قبل السقوط ، حالة ماقبل الظلام ، حالة النور .

٧ ــ يقر مبدأ العودة أن القيامة تعني الكمال والخلاص من الموت ، ذلك ان المرء يظل خاضعاً للموت طالما أنه يعود .

٨ ــ شجرة التين رمز لليهود والزيتون رمز للمسيحية .

الفصل السابع

سرية التعاليم ــ الرؤيا

ماهي حقيقة كل دعوة روحية ؟ ولم يصطفي الانبياء رسلاً لهم ؟

الرسل تلاميذ يتتلمذون على يد معلمهم ويعلمهم اسرار الروح والحياة العليا بالاضافة الى اسرار المادة . وتبدأ حياة التلميذ او المريد بداية عادية ويتعمق في علم الروح حتى يصبح نبيا . اننا نجد في الفلسفة اليونانية كيف ان فيثاغورس كان يجتمع بتلاميذه المريدين ويعلمهم الاشراق والاتصال الروحي . ونرى حكماء الهند وأنبياءهم الكبار والافذاذ الذين يندر ان نجد مثلهم يجذبون اليهم التلاميذ فيقضون معهم سنوات عديدة يعلمونهم التركيز الفكري والتأمل والاستغراق . ونجد كيف ان جماعة قمران والاسينيين كانوا يدربون الاطفال منذ الصغر ويعلمونهم السير في درب الروح والحياة العليا . ونرى يوحنا المعمدان يقوم بعمل مماثل مع تلاميذه .

هكذا نرى بان كل معلم يعمل من أجل تعليم تلاميذه والسير بهم الى أعالي سلم الروح الذي يعتمد على تجربة روحية . لقد كان المعلم يعلم تلاميذه التجربة الروحية للوصول الى درجات عليا في علم الوجود والروح .

١

كان المسيح نورا في عالم الروح وأعني انه قد حقق أعلى درجة في هذا العالم هي الدرجة التي نطلق عليها اسم الله . ولما كان المسيح قد حقق هذه الدرجة فإنه عمد الى اختيار تلاميذ له . وقد اختار أغلبية تلاميذه من بين تلاميذ يوحنا المعمدان . وفي الثلاثين من عمره كان المسيح قد وصل الى درجة المعمودية الكاملة وتحقيق روح الله بحلول تلك الروح عليه وبصعوده الى تلك الروح . فقد قضى المسيح حياته ، مثل الانبياء والعظماء ، في التأمل والاستغراق . فقد تأمل المسيح واستغرق ، وعظم وسما في الحياة الروحية لأنه حقق ، وهو في هذه السن ، مالم يحققه روحاني آخر في مثل سنه . وتعود عظمة هذا التحقيق لأمرين : اما ان يكون المسيح قد دخل عالم التجربة الروحية باكراً جداً ، واما ان يكون المسيح قد أتى الى الوجود مزودا بطاقة روحية كبرى . وأما الامر الاول فإن مايدل عليه هو أنه كان يتقوى وينمو بالروح ، وانه لم نعد نسمع شيئا عنه بعد الثانية عشرة . لقد بدأ المسيح حياته الروحية في سن مبكرة . أما الأمر الثاني فإننا نؤجل البحث فيه الى موضوع يوحنا المعمدان وإيليا .

بدأ المسيح باختيار تلاميذه بعد ان كان قد اكمل وأصبح ملء

زمان . وقد اختار تلاميذه من الرجال الذين كانوا قد مارسوا التجربة الروحية على يد يوحنا او على انفراد . وبدأ المسيح يعلمهم حياة الروح والاستغراق في هذه الحياة حتى الحصول على الروح القدس ، وهو رمز الى كمال الحياة الروحية .

٢

ماذا علم المسيح تلاميذه ؟ هل كان يقضي أوقاته معهم كما يقضي الناس اوقاتهم مع بعضهم ؟ وكيف كان المسيح يهيؤهم للكرازة بملكوت الله ؟ كيف تجلى امامهم وهم لايعرفون شيئا عن التجربة الروحية ؟ وكيف كان يؤهلهم للقيام بدور روحي وبرسالة سماوية ويضع على عاتقهم عبئا ثقيلا من علم الروح لو لم يكن يعلمهم اسرار الحياة الروحية ؟ وهل ان اسرار الحياة الروحية تعلم بالشفاه وبالكلام ؟ كلا ، انها تعلم بالممارسة والتدريب الدائم والتعلم على الاشراق والاستغراق .

اننا نستطيع ان نقسم تعليم المسيح لتلاميذه الى أربعة اقسام :

اولا : التعليم على انفراد والصلاة على انفراد .

العلم الروحي لايتم الا في الهدوء والسكينة وفي مكان منعزل . فالمسيح كان يرتاد جبل الزيتون لكي يصلي ويتأمل ، تماماً كما ارتاد بوذا بمكانه الشهير . وفي وقت الانفراد بالتلاميذ كان المسيح يعلمهم أمورا عديدة تخفى عليهم او تستتر برموزها . وبهذا فقد كان الانفراد بالتلاميذ مزية كبرى في تعليم

المسيح لهم . وفي الأناجيل نجد آيات عديدة تشير الى قيمة الانفراد ومكانته في علاقة المسيح بالتلاميذ .

« أما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شيء ! » . « وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : « قل لنا متى يكون هذا وماهي علامة حضورك وانقضاء الدور[1] .» . فقال لهم : « تعالوا منفردين الى موضع خلاء واستريحوا قليلاً ، فمضوا في السفينة الى موضع خلاء منفردين » . « اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم الى جبل عال منفردين » .

اننا نرى الطابع المميز للتجربة الروحية . فالدارس لعلم الروح يعلم ان التعليم الروحي لايعطى الا لصفوة مختارة من الناس ، على انفراد وفي عزلة ، وفي سرية تامة . وتظل اسرار علم الروح سرية حتى يحين وقت ذيوعها . ولهذا فقد كان المسيح يشدد على عدم اذاعتها حتى يطلع الى السماء اي الى ان يتم الكل . وتعلمنا علوم الروح ايضا بأنه قد وجد معلمون عظماء حققوا الله ولم يكتبوا شيئاً بل أعطوا أسرارهم الى تلاميذهم على انفراد ليقوموا بتأدية رسالتهم . ولا يعرف الناس شيئا عن هؤلاء . وحتى الآن مازالت أسرارهم موجودة في أماكن هامة من التيبت ومصر . اما في مصر فإنها لم تستمر لعوامل اجتماعية معينة . أما في التيبت فإنها مازالت قائمة في سرية . ولا تعطى الاسرار الا للقلة الصفوة الذين يتدربون ويمارسون التجربة الروحية . فيبدأ التلميذ كرائد او كطالب ويتدرج في درجات العلوم حتى يغوص الى قدس الاقداس . وتكون حياة التلاميذ مع معلمهم اشارة الى التأمل والاستغراق والمعرفة . فيقضي المعلم أوقاته مع

التلاميذ . يعلمهم الاسرار حسب درجاتهم . أما فيما يتعلق بالمسيح ، فكما يبدو ، أن تلاميذه كانوا يعرفون شيئا عن التجربة الروحية . ولكنهم ، ببقائهم معه ، ارشدهم الى اسرار الملكوت .

ثانيا : السرية .

وتكون السرية على درجتين : الاولى وهي التكتم بالتعاليم اذ لايحق للروحاني ان يتحدث في موضوع علمه مع الاخرين او ان يباحثهم ويجادلهم او ان يطرحه عليهم وذلك لأن العامة لايستطيعون ان يدركوا ويفهموا ــ وليس العامة فقط بل المفكرون ايضا مالم يمارسوا التجربة الروحية . وكما قلنا سابقا ان التجربة الروحية عملية فوق عقلية لايمكن التعبير عنها بل يمكن ممارستها . فالتكتم ضروري جدا والانفراد ضروري والسير الحثيث في علم الروح ضروري . والثانية ، وهي تعليم الاسرار التي تخفى على الاخرين . فالمعلم الروحي يعمل على توضيح الطريق لتلاميذه وعلى تعليم اسرار الحياة والموت ، والمادة والوجود والفيض وكل شيء . ويعمل المعلم ايضا على ارشادهم في تجربتهم الروحية .

ولما كانت التجربة الروحية صعبة بدون معلم فإنها تكون علة لتراجع فظيع ولنكران شديد . فهي محفوفة بالمخاطر وهي صعبة الحدوث . وتقع صعوبتها في عملية الدخول الى التجربة ، في تركيز الذهن والعقل والقلب ، وفي الاستغراق . وتقع أيضاً في ممارسة الاستغراق لأن المستغرق والمتأمل يتعرض لتجربة شيطانية كبرى لايخلص منها الا بزيادة في التجربة وبارادة تنتصر على الشرور والشهوات العالقة به . وتزداد الصعوبة كلما أمعن الروحاني في التوغل في عالم الروح . لذلك تكون الحاجة شديدة وملحة

لمعلم عظيم . ولهذا فإن السرية قائمة في العلوم الروحية وذلك لأنها علوم سرية . وهذه أمثلة نجدها في الانجيل حول السرية :

« لكي يتم ماقيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم » « إني الحق أقول لكم ان أنبياء وأبرارا كثيرين اشتهوا ان يروا ما أنتم ترون ولم يروا وان يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » . « فأعلنه لنا الله بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله » :« قد أعطي لكم ان تعرفوا أسرار ملكوت الله » « على انفراد كان يفسر لتلاميذه كل شيء » : « صعد بهم الى جبل عال منفردين وحدهم » : « وأوصاهم ان لايحدثوا احدا بما أبصروا الا متى قام ابن الانسان » : « وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء المرض» .

اننا نستنتج ان المسيح كان ينطق بمكتومات وجدت منذ تأسيس العالم . وكان المسيح يساعدهم على ان يروا ما لم يره أحد غيرهم . وكان يعطيهم قوة في الروح لكي يفحصوا اعماق الله . واعطاهم اسرار ملكوت السماء . وكان يفسر كل ما كان يصعب عليهم . واخذهم الى الجبل العالي فتجلى امامهم ورأوا ماحدث له بسرية تامة . وهكذا نرى كيف تتم السرية في علم الروح .

ان سرية العلم الروحي تكون سرية من وجهتين : الوجهة الأولى ، وهي انها لاتذاع جهارا بل لاتقال الا لاصحاب الرؤى او للتلاميذ الذين كرسوا حياتهم للدخول الى عالم الروح . والوجهة الثانية ، وهي معرفة كل شيء والغوص الى أعماق الوجود المادي والروحي . ان مايعلمه علماء

الروح لايعلمه علماء المادة . علماء المادة لايرون الا الظاهر اما علماء الروح فإنهم يعرفون الباطن والجوهر . ان علماء المادة يرون بالبصر اما علماء الروح فانهم يرون بالبصيرة والعيان. وباختصار، يعلم علماء الروح اسرار الملكوت ، اي اسرار الوجود الروحي والمادي . وهكذا نفهم السرية بأنها علم بالمكتومات التي لاتعلم بالعقل والحس . ولهذا فان من الضروري تدريب المريدين على التجربة الروحية وذلك لكي يغوصوا في علم الروح ويعرفوا .

المسيح ، كما نرى ، كان يعلم تلاميذه اسرار الملكوت وكان يهيئهم للقيام ببشارته . ولما كان يستحيل تعليم الاسرار الا بالحياة السرية Mystic ، الطرق الايزوتيرية ، فاننا نجد آثار السرية في الموضوع . لقد قام كل علم بدور من هذا النوع . وكان رهبان مصر القدماء ، قبل المسيح وبعده ، يعلمون امورا واسرارا لايعرفها انسان ، ويعطونها لاناس مريدين فقط . وكانوا يحتفظون بتعاليمهم في سرية كبرى فلا يقدمونها الا للقلة وحسب درجاتهم . وكان هؤلاء يلمون بأصول الحياة كلها ، بالعلوم المادية والروحية على السواء . وقد علموا تلك العلوم بواسطة الطرق السرية التي تعتمد على التجربة الروحية . فيثاغورس ذهب الى مابين النهرين ويقال انه مضى الى بلاد الفرس واجتمع بزارادشت . وافلاطون مضى الى مصر . وقد أخذ هؤلاء علومهم من معلميهم الروحيين الذين اجتمعوا بهم . ان رياضيات فيثاغورس قامت على تجربة روحية ، ومثل افلاطون قامت ايضا على تجربة روحية لاتقل عن تجربة فيثاغورس الذي لم يكتب الا القليل مثل سقراط . وعلماء الهنود يعلمون كل شيء يتعلق بأصل الحياة وعمر الكون وكيفية

الصدور وكل ما يمت الى العالم العلوي والسفلي . وهذه هي السرية ... تعلم الأسرار .

ثالثا : الرؤيا والغيبة .

في بحثنا لموضوع الانفراد وجدنا ان هناك عنصرا يجب ان يتوفر فيه ، وفي بحثنا للسرية وجدنا كذلك أن هناك عنصرا يجب ان يتوفر فيه . كيف يتعلم هؤلاء السرية ؟ ولم ينفردون وينعزلون عن الناس ؟

لا يتم الانفراد بمجرد الانفراد او للمتعة بل لتحقيق فكرة معينة . ولا تتم السرية الا لتحقيق غاية معينة . ففي الانفراد يتعلم التلاميذ أصول التأمل والاستغراق لكي يصلوا الى الغيبة والرؤيا . ومتى حققوها فانهم يبدأون بمعرفة الأسرار .

ونحن نرى ان عنصر الرؤيا متوفر لدى التلاميذ الى حد كبير وكذلك عنصر الغيبة . واما الغيبة والرؤيا فانهما لم تحصلا الا بعد تجربة روحية كبرى . فقد قويت الغيبة وتضاعفت الرؤيا بعد صعود المسيح . واستطاع التلاميذ ان ينجذبوا الى المسيح الكوني ، الروح ، بشكل افضل يفوق انجذابهم اليه وهو على الارض معهم . فبعد صعود المسيح ، أصبح هو موضوع الرؤيا بينما لم يكن كذلك قبل صعوده . لذلك قال لهم بأنه سيرسل لهم المعزي ، الروح القدس . وليس ارساله الا تعبيرا عن زيادة الرؤيا وتحسنها وتحقيق الغيبة ومضاعفة الاشراق . وها نحن نجد في الأناجيل اصولا للرؤيا والغيبة :

« اني الحق اقول لكم ان انبياء وابرارا كثيرين اشتهوا ان يروا ما انتم ترون ولم يروا » : « لايقدر احد ان يقبل الي ان لم أجذبه الان وانا اقيمه في

اليوم الأخير » : « وانا ان ارتفعت عن الارض ، اجذب الي الجميع » : « ظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . وكان قد اوحي اليه بالروح القدس انه لايرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب » :« فأتى الى الهيكل بالروح » : « ظهر له ملاك من السماء يقويه » : « أخذته سحابة عن اعينهم » : « وفيما حنانيا يصلي قال له الرب في رؤيا » : « انا كنت اصلي فرأيت في غيبة إناء نازلاً » : « هكذا ارسلا من الروح القدس » : « منعهم الروح القدس ان يكلموا في اسيا » : « فقال لي الروح ان اذهب معهم » : « وكما كنت أصلي في الهيكل اني حصلت في غيبة » : « اعلمنا الله بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله » : « مايعلمه الروح القدس » : « الاختطاف الى السماء الثالثة » : « امتلئوا بالروح » : « تعبدوا لله بالروح » : « ونحن سمعنا هذا الصوت قبلاً من السماء اذ كنا معه في الجبل المقدس » : « كنت في الروح في يوم الرب » : « ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان » .

هكذا نرى كيف اضحى التلاميذ اصحاب رؤى وغيبة . وليست الروحانية شيئا غير هذا . وتتركز تعاليم المسيح في ان يعلم تلاميذه ان يتنبأوا . والتنبؤ هو أعلى درجة يصل اليها المريد في التجربة الروحية . وهكذا نرى كيف ان المسيح لايقبل الا من يجتذبه الرب . فالتلميذ يجتذب الى الرب بالتأمل والاستغراق . وماذا يقصد بقوله : أنا اقيمه في اليوم الأخير ؟ انه يعني اليوم الذي يموت فيه ولن يعود الى المادية مرة اخرى بل يكون قد

حقق الروحانية التامة ، فيقوم من الاموات . ان تعليم المسيح يتركز على فلسفة القيامة من الموت وعدم العودة الى حياة الارض ، أي تحقيق الحياة بكمالها ، تحقيق الكمال ، تحقيق العالمين الروحي والمادي كما يحققهما الله ذاته والمسيح يشدد على انه سيجذب اليه الجميع . وكيف لا يتم جذب الجميع الا بالغيبة ؟

هكذا نرى ان اصحاب الرؤى الذين حققوا درجة عالية في عالم الروح ومن خلال التجربة الروحية ينجذبون الى الله وتتحقق روحانيتهم بطرق متعددة . فهي تظهر بالانجذاب وبالرؤيا وبالغيبة وبظهور ملاك وبإيحاء الروح القدس وبإعلان الله بروحه ، وبالاختطاف الخ .

رابعاً : عدم التعبير عن الرؤيا والغيبة .

ان من يتعلمون اسرار الملكوت ويعرفونها يجدون صعوبة كبرى في التعبير . فالحياة الروحية لايعبر عنها باي شكل من الاشكال . المسيح لم يكتب شيئا بل تحدث بامثال . بوذا لم يكتب شيئا بل تحدث بكلمات بسيطة . فالمسيح لم يعبر عن روحانيته بالكلام . فهو لايستطيع ان يوضح للناس كيف اكثر السمكات وارغفة الخبز ، وكيف اقام الميت ، وكيف يتنبأ ويعرف الله . والتلاميذ كذلك لم يستطيعوا ان يعبروا عن عن الروحانية . وكل روحاني لم يكلم الناس عن الطريقة التي تحققت فيها روحانيته . لذلك فقد تركوا الاسرار للمريدين والتلاميذ وكلموا الناس بكلام بسيط . وباختصار ، لايمكن التعبير عن التجربة الروحية .

ولهذا فإننا نجد صعوبة في فهم الدين . كل كلمة في الدين رمز روحي او عبارة عن تجربة روحية . وكل آية تحمل في أعماقها سراً كبيرا .

ولهذا فإننا لا نستطيع التعبير عن حقيقتها ومضمونها بما يكفي . وهانحن نجد في الأناجيل والرسائل بعض ما يدل على صعوبة التعبير عن الرؤيا او عن الغيبة او عن القوة الروحية :

« الروح نفسه يشفع فينا بأنات لاينطق بها » : « الكرازة كانت ببرهان الروح والقوة» : « اخذنا الروح الذي هو من عند الله لنعرف الاشياء الموهوبة من الله لنا » : « لم استطع ان اكلمكم كروحيين بل كجسديين ، كأطفال في المسيح » : « أطلب إليكم ان تتأيدوا بقوة روحه في الانسان الباطن ليحل المسيح بالايمان فيكم » .

كما يبدو ان الروح لايعبر عنها بكلام ينطق به وذلك لانها لاتوصف . ولما كانت الكرازة قد اخذت بالروح فانها برهان الروح والقوة . وكيف يمكن التعبير عن هذه القوة بكلمات وعبارات ؟ لايستطيع الانسان ان يعرف الاشياء الموهوبة له من الله مالم يأخذ الروح الذي من عند الله . ويشير بولس إلى انه لم يستطع ان يكلمهم كروحيين بل كجسديين ، كأطفال في المسيح . لقد اختطف الى السماء الثالثة وسمع كلمات لاينطق بها ولا يسوغ لانسان ان يتكلم بها .

ان كان بولس ، بفلسفته العميقة عمق المسيحية ، قد كلّم المسيحيين كجسديين وكأطفال ، فكيف كان الامر لو انه كلمهم باسرار المسيح الكوني ؟ وهذا الذي اختطف الى السماء الثالثة ، كيف يستطيع التعبير ؟ انه لايستطيع ان يعبر عما يرى . وهذا يوحنا في رؤياه لايعبر الا بتعابير وكلمات تزيد الغموض غموضا . ان رؤيا يوحنا لاتفهم الا بتجربة روحية مثلها . وفهم الاختطاف الى الفردوس لايتم بدون التجربة ذاتها .

والتعبير عن الرؤيا وشرحها ووصفها لا يتم ابدا . فالمسيحية عميقة عمق الروح والله وذلك لانها لاتفهم الا بالروح الذي هو من عند الله الذي يفحص الله ويغوص الى أعماقه . وان كان الامر هكذا ، فكيف يمكن التعبير عن روحانية الرائي الحقة ؟

٣

ان سرية التعاليم تعني تجربة الحصول على الروح القدس . والرؤيا والغيبة تعنيان تحقيق الروح القدس في الانسان . والتحقيق يعني الانجذاب الى الله او الى المسيح الكوني . ومع هذا ، فان الرائي لايستطيع ان يعبر عن رؤياه لانها فوق عقلية . فكيف كلّم المسيح الناس وماذا علمهم ؟ ولماذا لم يعلمهم ما اعلمه للتلاميذ ؟ ولماذا لم يعطهم ما أعطاه للتلاميذ ؟ وماذا كتب التلاميذ الى الناس الاخرين وماذا علموهم ؟

المسيح لم يعلم الا بامثال بسيطة جدا وترك السرية للتلاميذ . والتلاميذ لم يكتبوا الا ما قلّ ودلّ في رسائلهم ، وشددوا على الايمان بالمسيح وتحقيق الالوهية . ولكن التلاميذ لم يقولوا شيئا عن كيفية الحصول على الروح القدس او عن تحقيقهم للمسيح الكوني فيهم وعن انجذابهم واختطافهم او عن غيبتهم . انهم لم يذكروا شيئا عن تجربتهم الروحية على الرغم من انهم ذكروها .

وعندما نلقي نظرة على المسيحية التقليدية نعلم مقدار ما تعاني هذه المسيحية . انها لا تفهم الباطن بل تنظر الى الظاهر . وان معظم ما تقدمه

المسيحية التقليدية ـــ واعني القائمين عليها ـــ ليس الا فهما بسيطا جدا للحقيقة الروحية المتضمنة في المسيحية العميقة . فالمعلم في المسيحية التقليدية ليس معلما روحيا يقوم بتجربة روحية وليس هو رائياً يعاين ويشاهد ، بل هو ليس نبياً يعرف اسرار الملكوت . انه صاحب مهنة يقوم بطقوس وتقاليد لا تمت الى الروحانية بصلة . ان القائم على المسيحية لايدري مغزى روحانيتها لانه لايفهم السرية القائمة في دينه . وكيف يفهمها وهو لايقوم بتجربة روحية ؟

ان القائم على المسيحية متعصب يعتقد انه قد حصل على النعمة وانه قبل المسيح فيه . فلو كان يدري معنى النعمة وكيف يلبس الانسان المسيح الكوني ، لأقلع عن ادعائه بهذا الشيء . ان هذا القائم على التقاليد والطقوس قد وصل الى درجة من المادية ألقته في أحضان الحرف . فهو لايسير وفق التجربة الروحية التي تعتقه من الحرف بل أنه يشيد لنفسه ناموسا وشريعة .

اين السرية في المسيحية التقليدية ؟ واين الروحانية في الرؤيا والغيبة ؟ اين هو المسؤول الذي يجرؤ ان يدعي بتجربته الروحية ؟ المسيحيون الذين قاموا بتجربة روحية قليلون جدا . وقد لُفظوا مرارا ، وتنكرت السلطات لهم . ان هذه السلطات تنكرت لأعز وأفضل ماوجد في المسيحية .

حواشي الفصل السابع

١ ـــ راجع فصل « الاناجيل الاربعة » في كتابي « رد على التوراة »

الفصل الثامن

ملكوت السماء

لو أمعنا النظر في الصلاة الربانية لوجدنا ان هذه الصلاة تذكر ملكوت السماء . واما العبارة التي ذكر فيها ملكوت السماء فهي « ليأت ملكوتك » . وحول هذه العبارة يدور بحثنا الكامل في هذا الفصل .

كان اليهود يعتقدون ان ملكوت السماء عتيد ان يظهر في الحال وأنه قريب جدا . ولم يكن اعتقادهم الا مظهرا ماديا لناموسهم . ولهذا لم يخرج اليهود من دائرة ماديتهم ، فنظروا الى كل شيء وفهموه من خلال الحرف . كانوا يعتقدون ان ملكوت السماء سيأتي . كأنه كان غائبا وسيحضر . وكانوا يعتقدون انه يجيء ، كأن الملكوت شيء ما . لقد نظر اليهود هذه النظرة المادية للملكوت وذلك لأنهم لم يعرفوا التجربة الروحية ولم يدركوا معنى الملكوت . واليوم يتشوق المسيحيون الضالون الذين هم من أعمال اليهودية لملكوت السماء وينادون بمجيئه .

قال المسيح ان ملكوت السماء سيجيء قبل ان ينقضي ذلك الجيل . فكيف ينادي المجيئيون بمجيء ملكوت السماء وهو قد جاء قبل انقضاء الجيل الذي وجد فيه المسيح ؟ أليس هذا دليلاً على يهوديتهم ؟ وليست الطوائف التي تنادي بهذا المجيء الا يهودا تنصروا ليقضوا على روحانية المسيحية . فويل لهؤلاء من الغضب الآتي ومن دينونة الله !

يتوجب علي ان اذكر على الدوام ان ملكوت السماء وغيره من الاسرار المسيحية العميقة لاتفهم الا بتجربة روحية . ولهذا فان من يتحدثون بهذه الامور لايفهمونها . ولما كانت التجربة الروحية هي المدخل الى سرية المسيحية فانني سأضع النقاط على الحروف .

اولاً : يقول الكتاب : « الناموس والانبياء الى يوحنا . وبعدهما يأتي ملكوت السماء » .

عندما نمعن النظر لنفهم السرية الروحيه في هذا القول ، نجد ان الروح تأتي بعد الحرف . لقد علمنا الانبياء والشريعة والناموس ان من يأتي بعدهم ، وهو المسيح ، سيعلمنا الروح . ولذلك فإنه سيتم الانتقال من الناموس الى الروح . ولما كان مجيء المسيح يشير الى ملكوت السماء ، فإن الناس كانوا يفهمون من كلمة « يأتي » و« يجيء » بأن حدثاً ما سيقع . ولما كانوا يجهلون الروحانية السرية القائمة في الموضوع فإنهم ظلوا يفهمون الحرفية فيها . فاعتقدوا بان الملكوت سيأتي ، متصورين الملكوت كشيء ما يأتي بصورة معينة وبشكل معين . وهكذا فقد جسدوا هذا الملكوت وجعلوه مادة للحديث ومادة للحدوث .

كان يوحنا يشير الى اقتراب ملكوت السماء ، وكان الناس يعتقدون

بأنه قريب الحدوث . وكان يكرز بهذا الملكوت . وأما الملكوت فقد قصد به المسيح وذلك لأن الناموس قد انتهى به هو . وهكذا فلابد ليوحنا ان يمهد الطريق لمن سيأتي . ولما كان المسيح هو الذي سيأتي بعده فإن الملكوت سيأتي . فمجيء الملكوت ليس الا مجيء المسيح . ولهذا فقد كرز يوحنا بمجيء المسيح اي بمجيء الملكوت . ولكن الناس اساؤوا فهم الملكوت ، معتقدين بأنه لابد وان يأتي على الارض . وهذه نظرة يهودية محضة تقضي على روحانية المسيحية . ولهذا اليوم ظلت اليهودية تسيطر على افكار المسيحيين وتجعلهم ينظرون الى الحرف دون الروح .

لكننا نجد ان المسيح ذاته قد نادى باقتراب ملكوت الله وبشر به وكرز . فكيف يبشر يوحنا بأن مجيء المسيح هو مجيء الملكوت وكيف ينادي المسيح بمجيئه ايضاً وباقترابه ؟

المسيح يرمز الى ملكوت السماء . ولما أتى المسيح فمن الطبيعي ان نفهم ان الملكوت قد أتى . لقد أتى الملكوت وانتهى الناموس والشريعة . وليس مجيء الملكوت الا عهدا جديدا يدخل فيه الانسان الى حضرة الروح والى ملكوتها . ولكن المسيح كان يطالب بتحقيق الملكوت في الانسان وعلى الأرض بواسطة الانسان ذاته[1] . ان مجيء الملكوت يعقبه تحقيق للملكوت . وكان المسيح ينادي بهذا التحقيق الانساني للملكوت . فقد نادى المسيح ان ملكوت الله قريب وبشر به وكرز ، لأنه كان ينادي بتحقيق ذلك الملكوت . لذلك نرى ان المسيح يشدد على الناحية الروحية من الملكوت وذلك لان هذا الملكوت لايتم حتى يكمل الزمان ، بمعنى حتى يتم التحقيق الكامل للملكوت . ويشير موت المسيح الى التحقيق

الكامل لهذا الملكوت . ولما اكتمل الملكوت مواعني عندما حقق المسيح الملكوت الروحي بدقته وكماله ، عندئذ جاء الملكوت قبل ان ينقضي ذلك الجيل . لذلك يشير موت المسيح الى انقضاء الناموس ، وهو مملكة المادة ، والى بداية المسيح ، وهو مملكة الروح . فالملكوت اذاً هو تحقيق مملكة الروح وليس مجيئاً بالمعنى الحرفي .

ثانياً : يعتبر ملكوت السماء انقاذا من سلطان الظلمة وانتقالاً الى الملكوت .

في دراستنا السابقة راينا كيف ان المسيح ، وهو نور العالم ، قد انقذنا من سلطان الظلام وعلمنا الدخول الى مملكة النور . ولما كانت مملكة المادة تشير الى مملكة الظلام فان مملكة الروح تشير الى مملكة النور ، ولهذا فإن الملكوت هو مملكة النور . وليس مجيء الملكوت الا تحقيقا لمملكة النور وقضاء على مملكة الظلام . وكما رأينا في الفصل السابق ان الانتقال من الظلام الى النور لايتم الا بتجربة روحية يتصل بها الانسان بالله ويستنير به ، لذلك فان ملكوت الله هو النور الموجود فينا الذي يرشدنا وينقذنا من الظلام المحيط بنا والذي هو على أهبة الاستعداد لكي يحل محل النور . وكيف يمكن لهذا الملكوت ان يجيء ؟ انه يجيء متى حققناه . ولذلك تستعمل كلمة مجيء للدلالة على التحقيق الذي يعني باننا نتصل بالفوق ، فيرشدنا هذا الفوق وينزل الينا فيحقق خير تحقيق . ولكن العملية كلها تتم في الانسان ذاته ، فلا فوق ولا تحت ، وانما هي رموز تستعمل للولادة من فوق .

ثالثاً : ملكوت السماء هو ولادة من فوق ، من الماء والروح .

علمنا يوحنا المعمدان ان المعمودية بالماء هي توبة لغفران الخطايا .

وعلمنا المسيح أن معمودية الروح القدس هي حصول على الروح القدس . فالمعمودية بالماء تهيئة لطهر الانسان ونقائه وصفائه ليصبح مجردا من الخطيئة والشر . والمعمودية بالروح القدس هي تحقيق روح الله في الانسان . ولهذا فان الانسان الذي يحقق النقاء والطهر ويحقق الله فيه فانه يولد من فوق ويحيا في ملكوت الله . وعلى هذا الأساس لايخرج ملكوت الله عن دائرة الانسان الذي تتم فيه التجربة الروحية التي هي وسيلة لتحقيق ملكوت الله .

رابعاً : لايدخل ملكوت الله الا من كان كالطفل .

ماهي ميزة الطفل ؟ الطفل يمتاز بالبراءة والنقاء والطهر . ولما كان ملكوت الله برا وسلاما فان الطفولة تشير الى هذا الملكوت . فالدخول الى الملكوت هو دخول الى قدس اقداس الانسان . فالانسان يدخل الى اعماقه ، الى الله الذي يكتشفه هنا ، فيكتشف ملكوته ويحققه . ويتحقق هذا الملكوت في الاطفال وذلك لأنهم في اعلى درجات الروحانية وفي ادنى درجات الشر والخطيئة . ان جسد الطفل تحيا فيه روح عظيمة ، لذلك فهو جسم روحاني وسماوي . وفي مثل هذا الجسم يحيا ملكوت الله . ولهذا لانستطيع ان نحصل على ملكوت الله مالم نكن كالاطفال . ففي الطفل تتحقق البراءة والسلام والبر . لذلك فان ملكوت الله يتحقق فينا . وما لم نكن مثلهم فان ملكوت الله سيظل مغلقا علينا ، ملكوت الله الذي هو فينا ، والذي يمتنع علينا دخوله الا بحياة الطفولة .

خامساً : الاغنياء والاشرار لايدخلون ملكوت السماء .

لما كانت حياة الطفولة هي المسكنة والبراءة وهي التي تهيمن على ملكوت الله ، فان الاغنياء والاشرار لايدخلون الملكوت . فلم لايدخل هؤلاء ؟

يشدد المسيح على ان المساكين في الروح ، الفقراء في الروح ، الطيبين في القلب ، المسالمين والمحبين ، يدخلون ملكوت الله ، فهل تتحقق هذه الصفات عند الاغنياء والأشرار ؟ الاغنياء يحبون المال ويكتنزونه ، لذلك فان قلوبهم تظل معلقة به . انهم جشعون طماعون واشرار . انهم يستثمرون الاخرين من اجل المال . انهم يتكبرون ويحققون شهواتهم . ولهذا فانهم لايحققون ملكوت الله ولا يدخلونه .

ان ملكوت الله يحقق في الداخل . فمن كان بريئا وصاحب بر وسلام ، ومن كان مسكينا وطيبا وفقيرا في الروح ، ومن امتلأ قلبه بمحبة الله والانسان ، ومن ترفع عن دنايا العالم وبطلانه ، ومن جعل من الله غايته التي يعمل لتحقيقها فيه ، من كان هكذا فان ملكوت الله يتحقق فيه ، فيدخله . لذلك يكون ملكوت الله قائما في الانسان ولا يحتاج الا للتحقيق .

سادساً : اخراج الشياطين بروح الله دليل على اقبال ملكوت السماء .

هنا نعود مرة اخرى الى كلمة اقبال ، اي مجيء . من اخرج الشياطين ؟ المسيح اخرجها . وبأية قوة اخرجها المسيح ؟ انه اخرجها بروح الله وقوته . واذا كانت روح الله قد اقبلت الى الوجود ، افلا يعني ان ملكوت الله قد اقبل ؟ واذا كان المسيح يحمل روح الله ، أفلا يعني ان

الملكوت قد اقبل ؟ ولهذا نرى ان ملكوت الله هو تحقيق الله في الانسان . وأول من حقق الله عند اليهود كان المسيح . لذلك فان اقباله يعني اقبال الملكوت .

لكننا نرى ان المسيح علم تلاميذه كيفية تحقيق الله فيهم . علمهم كيف يخرجون الشياطين باسم الله وبروحه وقوته . ولهذا فقد كانوا ملكوتا لله ايضا . ولما كان ملكوت الله قد علم الى كل مسيحي يؤمن بالمسيح ويتخذه مثالا له ، ويحقق الله فيه فان ملكوت الله قائم في كل انسان يؤمن ويعمل ويعرف . ولهذا نرى ان اقبال الملكوت معطى للجميع لأنه يأتي الى الجميع ويقبل على كل انسان . فبمجيء المسيح وباقبال الملكوت نقصد تحقيق الروح ، مملكة الروح ، التي تعطي سلطانا عظيما للانسان . انها تعطيه سلطان مغفرة الخطايا وسلطان اخراج الشياطين وسلطان النور على الظلمة . وكل هذا ينتج عن اقبال ملكوت الله ، اي تحقيقه في الانسان .

سابعاً : الكرازة بالملكوت هو كرازة بمملكة الروح .

ماهي رسالة المسيح ؟ يقول المسيح بانه قد ارسل ليبشر بملكوت الله . فهل انه يبشر بشيء أتى ، وهو يمثله ويحققه ، أم أنه يبشر بملكوت سيأتي ؟ ان المسيح لم يبشر بشيء أتى وذلك لأن الناموس حتى يوحنا لم يبشر بالملكوت . ويوحنا ذاته ، وهو نهاية الناموس والممهد لمملكة الروح ، لم يذكر شيئا عن مجيء الملكوت في الماضي . وانما اشار الى مجيئه . ومن هو مثال الملكوت ؟ هو من يعمد به . ان من يعمد بالروح القدس ، بالروح والنار ، هو حامل ملكوت الله . لذلك فان المسيح هو ملكوت الله . والمسيح لايبشر بملكوت سيأتي وذلك لأنه لن تكون ضرورة لوجوده هو .

ان التبشير بمجيء ملكوت غير المسيح ، او بمسيح ثان ، هو قضاء على فكرة الملكوت التي حققها المسيح وكان هي .

ان الاعتقاد بالمجيء الثاني هو ضربة للمسيح الكوني . فاما ان يكون المسيح قد جاء او انه لم يجيء . فان كان قد جاء فانه قد حقق الكل ، واذا كان قد حقق الكل فانه لن يجيء . واما المجيء على سحابة في رؤيا يوحنا والتعبير عن المنتهى فليس الا مفهوما روحيا لايفهمه الا من تكون عنده تجربة روحية. فاذا قام المسيحي بتجربة روحية يعلم ان المجيء على سحابة يتم في الرؤيا والغيبة . ولقد تم المجيء فعلا على الجبل . فهو مجيء دائم وكلي ويحدث في كل حين . اذاً هو تحقيق في كل دقيقة .

من هذا نرى ان الكرازة بالملكوت هي كرازة بمملكة الروح . هي نهاية للناموس الذي هو الحرف . هي نهاية للعهد القديم . هي نهاية للانسان العتيق . وهي بداية للانسان الجديد الذي يتجدد بالذهن والروح . ولم يخرج المسيح بملكوت الله عن الانسان ذاته وعن داخله . وطلب منه ان يجيء ملكوته اليه .

ثامناً : المنتهى يأتي بعد الكرازة بالملكوت .

ماهو المنتهى وكيف يأتي ؟ المنتهى هو نهاية مملكة المادة . والمسيح يظهر لنا هذه الحقيقة . المسيح يقول ان المنتهى يأتي بعد الكرازة بالملكوت . المنتهى يأتي ! من أين يأتي ؟ الا يعني هذا ان كلمة مجيء وإتيان وإقبال هي كلمات رمزية لا أكثر ولا أقل ؟ المنتهى يأتي بعد الملكوت . اي بعد تحقيق الملكوت . وكيف يكون المنتهى ؟ انه يكون

بإكمال كل شيء . يقول المسيح عندما أسلم الروح : لقد اكمل . ماهو الذي أكمل ؟ لقد أكملت الرسالة التي أتى من أجلها . وماهي الرسالة التي أتى من أجلها ؟ هي التبشير بملكوت الله وتحقيقه . وهل يبشر بملكوت الله مالم يكن حاملا لملكوته ؟ اذاً ، كان المسيح ملكوت الله ، اي كان هو الذي حققه خير تحقيق . وعندما حققه أكمل . انه أكمل الملكوت . وعندما أكمله اتى المنتهى .

المنتهى هو نهاية مملكة المادة والشيطان والتحقيق الكامل لله . والمجيء على سحابة هو تحقيق الاتصال بالمسيح في عالم الرؤيا والغيبة والاستغراق . فالمنتهى هو اخر عهدنا بمملكة المادة وهو التحقيق الكامل لملكوت الله . لهذا ، يتوجب على المسيحيين ان يتوقفوا عن تفسير هذه الأمور بتفسيرات مادية تسيء كثيرا الى جوهر المسيحية . المنتهى فينا لأن الملكوت فينا . ومتى تحقق الملكوت فان المنتهى يأتي . ومتى تحقق الملكوت تتم القيامة ويأتي ابن الانسان على سحابة . اذاً ، متى حقق الانسان الملكوت ، فانه يقوم . ولا يقوم الانسان مادام الملكوت غير محقق فيه . ويظل الانسان عالقا في عالم المادة ويعود اليه حتى يحقق الملكوت . ومتى حققه فانه يقوم ويكون المنتهى . والمنتهى والقيامة هما رمز لتحقيق الله في الانسان . « ان القيامة قد صارت » هذا مايقوله بولس في تيموثاوس الثانية ، فكيف ننتظرها ؟ فالمسيح كان المنتهى والقيامة . لقد أكمل كل شيء وانتهى وقام . فالقيامة إشارة الى عدم الارتباط بعالم المادة والتحقيق الكامل لملكوت الله بحيث لايعود الانسان الى مملكة المادة . والمنتهى يعني نهاية عهد المادة .

تاسعاً : ملكوت السماء هو كمال الزمان .

المسيح هو كمال الزمان ، ولا يكون ملكوت الله الا كمال الزمان . وكمال الزمان هو الله المتجسد ، واعني من توصل الى ان يكون الله . وان من يصبح الله يأتي بملكوته الى الارض لكي يعلم الناس كيف يأتون بالملكوت ذاته . فاقبال الملكوت يعني اقبال الله في الانسان واستنارته بالله واكتماله في الله . وهذا الكمال يحققه الانسان . فالمسيح يقول للناس ان يطلبوا ملكوت الله وبره . كيف يطلب الانسان الملكوت ؟ ان كان ملكوت الله شيئا ملموسا ، قائما ، يخضع لاوصاف ، خارجا عن الارض ، فانه لايأتي . وان كان الملكوت شيئا يتصل بالانسان ، والانسان جزء منه ويوجد فيه ، فانه يأتي . اذا ، لايأتي الملكوت مالم يكن الانسان على اتصال به . ولما كان الانسان متصلا بالله ، فالله هو الملكوت . ولما كان الانسان صورة الله فانه يحمل الملكوت . ولما كان الملكوت هو الروح ، فانه مملكة الروح . ولما كان المسيح قد حقق الكمال وكان ملء الزمان فانه يمثل الملكوت . ولما كان الملكوت قد تم واكتمل فانه لايصح ان نقول بأنه يجيء ، والا فاننا نتهمه بالنقص وعدم الكمال . وهذا مايقضي على المسيحية من أساسها وجوهرها . لقد كان المسيح ملء الزمان فكان الملكوت الذي اراده ان يكون في كل انسان لكي يحققه . ولما كان الملكوت قد أتى وتعلم الانسان كيف يحصل عليه اي كيف يحققه ، فانه انتهى .

عاشراً : معرفة اسرار الملكوت واستلام مفاتيح السماء .

قال المسيح لتلاميذه بأنهم عرفوا اسرار الملكوت وسلمهم مفاتيح

السماء . هل للسماء مفاتيح ؟ ماهو مفتاح السماء ؟ وكيف تتم معرفة اسرار الملكوت ؟

ان مفتاح السماء هو معرفة اسرار الملكوت . ولما كانت الاسرار قد علمت للتلاميذ والرسل فانهم اصبحوا يحملون المفاتيح . ولهذا فان المفتاح لم يعط لواحد منهم فقط . ان المفتاح اعطي او يعطى لكل من يعرف الاسرار اي لكل من يستطيع ان يحقق ملكوت السماء . ولكن حرفية الفهم تؤدي الى سوء فهم .

ان معرفة اسرار الملكوت تعني الدخول الى الملكوت . وكيف يتم الدخول الى الملكوت ؟ اي كيف دخل التلاميذ الى الملكوت ؟ هل أخذهم المسيح بأجسادهم واراهم وأعادهم ؟ أم انه علمهم الطرق الروحية للرؤيا ؟ وفي الرؤيا.المعرفة ؟ ان المسيح علم الرسل والتلاميذ طرق الروح : الاستغراق والغيبة والرؤيا . ولما رأى التلاميذ وعاينوا ، عرفوا . اين رأى التلاميذ وعاينوا وعرفوا ؟ انهم عاينوا ورأوا في أنفسهم ، في أرواحهم التي يقوم فيها الملكوت اذا تحقق .

كل من يصل الى هذه الدرجة من الروحانية يستطيع ان يعرف اسرار الملكوت وان يستلم مفاتيح السماء . ومفاتيح السماء لاتؤخذ الا بعد معرفته للإسرار السماوية . ومعرفة هذه الاسرار لا تتم الا بالرؤيا . والرؤيا لاتتم الا بعد التجربة الروحية . وتتم التجربة الروحية في الانسان ذاته ، الذي يتصل بالله فيحققه ، ويتحقق الملكوت ويعرف أسراره ويستلم مفاتيحه .

حادي عشر : « ليأت ملكوتك » .. « ملكوت الله داخلكم » .

يقول المسيح ان ملكوت الله لايتم بمراقبة وانتظار .. ويضيف « ملكوت الله داخلكم » . والآن كيف نوفق بين عبارتي « ملكوت الله داخلكم » وبين « ليأت ملكوتك » ، وأعني كيف يأتي الملكوت ان كان داخل الانسان ؟

يقول بولس عندما كان يكلم مجموعة من الناس بأنهم يطلبون الله لعلهم يجدونه ويلمسونه وليس هو بعيداً عنهم . فأين هو الله ؟ انه في الانسان ، اذاً ، في الانسان يوجد ملكوت الله . واذا كان ملكوت الله موجوداً في الانسان فكيف يأتي ؟

يشدد المسيح على أن مملكة الله لاتأتي بمراقبة . فكيف ارتقبها اليهود وتوقعوا حدوثها وكيف يرتقبها اتباع اليهودية ــ المسيحية ويتوقعونها ؟ المسيح يقول بأن الملكوت في الانسان . ويقول ايضا ان الله في الانسان . ويقول بولس ان المسيح في الانسان . فالملكوت هو الله ، هو مملكة الله ، وهذه المملكة قائمة في الانسان ، لذلك نقول بأن الانسان هو مملكة الله على الارض ، هو ممثل الله على الارض ، هو صورته .

ولكن هذا الملكوت لايتحقق الا باتصال مع الله ــ اتصال الروح الصغرى بالروح الكبرى . ومتى تم الاتصال فان الملكوت يأتي . وقد رأينا ماذا تعني كلمة يأتي في العرف الروحي . انها تعني التحقيق الذي يحمل صفة الاقبال او النزول او الحلول . ولهذا فان الروح الصغرى تحقق مملكة

الروح الكبرى . وعندئذ تسيطر مملكة الروح اي الله على مملكة الارض في الانسان ذاته .

لهذا نقول ان العبارتين لاتتناقضان الا ظاهرياً . اما المعنى الجوهري فإنه واحد . ولكن فهم هذا المعنى فإنه يحتاج الى تجربة روحية . اذاً ،لا يأتي الملكوت الا اذا حققناه في داخلنا . وعندما نحققه في داخلنا تكون مشيئة الله . لذلك تقول الصلاة الربانية ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض » . وهذا يعني ان تحقيق الملكوت داخل الانسان يعني إقبال الروح ، أي مملكة الروح ، التي تتحقق على الارض . وهذا يعني ان مشيئة الله هي ان تتحقق مشيئته على الارض وفي السماء . ولما كانت مشيئة الله في السماء وعلى الارض واحدة ، فانه يتوجب علينا ان نحققها ههنا . وكيف يتم تحقيقها ؟ إنما يتم بمجيء ملكوته اي بتحقيقه في داخلنا .

ثاني عشر : ملكوت الله بر وسلام .

يقول المسيح « ليس ملكوت الله أكلا وشربا ، بل هو بر وسلام » . وهذا يعني ان كل من كان باراً ويحيا حياة سلام مع الله يكون في ملكوت السماء ، على الأرض كان أم في السماء . فالبر والسلام ضرورتان لتحقيق الملكوت . وكما نعلم انه لايتم الدخول الى قدس الاقداس مالم يكن الانسان باراً وطاهراً . ولذلك شدد المسيح على الاطفال وذلك لأنهم يتصفون بهاتين الصفتين .

هكذا نرى ان ملكوت الله ليس هنا او هناك ، ليس فوق او تحت ، او في اي مكان آخر . انه في داخلنا . ولا يتحقق الا بالبر

والسلام . ونرى ان ملكوت الله لايأتي ولا يجيء بل هو فينا ، يحل الله فينا متى اتصلنا به فنحصل على الروح القدس ، أي نحقق الله فينا . ومتى تحقق الملكوت فإن الله ، المسيح ، يحيا فينا ونحيا فيه .

كل انسان يحيا حياة بر وسلام ويحقق الله فيه ويحيا في ملكوت الله . السماء فينا ، اذن ملكوت الله فينا . والملكوت لايذهب ولايجيء ولايقبل ولا يدبر[٢] . انه موجود ، دائم الحضور ، وهو ينتظر التحقيق . ولا يتحقق هذا الملكوت الا بطهر كبير ، لأنه يمتنع الدخول الى البر من لايكون باراً .

ثالث عشر : اقتراب الملكوت والكرازة به والبشارة .

لقد أساء اليهود فهم اقتراب ملكوت الله فاعتقدوا انه بعيد ويقترب ، او انه غائب ويحضر . ويسيء المسيحيون التقليديون فهم هذه الحقيقة . ليس الملكوت بعيدا بل هو قريب منا ، هو فينا ، وليس هو غائباً بل هو كلي الحضور . ومتى تحقق حضور الله في الانسان فإن الملكوت يكون قريبا ، ومتى تحقق الشيطان في الانسان كان الملكوت بعيداً . ولما علم المسيح هذه الحقيقة فهم اليهود أمراً آخر يختلف كليا لأنهم كانوا عبيد الحرف والناموس . الملكوت يعني نهاية الناموس وغاية الناموس هي المسيح . والمسيح يعني مجيء الملكوت ، اي حلول روح عليا ، تعلم الناس كيف يحققون مملكة هذه الروح .

فالمجيء رمز للتحقيق والولادة من فوق رمز للاتصال بالله وجدية الروح ونهاية الحرف . والاقبال لايكون بمراقبة لأننا لانعرف الاوقات والأزمنة . المسألة كلها مبدأ روحي يتم فهمه متى استغرق الانسان في

تجربة روحية . ومتى استغرق الانسان في هذه التجربة فانه يرى ويعاين . انها الرؤيا ! وماذا يرى ؟ انه يرى ملكوت الله الذي هو فيه . انه يرى بأنه مسكن الله . ويعلم بأن المجيء والاقبال كلمتان تشيران الى ولادة من الروح يشار اليها من فوق ، وذلك لأن التحت يشير الى المادة .

رابع عشر : ملكوت الله خميرة ، حبة خردل ، زرع جيد .

يشبه المسيح ملكوت الله بالخميرة التي إن وضعت في الدقيق فانها تحوله الى عجين وهذه الخميرة توجد في الانسان ، اذن ملكوت الله يوجد في الانسان . وعلى هذا الانسان ان يحققه ، أي ان يحول وجوده كله الى ملكوت الله . ويشبهه ايضا بحبة خردل صغيرة تزرع فتصبح شجرة كبيرة جدا . وليس الملكوت الا حبة الخردل الصغيرة جداً التي تنمو حتى تخيم على وجود الانسان بكامله . وأخيرا يشبه بأنه زرع جيد . لقد زرع الله فينا زرعه . وليس زرع الله الا الزرع الجيد . وعلينا نحن ان نحصد هذا الزرع .

٢

المسيحية تتعرض لهزة يهودية كبرى . فاليهود يعملون على تقويض المسيحية من الداخل . لذلك فقد خلق اليهود مذاهب وطوائف مزجت الامور ببعضها حتى اوقعتها في فوضى فظيعة ، واجتذبت فئة ممن نسميهم مسيحيين ، اولئك الذين لايعرفون بل يجهلون . انهم فسروا الامور تفسيرا ماديا وحرفيا وصبغوها بصبغة يهودية . انهم ركزوا على روحانية المسيحية

وسريتها في أمور : المجيء ، والسبت ، ويهوه والتوراة والتجدد . وبهذا التفسير قتلوا المسيحية . واني ارى في المذاهب العديدة التي تسمي ذاتها بأسماء مختلفة كشهود يهوه والسبتيين والمتجددين ــ خطراً كبيراً على المسيحية .

والمسيحيون لايفهمون المجيء او الملكوت تماماً . أولاً ، لانهم لايقرأون ولا يفهمون . ثانيا ، لانهم يقرأون ما يتعملونه بحرفية قاتلة . ثالثاً ، لأن معلمي المسيحية لايعرفون التجربة الروحية . رابعا ، لأن المعلمين يخضعون لناموس جديد اقاموه ولشرائع كنسية يسيرون عليها لم تعد لها صلة بالروح او بالله . خامساً ، لان الرؤساء يعتقدون بأنهم ينفردون بالمعرفة ، ويتنكرون لروح الله في كل انسان . سادساً ، لأن الاوساط اليهودية أثرت في اولئك المعلمين وقادتهم الى الحرفية .

على المسيحية ان تتخلص من براثن اليهودية . ولا يتم هذا الخلاص الا بالعودة الى الروحانية . وليست مسيحية اليوم الا نظاما دنيويا وسلطة وتسلسلا زمنياً . وليس القائمون على المسيحية الا اناس لايعرفون الروح ولا يدركون مغزى المسيح الكوني وعمل الروح القدس في كل انسان . انهم كالفريسيين يدعون بالمعرفة والنعمة لانفسهم ويجردون غيرهم منها .

حواشي الفصل الثالث

١ ــ بالمسيح يتحقق ملكوت الله على الارض ، ويعود ملكوت الارض الى روحانيته ، وينتهي سقوط لوسيفر « رئيس هذا العالم قد دين » . لم يكن في البدء فرق بين ملكوت وملكوت . لكن سقوط لوسيفر أحدث ملكوت الارض . ومجيء المسيح يشير الى توحيد الملكوتين في عملية الصلب اي التقاء الروح والمادة وتوحيدهما .

٢ ــ يؤكد المسيح على حضور ملكوت الله عندما أعلن قائلا « ساعة تأتي وهي الان حاضرة ...» .

الفصل التاسع

تأليه الإنسان

اننا ندخل الى موضوعنا هذا لنطرح مبدأ البنوة وكون الانسان صورة الله على بساط البحث .

ونحن نعتقد ونؤمن ايماناً قاطعاً ان المسيحية رفعت من شأن الانسان فجعلته ابناً لله . ولما كان ابنا لله فانه صورة له . فالصورة والابن فكرتان متلازمتان تعبران عن فكرة واحدة . فالانسان ابن الله لانه صورته في الروح . يقول بولس ان كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم ابناء الله . ويضيف بأننا جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع . ويشدد بولس على ان الرجل صورة الله ومجده ، وإن الله قد أعلن لهم ، أي للتلاميذ والرسل ، الأمور بروحه . وأمور الله لا يعرفها الا روح الله . فكيف نفسر هذه الحقيقة : الابن والصورة !

لقد وجد آدم على صورة الله بالروح ، فهو ابنه اذن . فالصورة هي الابن أي الانبثاق من الله . ولما كان ماينبثق من الله روحاً فان الانسان هو روح الله المتجسدة . لايفهم الله الا روحه الموجودة في الانسان . وقد علمنا المسيح هذه النظرية المثلى وهي مبدأ الاله ـــ الانسان . فهل ان هذا ينطبق على المسيح وحده او انه يتعداه الى سائر الناس ؟ ان كان ينطبق على المسيح وحده فان الناس لايستفيدون من رسالته شيئا بسبب الخليج الهائل والفجوة الكبرى التي تفصل بينه وبينهم . لذلك لابد وان يكون المسيح مثال الانسان الأعظم . بولس يقول ان المسيح هو على صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة . وهذا يعني ان المسيح صورة الله وان الانسان صورة الله ايضا . لكننا نتساءل عن الفرق القائم بين الصورتين .

هل الصورة معادلة لله ؟ يقول المسيح في يوحنا ١٤:٢٨ « أبي أعظم مني » . ويقول بولس في كورنثوس الأولى ١٢:٢٧ « ولكن حين أقول ان كل شيء قد أخضع ، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل» . ويقول ايضا في فيلبي ٢:٥،٦،٧،٨ « فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع ايضا الذي اذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله . لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس ، واذ وجد في الهيأة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » . ويقول بولس في غلاطية ٣:٢٠ « اما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد » .

اننا نلاحظ ان المسيح في الصورة لايعادل الله . لكن المسيح في التحقيق ، أي الطاعة حتى الموت موت الصليب ، هو الله . فاذاً المسيح

هو الله بالتحقيق . وهذا يعني انه قد ارتفع الى أعلى درجات الروحانية فحقق الله . ولما كان المسيح قد أتى الى الأرض وعلم الانسان هذه الحكمة ، فيعني ان الانسان صورة لله وعليه ان يحقق هذه الصورة . ولهذا فقد كان المسيح بكرا ورئيسا لكنيسة ابكار .

ولكن المسيح كان ابنا . والابن يوجد في الاب . فالابن هو صورة الاب غير المنظور التي تتجسد . وليس التجسد الا تحقيق البنوة . فالانسان هو الابن ايضا وعليه ان يحقق مشيئة أبيه الذي في السماء . فالله نفخ في التراب ، المادة الاولى ، وكان الانسان . وهكذا فان الانسان هو الابن الناتج عن حمل المادة بروح الله ، وهذه هي الصورة .

ولما كان الابن متصلا بالله ، الاب ، بروحه ويعلن عن حقيقته للابن بالروح لأن الروح يعلم امور روح الله ، لذلك فان هذا الابن يصبح الاب متى حقق الاب فيه . لهذا تعتبر المسيحية دينا وضع الانسان في سلم الوجود : البنوة والصورة . وأما اليهودية فقد فصلت بين الانسان والله .

فالانسان في نظرها لايتصل بالله لأنه ليس ابنا . انه يتصل عن طريق النبي . فالنبي أعطاه الشريعة ولا أحد يتصل به الا النبي الرسول . لذلك فقد ظل الانسان في منأى عن الله ، لايقدر نفسه بل يعتقد بأنه عبد . ولذا فان اله اليهودية اله خوف وجبروت لان الصلة منعدمة بين الانسان والله . اما المسيحية فقد قالت للانسان : الله اب وانت ابن . والابن من الاب وهو على صورته . والاب روح والابن يحمل روح ابيه . وعلى هذا الابن ، لكي يرث ملكوت ابيه ، ان يحقق مشيئة ابيه . وليست مشيئة الاب الا تحقيق البنوة والصورة . ولما كان المسيح مثالا لهذا التحقيق

فانه اعادنا الى الله وجعلنا نشارك الله به هو ، فكان وسيطا عظيماً لاعادة الصلة بين الابن وابيه ، بين الانسان والله .

فالانسان ابن والله آب . والابن والآب هما في علاقة دائمة . والصلة بينهما هو الروح القدس ، أي الروح المنبثق من الله على الدوام كما ينبثق النور من الشمس . والابن على اتصال دائم بالنور لأنه صورة النور وصورة الروح . فهو يستطيع ان يدخلها اليه وان يحققها . لهذا نرى كيف حل الروح القدس على المسيح وكان دليلا على تحقيق البنوة الكاملة ، تحقيق المشيئة الالهية ، والدخول الى عالم الله والملكوت . فمن نزل من فوق يصعد الى فوق . والابن هو الذي نزل ، لهذا يصعد . كلنا نزلنا وكلنا نصعد .

لذلك نجل المسيح كثيرا . ولهذا نموت في المسيح لكي تستتر حياتنا فيه ، في الله . وهذا لأنه المثال الاعظم الذي حقق الصورة والبنوة فاصبح الله والاب . هكذا اصبح المسيح روحنا الكونية التي نؤمن بها والتي نستمد منها القدرة والروح ، بعد اتصالنا بها ، لتحقيق روح الله . فالمسيح قد رفع الانسان الى الله فمجده .

٢

· اننا نجد تمجيد المسيح للانسان وتأليهه له في المفاهيم التالية :

أولاً : يفجر المسيح الطاقة الموجودة في الانسان فيرفعه الى درجة عظيمة من القوة والسلطان . فهو يقول ان الانسان رب السبت .

والسبت ، كما نعلم ، هو راحة الله . انه رب السبت لأنه خاتمة المطاف في الخلق ، أي لأنه غاية الله في الخلق . لقد خلق الله العالم كله من أجل الانسان ، أي من أجل تجسد الله . وليس تجسده الا الانسان . لذلك فان الانسان هو رب السبت لأن السبت قد وجد من أجله ، اي لم يوجد السبت لو لم يكن الانسان مثالا أعلى للسبت او مثالا أعلى منه . ولما كان السبت أي الرقم سبعة هو الدور الأخير لاتمام الوجود الذي يدل على استراحة الله فانه وثيق الصلة بالانسان لأنه مملكة الانسان . فالسبت اقل من الانسان . والانسان سيد له ورب لأنه يعني تحقيق الانسان في راحة الله . ولابن الانسان سلطان . له سلطان على مغفرة الخطايا . وله سلطان على اخراج الشياطين وشفاء المرض . وله سلطان على الكل لأن الكل يخضع له الكل . ولما كان ابن الانسان هذا ، وهو الانسان ، قادرا على كل شيء ، فانه يمثل الله على الارض .

ويضيف المسيح بان الانسان قادر على كل شيء ان هو آمن . فهو يستطيع ان ينقل الجبال بايمان مقداره حبة خردل . فاذا كانت طاقة الانسان بهذا المقدار فانما لانه يحمل طاقة الله اي صورته ، وهي الروح . ولهذا فان الانسان يستعمل طاقة أبيه وروحه . ويحق له ان يستعملها لانه ابن الله . ولهذا الابن حق لأن يجلس على كرسي مجده . فما هي هذه الكرسي ؟ هل هي الكرسي التي تعطى للمسيح فقط ؟ انها كرسي الانسان التي سقط عنها . ان الله يسعى وراء الانسان لان الانسان ابنه ويحمل روحه اي طاقته اي صورته . والانسان صلة الوصل بين العالمين ، الروحي والمادي ، لأنه يجمعهما في جسده . لهذا كان عظيما عظمة

وجوده وعظمة الدور الذي يقوم به . فلا تجسد بدون الانسان ولا الوهية بدون الانسان . وأعني لايستطيع الاله ان يتجسد الا كانسان ، ولا يتأله الاله الا بالانسان . ولهذا نقول بان الانسان هو اله متجسد ــ وليس الاله الا الروح .

ثانياً : يقر المسيح بان الله يسكن في الانسان . واذا كان الاله يسكن فيه فانه ابن يستطيع ان يرث الملك والحياة الابدية وان يحقق أعمال ابيه .

ثالثاً : يقول المسيح للناس بأنهم آلهة . ولكنه يستطرد بأنهم الهة متى حققوا كلمة الله . ولهذا نقول بان المسيح اعاد الابن الى الاب . واعاد الانسان الى الله ، وحقق الالوهية في الانسان ، اللاهوت في الناموس . أليست هذه هي حال كل انسان ؟ الا يحمل الانسان الطبيعتين ، الروحية والمادية ؟ ولم تكن غاية المسيح الا تعليم الانسان كيف يحقق الله فيه أي كيف يتأله . فكان للآب والابن مثالاً بالتحقيق .

رابعاً : تذكر المسيحية ان الانسان قد وضع قليلا عن الملائكة . وتعلمنا الروحانية السرية جدية هذا الكلام وروحانيته . ولكنها تعلمنا ايضا ان وضع الانسان قليلا عن الملائكة يعود الى حالة وضعه في الجسد . ولكن متى حقق الانسان الروح في الجسد فانه يصبح اعظم من الملائكة بل انه يجلس على كرسي مجده . وقد استطاع عدد من الناس ان يحققوا هذا الوضع فكانوا اعظم من الملائكة بكثير ، بل حققوا الالوهية . الا نرى بان الملائكة تخدم الانسان وتعتني به ؟

تعلنا الدراسات الايزوتيرية بأن الملائكة منوط بها رعاية العالم المادي

والعناية به . فقد اوكل الله لها امر العناية بالانسان . ولما كانت الملائكة تعتني بالانسان ، فلابد وان يكون الانسان ذا قيمة كبرى في العرف الالهي . انه ، باختصار ، غاية الوجود من حيث الالوهية والتجسد ، من حيث الروح والمادة . ولولا الانسان لما كان وجود ، ولما تحقق وجود . كل روح ستتجسد ، أي ستصبح انسانا ، ولا تفلت روح من التجسد اي من الانسنة . فاللاهوت والناموس قائمان في الانسان .

خامساً : واذا كان الانسان يحقق الله فيه فانه يصبح الله . ويشدد بولس في قوله ان من التصق بالرب فهو روح واحد . ويقول المسيح انا والاب واحد . الابن والاب واحد ،أي متى حقق الابن الاب . ان بولس يبرهن على هذه الوحدة . من التصق بالرب ؟ كيف يلتصق الانسان بالرب ؟ انه يلتصق به بالروح . وكيف يلتصق به بالروح ؟ انه يتصل به وينجذب اليه فتتصل الروحان ، العليا والدنيا ، الكبرى والصغرى . ومتى تم الاتصال فانهما تصبحان روحا واحدة ، وتفنى الصغرى في الكبرى . وعندئذ يصرخ بولس قائلاً : الرب في ، الله في الانسان ، الروح القدس يعمل في الانسان. الروح القدس هو تحقيق هذا الاتصال . ويضيف بولس قائلاً : الذي يحكم فيَّ هو الرب .

ويقول يوحنا بان الاب يحب الابن ويريه جميع مايعمله ، وسيريه اعمالا أعظم . ويستمر في قولة : « تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه » . ويرينا هذا القول ان محبة الله للابن يجعله يريه ماهو يفعله ، يريه كل شيء . لقد دفعت المحبة بالله لان يرسل ابنه الى العالم . لقد تركز مفهوم

الابن في المسيح لكنه تجاوزه الى الانسان . ان محبة الله للابن تجعله يكون معه وفيه على الدوام .

سادساً : لله حياة بذاته وقد اعطى الابن حياة بذاته وأعطاه سلطاناً لكي يدين لأنه ابن الانسان . هنا يتقارب مفهوما الابن : الله يعطي للابن . الله يعطيه لأنه ابن الانسان . ففي كلا العبارتين مدلول على ان المقصود هو المسيح ــ الانسان . الله يعطي الابن ، ابنه ، ويعطي ابن الانسان ، الانسان . ان الله يعطي الانسان حياة قائمة بذاتها . ونرى الان كيف تقوم الحياة بذاتها .

تعلمنا الدراسات السرية ان الحياة وليدة حلول روح الله في المادة الأولى ، فيتشكل لدينا : ١ ــ روح الله ٢ ــ المادة الاولى ٣ ــ الحياة . فالحياة هي الروح في المادة . وبالفعل هذا هو مفهوم الابن . فالابن هو الآب في الأم . الآب هو الروح والأم هي المادة الاولى والابن هو الانسان اي الحياة . ولهذا الانسان حياة بذاته ذلك لأننا ندرك الثلاثة في الله وندركها في الابن . فلله حياته وللابن حياته . لذلك كانت حياة الابن صورة مماثلة لحياة الآب . فهو في الوجود كله والوجود حياة . والابن في ذاته ، روحه وجسده ونفسه . وتقوم هذه الحياة بذاتها . فهو يستطيع ان يحققها ، ومتى حققها فقد حقق الآب الذي تقوم حياته بذاتها . وهذا يعني عظمة الانسان لكونه كونا قائما بذاته أي ان ماوجد في الله تكرر في الانسان . وان مايطلب من الابن هو ان يحقق الآب . فكما ان الآب يحقق الكل ، كذلك على الابن ان يحقق الكل . الله قد أخضع الكل للابن . ولكن الابن لايصبح الآب الا متى حقق هذا الكل . وعندئذ ،

متى أخضع الكل وخضع الكل يصبح الكل بالكل . عندئذ يلتصق الانسان بالرب ويكون واحدا معه ، ويكون في الآب والاب فيه .

سابعاً : الابن يستطيع ان يعرف ملكوت السماء واسراره . ولقد أعطيت له هذه القوة بالروح القدس . واما الروح القدس والمواهب الروحية فانها تحقق على درجات . ولا يستطيع ان يحققها الا من وصل الى درجات عليا من الروحانية . كل تحقيق روحي هو تحقيق لله ، لمشيئته . كل فعل محبة ، كل تضحية ، كل تسام ، كل تسامح ، كل مقابلة للشر بالخير ، كل طلبة حق ، كل نية جيدة ، هي تحقيق لمشيئة الله . وكل تسام في عالم الروح ومحاولة للتنبؤ هو تحقيق لله في الجسد . فالجسد هيكل للروح القدس ، هيكل لله ، هيكل للمسيح . اذاً في الانسان توجد روح الله .

المسيحية ديانة تدعو الى مبدأ الانسان ــ الاله ، والاله ــ الانسان . انها تدعو الى مبدأ الانسان ــ الاله لانها تعلم الانسان كيف يتأله . وهي تدعو الى مبدأ الاله ــ الانسان لأنها تعلم الانسان انه اله متأنس . وقد اراد المسيح ان يعلمنا كيف نتأله . ففي فلسفته أظهر بأن الابن لاهوت متأنس . وفي هذه النعمة اظهر ايضا تأله الناسوت . ولهذا فان المسيحية تعلم وحدة الانسان والله ، اي تحقيق الانسان لله .

والمسيحية ديانة تدعو الى الحرية ــ الحرية في الله . تعتبر هذه الحرية استغراقاً في اللانهاية حيث لايخضع الانسان للحتمية او للجبرية او

للقدر ، بل يكون حرا في الله ، في الروح . وكيف تتفق هذه الحرية مع مفهوم الجبرية والقدر ؟

عندما ننظر الى الطبيعة نجد انها تخضع لقوانين . فهي تخضع لجبرية وحتمية . الكواكب تسير في افلاكها ولا تحيد لانها تخضع لقانون او لناموس ، والذرة تخضع لقانون لاتحيد عنه والخلية كذلك . ولهذا نقول ان المادة تخضع للجبرية لانها تخضع لقوانين وتسير بموجبها . وهذا مانسميه القانون الطبيعي . ولما كان الانسان يتألف من مادة ، اذ ان الكون بكامله يتمثل فيه ، لذلك فانه يخضع للجبرية .

ولكن الانسان يخضع لعالم العقل . ولما كان عالم العقل وسطا بين الروح والمادة،يستمد جذوره من المادة فيكون دماغا ويستمد تفكيره من الروح فيكون عقلاً ، فانه يخضع للقدرية . فالقدر وسط بين الجبرية والحرية . وكما نعلم ان العقل يقرر ويصمم ويحقق الارادة ، لذلك فانه يفكر ولا يخضع للجبرية تماما . فعندما يتخذ الانسان قرارا ، فانما يعني ان القوة الفكرية الموجودة فيه تعمل . ومتى عملت هذه الطاقة فمن الطبيعي ان نعلم بأنه لايخضع للجبرية تماماً . فالفكر يستدعي حرية اكبر من الجبرية . لذلك يكون الانسان في حالته العقلية وسطاً بين الحرية والجبرية .

ولما كان الانسان روحا فانه يحيا في الحرية . فالروح حرية لاتخضع لقوانين لأنها لاتحد ولا تنتهي . والروح تحيا في الله وتستمد وجودها منه . فهي لاتخضع لحتمية او لجبرية لانها غير مقيدة . وهكذا يتشكل لدينا الترتيب التالي :

أ ــ المادة ، جبرية ، لانها تخضع لقوانين وتسير بموجبها .

ب ــ العقل ، قدرية ، لأنه يخضع لقوانين لكنه ينجذب الى الحرية .

جـ ــ الروح ، حرية ، لأنها تحيا في الله ولا تحد او تنتهي .

ولكن الانسان لايحقق حريته . فهو يعتقد بأنه يحيا في عالم من الجبرية والحتمية ويخضع لقوانين ثابتة لاتتبدل تفرض عليه فرضا . لقد أساء العلم كثيراً . فالعلم لايعتبر الا المادة وقوانينها . فأخضع كل شيء لقانون وقال ان كل شيء يسير وفق قانونه . ولكن العلم ، على الرغم من المعرفة المكنونة فيه ، لايفهم الجانب الروحي من الوجود . لذلك تضيع المسألة على الانسان . فعندما يخضع الانسان لقوانين المادة فان الغريزة والتلقائية والانفعال والدوافع غير العقلية تسيطر عليه . ولا يختلف الانسان بشيء في هذا عن الحيوان .

والانسان لايحقق عقلانيته لأنه يعتقد بأن عقله يستمد معقوليته من المادة ، فهو انعكاس لها . وهذا مبدأ خطر جداً لايساعد الانسان على تطوير ذاته . فبقدر مايخضع العقل للجبرية فانه يخضع للحرية . ولما يسيطر العقل في الانسان فان حياته تسير وفق نظام عال من الحرية والعقلانية . وتخف تلقائية الانسان وانفعالاته وغريزته ، ذلك لأنها تخضع لسيطرة عقلية واعية . فالعقل يبدأ بالوعي : وبالوعي تبدأ الحرية . ولا يتم الانتقال الى عالم الحرية الا بسيطرة العقل على المادة وبتوجيه العقل ذاته بالتركيز والاستغراق . وهكذا يقول الهنود : من سيطر على عقله سيطر على

الوجود . وينطبق هذا القول على مثل افلاطون في الفضيلة : العقل والمركبة والجياد .

الانسان يحقق حريته متى انطلق من عقال العبودية المادية اي الجبرية . فيصبح حرا في الروح وفي الوجود . كما اعتقد ان جوهر الدين يعني الانطلاق من المادة والتحرر منها والعودة الى المصدر الذي انطلقنا منه حيث الحرية والحياة . لقد نزلنا من حياة روحية الى المادة فتقيدنا بقوانينها وأصبحنا ننقاد لها . ونحن لانفلت من هذه الجبرية مالم نصعد الى عالم العقل الذي يفتح لنا الطريق الى عالم الروح . ففي عالم العقل نتحرر من الجبرية ولكننا لانتحرر منها كليا . وفي عالم الروح نحقق الحرية .

هذه هي الحرية التي تنادي بها المسيحية ـــ الحرية في الله . وليست هذه الحرية الا الحياة في الله . هكذا نرى ان المسيح قد رفع من شأن الانسان لأنه علمه كيف يتخلص من عبوديته المادية اي الجبرية لكي يحقق الحرية فيه أي الله . ونحن لاننكر ان المبادىء البوذية والهندوسية وغيرها قد علمت الانسان ان يحيا في عالم الحرية والروح والحياة الحقة .

٤

هكذا نرى كيف ان المسيحية تمجد الانسان وتؤلهه . فهي قد رفعته الى درجة عالية لانجدها في اليهودية على الاطلاق . والمسيحية ادخلت الانسان الى ذات الله ومحرابه .

لقد كبلت اليهودية الانسان بناموس . اما المسيحية فقد حررته من

هذا الناموس وأطلقته في عالم الله ، في عالم الحرية وذلك لكي يحقق وجوده . فالانسان اليهودي لا يحقق وجوده لانه منقطع عن الله ولا يحيا في عالم الحرية بل في عالم الجبرية والحتمية ، في عالم الناموس والشريعة . لكن المسيحية لم تضع للانسان قانونا او ناموساً . وكان كلام المسيح ينحصر في مملكة الروح . كان المسيح يقول : انتم ابناء الله ، روح الله فيكم ، انتم هيكل الله ، روح المسيح فيكم ، تستطيعون ان تعملوا ماتريدونه بالايمان ، انتم احرار في الله ، انتم جوهر الوجود ، ان كلمة الله صارت لكم ... لذلك يكفي ان تكون المسيحية قد خلصت الانسان من الناموس والشريعة واعادته الى بنوة الله .

الفصل العاشر

الشيطان وقوى الشر

في الفصل الأول من سفر أيوب يذكر المؤلف ان ابناء الله تجمعوا حوله وكان الشيطان في وسطهم[1] . فسأله الله : من أين أتيت ؟ فأجاب : أتيت من الجولان في الأرض والتمشي فيها . فسأله الله عن عبده أيوب . وسمح له بتجربته .

في هذه الرواية واقعتان : الاولى ، حضور في وسط ابناء الله والثانية الجولان في الارض والتمشي فيها . اما الواقعة الاولى فإنها تشير الى واقعتين : الاولى ، اما ان يكون الشيطان ابنا لله كما تقول بعض الآراء الغنوصية . الثانية ، وإما ان يكون للشيطان أهمية كبرى حتى يكون باستطاعته ان يمثل أمام الله . فإن لم يكن الشيطان ابنا متمردا لله فانه على الاقل قادر على المثول بين يديه في وسط أبنائه .

والثانية وهي ان الشيطان كان يتجول في الارض ويتمشى فيها . فمن

اين للشيطان الحق ان يتمشى في الأرض ويتجول فيها ؟ هل هو رئيس العالم المادي ؟ وهل ان العالم المادي يخضع له ؟ وهذا ما سنراه في سياق حديثنا . ومع كل هذا لابد من طرح سؤال عميق وهام .

من هو الشيطان ؟ ماهو ؟ وكيف وجد ؟

تخبرنا الكتابات السرية والكتب المقدسة بأجمعها ان الشيطان ملاك ساقط . ولما كان الملاك ابنا لله فان الشيطان ابن له . لكنه ابن ساقط . ولكن السؤال الهام الذي يصعب الاجابة عليه هو : كيف سقط الملاك وأصبح شيطانا مع ان الملائكة أنوار ليس فيها أي نسبة من الشر او من الظلام ؟ كيف سقط الملاك واصبح شرا ؟ كيف سقطت نورانيته وأصبح ظلاما ؟ كيف تلاشى خيره وأضحى خطيئة ؟

يندهش اللاهوت المسيحي لسقوط الملاك الذي لم تكن موجودة فيه ذرة من الظلام . ويقابل سقوط الملاك في المسيحية واليهودية سقوط الحكمة في الغنوصية. كلاهما سقطا مع انهما نيران. لكن سقوط الحكمة تلا سقوط الملاك اي بعد ان اصبح شيطانا . ولا نستطيع الاجابة على هذا السؤال الا بثلاثة اشكال : اولا ، اما ان يكون سقوط الملاك ناتجاً عن ارادة الله وذلك من أجل تنظيم الكون وتخطيطه والوصول به الى غاية هي عظمى في خطة اللهِ . ولهذا يكون الشيطان وسيلة وبالتالي سيعود الى حالته الاولى ، اي حالة الملاك ، ولا يكون هذا الا في المنتهى — وأعني في نهاية دورة كل روح تتجسد . ثانياً ، واما ان يكون الملاك قد عكس على ذاته فسقط . ان نورانية الملاك مستمدة من نورانية اللهّ . وطالما ان الملاك يتأمل الله ويستغرق فيه فانه يظل نورانيا . ولكنه متى عكس على ذاته فان نورانيته

تقل او ربما تضمحل . فيسقط . ولهذا كان سقوط الملاك لأنه لم يبق مستغرقا في الله . ثالثاً ، واما أن يكون مبدأ الوجود قائماً على الايجاب والسلب . ولهذا كانت ضرورة وجود الشيطان حتى يعرف الانسان الخير من خلاله .

وبالنتيجة ، نجد ان الملائكة أصبحوا قسمين : قسما نورانيا وقسما مظلما . ويشير الظلام الى الشر كما يشير النور الى الخير . ولهذا كان الصراع مريرا بين مملكتي الشر والخير . ولكن لما كان الشيطان لايملك على الكثير في مملكة الروح فانه عمد الى زرع بذوره في مملكة المادة والارض(٢) . وتقول الدراسات السرية بأن الشيطان يبذر بذوره في كل مكان وجدت فيه مادة. ولهذا نجد الصراع الهائل بين الخير والشر في الوجود الانساني . وتتطرف بعض النظريات الروحية لتقول ان تدخل الشيطان في عالم المادة حقيقة . وتقول ايضاً ان الشيطان أصبح زعيم او سيد مملكة المادة . وعلى هذا الاساس فان الانسان يخضع لسلطان الظلام والشر ، وعليه ان يتحرر منه . ومما لاشك فيه ان الحرية صعبة وتحتاج الى صراع رهيب مع الشيطان .

ولما كان المسيح قد أتى الى مملكة الشيطان هذه فسنرى كيف انه انتصر عليها . لذلك نقول ان المسيح قد تجسد لكي يعلمنا كيف ننتصر على مملكة الشيطان ، مملكة السلب . ويشير هذا الانتصار الى تحقيق الله . ولا يتم هذا التحقيق في عالم الله ذاته حيث لايوجد سوى الله بل في عالم المادة حيث ينعكس الوجود بالسلب . لقد وضع المسيح الشيطان تحت قدميه فكانت نهاية مملكته . ودانه المسيح وأنقذنا منه كلياً . ولا يقع

المسيحي الذي يحقق الله تحت سيطرته مرة اخرى . والآن نرى كيف عمل المسيح على انقاذنا من براثن الشيطان .

٢

أولاً : وجود المسيح بين اليهود دليل على خضوع اليهود للشيطان .

في دراستنا للاناجيل والرسائل نلاحظ شيئا هاما هو اخراج الشياطين ــ لعل البعض يقولون ان الشياطين ترمز الى الخطايا وكذلك نقول نحن ان الخطايا ترمز الى الشياطين . ويعطي المسيح سلطاناً لتلاميذه لاخراج الشياطين باسمه . وأما الشياطين فانها تطلب من المسيح ان لا يرسلها خارج الكورة . فلم تبغي الشياطين البقاء ضمن الكورة ؟ أليس لأنها وجدت ملاذاً جيداً وملجأً أمينا في قلوب اليهود وأجسادهم ؟ ألم يقل بولس ان الناموس هو شهوة الجسد والخطيئة ؟

يميل الغنوصيون للاعتقاد بأن اليهود كانوا شعب الشيطان[٣] ولم يكونوا شعب الله . فناموسهم لم يأت من الله بل من الملائكة . ولكن الغنوصيين يصرون على ان الالتباس يقع كثيرا بين ملاك وملاك . فهناك انبياء عديدون يتكلمون بلسان الوحي ولكنهم تعرضوا في فترات من الوحي لوحي ابليس . وقد تدخل الشيطان في الوحي الناموسي لذلك كانت الخطيئة في الناموس لأنه مثال على الحرفية والجسدية . فالملائكة النورانيون لايعطون ناموساً ولا يعطون حرفاً لأنهم مقيدون بنواميس الله وهي تسير

وفق ارادة الله . هل ننسى سليمان الذي كان يخلط ويمزج بين الجن والانس ؟ ألم يكن سليمان يعتمد على تلك الارواح ، جند السماء الهوائية ؟

لهذا نعتقد بأن المسيح قد جاء خصيصا لليهود . ولقد قال بأنه لم يرسل الا لخراف بني اسرائيل الضالة . وطلب من التلاميذ ان يكرزوا ببشارة الانجيل في اليهود اولاً . وبولس اراد ان يكون التبشير لليهود اولاً وللأمم ثانياً . لقد كان اليهود بحاجة ماسة لهذه البشارة . لماذا كان شعب اسرائيل ضالا ؟ لماذا ضلوا في الصحراء ؟ هل ضلوا لأنهم كانوا يتبعون الناموس ؟ أليس الناموس من الملائكة ؟ فكيف ضلوا ؟ هل ضلوا لأنهم تمسكوا بالحرف دون الروح ؟ وهل كانت رسالة المسيح لهم تعني العودة الى الروح ؟ نعم . لكن ليس الروح الموجود في الناموس . فليس في الناموس روح . اذاً لم يتبع اليهود الروح بل تبعوا المادة ، وبالتالي تبعوا الشيطان . وقد أتى المسيح لينقذهم من سيطرة ابليس ومن الههم يهوه الذي يرمز اليه الغنوصيون بأنه الشيطان .

ولم ضل اليهود في الصحراء ؟ هل من المعقول ان يضلوا أربعين سنة دون ان يعرفوا مخارجها ومداخلها ؟ والاربعون سنة تشير الى رمز روحي .. هي رمز لوصول الروح الى ربها ، هي رمز تحقيق الكمال .

ظل موسى اربعين سنة حتى عرف الله . وكذلك فان الشعب ظل اربعين سنة حتى خرج من ضلاله . والارض الموعودة ليست ارضا مادية كما يعتقد اليهود بل هي أرض سماوية ، مملكة الروح . لذلك فقد ضل اليهود اربعين سنة . وبعد الأربعين كان عليهم ان يجاهدوا . فحاربوا واستمروا

حتى وصلوا . ولكن الله لم يأخذ بيدهم كما تقول التوراة الا بعد المدة المعينة ، اربعين سنة . أما اليهود فانهم لايفهمون الا الحرف والمادية في هذا الكلام . فالارض الموعوذة هي مملكة الروح ، والاربعون سنة دلالة على رمز يقوم به الانسان حتى يحقق الروحانية ، والصحراء دليل المتاهة . فكما كان لليونانيين متاهة كان لليهود صحراء . والمتاهة كانت عبودية الشيطان لهم ، والاربعون رمز لخلاصهم من الشيطان . لكن اليهود رفضوا الروح وتمسكوا بالحرف . ونرى الاربعين تتردد في الطقوس المسيحية . فالمسيح ظل اربعين يوما يظهر على التلاميذ والمسيحيون يقدمون القرابين حتى الاربعين .

لقد اتى المسيح لتخليص اليهود من الشيطان الذي استعبدهم شر استعباد . فقد كان اليهود ممتلئين بالشيطان وليس بالروح القدس على عكس المسيحي الذي يمتلىء بالروح القدس لدى قبوله الايمان والاعتماد ، فينتصر على الشيطان . فالمسيح اراد ان يخلصهم من سلطة ابليس لكي يدخلهم الى سلطان المجد ، الى الروحانية ، الى مملكة الله . وباختصار فقد اراد المسيح ان يعيدهم الى الله لانهم ماكانوا يعبدونه . لذلك فقد وجد الشيطان ملجأه المريح في اليهود فسكن فيهم وأخذهم شعبا له . وكان على المسيح ان يحارب مملكة الشيطان باسرها . وبالفعل كان تجسده حربا لاهوادة فيها مع قوى الشر .

ثانياً : الشيطان ملك العالم .

اننا نجد في الاناجيل والرسائل مايثبت ملكية الشيطان للعالم

المادي . ولهذا فان المسيحية تقرّ بها . ففي الاناجيل والرسائل تمتلىء الصفحات بالاحداث والاقوال التالية :

واحد من الاثني عشر شيطان[٤] ، تجربة الاربعين يوما من الشيطان . كان المسيح في البرية مع الوحوش . اصعد به الى البرية من الروح ليجرب من ابليس . ملكية الشيطان للعالم . المسيح رأى الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء . الشيطان يتدخل في التلاميذ ليغربلهم . التنين يحاول ان يبتلع المرأة العتيدة ان تلد ولدها . السلطان على الحيات والعقارب وكل قوات العدو . الموت بالذنوب والخطايا التي يسلك فيها الانسان حسب دهر هذا العالم ، حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذي يعمل الان في أبناء المعصية . مصارعتنا هي مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السماويات . يشبه ملكوت السموات انسان زرع زرعا جيدا في حقله وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانا في وسط الحنطة ومضى .

لنتأمل الان هذه الامور ولنحاول ان نلقي نورا على ماخفي منها علينا واستتر . ولا ننكر ان الغموض يسيطر عليها . لكن لما كانت هذه الامور تفهم لدى التفسير الروحي ، فان ادراكها يسهل .

المسيح يقدم مثلا ، وكل مثل يقدمه المسيح يرمز الى مفهوم روحي . المسيح يقول ان ملكوت الله يشبه انسانا زرع زرعاً جيدا في حقله ، ولكن عدوه وضع فيه زواناً . هذا المثل يعني ان الله قد أوجد العالم ووضع فيه كل شيء صالح . الحقل يشير الى العالم ، والانسان يشير الى الله ، والزرع الجيد يشير الى الروح او الخير . فالله قد وضع روحه في

العالم أي انه وضع الخير في العالم . ولكن العدو زرع الزوان في الحنطة وسط الليل ومضى . وليس العدو سوى الشيطان . فقد زرع الشيطان بذوره . وهكذا نستنتج ان الشيطان قد وضع بذوره في عالم المادة .

ونجد في الأناجيل والرسائل ما يساعدنا على معرفة بذور الشيطان والزوان. فقد أعطى المسيح سلطانا للتلاميذ لكي يدوسوا على الحيات والعقارب وكل قوات العدو . فما هو الرمز في هذا القول ؟ ولم يذكر المسيح الحيات والعقارب وقوة العدو ؟ الرمز في هذا القول هو أن بذور الشيطان شريرة في هذ العالم . فعندما ننظر الى الطبيعة نجد طيورا صالحة وطيورا شريرة ، حيوانات أليفة صالحة وحيوانات شريرة . فالحيوانات والطيور الصالحة أوجدها الله وأما الشريرة منها فهي من الشيطان او هي تعود لمملكته . فالحمامة خير والغراب شر والخروف خير والذئب شر الخ .

ونحن نعلم ، حسب مايعلمنا اياه العلم الروحي ، ان الروحاني يستطيع ان ينتصر على الحيوانات الشريرة اذا تسلح بروح الله تماماً ، واذا كان حاصلا على سلطان الروح . فها هو دانيال ينتصر على الاسود الجائعة في بئر الاسود ، فلا تجرؤ على الاقتراب منه . وها هو روحاني هندي يحيا في مغارة ويسقط اسد جائع يزأر عند قدميه . وها هي الكوبرا . الحية القاتلة ، تقف وتنظر الى القديس ، لكنها تبتعد وتمضي . وهاهو آدم يخبرنا القصة بكاملها : لما كان ادم في حالة النعمة ، كانت الحيوانات تخضع له تماماً لما كان له من روحانية وتفوق . ولما سقط آدم قام العداء بين الانسان والحيوان . فالانسان الذي يتسلح بروح الله ينتصر

على قوى الشر وعلى كل ما أوجدته هذه القوى . هكذا تكون الحيوانات والطيور الشريرة من فعل الشيطان .

ونستمر في كشف قوى الشر في الوجود المادي والقائمة في السلب . فالمسيح ذاته يخضع لتجربة من الشيطان . والمسيح يحيا في البرية اربعين يوما مع الوحوش . ونعود مرة اخرى للاربعين رمز الوصول الى الله ورمز الانتصار على قوى الشر . كيف يجرؤ الشيطان على تجريب المسيح ؟ ولماذا يحيا المسيح مع الوحوش في البرية ؟

تعلمنا الكتب الروحية ان كل من يريد الوصول الى درجات عليا في عالم الروح يجرب من الشيطان . فالشيطان يقف بالمرصاد لكل من يريد ان يدخل الى قدس الاقداس . وأما التجربة فإنها صعبة وقاسية . فتجربة بوذا كانت مريرة ، وطوال سنوات ست قضاها في البرية كان يجرب من ابليس ومن الوحوش اي من الارواح الشريرة التي تأخذ شكل الوحوش . والمسيح خضع لتجربة لانه لا يستطيع ان يحقق الروحانيةَ التامة إلا بعد الانتصار الكامل على قوى الشر . ان كل روح تتجسد تجرب . فالشيطان هو تجربة الروح التي تود التحقيق . ولا تستطيع الروح ان تجاهد بدون تجربة . لذلك فإن معرفة الله وتحقيقه يتمان بالضد . وليس الضد الا الشيطان . وكيف عاش المسيح مع الوحوش ؟ ليست الوحوش كما قلت رموزاً للشر أي للارواح النجسة . فهي تظهر بشكل وحوش مفترسة شريرة . وعندما نلقي نظرة على رؤيا يوحنا نجدها ملأى بهذه الوحوش : التنين يعمل على ابتلاع المرأة العتيدة ان تلد ولدها . والرؤيا ترينا الوحوش الكاسرة وهي رمز لاجناد الهواء السماوية الشريرة . وفي كتاب

Pistis Sophia وصف لكل حيوان مفترس او وحش يرمز الى حقيقة او واقع .

ويدل الانجيل على ان اليهود كانوا ابناء المعصية الذين يعمل فيهم الآن سلطان الهواء . وتشير كلمة الآن الى ان الشيطان كان يحارب المسيح من خلال اليهود .

لكن المسيح ينتصر على الشيطان بالتجربة ويجتاز السموات ، كما يقول بولس ، ويقهره . ويقول المسيح بأنه رأى الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء . لقد سقط ابليس ، وقابل سقوطه سقوط آدم . فبسقوط ابليس يرتفع الانسان الذي كان قد سقط قبلا . واننا نجد وصفاً رائعاً لسقوط ابليس في كتاب Pistis Sophia .

وبسقوط ابليس يدان رئيس هذا العالم بالمسيح . لكن بولس مازال يشدد على ان الصراع لم ينته ، بل ان مصارعة الانسان هي مع الرؤساء ، مع السلاطين ومع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية في السماويات . فإذا يقر بولس بوجود اجناد الشر الروحية في السماويات . وهذا الاقرار يدفعنا الى القول ، كما يقول بولس ، بأن ظلمة هذا الدهر ناتجة عن ولاة العالم . ومن هم ولاة العالم ؟ لايقصد بولس الولاة والحكام الارضيين وذلك لأنه أوصى بطاعتهم واحترامهم . انما يقصد بولس قوى الشر التي تعمل من اجل تهديم هذا العالم وابعاده عن الله . واذا نحن تذكرنا ان المادة هي الابتعاد عن نورانية الله ، اي هي كثافة النورانية لدرجة انها تصبح ظلاما ، فاننا نفهم كيف يكون الشيطان رئيساً لمملكة الظلام .

نحن نحيا في مملكة الظلام . والشيطان يتحكم لأنه يتجول في الارض ويتمشى فيها ويجرب كل انسان صالح ، ويقف بالمرصاد امام كل محاولة للوصول الى الله ، ويقدم العالم للمسيح ان هو خضع له . فلو خضع المسيح لانتهت نورانية الانسان . ونحن نحيا في عالم لانور سماوي فيه . فنور الشمس مادي لانه كثيف ينتج عن نار . والنور الالهي القائم فينا نطفئه بشهواتنا وتعلقاتنا . اننا نتعلق بالشيطان . وهذا دليل على ان الشيطان هو ملك هذا العالم وزعيمه . والشيطان ، كما ذكرنا ، ليس شخصاً بل مقاومة سالبة كائنة في كل ما نفعله .

ثالثاً : الصراع مع الشيطان والانتصار عليه .

وفي هذا المجال ، بعد اثبات ملكية الشيطان للعالم ، يبدأ صراع هائل بين المسيح والشيطان ، بين النور والظلمة . واننا نجد هذا الصراع في الاناجيل ويعبر عنه بالاحداث والاقوال التالية :

تجربة الاربعين يوما من قبل الشيطان[٥] . اعتراف الشيطان بالمسيح . الشيطان يخر له وكذلك الارواح النجسة . المسيح يخرج الشياطين . المسيح يأتي ليهلكها . المسيح يأتي لينقذ ما قد هلك .دُفع الى المسيح كل سلطان في السماء وعلى الارض . الشياطين تطلب الى المسيح ان لايرسلها خارج الكورة . المسيح يعطي التلاميذ سلطاناً على الارواح النجسة . السلطان على الحيات والعقارب وكل قوات الشيطان العدو . المسيح رأى الشيطان ساقطاً من السماء . دينونة هذا العالم وطرح رئيسه خارجا . ليس لرئيس هذا العالم شيء في المسيح . رئيس هذا العالم قد دين . المسيح غلب العالم لأنه ليس من العالم . اله السلام

سيسحق الشيطان تحت أرجلنا . اي اتفاق للمسيح مع بليعال . لبس سلاح الله الكامل للقدرة على الثبات ضد مكائد ابليس . سيستعلن الاثيم الذي يبيده الرب بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه .

اننا نرى في هذه الايات والأحداث الأمور التالية :

ا ـــ اعتراف الأرواح النجسة بالمسيح وخضوعها له .

ب ـــ اهلاك المسيح لها وانقاذه لما قد هلك .

جـ ـــ المسيح دُفع له كل ماعلى الارض وفي السماء . وليس للشيطان شيء في المسيح .

د ـــ المسيح رأى الشيطان ساقطاً من السماء .

هـ ـــ دينونة رئيس هذا العالم .

لما كان المسيح يخرج روحا شريرا نجساً كان الروح يصرخ : « انت قدوس الله » : « يا ابن الله اني اعرفك » : « لماذا جئت لتعذبنا » . لقد أهلك المسيح الأرواح النجسة . وكانت تلك الارواح تعرفه . كيف يتسنى لها ان تعرفه ؟ هذا يدل على وجود أجناد السماء الشريرة . ولما كان المسيح يخرجها بروح الله فان ملكوت الله قد اتى . ويعني ان ملكوت الله يتحقق متى تم الانتصار على الشيطان . والمسيح انقذ ماقد هلك لانه حقق ملكوت الله . فليس الملكوت الا الانتصار على أجناد الشر تماما .

ولكن المسيح لم يكن قادرا على انتصار من هذا النوع الا بعد ان حقق روحانية الله . فهو قد اجتاز السموات بكاملها ووصل الى العلاء وليس اجتياز السموات الا اجتيازا لكل الممالك السماوية بما فيها مملكة

الشيطان . وقد صعق الشيطان واندهش من النور العظيم الذي اخترق مملكته . فلم يستطع الرؤيا لانه بهر . لما اجتاز المسيح كل الممالك ، وجُرب في مملكة الشيطان وانتصر ، ووصل العلاء وحل عليه روح الله ، وأصبح الله ، هلكت مملكة الشيطان ودان المسيح رئيسها . ولهذا فقد رأى المسيح الشيطان يسقط من قوته ومجده وسلطانه . وعندما اجتاز المسيح السموات غلب العالم المادي وأصبح إلهه .

لم يحقق روحاني العمل الذي قام به المسيح . ان بعضهم قد حققوا عالم الروح وحققوا قدرة الاله فيهم ، لكن المسيح ، ويليه بوذا ، قد انتصر انتصارا كاملا على مملكة الشيطان . وبسقوط مملكة الشيطان ينتهي الشر لمن يحيا في المسيح ، ويعود الانسان الى مقره الاول وهو الفردوس ، أي النعمة .

وبانتصار المسيح وغلبته للعالم واجتيازه للسموات تحققت دينونة رئيس هذا العالم . فالمسيح نفسه يقر بأن الشيطان هو رئيس هذا العالم ويقر بأنه قد أتى لينتصر عليه . ولكن دينونة هذا الرئيس لم تتم ولم تكتمل الا بعد ان حقق المسيح الله . فعندما خضع لمن اخضع له الكل اصبح الكل في الكل . ولما اصبح الكل في الكل خضعت له مملكة الشيطان وتلاشت . ولهذا نرى بأن مملكة يسوع ، وهي مملكة الايمان ، لاتقوى عليها مملكة الجحيم .

ونحن نرى بأن مملكة الشيطان تحارب في السماء تجسد روح عظيمة ستحقق الله على الارض . ولهذا يخبرنا يوحنا في رؤياه بأنه رأى التنين يعمل على ابتلاع المرأة العتيدة ان تلد ولداً . لقد أدرك الشيطان ان

ولادة المسيح تعني هلاكه هو . ولهذا فانه كان يعمل على اطفاء نورانية المرأة حتى لا تتم الولادة . ولكن الروح الالهية كانت له بالمرصاد ، فانتصرت عليه ، وتمت الولادة . وانتصر المولود على الناموس اي على الشيطان . وعلم هذا المولود اليهود كيف يمكنهم ان يخلصوا من الشيطان ومن الناموس .

رابعاً : المسيح ينقذ الانسان الذي يلبسه .

في دينونة رئيس هذا العالم يفتح المسيح الطريق لكل من يؤمن ويعمل على تحقيق روحانيته . فقد انتصر على الشيطان ، زعيم الشر ، وأما الطريق التي فتحها المسيح فهي طريق المحبة . فالقاعدة الذهبية تنص على محبة الانسان لله من كل القلب والعقل ، ومحبة القريب ثانيا . وماذا تعني محبة الله ؟

المحبة تعني الانجذاب . واذا لم يكن الانجذاب كاملا فان الانسان يتعرض للسقوط وللانحراف . ولهذا يتوجب على الانسان ان ينجذب كليا الى الله بالقلب والفكر . فالانجذاب الفكري يعني تركيز الفكر والعقل بكليته على الله بحيث انه لايشغل العقل أي شيء إطلاقا . ومتى تم هذا التركيز فان العقل يستغرق في الله . وأما القلب فانه متى طرح من داخله حب المال والشهوة والشرور بكاملها ، فانه ينجذب الى الله كليا .

ومتى تم انجذاب الانسان الى الله كليا فانه يحبه محبة كاملة . ولا يتم هذا الانجذاب الا بالاستغراق الفكري والقلبي في الله . وكما يقول بولس من يستغرق في الله يكون واحدا معه . ومتى تم هذا الاستغراق فان مملكة الشيطان تموت ويدان رئيسها ويطرح خارجا .

المسيح رمز لصراع قوى الخير مع قوى الشر[٦] والانتصار عليها . وهذا فإنه رمز الانسان ومثاله الحي والأعلى . والمسيحية تقوم على المسيح ذاته ، أي على تقوية الروح والدخول الى مملكتها وتحقيق ملكوت الله لكي لايكون للشيطان أي أثر في الانسان . ولما لم يكن للشيطان أي أثر في المسيح ، فاننا نعمل على تطهير ذواتنا من الشيطان لكي لايكون له اي شيء فينا . ويتم انتصارنا عليه وعلى قوى الشر بكاملها بمحبتنا الكاملة لله ، عقلاً وقلباً .

الشيطان يقف بالمرصاد . انه يقف امام كل عظيم يقربنا من الله . الانسان يطلب من الله ان يغفر له خطاياه المستترة . فما هي الخطايا المستترة ؟ هي الخطايا التي يفكر فيها الانسان بينه وبين نفسه . وهذه الخطايا من فعل الشيطان الذي يوسوس للانسان على الدوام . وتثور ثائرة الشيطان متى حاول الانسان ان يقوم بتجربة روحية لتحقيق الله فيه . فيصارع ، ويكون صراعه شديداً ومريراً . ولا ينتصر على هذا الشيطان الا قوي الروح ، عظيم الارادة ، وكثير المحبه .

حواشي الفصل العاشر

١ ــ الشيطان هو لوسيفر احد الملائكة الثلاثة الرئيسيين الذين يمثلون الثالوث ويقابلونه . ويقابل لوسيفر الابن . ان سقوط لوسيفر أدّى الى تجسّد الابن . وقد أدى سقوطه الى سقوط مملكته التي تعتبر الارض مكانا لها وسقوط من يمثلها وهم اليهود .

٢ ــ هو السلب الكامن في قلب المادة . والسقوط هو الروح وقد صار كثيفاً ، أي مادة .

٣ ــ هم شعب المقاومة السالبة التي تحول دون تحقيق الله . أما المسيح فقد وجد بينهم ليجعل منهم اداة فعالة للخير وتحقيق ملكوت الله .

٤ ــ يمثل يهوذا الشيطان ويمثل سبط يهوذا ، الذي اشتق اليهود اسمهم منه ، الشيطان : سقوط يهوذا او سقوط سبط يهوذا او سقوط الشيطان .

٥ ــ انتصر المسيح وقام من خلال رمز الاربعين على الشيطان . أما اليهود فقد خضعوا من خلال تيههم للأربعين .

٦ ــ ليست قوى الشر أمورا عينية مشخصة ــ هي المقاومة السالبة في المادة والوجود ــ اذن ، فالشر غير موجود ، انه انعدام للخير . (راجع فصل فلسفة الايجاب والسلب في كتابي « دراسات في المثالية الانسانية ») .

القسم الرابع

مبادىء المسيحية

الفصل الأول

الصلاة

في دراستي للاناجيل والرسائل حاولت ان اعرف كيف كان المسيح يصلي ، فعلمت ان المسيح كان يصلي على انفراد . ولم يكن يصلي في المجمع او بين مجموعة من الناس . وعلمت ايضا ان صلاة المسيح لم تكن كلاما . فلم يذكر اي شيء في الاناجيل عن صلاته ، وأعني اننا لانعلم ماذا قال . ولم يتفوه المسيح بكلمة عن الصلاة الا عندما سئل : ماذا نصلي ؟ فعلمهم الصلاة الربانية .

وفي دراستي للصلاة الربانية لا أعلق أهمية كبرى على كفاف العيش وعلى الدخول في التجربة او على غفران الخطايا او على النجاة من الشرير ، بل انني أعلق كل الأهمية على الناحية الروحية في الصلاة وهي : ليأت ملكوتك ، ولتكن مشيئتك . ففي هذه العبارة تظهر روحانية الصلاة الربانية . ولا حاجة بنا الى تكرار ماذكرته سابقا ، لكنني اقول مرة

اخرى ان مشيئة الله ، حسب هذه الصلاة ، يجب ان تحقق في السماء وعلى الأرض على السواء ، وان ملكوته يجب ان يحقق ايضا .

وهكذا تعتبر الصلاة الربانية صلاة رائعة عظيمة غاية العظمة وسامية غاية السمو . فهي في قسمها الاول صلاة روحية سرية ، وفي قسمها الثاني صلاة أخلاقية . وأما الأهمية فإنها تتركز في القسم الاول الذي يحقق الله في الانسان وعلى الارض . « لتكن مشيئتك » .

ماهي مشيئة الله ؟ هي ان يحقق الانسان الله . ولما كان الانسان هنا على الارض فإنه يطبق ارادته على الارض . ولهذا فان الله يتحقق في السماء وعلى الارض . وفي هذا العمل منتهى الروحانية . وعندما يحقق الانسان مشيئة الله على الارض فان ملكوت الله يأتي .اي مملكة الروح تهيمن على مملكة المادة .

لكن المسيح يذكر « ليأت ملكوتك » قبل ان يذكر « لتكن مشيئتك » . وفي رأيي ان المسيح لم يذكر هذا الا للدلالة على ان ملكوت الله قائم في الله وفي الانسان ، وما لم يحقق هذا الملكوت فان مشيئة الله لا تتحقق . فالبداية تكون من الملكوت الذي يحيا في الانسان . وان تحقيقه يعني تحقيق مشيئة الله . وتتم المشيئة بتحقيق الملكوت . ولما كان الملكوت لايأتي بمراقبة ، فاذا هو في داخلنا . ولما كان في داخلنا فانه يتوقع التحقيق . ومتى تحقق تحققت مشيئة الله .

ان الصلاة الربانية اشارة الى الصلاة الكلامية . ولكن هذه الصلاة الكلامية تحمل معنى الروح بكامله . ولقد حاولت ان أسأل كثيرين من المسيحيين عن ماهية هذه الصلاة فلم أجد جوابا شافيا . ولقد بدأت

أسئلتي كما يلي : هل تغفر لمن يسيء اليك انت الذي تطلب المغفرة من الله ؟ هل حاولت ان تتجنب التجربة انت من تقول « نجني من التجربة » ؟ هل تكتفي بخبزك اليومي انت من تطلب هذه الطلبة ومن تسعى وراء المعيشة والمال ؟ ولم أجد جوابا شافيا او تطبيقا للمبادىء الخلقية والسامية والروحية الموجودة في هذه الصلاة . فالناس يطلبون المغفرة وهم لايغفرون لغيرهم . وهم يطلبون عدم الدخول في التجربة وهم يجربون كل يوم . ويطلبون النجاة من الشر ولكن الشر يصطادهم ، ويطلبون الخبز اليومي وهم عبيد المال . ولقد علمت ان المسيحية ليست مسيحية لأنها لاتطبق . ولما انتقلت الى الجانب الروحي من الموضوع وجدت جهلا كبيرا له . ما المقصود بعبارة :« ليأت ملكوتك » او بعبارة « لتكن مشيئتك كما في السماء وكذلك على الارض[1] » ؟ وكيف نقارن بين عبارتي « ليأت ملكوتك » التي تشير الى المجيء وبين عبارة « ملكوت الله داخلكم » ؟ وكان صمت لم يعقبه كلام .

المسيحيون لايدركون المغزى الروحي والخلقي للصلاة الربانية وذلك لأنهم يرددون الكلمات دون ان يفهموها ودون ان يطبقوها . هناك اذن سوء فهم وقلة تطبيق . ولو كان المسيحي يدرك العمق الروحي القائم في هذه الصلاة العظيمة لتوقف عن التفوه بالكلمات ولانتقل الى حقل التطبيق العملي . فما التطبيق العملي ؟ هو ان يحقق الانسان ملكوت السماء ، وان يحقق مشيئة ابيه في السماء وعلى الارض ، وان يغفر للآخرين زلاتهم ، وان لا يقع في التجربة ، وان ينجو من الشرير وان يكتفي بخبزه اليومي ، ولا تتطلب هذه الامور تردادا للكلام وتكرارا له بل انه يحتاج الى

تطبيق عملي . وعندئذ تنتقل الصلاة من الحرف الى الروح . فالصلاة هي صلاة الروح وصلاة التطبيق والعمل . فمن الوجهة الروحية هي طهر عميق وسمو ، ومن الوجهة العملية هي تطبيق .

٢

اولاً : الانفراد وقت الصلاة .

لما كنا مسيحيين فإننا نأخذ من المسيح مثالنا . وهذا ماتقوله الاناجيل : « بعدما صرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلي » . « وفي الصباح باكرا جدا قام وخرج ومضى الى موضع خلاء وكان يصلي هناك » . « وبعد ما ودعهم مضى الى الجبل ليصلي» .« ولما صار المساء خرج الى خارج المدينة » .« اخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الى جبل ليصلي » .« واذ كان يصلي في موضع » ...« في تلك الايام خرج الى الجبل ليصلي » . « وأمضى الليل كله في الصلاة » .

نستنتج مما نقرأ من صلاة المسيح امورا ثلاثة :

ا ــ الانفراد وقت الصلاة .
ب ــ التجلي وقت الصلاة .
جـ ــ قضاء الليل كله في الصلاة .

المسيحية والتعاليم الروحية السرية تعلمنا ان الصلاة الحقة لاتتم الا في الانفراد والعزلة . وهذا ماتعلمنا اياه سيرة المسيح وسيرة الانبياء

والقديسين والصالحين من الناس . وانني لأأدخل الى فلسفة الصلاة الانفرادية لانها ستكون خلاصة لبحثي ودراستي .

ونلاحظ ان المسيح قد تجلّى وهو يصلي . فكيف تجلّى ؟ لقد ارتفع المسيح وهو يصلي . وكيف ارتفع ؟ ولما كنت من اشد المعجبين بالقديسة تيريزا الاسبانية فانني اورد ما قرأته عنها . كانت القديسة ترتفع وهي تصلي . فلم كانت هذه القديسة العظيمة ترتفع ؟ ان ارتفاع القديسة لم يتم الا في اواخر عهدها من حياتها الروحية . كيف كانت القديسة ترتفع ؟

لقد ذكرت ان الصلاة طهر روحي عميق ذلك لان ملكوت السماء لايتحقق الا بهذا الطهر العظيم ، وكما علمنا ان تحقيق مملكة السماء يعني الوصول الى درجة عليا من الروحانية بحيث ان الجسد الانساني يتروحن . وكما قال بولس : يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما سماويا . ولما يصل الانسان الى هذا الحد فان الجسد يكون طوع أنامله ، فيتروحن الجسد ولا يكون عائقا للمادة.ولما كانت المادة هي الروح في كثافتها الكاملة ــ فان الروحانية ، اي تحقيق مملكة الروح هي ان يتخلى الجسد عن كثافته فيصبح روحا . ومتى اصبح روحا فانه يصبح خفيفا كالروح اي انه يقوم روحانيا وتموت الجسدية . ولما كان المسيح قد وصل الى أعلى درجة روح ، اي الله ، فان جسده أصبح روحا . ولذا فقد صعد جسده معه لانه لم يعد هناك فرق بين المادة والروح . « فمن يلتصق بالله يصبح واياه واحدا » . وقد التصق المسيح بالله فأصبح وإياه واحدا .

ولما كانت القديسة تيريزا نقية طاهرة فانها كانت ترتفع وقت الصلاة او انها كانت تغيب عن الوجود كالقديسة برناديت[٢] . وكان

يستحيل على هاتين القديستين ان تخضعا للأمور الخارجية ، كالضجة او الصراخ العالي او التدخل الخارجي ، وهما مستغرقتان في الصلاة . ولذلك فان بعض القديسين كانوا يتعرضون لهزات خارجية دون ان يحسوا احساسا ماديا .

ان تجلي المسيح دليل على روحانيته الكاملة . لقد استغرق المسيح في الصلاة فانجذب الى الأعلى . ولما كان المسيح قد حقق روحانية المادة ــ اي ان مادته لم تعد كثيفة ــ فان جسده انجذب معه ايضا ، وذلك لأن الجسد والروح قد أصبحا واحدا . وهذا ما حصل للقديسة تيريزا على مقياس اضيق . وهذا ما حصل لبوذا على مقياس كبير جدا . لقد تسنم بوذا أعلى درجة روحية بعد المسيح .

وليس القسم الثالث من هذا البحث ، وهو قضاء الليل كله في الصلاة الا أحجية متافيزيقية . كيف قضى المسيح الليل كله في الصلاة ؟ ماذا قال ؟ ماهي الكلمات التي ذكرها ؟ لانعرف شيئا على الاطلاق . ونحن ، عندما نتعمق في علم الروح ، نعلم ان صلاة الليل بكاملها كانت استغراقا لروح المسيح في روح الله . ويصح هذا الكلام لأن هذا العلم ذاته يعلمنا ان كل من يقوم بتجربة روحية ، من الشرق كان ام من الغرب ، ويتسامى بتجربته فانه يستطيع ان يظل في عالم الغيبة والرؤيا وقتاً طويلا . وقد شهدت العلوم السرية الروحية كثيرين ممن حققوا الإله فكانوا يحيون عالم الرؤيا ساعات طويلة . فهم ماكانوا يعرفون النوم إلا قليلا لان غيبتهم كانت نوما طويلا .

لهذا نعلم ان المسيح لم يقض الليل بتكرار الكلام وترداده . فلمن كان

يصلي ؟ وماذا كان يطلب ؟ لم تكن صلاة المسيح الا استغراقا في عالم الروح ، في الله ذاته ، هذا الاله الذي دخل محرابه حتى الجوهر . ولهذا ايضا ، لانستطيع ان نفهم هذه الأمور بحرفيتها لان الحرف يقتل ولا يساعدنا على فهم الروح .

ان مانستنتجه من نقطتنا الاولى هذه هي ان الصلاة الانفرادية هي الصلاة الحقة لأنها تأمل واستغراق ، وان في هذه الصلاة يتم تحقيق مملكة الروح ، ملكوت السماء ، لأن الانجذاب يقوم بين الانسان والله . وبالاضافة الى هذا نستنتج ان الصلاة عملية ممارسة طويلة لاتمت الى الكلام أو الى ترداد الكلام بصلة .

ثانياً : الصلاة ليست تكراراً للكلام .

يذكر الانجيل على لسان المسيح مايلي : « ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فإنهم يحبون ان يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس . الحق أقول لكم قد استوفوا اجرهم . أما أنت ، فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى ابيك الذي في الخفاء » . ويستطرد المسيح قوله : « وحينما تصلون لاتكرروا الكلام باطلا كالامم . فإنهم يظنون انه بكثرة الكلام يستجاب لهم . فلا تتشبهوا بهم ، لان أباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل ان تسألوه» .

اننا نستخلص من هذا القول ان الصلاة ليست طلبة . فالمصلي لا يستطيع ان يطلب طلبة مادية وذلك لانها تتنافى مع جوهر علاقة الانسان بالله . فكيف يمكنني ان اطلب المال او الجاه او النجاح الاجتماعي والمادي من الله وهو الذي يعلمني ان امتنع عنها ؟ ولما كانت هذه الامور كلها

مدركة من قبل الله فإنه يعلمها مسبقا ويعلم مانحتاج اليه ، وبمعرفته هذه تتوقف الحاجة الى الصلاة لانها لاتنفع في القضايا المادية .

ولما كانت الطلبة في الصلاة تنتفي فان الصلاة تعني شيئا اخر . فإذا جردت الصلاة من الطلبة ، ماذا يبقى فيها ؟ لايبقى فيها الا الاشراق والتأمل والانجذاب الى عالم الروح . وهذا مالايفعله المسيحيون او المصلون . فماذا يفعل المسيحيون عندما يصلون ؟ انهم يرددون الكلام . فكأنهم لم يقرأوا ما قاله المسيح لهم . وان احتج المسيحيون وقالوا اننا نقوم بصلاة جماعية ، فان الجواب لايختلف بين ان يكون الترداد فرديا ام جماعيا . فهل يعني هذا اننا ننفي الصلاة الجماعية ؟ كلا . اننا لانفيها متى كانت تعني التأمل والاشراق والانجذاب . وهذا ما سنراه في حديثنا عن الصلاة .

ويطلب المسيح من المصلي ان يدخل الى مخدعه وان يصلي . فالصلاة الانفرادية التي يحققها الانسان في العزلة هي صلاة حقة لسببين : الاول ، هو ان الانسان يبطل ان يظهر كالمرائين . والسبب الثاني ، هو ان العلاقة بين الانسان وربه هي انجذاب الواحد الى الاخر . وتكون العلاقة صريحة وقوية الى ابعد الحدود . ولما كانت الصلاة انجذاباً وتأملاً واشراقاً واستغراقاً ، فان المصلي لايمكنه ان يحقق شيئاً من هذه القيم وهو مع مجموعة من الناس تعلو اصواتهم واناشيدهم ، او لا تساعده على التركيز .

ثالثاً : الايمان في الصلاة .

المسيح يقول : « لذلك أقول لكم ماتطلبونه حينما تصلون فآمنوا

ان تنالوه فيكون لكم » . « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على احد شيء لكي يغفر لكم ايضا الذي في السموات زلاتكم » .

إننا نجد في هذا الكلام فلسفة عميقة . اننا نعود الى الايمان : « آمنوا ان تنالوه فيكون لكم » . فهل ان الانسان يستغني عن الصلاة ان هو آمن ؟ الا يقول المسيح آمنوا ان تنالوه فيكون لكم . اذاً ، ان نحن آمنا دون ان نقول اي شيء ، الا يكون هذا الايمان صلاة ؟ الا نستغني عن الكلمات وتردادها وتكرارها ان نحن آمنا ؟ وكيف يكون الايمان ؟ الا يكون بالروح والذهن والفكر والعقل ؟

هنا ننتقل الى درجة أعلى في سلم الصلاة . لقد دخلت الصلاة مرحلة الايمان وطوره . وأصبح يشير الى فعل روحي عظيم . ألم نقل ان الايمان انجذاب وتوق وحركة في الروح ؟ إلام تنجذب الروح وتتحرك وتتوق ؟ انها تنجذب الى الله ، فالصلاة هي الانجذاب ، اي الأيمان . وان نحن آمنا بقدرة الله وعظمته ، وان نحن دخلنا محرابه ، فان صلاتنا مستجابة .

ولما كان الانسان لايطلب شيئاً لذاته متى وصل الى هذه الدرجة العليا من الروحانية ، فان طلبته الوحيدة هي ان يقبل في قدس الاقداس . ولا تستجاب طلبته ان لم يقم بتطهير ذاته من ادران المعيشة والمادة . ولهذا تكون الصلاة نتيجة طهر عقلي وجسدي يدخل الانسان من خلاله الى قدس الأقداس . وبالفعل يؤمن الانسان لأن ايمانه ليس الا حركة الروح في اتجاه حقيقتها ، الله.

ويشدد المسيح على غفران زلات الغير ، وذلك لأنه يستحيل ان يدخل الانسان الى محراب روحه مالم يكن طاهرا مع الاخرين ، نقيا وصالحا الى أبعد حدود الصلاح . ان الصلاة هي اتجاه الروح لله وللانسان . ويستحيل ان تتجه الى الله ما لم تكن قد اتجهت الى الانسان اولا . ولهذا فان العلاقة بالله علاقة مزدوجة : علاقة روحية مع الله وعلاقة روحية ــ مادية مع الانسان . فلا يحق للانسان ان يصلي وهو يعلم بأنه قد اساء الى غيره . وكم من المسيحيين يصلون وقلوبهم لاتعرف الغفران والتسامح !

رابعاً : الصلاة محبة .

المحبة هي محبة الله اولا ومحبة الانسان ثانيا والمحبة انجذاب ، اذاً هي صلاة ، فإن أنا أحببت الله من كل قلبي فإنني أنجذب اليه ، وإن أنا أحببته من كل عقلي وفكري فانني انجذب اليه ايضا . وهكذا تكون المحبة توق الروح الى الروح ، انجذاب الروح الى الروح ، التصاق الروح بالروح ، استغراق الروح بالروح . ولكن هذا الانجذاب لا يتم ما لم يصدر عن القلب والعقل معاً . فمن القلب يصدر الخير ومن العقل يصدر التركيز . واذا لم يكن انجذاب الانسان لله كاملا فان حصة الشيطان تكون كبيرة ، ويكون دخوله سهلا . وعندئذ يقضي على الصلة بين الروح وربها ، وتموت المحبة .

خامساً : الصلاة عبادة روحية وغيبة واستغراق ورؤيا .

يشدد بولس على ان المختون حقاً يعبد الله بالروح . ويطلب ان تقدم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ، عبادتنا العقلية .

وينادي بولس بتجديد الذهن ، كما يشير الى حقيقة هامة وهي الرؤيا والتنبؤ . فيقول يوحنا : كنت في الروح في يوم الرب . وكنت أصلي (بطرس) فرأيت في غيبة رؤيا . وصلى بطرس فالتفت الى الجسد وقال : ياطابيثا قومي . ويذكر بولس في أفسس مايلي : مصلين كل صلاة وطلبة كل وقت في الروح .

اننا الآن نقسم الموضوع الى قسمين :

آ العبادة العقلية .

ب ـــ العبادة الروحية .

ماهي العبادة العقلية ؟ لما كان الجسد هو هيكل الروح فإن العبادة تتم فيه . ولهذا فإن العبادة هي عبادة العقل . وكيف يعبد العقل ؟ انه يعبد متى انجذب الى الله انجذاباً تاماً . وكيف ينجذب الى الله .

إن من يسيطر على عقله يسيطر على الوجود . وتتم السيطرة على العقل بتركيزه .ومتى تم الوصول الى التركيز العقلي فإننا نصل الى التأمل . ومتى حققنا التأمل فإننا نحقق الاستغراق . وهكذا نعلم ان العبادة العقلية هي من فعل تركيز العقل وسيطرة تامة عليه . وكيف يسيطر العقل على ذاته ؟ هناك في الانسان شيء ما هو أسمى من العقل يقوم بهذه العملية . فعندما أقول أنا ، فإنما أعني اني انا شيء غير العقل . فهناك جوهر لايلمس في الانسان هو أنا ، وهذا الأنا غير العقل . وحسب علمنا ، نقول انه الروح .

ولكن الاستغراق في الروح لايتم بدون تأمل . لذلك يتوجب قهر العقل اولا ، وأعني السيطرة عليه حتى يتم توجيهه . وان لم يتم توجيهه فإنه

لا يوجه . وإذا أردنا عندئذ ان نوجهه الى الله وهو مازال عالقاً بأمور الدنيا فإن التوجيه يكون عبثاً وباطلاً .

ومع ذلك ، فإن العبادة تتم بطهر عظيم . وحتى لايسيء البعض فهمنا فإننا نقول ان العبادة العقلية نوعان متلازمان يكادان ألا ينقسما : اولا ، العبادة العقلية تعني السيطرة على العقل وبالتالي امكانية توجيهه حيثما شئنا . ثانيا ، العبادة العقلية تعني العبادة الروحية ذاتها التي تعني تجديد الذهن أي تخلية العقل والقلب من الشر والانفعال والحقد والطمع وحب المال والشهوة . الخ طهرا كاملا . لهذا يطلب بولس ان يكون الانسان في الذهن كاملا . ولهذا نقول بأن العبارتين عبارة واحدة وتتمان بأية وسيلة أرادها الانسان .

فالصلاة استغراق في عالم الروح . وهذا الاستغراق يبدأ بتأمل وباشراق ، وينتهي برؤيا او بغيبة . وكما يبدو ان الرسل كانوا في غيبة في كل مرة كانوا في صلاة . وكما يبدو أن الروح كانت تسوق الرسل كلما كانوا في صلاة . ولهذا فإن الصلاة لاتعني ، في معناها الحقيقي ، الا الاستغراق والتأمل .

سادساً : غنوصية الصلاة .

في الرسائل كلمات وعبارات تجعلنا نفكر مليا وبعمق كبير . يذكر بولس في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس : « انه في الكنيسة يريد ان يتكلم خمس كلمات بذهنه » . ويضيف : « ولكن إن لم يكن مترجم فليصمت في الكنيسة وليكلم نفسه والله ». ويضيف أيضاً : « لأنه إن

كنت اصلي بلسان فروحي تصلي وأما ذهني فهو بلا ثمرة . فما هو إذن ؟ أصلي بالروح وأصلي بالذهن » .

نستنتج من هذه العبارات مايلي :

١ ــ التكلم بخمس كلمات في الذهن .

٢ ــ إن لم يوجد مترجم فليكلم نفسه والله .

٣ ــ الصلاة بلسان صلاة الروح لكن الذهن لايثمر . فلهذا يجب ان يصلي بالروح والذهن معاً .

اولاً ، في ذكر « خمس كلمات » غنوصية كبرى . فهي تشير الى التركيب الروحي للجسد كما هو مذكور في كتاب Pistis Sophia . وأين يقول المرء هذه الكلمات ؟ انه يقولها في ذهنه . (يشير هذا الكتاب الى الروح والجسد والجسم الروحاني والجسم الحيواني والنفس . ويشير ايضا الى تفسير قول المسيح : « عندما يجتمع اثنان باسمي فهناك اكون بينهما » الى اجتماع اثنين من الخمسة مع المسيح ، ليشكلوا ثلاثة ، فتنتصر الروح . ولنترك الكلمات بعددها الخمسة ونقول بأنها كلمات .

ثانياً : يبدو ان التعليم في الكنائس قديما كان يتم بلغة لايفهمها الاخرون . ولهذا نرى بولس يحث على عدم استعمال الكلام لانه إن دخل وثني ورأى ان كل واحد يتكلم بلسان فانه يصف المسيحية بالوثنية . ولكننا نهتم بالقسم الثاني من العبارة « فليكلم نفسه والله » . إذا افترضنا ان المصلي كان في الكنيسة التي تجمع الكل ولم يستطع ان يفهم مايقال ،

فكيف يصلي ؟ انه يصلي في نفسه اي انه يكلم نفسه والله . وعندئذ تكون صلاته عقلية وذهنية . وإن كان هذا الذي يكلم نفسه والله خارج الكنيسة فإنه يستطيع ان يكلم نفسه والله ايضا . فالصلاة اذاً هي التكلم مع روح الانسان وروح الله . ولما كان الكلام يقوم في عالم الروح ، فانه لايعتبر كلاما مادياً . وبالتالي يتم الاتصال . فالصلاة اتصال[٣] بالله يتم روحيا وعقليا ويدخل الانسان بواسطتها ، أي بواسطة هذه التجربة الروحية ، الى قدس الأقداس .

ثالثا : يشدد بولس على الصلاة بالذهن والصلاة بالروح . فالكلام ليس شيئاً والتقدمة ليست شيئا وإنما المهم هو الروح والعقل . ومتى تمت هذه الصلاة فان الانسان يصبح نبيا او قديسا .

نستنتج ان الصلاة تركيز عقلي وبالتالي هي عبادة عقلية . والصلاة ايمان وبالتالي تجربة روحية . والصلاة محبة وبالتالي انجذاب . والصلاة غيبة وبالتالي رؤيا . والصلاة كلام مع النفس ومع الله وبالتالي اتصال روحي . ولا تكون الصلاة غير هذا . فما هو دور الصلاة الجماعية ؟

١ ــ اننا لانوافق على الصلاة الكلامية لأنها ترداد منعه المسيح ولأن الكلام لايساعد الذهن على التركيز . فلا يتم التركيز والتأمل الا في الهدوء والسكينة . ولهذا ينصح المسيح بالخلوة والانفراد .

ب ــ لما كان التركيز والتأمل لايتحققان بين مجموعة من الناس فان الصلاة تفقد قيمتها الحقة . ولما كان المسيح قد قال : « ليس كل من يقول يارب يارب يستحقني » ، فان الصلاة الجماعية ترداد وتكرار لايعني انجذابا لله .

جـ ـــ لما كانت الصلاة الجماعية تخضع لارشاد مرشد فان المصلي لايصلي وذلك لأنه يسمع أقوالا ولا يفعلها بل انه لايستطيع لأن المصلي يصلي بنفسه وبذاته ، ولا يصلي احد عن الاخر . أما صلاة الواحد عن الاخر فانها تدخل ضمن دائرة روحية تصبح فيها روح المصلي فعالا لانه أمسى روحانيا بكل معنى الكلمة .

فما الصلاة الجماعية ؟ اني اقر بالصلاة الجماعية كما يلي :

١ ـــ ان لاتكون هذه الصلاة كلاما او تردادا لكلام .

٢ ـــ ان تكون هذه الصلاة تأملا في موضوع واحد ـــ الله أو المسيح .

٣ ـــ ان تكون استغراقا في الموضوع ذاته .

وعندما يصلي المجتمعون ، وفق هذا الشرح ، فانهم يتأملون فقط دون ان يتكلموا ويركزون أفكارهم على المسيح او على الله . وعندئذ تفعل الطاقة القائمة فيهم بشكل عظيم . وتكون الصلاة الجماعية التي تعني ان الاستغراق الجماعي اقوى من الصلاة الفردية وذلك لان طاقات عقلية هائلة تتركز على الموضوع الواحد .

حواشي الفصل الأول

١ ــ الصلاة الربانية توفيق بين مملكتي الروح والمادة ، السماء والارض ، وتوحيدهما . وتعلمنا هذه الصلاة كيف نحيا في عالم المادة بحقيقة الروح حيث لن تكون هنالك مملكة للشيطان .

٢ ــ ليس هنالك تناقض بينهما وبين رابعة العدوية ، الحكيمة الكبرى .

٣ ــ في قديم الزمان اصدر الملك أمرا يلزم فيه كل فرد على الحضور الى مكان العبادة وقت الصلاة ، ولما كان الامر ارادة ملكية فقد حضر ناسك حكيم ، يعتقد ان الصلاة تأمل وتركيز واستغراق ، الى مكان العبادة . ولكنه انصرف من المكان في منتصف الصلاة . فأُخذ الى الملك . وسأله الملك عن سبب خروجه فأجاب : كنت أتبع المصلي في تأملي ولكنني انسحبت عندما مضى الى منزله . فطلب الملك من المصلي ان يوضح له الامر ، فأجاب بانه كان يصلي بلسانه وأما عقله فكان مأخوذا بموضوع شغله في منزله .

لقد كان الناسك الحكيم متصلاً بذهن المصلي ومستغرقاً فيه ، ولكن المصلي لم يكن يصلي . لذلك ليست الصلاة الا استغراقا واتصالا .

الفصل الثاني

بطرس والصخرة

المسيحية هي مسيحية بولس ويوحنا . فهما عماد المسيح لأنهما يمثلان الفلسفة المسيحية في أوجها وكمالها . ولا يمكن مقارنة احد من التلاميذ بهما . فيوحنا فيلسوف اللاهوت المسيحي وبولس فيلسوف العقل المسيحي ومبطل الناموس . يوحنا يصل باللاهوت الى أعلى درجاته ــ الكلمة ــ وبولس يصل بالكمال العقلي والروحي الى أعلى درجاته . ومن بين الأناجيل يقف انجيل يوحنا في القمة وذلك لأنه ملخص اللاهوت المسيحي ويعود يوحنا ليلخص هذا اللاهوت مرة اخرى في رسالتيه .

ولقد سميت المسيحية الاولى بمسيحية يوحنا ، التلميذ الحبيب[1] . وعرفت المسيحية الاولى عظمة بولس . فقد كان بولس ، بعد المسيح ، يتكلم كمن له سلطان . ونحن ، اذا جردنا العهد الجديد من انجيل يوحنا

ورسالتيه ومن رسائل بولس ، لبدا هذا العهد شيئا لايجدر ذكره . ومايدل على صحة هذا القول ويبرهن عليه هو ان المسيحيين ، بشكل عام ، يتجنبون البحث في بولس ويوحنا وذلك لخلو المسيحية من التجربة الروحية . كيف يستطيع المسيحي ان يفهم لاهوت يوحنا مالم يكن ضليعا في الفلسفة والعلم الروحي ؟ وكيف يستطيع ان يفهم بولس ما لم يكن عميقا في الناموس وفي الروحانية على السواء ؟

هكذا ترك المسيحيون الجوهر وتعلقوا بالظاهر . ان الصعوبة التي وجدها المسيحيون في بولس ويوحنا مردها الى عدم تفهمهم للمسيح الكوني وللروحانية المطلقة ، وللحرية في الله . لذلك فقد عمدوا الى تجسيد الأمور . فالايمان جسدوه ، والوراثة جسدوها ، والروحانية واللاهوت حولوهما الى شريعة وناموس . وهكذا عادت المسيحية الى المادية ، الى الناموس ، الى الجسد ، ومات المسيح الكوني مرة اخرى .

ويعود سبب خضوع المسيحية مرة اخرى للوثنية والناموس والجسدية لعلة رئيسية هي تعلق المسيحيين بتجسيد الايمان والمسيح . فقد كانت فلسفة بولس تقوم على فهمه للمسيح الكوني وعلى تجربته الروحية في هذا المسيح الكوني ، بينما كانت مسيحية بطرس تقوم على تجسيد المسيح الشخصي وعلى انعدام التجربة الروحية في هذا المسيح . فماذا يرمز بطرس ؟

يرمز بطرس الى الناموس . فهو الذي يمثله خير تمثيل بين التلاميذ . وكيف ندعي ان بطرس يمثل الناموس ؟ عندما نلقي نظرة على الاناجيل ونحاول ان نستخلص شخصية كل تلميذ من التلاميذ ، نجد بأن المسيح

قد اختار اثني عشر تلميذا . فلم اختار المسيح اثني عشر تلميذا لاغير ؟ وما هي الفلسفة القائمة في هذا الانتقاء او الاختيار او العدد ؟ وإلام يرمز هذا العدد ؟

علنا نستمع الى بعض المسيحيين ليقولوا بأن عدد اثني عشر يشير الى أعداد اسباط اسرائيل . وفي هذا القول رمز واقعي يشير الى ان الرقم اثني عشر رقم ذو دلالة روحية عند اليهود . وقد عمل المسيح الى تحويله من مفهوم مادي لم يفهمه اليهود الى مفهوم روحي يتجسد بتلمذة الاثني عشر الذين سيكونون عماد المسيحية . فانقلب الرقم من مفهومه المادي الى مفهومه الروحي .

في هذا التحليل نجد بعض الحقيقة ، ذلك لأن المسيح عمل دوما على تحويل مفاهيم اليهودية المادية الى مفاهيم روحية . فهو قد حول مفهوم الملكية المادية الى ملكية روحية ومفهوم الكهنوت المادي الى كهنوت روحي ، ومفهوم الختان المادي الى ختان روحي وفكري وقلبي ، ومفهوم الهيكل الحجري الى الهيكل الجسدي ، ومفهوم البنوة المادية الى بنوة إلهية ، ومفهوم الذبيحة المادية الى ذبيحة عقلية وروحية الخ . وبالتالي فانه حول مفهوم الاثني عشر المادي الى اثني عشر الروحي . لكن هذا التحليل لايفي بالغرض لأننا نعود مرة اخرى الى الرمزية القائمة في انتقاء الرقم اثني عشر لاسباط بني اسرائيل .

كل رقم او حرف في العلم الروحي السري يشير الى حقيقة روحية . واننا نرى هذه الأرقام قائمة في المسيحية : إلرقم ثلاثة والرقم سبعة والرقم اثنا عشر والرقم اربعة وعشرون والرقم ثلاثة ،ثلاثون . وتتكرر هذه

الارقام في رؤية يوحنا فتضاف ارقام جديدة هي غاية في الرمزية . ولاتفهم هذه الارقام الا بتفهم للعلم الروحي . لقد اختار المسيح الرقم اثني عشر ليكون رمزا[٢] .

واننا نستطيع ان نذكر ان صفات التلميذ المميزة كانت تختلف ولكن لم تكن تتباين فلكل واحد منهم صفة خاصة تشير الى صفة روحية عامة . واننا نذكر الان صفتين تميزتا ببروزهما في المسيحية وهما : صفة يهوذا وصفة بطرس . ولابد من اقامة مقارنة بينهما .

١ ــ يشترك التلميذان في انهما اتهما بتدخل الشيطان فيهما ، ويختلفان في أن يهوذا لبس الشيطان وبطرس خلعه . لقد خان يهوذا المسيح وكذلك خانه بطرس . ولم تختلف الخيانتان الا بالدرجة . أما يهوذا فقد مثل التوبة الحقة التي انتهت بالانتحار وبالتكفير العام واعادة المال ، لكن بطرس فقد مثل التوبة الحقة ايضا والتي انتهت بالبكاء المر . فنرى بان كلا الرجلين قد خان المسيح وتنكر له ، ولم يشترك غيرهما بأي من هاتين الخيانتين . ونتجت خيانة الواحد بالانتحار وخيانة الثاني بالبكاء المر والتوبة القوية .

٢ ــ يمثل الاثنان رمزين هامين في المسيحية . ففي التعاليم الروحية السرية رمز الى ان ابناء الله السماوية تمثل اثني عشر ، أحدها يكون الشيطان . ولما كان المسيح يمثل الطريقة ذاتها على الارض فقد كان من الاثني عشر رسولاً رسول واحد قام بدور الشيطان . ولهذا نرى ان الانجيل يذكر ان الشيطان دخل يهودا أو لبسه . وبالفعل يرمز يهوذا الى الشيطان . وهكذا نعود الى فصلنا السابق ، الشيطان وقوى الشر ، لنجد الشيطان

مقابل المسيح . فقد كان الشيطان يسير جنبا الى جنب مع المسيح . ولما انتصر المسيح على الشيطان عمد هذا الاخير الى الدخول في التلاميذ . وكان يهوذا من نصيب الشيطان ، فمثله خير تمثيل . لذلك يشير يهوذا المنتحر الى سقوط الشيطان وفشله وموته واندحاره أمام المسيح .

وبعد سقوط يهوذا او اعلانه عن ذلك السقوط ـــ تماما كما سقط الشيطان ـــ حاول الشيطان مرة اخرى . وقد وجد هذه المرة بابا مفتوحا له في بطرس . ولهذا يقول المسيح في لوقا ٢٢:٣١و٣٢ « وقال الرب : سمعان سمعان ، هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة . ولكني طلبت من أجلك لكي لايفنى إيمانك » . وبهذا القول نستنتج امرين :

١ ـــ ان الشيطان جعل من بطرس هدفا له وغاية بعد يهوذا .

٢ ـــ ان ايمان بطرس كان موضعا للفناء لولا طلبة المسيح من أجله . لقد صلى المسيح من أجله .

ولكن بطرس انتصر على التجربة اخيرا ، بعد بكاء مرير وعذاب أليم . فماذا يمثل بطرس ؟ ان بطرس يمثل ، بين الاثني عشر تلميذا ، الناموس اليهودي والايمان اليهودي . انه يمثل زعزعة الناموس والايمان معا ، وتجدد هذا الايمان . فبطرس هو رمز اليهودي الذي يعود الى الايمان ، وعلى هذا الايمان تبنى الكنيسة . فبطرس اذاً ممثل الناموس ، ممثل الحياة اليهودية في اقصاها وأصفاها ، ممثل اليهودي الذي تحول الى مسيحي وتظل جذوره عالقة في اليهودية[٣] . فالمسيح اذاً يطلب من بطرس الايمان الذي تقوم عليه الكنيسة . لذلك لم يمثل بطرس الايمان بل ان المسيح يطلبه منه لأنه يهودي . انه يطلب الايمان منه هذا الايمان لكي يقوم عليه صرح جديد

وتعاليم جديدة . ويقع بطرس ويسقط . فكيف يسقط بطرس مع ان المسيح قال له بأنه الايمان الذي تبنى عليه الكنيسة ؟

كان نكران بطرس للايمان بعد تسميته بالصخرة[٤] . لقد عرف المسيح ضعف ايمان بطرس فأراد ان ينبهه الى نقطة الضعف هذه ، فأشار الى الايمان الذي ينقص بطرس وطلب منه تثبيته لأنه لايبني الكنيسة بدونه . وأشار الى ان تعاليمه تقوم على هذا الايمان . ولكن بطرس خان المسيح بعد تسميته بالصخرة . فكيف يحدث هذا ؟ أليس دليلا على صحة هذا التلحيل الذي نقدمه ؟

ولكي نبرهن على ضعف ايمان بطرس فإننا نحاول ان نقارنه بايمان الرسل الاخرين . من بين الرسل لم ينبه المسيح أحداً . فقد حذر المسيح بطرس لانه علم بأنه عرضة للسقوط اكثر من غيره . وعندما نحاول ان نتعمق في شخصية بطرس نجد مايلي : فمن جهة يحاول بطرس ان يكون السباق ويجيب قبل الاخرين . فهو يظهر الاندفاع القوي ويقول قبل الاخرين للمسيح « انت ابن الله الحي » . ومن جهة ثانية نجد بطرس اسرع التلاميذ الى السقوط ، اسرعهم الى الشك وقلة الايمان ، أسرعهم الى الخيانة . وقد أظهر بطرس عن كل هذا . فقد خان المسيح ثلاث مرات قبل ان يصيح الديك ، فإلام يشير صياح الديك ؟

تذكر الكتابات الروحية السرية ان صياح الديك يشير الى يقظة الروح . ولهذا فان بطرس لم تستيقظ روحه الا بصياح الديك . ولكن قبل تلك اليقظة فقد عمد الى الشك والخيانة والخوف . ولهذا فقد ظل بطرس يهوديا حتى اللحظة الاخيرة . انه يندفع الى المسيح ويتراجع عنه . يؤمن به

ويشك به . يحبه ويخونه . وبحلول اللحظة الأخيرة يستيقظ . لقد سمع صياح الديك ، فعلم خطيئته وادرك فداحة ما أقدم عليه ، فاستيقظ من يهوديته . وبيقظته بكى بكاء مراً . ويشير هذا الرمز الى ان الروح اليهودية لابد وان تستيقظ مرة اخرى . فبحلول الصباح وصياح الديك سوف تستيقظ الروح وتعرف خطأها . ومع ان بطرس عرف خطأه وتراجع عنه ، لكنه لم يصبح المسيحي الحقيقي لأنه ظل يمثل الروح اليهودية ــ المسيحية . ولهذا نرى بطرس وقد اؤتمن على انجيل الختان .

ماهو انجيل الختان ؟ ولم اؤتمن بطرس عليه ؟

الختان ، كما عرفنا ، هو ختان القلب والروح ، هو ختم الله في الانسان . هذا هو الختان الذي علمنا اياه بولس . ولكن الختان اليهودي فهو ختان الجسد . هو ختم الذرية عن طريق النسل ، هو الشعب ، هو العرقية اليهودية بأقصى صورها واجلاها . فقد اعتقد اليهود بأنهم يختمون النسل بالنسل ، عن طريق التناسل ، فكان هذا الختم برهاناً على ان الانسان قد ختم لله وختن له . ولذلك اعتقدوا بأنهم ذرية الله لأن طريقتهم كانت مادية بحتة . ولذلك فقد حولها المسيح الى ختان للقلب والروح والذهن ، فأصبح تجديدا في الانسان . لهذا فقد مات الختان ، ختان الجسد ، وعاش الختان ، ختان الروح .

ولما كان بطرس قد افرز لانجيل الختان فقد ظل يبشر باليهودية التي تتحول الى مسيحية . وكيف يبشر بطرس بهذه اليهودية ــ المسيحية لو لم يكن رمزها ومثالها ؟ لذل فقد ظل بطرس وفياً ليهوديته حتى بعد حلول الروح القدس عليه . وقد افرز لليهود بعد اختلافه مع بولس وبعد وَحي

الروح القدس لهما في مجمع اورشليم . لذلك يمثل بطرس احياء الناموس فقط وليس القضاء عليه . وما يدلنا مع هذا اختلافه مع بولس .

كان بطرس يرفض تناول الطعام مع المسيحيين او مع الامم . فلمَ رفض بطرس تناول الطعام معهم ؟ يعتقد بطرس ان كل انسان يأخذ من المسيح مثالاً له ويتقبل المسيح ، اي يصبح مسيحياً ، عليه ان يمر بطور اليهودية ، اي عليه ان يصبح يهوديا قبل ان يكون مسيحيا . ولذا ، لم يعترف بطرس بالمسيحيين لأنهم لم يمروا بطور اليهودية ، مع أنه أرغم بعد تدخل الروح القدس على قبولهم والاعتراف بهم . ماذا نسمي هذا العمل ؟ أمسيحية هو ام يهودية ــ مسيحية ؟ لا وجود لليهودية ــ المسيحية . اما المسيحية او لاشيء .

ولما عاد بطرس الى اورشليم خاصمه الذين هم من أهل الختان ــ اليهود المتنصرون ــ قائلين انك دخلت الى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم . لقد لامه اليهود المتنصرون لأنه أكل مع المسيحيين . وماذا نسمي هذا العمل ؟ هل نسميه مسيحية ؟ لقد قام الشقاق والنزاع بين المسيحيين منذ بزوغ فجر المسيحية ولهذا فقد سمي المؤمنون الاميون مسيحيين في انطاكية وليس في اورشليم وذلك لأنهم يختلفون عن المسيحيين من أصل يهودي . فهناك بولس الذي ينادي بمسيحية كونية ، بإيمانه بالمسيح الكوني ، بإيمان يدخل فيه كل انسان لأنه حاصل على النعمة والايمان منذ البدء[٥] . وهناك بطرس الذي فضَّل نصرانية اليهود لانه صاحب ناموس . ولهذا فقد وجدت اليهودية المتنصرة ببطرس والمسيحية ببولس . بطرس يهودي متنصر يؤمن بالمسيح الشخصي ، وبولس مسيحي

بالروح ، بالضمير ، بالعقل ، بالمسيح الكوني . فالمسيحية لبولس واليهودية المتنصرة لبطرس[٦] .

وفي مجمع أورشليم انتصر الروح القدس لبولس ، فأفرز للأمم وظل بطرس لليهود زعيما وقائدا . ولذلك فقد عمد بولس الى تحذير المسيحيين من تخرصات وأقاويل وأكاذيب اليهود المتنصرين الذين كانوا يعتمدون على الحرف دون الروح . وقد عمد بولس الى توبيخ بطرس بسبب ترفعه وتكبره على المسيحيين . وعندما امتنع بطرس عن تناول الطعام مع المسيحين خوفا من اليهود المتنصرين ، نعلم ان المسيحيين الذين لم يشاركهم الطعام لم يكونوا من عامة الناس بل من الذين يتفوقون في مسيحيتهم ، وأعني من المتقدمين . فكيف يجرؤ بطرس الاتيان بعمل من هذا النوع ؟

هكذا نرى ان بطرس يمثل رمز اليهودي الذي يتقبل المسيحية حسب الناموس والذي لايريد القضاء عليه بل الأبقاء عليه . انه لم يستطع ان يترك اليهودية ولم يستطع ان يترك المسيحية . لذلك كان يهوديا متنصراً . ان من يتعمق في دراسة حركات اليهودية المتنصرة ، يدرك انها عملت على تقويض المسيحية الحقة . ان اليهودية ـــ المسيحية والمسيحية لاتلتقيان لان المسيحية لاتحمل بذرة واحدة من اليهودية . فكيف عمل بطرس على الجمع بينهما ؟

٢

بالاضافة الى ضعف ايمان بطرس نجد عدم تعمقه في الروح القدس . واننا نجد في الاناجيل ان بطرس لم يكن من الأوائل الذين حصلوا

على الروح القدس او على القوة التي منحها المسيحي . وذلك بسبب شكه وقلة ايمانه . ففي الاناجيل نجد بطرس يطلب من المسيح ان يخرج من سفينته لأنه رجل خاطىء . والمسيح يلوم بطرس على قلة ايمانه وشكه لما غرق في الماء ولم يستطع السير فوقه . والمسيح يوبخ بطرس على حمل السيف والضرب به . وبطرس يهرب مع التلاميذ . وينام معهم ، فيجدهم المسيح نياما ، فيلومهم ويوبخهم لأنهم لم يقدروا ان يسهروا معه . وبطرس ينكر المسيح ثلاث مرات ــ رمز الثلاثة ــ قبل ان تتحقق عنده اليقظة الروحية . والمسيح يحذر بطرس من ان الروح نشيط وأما الجسد فضعيف . ويستمر بطرس في فلسفته اليهودية هذه حتى بعد صعود المسيح الى السماء . لذلك فقد وبخه المسيح في رؤيا عندما رفض ان يأكل من لحوم الحيوانات ذوات الفلقة[٧] . فقال له المسيح ما أقدسه أنا لاتنجسه أنت . ويدل هذا على ان المسيح أدرك اخطاء بطرس فأراد ان يقومها .

والآن ننتقل الى دراسة فلسفة بطرس كما يعتقد بها الكثيرون :

أولاً : موضوع الصخرة .

من هو الصخرة ؟ اهو بطرس ام المسيح ؟ يقول بولس الرسول في رسالته الأولى الى اهل كورنثوس ، الاصحاح العاشر مايلي : « لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تتبعهم والصخرة كانت المسيح » . من هنا نستدل أن المسيح هو الصخرة . وان كانت الصخرة تعني الايمان ، فان الايمان يكون قائماً قبل وجود بطرس . والآن نقرأ ما يقوله المسيح

لبطرس : « انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات » .

١ ــ بطرس والصخرة .

٢ ــ اعطاء مفاتيح السموات .

ويستمر المسيح قائلاً لبطرس في الاصحاح ذاته : « التفت وقال لبطرس : اذهب عني ياشيطان . انت معثرة لي لأنك لاتهتم بما لله بل بما للناس » .

اولاً : وجدنا بان المسيح هو الصخرة . والصخرة هي الايمان الذي كان ينقص بطرس . ولما كان الايمان عماد الكنيسة فانه دعوة صريحة الى تبنيه . وأما اعطاء مفاتيح ملكوت السموات فانما يشير الى اعطاء اسرار الملكوت وذلك لأن الملكوت لايحتاج الى مفاتيح مادية . فليست مفاتيحه سوى اسراره . وفي هذا نقول بأن المسيح قد أعطى أسرار الملكوت لجميع التلاميذ . لهذا فقد أعطى المفاتيح لهم جميعاً ولم يخصص واحداً .

واننا نلمس التناقض الحرفي في هذا الكلام عندما يتهم المسيح بطرس بأنه معثرة . لماذا يكون بطرس معثرة للمسيح ؟ انه سيكون معثرة لأنه سيقوم بتحقيق التقارب اليهودي المسيحي الذي ينسف المسيحية من أساسها ، ولانه سيكون ، في الأيام المقبلة ، علة عودة الى الناموس ، وتجسيد الروحانية اي العودة الى الحرف ، ولأنه سيؤدي الى قيام سلطة زمنية تستأثر به وتتمثل به . واننا نرى هذا الاتهام صحيحا وقائما في قول المسيح « انك معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » ؟ كيف يهتم بطرس بما للناس ان كان حقا يعمل لله ؟ ان المسيح الكوني يرى في

الآفاق ويعلم كل شيء . وبالفعل نجد بطرس انه يهتم بالناس وليس بالله . فكيف يكون بطرس هو الصخرة وكيف يكون معثرة في آن واحد ؟ الا يعني ان بطرس سيعثر الكثيرين لانه يتهم بالمفهوم الزمني ؟

لقد حارب بولس بطرس بكل قواه ولم يسمح لمبادىء بطرس ان تنتشر بين المسيحيين . وعمل بولس على ابدال اسماء المؤمنين بمسيحيين . فكانت المسيحية من نصيب الامم وكانت اليهودية ــ المتنصرة من نصيب اليهود . ولكن هذه الاخيرة حاولت ان تفرض آراءها بين الامم وعليهم . لذلك كان بولس دؤوبا على تحذير اتباعه المسيحيين حتى لا يستمعوا الى اقوال اولئك[٨] .

وبالاضافة الى هذا كله نجد فرقاً هاماً بين بولس وبطرس . بولس ينادي بالمسيح الكوني الذي يعبد بالروح وبالذهن وبالضمير وفي الجسد ــ الهيكل ، وبطرس ينادي بالمسيح الشخصي الذي يعبد بالجسد او في الهيكل ــ الحجارة . بولس قفزة الى الروح ، الى الله ، الذي يسكن القلوب ويعرف الضمائر ، وبطرس عودة الى اليهودية ، الى التجسد المادي لفكرة الله وعرشه ومملكته على الارض[٩] . بولس قفزة الى الكهنوت السماوي ، كهنوت الروح ، الى التنبؤ ، الى الحياة الروحية ، وبطرس عودة الى هرون بدرجاته المادية وتسلسله الزمني والدنيوي ، ورجعة الى الطقوس والعبادات اليهودية . بولس احياء للمسيح في كل نفس وبطرس تشخيص للمسيح في الهيكل والكنيسة وفي مجموعة من القادة ، اي عودة الى الناموس الذي يعمل بولس على انقاذنا منه .

هناك حادثة بسيطة وقعت لبطرس اثناء العشاء السري . لقد اعلن

المسيح عن أن أحد التلاميذ سيخونه وسيسلمه . وقد وقع الجميع في حيرة . وبالفعل وقعت الحيرة في قلب بطرس . لقد اخبره المسيح بأنه معثرة وأنه صلى من أجله لكي لايفنى ايمانه وانه سينكره ثلاث مرات . لذلك وقع بطرس في حيرة وأراد ان يعرف من هو مسلم المسيح فكان فريسة للقلق والاضطراب . وتخبرنا رواية الانجيل ان بطرس طلب من يوحنا الحبيب ، التلميذ الحبيب ، الذي يمثل حمامة الرب بوداعته ان يسأل المسيح . لماذا كان بطرس غيوراً على معرفة مسلم المسيح ؟ لماذا اراد ان يعرف ، بينما لم يشأ الاخرون ان يعرفوا ؟ أليس لعلة في نفسه ؟ ولمَ لم يجرؤ على سؤال المسيح ؟ ولماذا أوعز ليوحنا ان يسأله ؟ فلو أنه كان المقرب للمسيح ، وكان الصخرة ، لظهرت شجاعته وجرأته في سؤال المسيح . وكما يبدو ان المسيح كان يحب يوحنا محبة خالصة ، فاصطفاه حبيبا وجعله ابنا لمريم من بعده .

ان من يدرك عمق التجربة الروحية يدرك عمق وداعة يوحنا ومغزاه في علم الروح . ولكن المسيحيين ، ويا للاسف ، محرومون من هذه التجربة . ولهذا لايقدرون بولس ويوحنا . وفي الانجيل ذاته نجد حادثة اخرى تدل على عمق محبة المسيح ليوحنا . فقبل ان يسلم المسيح الروح التفت الى يوحنا وقال له : هذه أمك . وقال لأمه : هذا ولدك .

تشير هذه الرواية الى بنوة يوحنا الحقة بالروح . ولم يكن احد من التلاميذ بدرجة يوحنا الروحية . يوحنا اللاهوتي ، يوحنا الحبيب ، يتخذ من والدة المسيح والدة له . ومهما حاول المسيحيون التقليديون ان يفسروا هذه العملية بالحرف . فان الحرف ذاته يفسر بتفضيل المسيح ليوحنا على

بطرس . فكيف يعمد الى تسليم مفاتيح السماء الى بطرس وينسى يوحنا[١٠] .

ونجد بالاضافة الى هذا كله ان المسيح قد أعطى أسرار الملكوت لجميع التلاميذ ولم يخصص واحدا دون الآخر . ولما كان الجميع قد فهموا الاسرار فان مفاتيح السماء أصبحت في ايديهم . ولهذا نقول بان لا علامة فارقة لبطرس على غيره ، وليست مفاتيح السماء الا الايمان الذي يعطى لمن تبنى الكنيسة على ايمانه . الكنيسة تحتاج للايمان ، وكان بطرس يحتاج اليه لكي يبني الكنيسة التي لايقوى عليها الجحيم .

٣

نستنتج من دراستنا هذه ان بطرس كان رمز اليهودي الذي يعود الى الايمان . ولما كان المسيح هو الصخرة فلا يمكن ان يكون بطرس هو الصخرة . الصخرة كانت صخرة روحية تتبع اليهود وكانت المسيح . وكانت الصخرة رمزاً للايمان والخلاص . فكيف اصبح بطرس رمزاً للايمان ؟

لقد أصبح بطرس رمزاً للايمان الذي كان يتبع اليهودي وما كان اليهودي يدركه ويعرفه . فبطرس رمز لليهودي والصخرة رمز للايمان . اذاً بطرس رمز لليهودي الذي يؤمن . ولما كان اليهودي يسير على الناموس . فإن بطرس يمثل الناموس . ولما كان قد آمن ، فإنه يمثل الايمان في الناموس . ولذلك يكون المسيح هو غاية الناموس . فقد استطاع بطرس

ان يصل الى المسيح من خلال الناموس المكتوب بالحرف لأنه آمن . ولذلك ابقى بطرس على الناموس وأؤتمن على انجيل الختان ، على البشارة بالختان الذي يلقح بالايمان الذي تقوم عليه الكنيسة . ولذلك فان بطرس يلقح الختان بالايمان . ويوصي الروح القدس ببقاء بطرس بين اليهود لأنهم بحاجة لمن يفهمون عليه بلغتهم الخاصة وعقليتهم . ومن يكون أعظم من بطرس في هذا الشأن !

أما بولس فإنه يبني على الايمان الذي يقوم على الناموس الروحي . ولهذا يكون الفرق بين الاثنين كبيرا جدا . هنا ، عند بولس ، نرى عودة الى ناموس الله والايمان المعطى للانسان منذ بداية الخليقة ، وهناك ، عند بطرس ، نجد الناموس المكتوب الذي يتحول في النهاية الى ايمان بالمسيح لأنه غايته . وبولس لاتقبل شهادته بين اليهود لأنه لايكلمهم بلغتهم وحرفيتهم بل بناموس الله الذي لايخضعون له .

ولكن ايمان بطرس يتضمن خطرا على المسيحية وبالتالي عثرة . فبطرس خاف من اليهود المتنصرين ورفض الأكل مع الأمم وبالتالي معاشرتهم . إنه رفض الأكل مع الأمم المسيحيين ارضاء للناس . فبطرس اذاً معثرة لأنه يرضي الناس ولا يعمل لله . وبطرس يلومه اليهود المتنصرون في اورشليم ويقبل لومهم حتى يوبخه الله في غيبته . وكما يبدو ان تأنيب الله لبطرس يستمر حتى بعد صعود المسيح الى الأعالي .

وفي بطرس نجد الخطر الماثل في العودة الى اليهودية ــ المسيحية الذي بدأ يتحقق في هذه الأيام . ويعود هذا لأن بطرس ذاته قائم في اليهودية ــ المسيحية وليس في المسيحية . فاليهودية ــ المسيحية نصرانية

وليست مسيحية . والفرق كبير بين المسيحية والنصرانية . ولم يدرك المسيحيون سوى بولس ويوحنا وظلت النصرانية قائمة في فلسفة بطرس . ولما كانت اليهودية ـــ المسيحية تحمل بذور الناموس فانه قد استعيض عن اللاهوت بالشريعة . واصبحت مملكة بطرس شريعة يلقحها بالايمان تختلف عن ايمان بولس الذي يشير الى أعماق النفس الانسانية دون ان يرتبط بالناموس او يخضع له . وأصبحت مملكة بطرس دنيوية ، تتسلسل في المراتب وذلك بسبب التفسير الحرفي لمعنى الصخرة ولتجسيدها في عملية ناموسية ظلت تعتقد وتؤمن بكهنوت عماده الانسان وليس المسيح(١١) .

ان لبطرس اهمية بين التلاميذ . وتقع هذه الأهمية في انه مثال الروح اليهودية التي تبحث عن الايمان لكي تبني الكنيسة . والروح اليهودية ، لأنها عالقة بالناموس ، فإنها تؤمن ايماناً جارفاً وتسقط سقوطا فظيعاً . ولكنها ، على كل حال ، تشير الى الايمان والتوق والتلقائية التي اشتهر بها بطرس . وعلى هذا الايمان يبني المسيح صخرته وكنيسته . فهو اذاً رمز للروح اليهودية التي تجد ايمانها في المسيح ، والتي تعتمد على الناموس وترى في المسيح غاية له .

حواشي الفصل الثاني

١ ــ في الفصل الأخير من انجيل يوحنا يعرف يوحنا بأنه الوحيد بين التلاميذ الذي لا يموت .

٢ ــ يمثل المسيح ماهو كائن في عالم الروح . الملائكة الاثنا عشر الذين هم الشروبيم . ولكن واحداً منهم سقط . وعلى الأرض اختار المسيح اثني عشر تلميذاً ، سقط أحدهم . هكذا يمثل يهوذا ومملكة يهوذا ابليس . ويمثل بطرس اليهودي الذي يحتاج لايمان قوي لكي ينتصر على ابليس لكي تُبنى الكنيسة التي أشارت وقتئذ الى اسرائيل الجديدة .

٣ ــ « الصخرة » في نظر الاسرائيلي تعني المؤمن باسم الله ، رمز قوته الالهية .

٤ ــ كان بطرس يؤمن بحرارة ، فيعلن مسيحيته ، ويشك بقوة وبسرعة ، فيعود الى يهوديته .

٥ ــ ولهذا فقد نادى المسيحيون بعد مجمع اورشليم عام ٤٩ ب.م بفصل المسيحية عن التوراة . أما النصارى ، اليهود ــ المسيحيون ، فقد نادوا بإبقاء التوراة .

٦ ــ يشارك يعقوب ، أخ الرب وأول بطريرك يهودي ــ مسيحي ، بطرس. لقد أقام اليهود المتنصرون يعقوب بطريركاً لأنهم تشيعوا لأهل البيت . إنهم أرادوا الزعامة فيهم . ونشاهد يهودية ــ مسيحية يعقوب في رسالتيه اللتين أعلن فيهما اليهودية اولاً

والمسيحية ثانياً . ان يعقوب يطالب بنصرانية لا مسيحية . ولهذا ، فقد دعا المسيحيين الأمم الى اعتناق الختان والتوراة التي لم تكن تمثل شيئا من تراثهم . وعمل يعقوب على اخضاع كنائس المسيحية كلها لكنيسة اورشليم التي كانت تدين باليهودية ـــ المسيحية . وهذا ما نجده في رسالة بطرس ، وان كان بعضهم يدعي ان سيلاً هو الذي كتبها . والأمر ذاته يتكرر في رسالة يهوذا ، أخ يعقوب .

٧ ـــ تشير الحيوانات في الرؤيا الى الأمم . ويشير امتناع بطرس عن تناولها الى عدم مشاركته لهم لاعتقاده بنجاستهم . وللسبب ذاته اراد المسيح ان يوضح له ان الأمم واليهود سواء بسواء ، وبالتالي يجب ان يعامل الامم كما يعامل اليهود تماماً . فليس الأمم نجسين ، بل مقدسين ايضا .

٨ ـــ على مر الزمن انتصرت اليهودية ـــ المسيحية وذلك في ما نراه بالعودة الى التوراة وتفسير رؤيا يوحنا وفق نبؤات دانيال وأشعيا وغيرهما . لهذا يقع المسيحيون التقليديون فريسة تفسير رؤيا يوحنا تفسيراً خاطئاً .

٩ ـــ يقول المسيح « مملكتي ليست من هذا العالم » .

١٠ ـــ سأل المسيح بطرس ثلاث مرات « بطرس ، أتحبني ؟ ارع غنمي » . يعد هذا السؤال تحذيراً وتنبيهاً اكثر منه توجيهاً . فالمسيح لايثبت بطرس بل يحذره لكي لايفرق بين المسيحيين . ولما كان بطرس زعيم اليهودية ـــ المسيحية فإن المسيح يحذره من مغبة عقيدته هذه التي ستجعل منه مناوئاً للمسيحيين الأمم ، وبالتالي يأتيه التحذير من أجل العدالة والمساواة بين جميع المؤمنين وعدم تفضيل فئة على فئة .

١١ ـــ يقول المسيح للتلاميذ في مرقس ١٠:٤٢ ـــ ٤٥ : « ...انتم تعلمون ان الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وان عظماءهم يتسلطون عليهم ٤٣ فلا

يكون هكذا فيكم . بل من أراد ان يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً . ومن أراد ان يصير فيكم اولاً يكون للجميع عبداً . لأن ابن الانسان ايضاً لم يأت ليُخدم بل ليخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » .

الفصل الثالث

الذهاب الى مصر والمشارق والمغارب

هناك اعتقاد سائد عند كثيرين من المسيحيين ، وهو اعتقاد أصبح راسخاً في لاهوتهم ، ان المسيح قد أتى ليخلصهم وحدهم . وبهذا يعتقدون بأنهم يحتكرون الخلاص لأنفسهم . ويجزم هؤلاء المسيحيون ان الشعوب الأخرى ما زالت في طور الوثنية . فالبوذية والهندوسية والزردشتية واللاوتسية والكونفوشية وديانات مصر واليونان والمكسيك القديمة الخ ليست ديانات في نظرهم . وليس هذا الاعتقاد في نظري الا تعصبا وسوء فهم لمعنى الدين .

واذا كان المسيحيون يعتقدون بأنهم يخلصون بالمسيح — وهذا اعتقاد صحيح لمن يحقق المسيح الكوني في تجربة روحية — فإنه يتوجب عليَّ ان أسأل هذا السؤال : هل ان المسيح اتى ليخلص اليهود أم الأمم ؟ والاجابة تكون بأنه قد أتى ليخلص اليهود والأمم . ولكن الاناجيل ، كانجيل

متى مثلاً ، يقر بأن المسيح قد جاء الى خراف بني اسرائيل الضالة[1] . وهذا قرار يصدر عن المسيح ذاته . فكيف يكون قد اتى الى الامم ايضا ؟ فهل ينطبق على الأمم ما قاله المسيح ان خبز البنين لايلقى للكلاب ؟ وما أجابت به المرأة الكنعانية بان الكلاب تستحق الفتات الذي يلقى به من طاولة البنين[2] ؟

ان اليهود يخلصون بتعاليم المسيح فكيف يخلص المسيحيون ؟ ولو فرضنا ان اليهود قبلوا تعاليم المسيح ورسالته ، فهل ان الخلاص يشملنا ايضا ؟ وهل كنا خالصين بدون المسيح ؟ ام ان طريقة الخلاص الوحيدة هي المسيح ؟

هذا هو انطلاق المسيحيين في فهم الأمور . انهم يخطئون فهم معنى اليهودية ومغزاها وحقيقتها . فالمسيح لايخلص من يسمى باسمه بل يخلص من يحققه حتى ولو لم يُسَمَّ باسمه . المسيح يحيا في من يحققه . وهكذا يكون المسيح مخلصاً لمن يحمل صليبه ويحقق تعاليمه وطريقته الروحية . لقد كانت طريقة المسيح الروحية راقية جداً تهدف الى تحقيق الله . وعلم المسيح هذه الطريقة لمن يريد الخلاص اي لمن يريد ان يحقق الألوهية اي الروحانية والكمال . لهذا لايكون المسيحي مسيحياً ولا يخلص بالاسم او بالمعمودية الحرفية او بالقربان الحرفي ، لكنه يخلص عندما يحقق حياة المسيح ، اي المسيح الكوني ، اي طريقة الخلاص التي علمها .

وهكذا نسأل مايلي : هل يخلص غيرنا من الناس ام انهم لايخلصون ؟ وهل توجد لديهم طريقة خلاص كطريقة المسيح او شبيهة بها او ادنى منها ام انهم حرموا منها ؟ وهل ان الله افتقدهم مثلما افتقدنا ام

تركهم وأهملهم ؟ وهل اننا لوحدنا ابناء الله ام ان الأمم وجميع البشر هم أبناء الله ايضاً ؟ وهل يهتم الاله بأناس ويترك آخرين ويهملهم ؟ ولماذا يفضل الله اناسا على اخرين ؟ وهل ان الله لم يفتقد الامم الا من خلال اليهود ؟

ان كان الله يفضل اناساً على اخرين فهو يهودي . فاليهودية شريعة تعتقد بأن الله يخصها وحدها فقط ، كما تعتقد بأنها أفضل الشعوب قاطبة وأنها شعب الله المختار . ويؤسفني ان اقول ان المسيحية التقليدية قد انضمت الى هذه الشريعة . كما اعتقد بان المسيحية الحقة براء من هذا الاعتقاد .

والسؤال هو : هل وجد عند الناس الاخرين وسيلة خلاص ؟ ولكي نجيب على هذا فاننا نسأل : ماهي وسيلة الخلاص ؟

العلة الأولى التي تجعل المسيحية التقليدية تنكر الخلاص على غيرها من الأمم هي أنها أخذت تعصبها من اليهودية وذلك بفعل اليهودية ــ المسيحية . فالمسيح قد أتى لينقذ اليهود من خطاياهم ومن عبادتهم لاجناد الشر السماوية . والعلة الثانية التي تدفعهم في هذا الطريق هي انهم لايفهمون روحانية المسيحية ولا يدركون عمق تجربتها الروحية . ولو فهم المسيحيون التجربة الروحية لوجدوا عند غيرهم من الأمم وسيلة خلاص كبرى .

لهذا نقول ان وسيلة الخلاص هي التجربة الروحية . ولما كانت هذه التجربة هي الطريق الوحيد لانتزاع الانسان نفسه من ظلمة المادة الى نور الروح ، من عبودية الخطيئة الى حرية الله ، فان شعوباً اخرى تخلص لأنها

تدرك التجربة الروحية وتطبقها . وفي دراساتي وجدت ان الامم غير المسيحية ــ كالذين يدينون بالهندوسية والبوذية والكونفوشية واللاوتسية واتباع الطرق الايزوتيرية السرية كالفيثاغورية والثيوزوفية هم اقرب الى الخلاص من المسيحيين التقليديين الذي عادوا الى الحرف وتركوا الروح . ويعتبر خلاص اولئك قائما على تجربتهم الروحية .

وكذلك تعتبر وسيلة خلاصهم ما تتضمنه كتبهم من مبادىء اخلاقية وروحية . فمن خلال مبادئهم الأخلاقية يحققون درجات عليا من الحياة الفاضلة . ان دياناتهم تعلمهم تحقيق الفضيلة وعيشها . واني أقول بأن ماتتضمنه دياناتهم من مبادىء أخلاقية تسمو بكثير على ماجاء في التوراة .فمن الصعوبة بمكان ان نقارن بين التوراة وبيت شريعة مانو اذ نجد ان الأخيرة تسمو وتتسامى على الاولى ، ذلك لان كونفوشيوس كان انسانا فاضلاً ، حقق فضيلة العيش ووصل بها الى درجات عليا من حياة الروح . ويصعب ايضا ان نقارن بين كتابات التوراة وبين اخلاقية سقراط او فيثاغورس والرواقية وذلك لما نجد عند الأخيرين من بذور التقوى والروح والفضيلة والمعرفة والحكمة . فالتوراة بالية الى حد بعيد ويمكن الاستغناء عنها دون اي مساس بقواعد الاخلاق والروح في المسيحية .

وأما من حيث المبادىء الروحية فان تلك الديانات تتضمن التجربة الروحية التي قام بها المسيح وعلمها لاتباعه العظماء . وعندما أقارن بولس ويوحنا بأحد حكماء الهندوس وأنبيائهم ، مثل راماكرشنا ، فانني لا أجد فرقاً بينهم . فكل واحد منهم سما في عالم الأخلاق والفضيلة ، وكل واحد

منهم حقق التجربة الروحية خير تحقيق . وكل واحد منهم حقق التجربة الروحية خير تحقيق . وكل واحد منهم كان صاحب رؤيا .

وقد امتاز اتباع تلك الديانات على المسيحيين التقليديين . فقد استمر هؤلاء في تجربتهم الأخلاقية والروحية بينما توقف المسيحيون التقليديون عنها او قل بينهم من يقومون بها . ونحن نجد اليوم عمالقة التجربة الروحية عند غير المسيحيين ، يصلون الى درجات عليا من الادراك للوجود والكون .

وها نحن نسأل السؤال التالي : ماذا كان موقف المسيح من الأمم الاخرى ؟ وكيف تفاعل الفكر الامي مع الرسالة المسيحية ؟ ولهذا السؤال جواب . وينحصر الجواب عليه بحادثة المجوس الحكماء وبأقوال المسيح نفسه في هذا الصدد(٣) .

تحدثنا الاناجيل ان مجوسا من الشرق جاؤوا الى اورشليم يسألون عن مكان ولادة ملك اليهود لأنهم رأوا نجمه في المشرق وقد اتوا ليسجدوا له . وتحدثنا الاناجيل ايضا ان المجوس خروا وسجدوا . ونحن ، عندما نحاول ان نفهم هذه الرواية ، نطرح الاسئلة التالية : من هم المجوس ؟ وماهي ديانتهم ؟ وكيف رأوا النجم ؟ ولماذا اتوا الى اورشليم ؟

المجوس حكماء من الشرق يختلف التاريخ في تحديد موطنهم الاصلي . وكما اعتقد شخصياً بأنهم اتباع معلمهم زرادشت . وأما اعتقادي هذا فإنه يقوم على دراسة تذكر انه كان لزرادشت علاقة بعالم الوحي والروح . ولهذا نعلم ان اتباع زرادشت استطاعوا ان يعرفوا موعد ولادة

المسيح عن طريق الروح[٤] . ويعتقد بعض المسيحيين ان المجوس علموا بولادة المسيح عن طريق التنجيم . فهل ان التنجيم علم روحي ؟ وهل يقوم على قواعد علمية ؟ أليس التنجيم طريقة روحية لمعرفة مايحدث في الأعالي ؟ وان كانت طريقة لمعرفة مايحدث في الأعالي فإنه تنبؤ . وكيف يستطيع المجوس ان يتنبأوا ؟ لقد استطاعوا عن طريق التجربة الروحية .

لهذا نقول ان النبوة هي تجربة روحية تصل الى معرفة الأعالي . ولما كان المجوس قد علموا بمجيء المسيح فإنهم علموا ، بتنبؤاتهم ، ماكان يحدث في العالم العلوي الذي كانوا يعرفون اسراره . ولهذا فان هذه الحادثة تدلنا على ان المجوس كانوا يعرفون باسرار العالم العلوي ، اي ملكوت الله .

ولكن ماهو الرمز في مجيء المجوس الى بيت لحم ؟ يشير مجيئهم الى تقاعس اليهود عن معرفة زمن ولادة المسيح . فلم يستطع اسرائيلي واحد ان يعرف مكان الولادة وزمانها . ولهذا يعتبر مجيء المجوس الى اورشليم إهانة لليهود الذين كانوا ينتظرون ملكهم ونصراً لروحانية الشرق[٥] . وهذا ما يدلنا على افلاس اليهود الذين كانوا يتعلقون بالحرف لا بالروح وعلى عدم وجود تجربة روحية لديهم . وعلى هذا الأساس يكون مجيء المجوس دلالة على حدث سماوي عظيم وعلى وجود شعب روحاني له علاقة بالأعالي ، هذه العلاقة التي حرم منها الشعب اليهودي بسبب حرفيتهم .

ويؤسفني كثيرا ان اعلم أن المسيحية التقليدية تتهم المجوس بالوثنية . فكيف يكون وثنياً من يستطيع ان يعرف اسرار السماء والأعالي ؟ وكيف يكون وثنيا من يستطيع ان يدخل الى محراب الروح اكثر بكثير من الشعب الذي يدعي بأنه شعب الله المختار ؟ وكيف ننكر على

المجوس روحانيتهم ونحن مازلنا متخلفين في حقل التجربة الروحية ؟ ولذلك فان ماندعوه وثنية هو بالحقيقة دين ، هو دين التجربة الروحية . وليس هناك دين غير التجربة الروحية .

ويشير مجيء المجوس الى توحيد معرفة الشرق في شخصية المسيح . وهذا مانراه في شكلين : اولاً ، لقد اعتاد حكماء اليهود ، كموسى وابراهيم وابناء اسحق ، ان يذهبوا الى بلاد الآباء ، أي الى مابين النهرين . انهم كانوا يمضون الى هناك لكي يتعلموا اصول الدين وذلك لأن الديانة اليهودية هي ديانة أهل ميديا ومابين النهرين . فليس لليهود اصالة في عالم التاريخ والدين . فها هو موسى يمضي الى الشرق ويصعب تحديد هذا الشرق ــ وكما أعتقد بأنه بلاد ميديا او بلاد الكلدان ــ ليتعلم سرية التعاليم الشرقية بعد ان كان قد تعلم اسرار الحكمة المصرية . وليس مايقوله المسيحيون التقليديون واليهود بأنه لم يعرف الاله الحقيقي الا في جبل سيناء الا سوء فهم للطرق السرية ورمزية جبل سيناء . فجبل سيناء يشير كجبل صهيون وجبل الاولمب الى تجسد الاله او الى مسكنه .

اما المسيح فانه يظل في بلاده ويرفض الهجرة عنها . ويدل هذا على اكتمال شخصية المسيح في العالمين ، العلوي والسفلي . فهو لايمضي الى الشرق كموسى او كاسحق ، بل ان الشرق يأتي اليه . فهو حادثة فذة نادرة في عالم الروح ، وهو طريقة عليا في عالم الحق . فالمسيح لايحتاج لأن يمضي الى اي مكان وذلك لانه ملء الزمان والمكان . اما الاخرون فانهم في حاجة ماسة لاقتباس المعرفة عن غيرهم . ولما كان المسيح مكتملا فانه

يجذب الشرق اليه . ولما كان موسى وجماعته غير مكتملين فان الشرق يجذبهم .

ولهذا يشير مجيء المجوس الى اكتمال الشرق ورؤيا الحقيقة في شخص المسيح ، وتشير الاناجيل الى مجيئهم بأنه عودة للماضي ، ولكنها عودة يتبدل فيها الاتجاه . ففي الماضي كان بنو اسرائيل يحتاجون للمعرفة فيذهبون الى الشرق ، والان يرى الشرق النور فيأتي . وتشير الاناجيل الى أهمية هذا المجيء . فهو دليل على روحانية الشرق وعلى تفوقه في علم الروح . وعلى هذا الأساس يشير المسيح الى حقيقة ناصعة وهي ان كثيرين سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماء[٦] .

ومن هذا القول يظهر ان للامم الاخرى طريقة خلاص . فليس اليهود وحدهم يخلصون — وعلى العكس هم خطاة — وليسوا شعب الله المختار — وعلى العكس ليسوا من خراف المسيح . وليس الملكوت ملكهم الخاص . فهناك ، حسب رأي المسيح ، اناس قد وصلوا الى مراتب عليا في عالم الدين يحققون الملكوت ويرثونه . فمن المشارق يأتي اناس روحانيون يعرفون الكثير عن احداث العالم العلوي ، ولهؤلاء يكون ملكوت السماء . وكما يبدو ان ملكوت السماء يغتبط لكل من يقوم بتجربة روحية ، من الشرق كان ام من الغرب .

وكما أعتقد ان لهذه الرواية عبرة هامة وحكمة كبرى للمسيحية التقليدية . فكما يقول المسيح نفسه ان اناسا كثيرين سيرثون الملكوت . وكيف يرث هؤلاء الملكوت وهم مجردون من الناموس؟ انهم يرثون الملكوت

لانهم بدون ناموس ـــ الناموس لايقود الى الخلاص . ألم تكن غاية المسيح هي تهديم الناموس ؟ ولهذا فقد كان هؤلا يعتمدون على ناموس الله فيهم . ولما حققوا ذلك الناموس ، حققوا الدين وورثوا الملكوت . ولهذا كان المسيح يوبخ اليهود ، وبالتالي المسيحيين التقليديين ، لتعصبهم ولسوء فهمهم لعالم الروح .

ان حادثة مجيء المجوس لاتقل أهمية عن الذهاب الى مصر . وكما يخبرنا الانجيل ان ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم قائلا له ان يأخذ الصبي وأمه ويهرب الى مصر ويكون هناك حتى يقول له . وظل يوسف وزوجته مريم والطفل هنالك حتى وفاة هيرودس وذلك لكي يتم ماقيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني[٧] .

وفي هذه الحادثة سر عجيب . لمَ لم يقل الملاك ليوسف ان ياخذ الصبي الى مكان اخر غير مصر ؟ ألم يكن باستطاعة يوسف ان ياخذه الى مكان اخر يضاهيه ضمانة للطفل ؟ لكننا نقول ان ملاك الرب تكلم . ولماذا نصح ملاك الرب بمصر ؟

لما كان مجيء المجوس عودة الى الماضي مع تبدل في الاتجاه ، الى مركزية المسيح ، هكذا كان الذهاب الى مصر والعودة منها الى الماضي ، مع تبدل المغزى الروحي . لقد ذهب المسيح صغيرا الى مصر وعاد صغيرا . فهو لم يقتبس اي شيء من حكمة المصريين كما فعل موسى . ولهذا كانت عودة المسيح الى بلاده تختلف تمام الاختلاف عن عودة موسى مع شعبه . ففي عودة موسى توجد الحكمة المصرية والحكمة الشرقية تقودان موسى وتعملان فيه . وفي عودة المسيح توجد الحكمة الالهية التي

اعلنها الشرق بمجيئه للسؤال عن الملك الروحي والتي اعلنتها حكمة الغرب التي تجاوزها المسيح .

ان ذهاب المسيح الى مصر يختلف عن ذهاب اليهود اليها . فهو لم يمض لأي سبب أخر سوى الاضطهاد . وعودة المسيح تختلف عن عودة اليهود . فهو لم يخضع لتجربة الاربعين سنة ، اي المتاهة التي قضاها موسى في البرية يبحث عن الله . فالمسيح اذاً أرفع وأسمى من ان يخضع لتيار الشرق والغرب وذلك لأنه مكتمل في الشرق والغرب ، في الشمال والجنوب وفي الاعالي ايضا ــ تيار الشرق والغرب دليل على عدم أصالة اليهود الروحية . وهكذا نستطيع ان نلخص الحادثتين بأنهما عودة الى الماضي مع تبدل المغزى الروحي . فبينما يخضع اليهود في عودتهم من الغرب او من الشرق لحكمة الشرق والغرب فان المسيح يمثل حكمة الله التي تقرها حكمة الشرق والغرب . ولهذا تكون عودة المسيح اقرارا بخلاص الامم الذين يحققون التجربة الروحية .

٢

وفي نداء المسيح ان الاولين يكونون آخرين والآخرون يكونون اولين دعوة صريحة الى الاعتراف بالغير . فالاخرون هم الأمم الذين يتكئون في الملكوت مع ابراهيم واسحق ويعقوب والانبياء . وكيف يتكيء هؤلاء مع الانبياء لو لم يكونوا انبياء ؟ اما هؤلاء الاخرون فيكونون اولين[٨] . وكيف يكون هؤلاء ولين لو انهم ليسوا أولين بطرقهم الروحية وتحقيق مواهبهم العميقة ؟ ومن

هذا نرى أن المسيح ينظر من خلال الروح ويقيم الامم من خلال الروحانية والتجربة الروحية ، الأمم الذين سيكونون اولين .

وعلى غير ذلك فان اليهود سيكونون خارج الملكوت . وهاهو بولس يقول « ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الاسخاط. فمن هم الذين اذ سمعوا اسخطوا . أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى ومن مقت اربعين سنة . ولمن اقسم لن يدخلوا راحته الا الذين لم يطيعوا . فنرى انهم لم يقدروا ان يدخلوا لعدم الايمان » .

في هذه الفقرة نجد أمورا على غاية من الأهمية :

١ ـــ الذين سمعوا واسخطوا هم الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى .

٢ ـــ الذين مقتهم الله اربعين سنة .

٣ ـــ الذين لن يدخلوا راحته لأنهم لم يطيعوا .

ان الذين خرجوا مع موسى وسمعوا اسخطوا فمقتهم الرب اربعين سنة . وهؤلاء انفسهم لم يدخلوا . اننا نجد في هذا سؤالين : اولا لماذا مقتهم الرب اربعين سنة ، وهي عدد ضياعهم في الصحراء ؟ وهل ان مقته لهم سيستمر حتى النهاية كما يقول بأنهم لن يدخلوا راحته؟ ثانيا، ولماذا لم يستطيعوا الدخول ، وبالحري الدخول الى ماذا ؟

لما كان رقم الاربعين مقدسا وسريا فان اليهود لم يعرفوا التجربة الروحية . وانبياؤهم كذلك لم تتحقق لديهم تجربتهم الروحية . فهاهو موسى يتيه اربعين سنة مع شعبه . ويعتبر هذا التيه في عالم الصحراء جهلا لله ولاسراره . فقد خضع موسى للتيه ذاته . وعلى الرغم من حكمة المصريين

والميديين فانه مازال يتيه في عالم الحق ولا يعرف التجربة الروحية الحقة . ولهذا فقد مقتهم الله . أما موسى فإنه استطاع في النهاية ان يدخل بروحه فيعاين . لقد عاين اخيرا بعد اربعين سنة من الضياع . ولكن موسى لم يعلم طريق الوصول لانه عرف طريقه بواسطة الحكمة المصرية والميدية . وكان اليهود شعبا متعصبا يفهمون الحرف ولهذا لم يستطع إفهامهم وهو زعيم الشريعة. وهاهو ذا دانيال وهو في العبودية ، في بلاد الآباء يصبح نبيا . وكما يبدو ان انبياء اليهود يذهبون الى الشرق والى الغرب ليتعلموا .

وعلى الرغم من هذا الذهاب فإنهم لم يحققوا الله . ماذا يتوجب عليهم ان يطيعوا ؟ ولماذا لايدخلون ؟ انهم يطيعون الشريعة والناموس لأنها ليست تجربة روحية ، اي انها لاتعلمهم التجربة الروحية والدخول الى الله . فماذا يطيعون اذاً ، انهم لايطيعون ناموس الله المكتوب في الذهن والروح والقلب . لهذا لن يدخلوا راحة الله لأنهم ينظرون الى الله بالجسد ، بالشخص ، بالمادة ، بالحرف .

أما الامم الاخرى فقد استطاعت ان تدخل راحة الله لانها أطاعت . ولقد أطاعت تلك الامم ناموس الله المكتوب في الأذهان والذي يسميه بولس بالضمير . ولما كان ناموس الله يدرك بالتجربة الروحية فانهم أطاعوه ودخلوا راحته . وليست راحة الله الا مملكته وملكوته . ولهذا لايستطيع اليهود ان يدخلوا راحة الله لان التجربة الروحية تنعدم من أعماقهم .

هكذا نرى ان المسيحية تقر بخلاص الاخرين من خلال التجربة الروحية التي تقوم على طاعة الله لكي يتم الدخول الى راحته . فهاهو ملك

مابين النهرين يرى رؤيا فيعطي لليهود حريتهم ويسمح لهم بالعودة الى بلادهم . ويعتقد اليهود والمسيحيون على السواء ان الله كان من وراء هذه الرؤيا . لكنهم يجهلون ان الرؤيا هي نتاج تجربة روحية . فقد استطاع ذلك الملك ، من خلال تجربته ، ان يعاين الحق والنور . وبأية تعاليم ؟ بتعاليم ناموس الذهن والقلب والروح ، بناموس الله والحرية فيه .

٣

في حادثة تتعلق بالمسيح يخبرنا متى عن قائد المائة الذي قال عنه المسيح بأنه لم يجد في اسرائيل ايمانا بمقدار هذا . فمن اين اتى هذا الايمان طالما انه لم يكن مسيحيا او يهوديا ؟ وكيف يقر المسيح بأنه لم يجد ايمانا يوازي ايمان هذا الرجل الذي يتعلق به أشد التعلق ؟

الان نعود الى موضوع الايمان مرة اخرى . الايمان حركة للروح وتوق لها وانجذاب . ولما كان لكل انسان روح فان لكل انسان ايماناً . فالأمم كانت تدرك بايمانها الذي أعطاه الله لجميع الناس منذ الازل . ولكن اليهود لايدركون الايمان ولا يطيعون لأنهم يعبدون الحرف ولانهم عبيد لابليس .

والمسيحية التقليدية تنكر على الاخرين الايمان . فما لم يكن ايمان الاخرين بالمسيح فانهم ليسوا شيئا . ولكن بولس ، عكس المسيحية التقليدية ، مسيحية الشريعة ، يقر بأن الايمان يعمل باتجاه الله دائما . فالايمان بالله هو ذاته الايمان بالمسيح ، والايمان بالله هو ذاته الايمان

بيوذا ، وذلك لان كل ايمان بروح حقق الله هو ايمان بالله . ولهذا ، فان الايمان بالله عن طريق روح حقق الله هو ايمان عميق وعظيم ايضا[١٠] .

وعلى هذا الاساس لايحق للمسيحية التقليدية التي ارتمت في احضان الناموس والزمنية ان تجرد الاخرين من الايمان . فالمسيحية التقليدية ضعيفة الايمان معدومته ، وذلك لأنها عادت الى الحرف والتجسيد المادي للمسيح الكوني . اننا نرى ان الايمان عملية روحية بحتة موجودة في الانسان بوجود روحه . فهي موجودة في المسيح الكوني قبل تجسده وبعد تجسده . وليست مسألة تجسده الا برهانا على كمال الله في الانسان لدى التحقيق . ومن هذا نرى ان المسيح الكوني اهم بكثير من المسيح الشخصي . وهذا المسيح هو الذي يسلم الى الامم . والمسيح الكوني هو الله . لذلك يكون للامم ايمان لايقل عن ايمان المسيحيين بل لعله يتجاوزه لانهم لايحصرونه ولا يقيدونه .

ومن هذا نرى كيف ان المسيح يتكلم عن ايمان قائد المائة بأنه ايمان خارق . ويتكلم عن ايمان المرأة الكنعانية بأنه ايمان خارق . فمن أين أتى الايمان لاولئك ؟ إنه اتى من ناموس الله فيهم . وأما اليهود فان ايمانهم معدوم وذلك لأنهم يتقيدون بالناموس المكتوب . والآن يعود المسيحيون التقليديون ، كما فعل اليهود الحرفيون قبلهم ، ليجردوا غيرهم من الايمان الذي هو هبة الله لكل روح حية منذ الازل .

ان جميع الناس الذين يحققون التجربة الروحية ــ الدخول ، الطاعة ، ملكوت الله ــ يحققون الأيمان بالله حتى ولو لم يعلنوا ايمانهم . ففي التعاليم الروحية السرية دعوة الى السرية في الايمان وفي التقوى وفي

الروحانية . انها ضد العلنية وذلك لأنها تحول دين القلب الى حرف ، والصمت الى جدل وعلم كلام ، والايمان الحقيقي الى ايمان ظاهري لاينفع . ولذلك اعترف بان أمثال هؤلاء يمتلئون بالايمان . ومن جانبي ، فقد وجدت عند كثيرين من غير المسيحيين — واقصد الشرقيين — ايمانا عمليا يقوم على فهم عميق وتطبيق عميق ، بينما لم أجد عند المسيحيين التقليديين الا احاديث عن الايمان .

٤

اين كان ابراهيم لما آمن ؟ انه كان في اور الكلدانيين . كيف آمن ابراهيم وهو هناك ؟ ولم لانقول عن ايمانه بأنه باطل وكاذب طالما انه لم يكن يهوديا او مسيحيا ؟ ولو كنا لانربط بين ايمان ابراهيم باليهودية والمسيحية لقلنا بانه لم يكن مؤمنا . ولهذا نقول بأننا نبني على ايمان ابراهيم ايمانا بالله . فاليهودية تبنى عليه والمسيحية تبنى عليه . ولكن اين آمن ابراهيم ؟ انه آمن قبل المسيح وقبل موسى . انه آمن في اور الكلدانيين . وأما انتقاله الى أرض ميعاد فلا يعني الارض المادية بل الارض الروحية ، ملكوت السماء ، أي عالم الروح والتحقيق الفعلي لله في الجسد — هذا الأمر لم يحققه موسى او ابراهيم .

والان نسأل : أين آمن زرادشت ؟ أين آمن المجوس؟أين آمن كرشنا؟ أين آمن فيفاكنندا وراماكرشنا ؟ أين آمن لاوتسي وكونفوشيوس ؟ إنهم آمنوا في بلاد مثل البلاد التي امن فيها ابراهيم . فلماذا

نعتبر ايمان ابراهيم ايمانا وبرا ولا نعتبر ايمان هؤلاء ايماناً وبراً ؟ ألأن اولئك لايرتبطون بميثولوجيتنا ومبادئنا ؟ ألأننا لانعتقد الا بالايمان الذي يتصل بنا ؟ .

كما آمن ابراهيم بالله هكذا آمن بوذا ولاوتسي وكرشنا واخناتون . ولكن المسيحية التقليدية تتنكر لايمان اولئك وتنفي الخلاص عنهم . ولكن الخلاص لاينكره الله او المسيح لمن يتقرب منه ويعمل على تحقيقه . ولهذا نرى بأن المسيحيين الافذاذ ، ذوي الرؤيا العالية الشاملة الذين يرون الانسانية كلها في بوتقة واحدة وفي حقل رؤيا واحدة ، يعملون الان على اظهار مآثر تجربة الاخرين الروحية التي تحدث المسيح عنها .

المسيحية التقليدية تفقد روحانيتها عندما تعلن عن تجريد الاخرين من الايمان او الخلاص وذلك لأن من تكون عنده رؤيا ومن يحقق التجربة الروحية يدرك بأن كل انسان يفعل فعله يؤمن ويخلص . والتجربة الروحية تحرك الروح . ويستطيع كل انسان ان يحرك روحه . وقد استطاع كثيرون ممن نسميهم بالاخرين ان يحركوا روحهم فحققوا الله ووصلوا الى الملكوت واتكأوا فيه ، ومازالت المسيحية التقليدية تتنكر لهم.

لهذا تفقد المسيحية التقليدية ايمانها لانها فقدته بالانسان . لقد قل ايمان المسيحيين . ولهذا تفشت المبادىء المادية في المسيحية ومزقتها . فلو كان ايمان المسيحية كاملا ، روحياً ويقوم على تجربة ، لما استطاع مبدأ مادي ان يغزوها او ان يسلخ عددا كبيرا منها ، ولكانت ديانة الانسانية . ولو حاولنا ان نحصي المؤمنين حقا في المسيحية لوجدنا بأن مئات الملايين يتقلصون ويخفضون الى عدد بسيط . ولهذا السبب ذاته لايحق لنا ان نجرد

غيرنا من الايمان الذي نحن بأشد الحاجة اليه ، هذا الايمان الذي اعترف به المسيح للغير والذي قال عنه بولس بأنه كان مدينا للجميع ..بولس مدين للجميع وينكر على الامم وثنيتهم .

حواشي الفصل الثالث

١ ــ هذا لان متى وجه انجيله الى الاسرائيليين واليهود .

٢ ــ إني أجد صعوبة كبرى في تصديق مارواه مرقس عن لسان المسيح . لذلك أؤمن بالعودة الى انجيل يوحنا ورسالتيه والى رسائل بولس .

٣ ــ كما تنحصر ايضا برجاء الملك أبجر ، ملك الرها ، المسيح لكي يترك الشعب اليهودي الذي يضايقه ويعذبه ولا يؤمن به ويمضي الى مملكته . هذه القصة دليل على تفاعل العقل غير اليهودي مع المسيحية اكثر من تفاعل العقل اليهودي مع المسيحية . لذلك نقول ان الأمم يحملون المسيحية الحقة ، التي هي فكرة أممية شاملة .

٤ ــ تشير الكتب السرية الروحية الى ان الانبياء والحكماء في كل أنحاء العالم يعلمون بموعد ولادة روح عظيم .

٥ ــ تلك الروحانية التي احتكرها اليهود بعد ان اقتبسوها من الشرق . ولدى ولادة المسيح ادرك روحانيو الشرق ان الوقت قد حان للعودة بهذه الروحانية الى العالم عن طريق المسيح . فاليهود الذين احتفظوا بها ، توجب عليهم إعادتها .

٦ ــ هذا دليل على ان الامم يدركون الحق اكثر من اليهود واليهود ــ المسيحيين والمسيحية التقليدية الزمنية . فالمجوس يمثلون الشرق ومصر تمثل الغرب .

٧ ــ ولم يقل من مصر دعوت شعبي .

٨ ــ ان التقليل من شأن الامم تقليل من شأن المسيحيين ودعامة كبرى لليهودية ــ المنسيحية او اليهودية التي تجرد الأمم من حكمتهم .

٩ ــ ليست راحة الله الا بمملكته الروحية .

١٠ ــ لام المسيح تلاميذه إذ حاولوا منع انسان يصنع المعجزات باسمه وليس هو من تلاميذه .

الفصل الرابع

ايليا ويوحنا المعمدان
أو
العودة

لما كانت دراستنا تعتمد على التأويل الروحي للأحداث والأقوال فإننا مضطرون لأن نطرح موضوعنا هذا على بساط البحث . فمن الناحية الروحية يفضل عدم الخوض في بحوث من هذا النوع . ولكن اضطرارنا ينتج عن علة أصيلة وهي : ابعاد الغموض ـــ او ربما تقريبه ـــ عن الموضوع بقدر المستطاع او محاولة طرح الموضوع في طريق الدراسة والبحث . وكما رأينا ، فإن الديانة تمتلىء بالرموز السرية الروحية . لهذا فهي تنقسم الى قسمين : تلك التي تكون فوق الناموس ، في عالم الروح ، وتلك التي تكون في الناموس ، في عالم الطقوس . ولما كانت دراستنا بعيدة كل البعد عن عالم الطقس ، لذا يتوجب علينا ان نخوض في هذا البحث في حدوده الدنيا

في بحثنا لهذا الموضوع علينا طرح السؤال التالي : ماهي غاية الانسان في هذه الحياة ؟ أما الجواب عليه فانه يكون في ما تورده الكتب السرية الروحية التي تقول ان غاية الانسان هي ان يحقق الكمال . وينتج عن سؤالنا هذا سؤال اخر : واذا لم يحقق الانسان الكمال في دورة حياة واحدة ، اي اثناء حياته ، فماذا تكون حصيلة حياته ؟ هل سيقضي وجوده كله حتى الأبدية والى ما لا نهاية الوجود في الجحيم ؟ وهل ان عدالة الله تقضي بأن تكون حياة الخاطىء كلها في الجحيم الى ما لا نهاية[1] ؟ وما الجحيم ؟ أليس هو البعد عن الله ؟ فان كان الجحيم بعداً عن الله فانما الحياة المادية هي أكثر بعدا عنه . نعم . ان حياة المادة بعد عن الله وغربة عنه والتصاق بالشيطان ، رمز الجحيم . فكيف تحل القضية ؟

من جهة ، نجد انه يستحيل ان يكون وجود الخاطىء مرتبطا بوجود جهنم الى ما لا نهاية او ان تقضي عدالة الله بهذا الامر ، ومن جهة ثانية ، نجد ان وجود الانسان في عالم المادة بعد كبير عن الله . فالمادة التي هي اكبر تكثيف للروح ، بحيث ان الروحانية تكاد ان تنعدم منها والنور يكاد ان ينقلب الى ظلام ، هي بعد عن الله وألم للانسان وغربة للروح . فالوجود المادي ألم ومن الضرورة تجنبه .

يشدد بوذا على ضرورة تجنب الوجود المادي لأن الألم ينشأ عنه . فالألم نتاج الوجود ، ويتأتى عن التعلق بأمور الدنيا . ولا يزول الالم الا بزوال التعلق . وزوال التعلق ، اي زوال الألم ، يعني الوصول الى حالة الغبطة . وحالة الغبطة تعني تحقيق الروحانية اي زوال الثنائية . ومتى تحققت

الروحانية فان امكانية تجنب الوجود المادي تصبح سهلة ولن يعود الانسان الى الوجود المادي مرة اخرى ، فتكون النهاية ، اي المنتهى .

ان بوذا يعتقد بأن على الانسان ان يحقق وجوده اي ان يحقق الكمال وهو على هذه الأرض لكي يتجنب العودة الى المادة مرة اخرى . ولهذا فان العودة ألم وغربة وعلى الانسان ان يتجنبها .. اذا لم يكتمل الانسان في هذه الدنيا فانه سيعود مرة ثانية وثالثة الخ حتى يحقق الكمال ، اي الله ، اي الزمان ، ملء الزمان اي الحالة الروحية العليا التي تشير الى تحقيق ملكوت الله في الانسان . ولقد عبر بوذا عن حالة النرفانا هذه بالغبطة الروحية التي يصبح فيها الانسان روحا وينعدم الالم واللذة . وقال ان نهاية من يحقق الروح هي الالوهية ، الفناء ، اي عندما تحقق الروح الصغرى ، روح الانسان ، الروح العليا ، روح الله وتصبح اياها . وليست نرفانا بوذا الا صعودا وارتفاعا بجسده الذي تروحن . فبوذا قد صعد وارتفع بعد ان حقق الألوهية . ولقد سمي بوذا بالمستنير لانه وصل الى النور الكامل وحققه . فقد انتصر بوذا ، في تجربته ، على مملكة الشيطان وحقق مملكة الله وهو مازال على الارض .

والآن نتحول الى المسيحية لنرى ان كان هناك فيها ما يقابل البوذية . لقد شدد المسيح على ان يطلب الناس الكمال ليكونوا كاملين كأبيهم الذي في السماء . ويشدد المسيح على مجي الملكوت وعلى تحقيق مشيئة الله على الارض وفي السماء . وبعد ان حقق المسيح الكمال ، الله ، قام من الموت وصعد الى السماء .

نستنتج انه لاتتم قيامة للجسد من الموت ـــ وهذا انتصار على

الموت ــ ولاتتحقق النرفانا مالم يكن الانسان قد وصل الى درجات عليا في علم الروح .. الى اعلى درجة يتحقق فيها الاله في السماء وفي الانسان وعلى الأرض . والحقيقة ان تاريخ العلم الروحي يظهر لنا بان من تسنموا هذه الدرجة قليلون جدا .

ونحن نجد في المسيحية كلمات توازي معناها في البوذية . فالمنتهي والقيامة ونهاية الدهور وغلبة الموت كلمات شائعة في المسيحية . ولكن هذه الكلمات تخضع لتفسيرات مادية . فالمنتهى هو نهاية الانسان على الارض ، اي قيام الجسد وروحه بحيث يصبح الوجود المادي والروحي واحدا كما هو في الله ذاته . وتعبر المسيحية عن هذه الحالة بوحدانية الانسان مع الله بعد ان يتم الالتصاق به ، وبوحدانية الايمان وبأن الابن يصبح اخيرا الكل في الكل .

ففي المسيحية بذور عودة لا فلسفة عودة . وتخبرنا الكتب الروحية السرية ان العلماء الروحانيين الذين نسميهم انبياء ــ ان كانوا معروفين او مجهولين ــ يفضلون عدم الخوض في موضوعات من هذا النوع . وكما نلاحظ ان الكتب الدينية تميل الى السرية بشكل ظاهر وواضح . ولهذا فقد شددنا على ضرورة التجربة الروحية لكي يتم فهم الأسرار التي لاتفهم بدونها . ولهذا نرى ان المسيحية لم تبحث في فلسفة العودة بل لمحت اليها من بعيد جدا .

وكما قلت في بداية الحديث بأنني كنت افضل تجنب التحدث في هذا الموضوع . ولكنني اضطررت اليه بعد ان وجدت في الأناجيل اقوالا جعلتني اطيل النظر فيها . وكنت ، قبل قراءة هذه الاقوال وبعد دراسة

فلسفة الشرق من بوذية وهندوسية ، أميل الى فكرة العودة ضمن الحدين التاليين : اولا : امكانية العودة الى الحياة المادية في حال عدم اتمام الانسان لدورته الحياتية ، واعني ان من يموت وهو في شرخ الصبا او في حداثته فلابد وان يعود لانه لم يكمل دورة حياته . فمن المفروض ان يكمل الانسان دورة حياته في مراحلها الاربع : الطفولة ، الشباب ، الرجولة ، والكهولة . ثانيا : امكانية العودة في حال قضاء إرادة إلهية بذلك ، واعني ان الله يستطيع ان يرسل روحا الى الوجود لكي تقوم بواجب سماوي . وعلى هذا الأساس تأتي تلك الروح الى الوجود المادي لكي تؤدي رسالتها التي انيطت بها بالطريقة التي ارادها الله . وفي الانجيل اشارة الى هذا بأنه لم تأت نبوة او رسالة الا من فوق . وقد سبق وشرحنا هذه العبارة . فهي لاتشير الى الفوق بقدر ماتشير الى تحقيق الفوق حتى يأتي الفوق . فالفوق لايأتي مالم يتحقق .

هكذا فكرت في أمر العودة سابقا . لكن دراستي لكتاب Pistis Sophia جعلتني أعود بفكري الى هذا الموضوع مرة اخرى . وحتى هذا الحد مازلت غير متيقن من بحثي هذا وذلك لأن المسألة كلها امكان . وقد تبين لي في دراستي لبعض ماجاء في الاناجيل التي لم تدون بأن مسألة العودة قائمة . لكن اعتقادي ظل ثابتا على الحالتين الاوليتين : العودة في حالة الموت المبكر اي حالة عدم اتمام دورة الحياة والعودة في حال قضاء الله وارادته . ولكن هذه الكتب ، بالاضافة الى دراساتي في البوذية والهندوسية ، ساعدت على بعث الفكرة من جديد فيَّ .

ففي المسيحية نجد تأكيدا للعودة في حال قضاء الله وارادته .

وتتمثل هذه العودة بمجيء يوحنا المعمدان بروح ايليا . فالانجيل يصر على ان يوحنا يتقدم امام المسيح بروح ايليا وقدرته . ويقر ايضا بان ايليا قد جاء وعملوا به كل ما ارادوا ، وسيعملون بالمسيح كل مايريدون . ولكنني وجدت امرا اكثر عمقاً من هذا في الاناجيل . فقد جذبتني الكلمات التالية وأعملت تفكيري فيها لأنها تتحمل فكرة عودة اكثر من حالة قضاء الله وارادته فقط . فهناك في الاناجيل نقرأ مايلي : « وان اردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع ان يأتي ، ويرد الكثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلههم » : « يقول الكتبة والفريسيون ان ايليا ينبغي ان يأتي اولاً ، فايليا قد جاء ورد كل شيء ولم يعرفوه وعملوا به كل ما ارادوا ، لقد أتى ايليا وعملوا به كل ما أرادوا ، كما هو مكتوب » .

عندما نفكر بما جاء في هذه السطور نستنتج مايلي : اولا ، كان يوحنا المعمدان ايليا بالروح . ثانيا : يوحنا المعمدان رد كل شيء . ثالثا : كان هناك اعتقاد سائد بين اليهود ان ايليا سيعود . رابعاً : كتب عن ايليا بأنه سيعود .

والان نسأل : لماذا يعود ايليا ؟ ألإتمام رسالة ؟ اذاً لقد كان ايليا من عظماء الاوراح . ولكن لماذا يعود ؟ ألا يستطيع الله ان يرسل روحا غير ايليا ، روحا جديدا لم يتجسد بعد ، الى الوجود لكي يقوم بالرسالة ذاتها ويجهزها بطاقة كبرى ؟ لهذا يبدو ان للمجيء قاعدة . فما هي قاعدة المجيء ؟ ان ايليا قد وصل الى درجة كبرى من الروحانية ولكنه لم يكمل روحانيته بحيث انه يمثل الله بارادة كبرى . فعاد الى الوجود لكي يحقق تلك الطاقة الكبرى . ولهذا نرى بأن يوحنا المعمدان قد امتلأ بالروح

القدس منذ طفولته : حُبل به بالروح القدس . كانت أمه مسنة وعاقراً لايخضع جسدها لشهوة مادية وظهر ملاك الرب على ابيه زكريا يخبره بالحدث . فاندهش زكريا وظل صامتا حتى الولادة وحتى تسميته بيوحنا . وكما يظهر ان يوحنا قد اتى بروح ايليا . فهو اذاً ايليا . وعندما نمعن النظر في لباس يوحنا نجده شبيهاً بلباس ايليا . وان مايهمنا في هذا الصدد هو ان ايليا قد عاد .

والآن ننتقل الى المسيح[٢] .

كان المسيح لايفتأ يسأل تلاميذه : من يقول الناس بأني أنا . وكان البعض يجيبون بأنه المسيح ابن الله . وعندما نحلل سؤال المسيح لتلاميذه فاننا نستنتج مايلي : اولا : كان هناك اعتقاد سائد عند اليهود بأن الانبياء يعودون . ثانيا : كان النبي ، المسيح نبي الله ، يسأل عمن يعتقد الناس في من يكون . فلم وجد هذا الاعتقاد ؟ وكيف وجد ؟ ولماذا كتب ؟

في حالة يوحنا يقول الكتاب ان مجيئه قد كتب عنه . فقد كتب عن مجيئه وعن عمله في رد الكثيرين الى الله . ولهذا فقد رد يوحنا كثيرين من اليهود الى الله لأنهم ماكانوا يعبدون الله ويتبعونه . وفي حالة المسيح نجد المسيح ذاته يسأل ماذا يقول الناس عنه . وكما يبدو ان فكرة العودة كانت منتشرة بين اليهود . ولكن انتشارها كان منحصرا بعودة الانبياء فقط . ولا ندري ان كان الاعتقاد يتعدى الى موضوع عودة الكل . وبالاضافة الى هذا كله فاننا نجد في الأناجيل مايلي : سمع هيرودوس خبر يسوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات تعمل فيه القوات .

اننا نقف الان امام معضلتين : الاولى : هي الاعتقاد بأن المسيح

هو يوحنا . الثانية : هي يوحنا الذي قام من الاموات . وفي هذا القول مايثير النفس بالفكر والدهشة . قيامة يوحنا من الأموات ، والمسيح هو يوحنا المعمدان الذي قام من الاموات ، وبه تعمل القوات . فان كنا لانجد عودة في هذا القول فإننا على الأقل نجد حلول روح في روح . حلول روح يوحنا المعمدان الذي قام من الاموات في روح المسيح الذي يعمل الاعمال التي لايمكن ان يعملها الا من قام من الاموات . ونستنتج ايضا ان يوحنا قد قام من الاموات . ولهذا أعود واقول ان القيامة هي وصول الروح الى نهاية طريقها الروحي اي المنتهى ، وأعني ان القيامة هي تحقيق الروح الانسانية لروح الله تعالى .

ان القيامة من الاموات اشارة الى العودة . فالمجيء من الأموات رمز الى موت سابق والى عودة . فكيف يقوم الانسان من الأموات ؟ كما يبدو انه كان ميتاً ، اي انه كان في عالم الاموات ، فقام وعاد . ولهذا تدعونا هذه الفكرة الى ان القيامة من الاموات تشير الى مجيء من عالم الموت .

وهناك في الاناجيل مايجعلنا نعيد النظر مرة اخرى في مفهوم العودة . ففي متى نجد المسيح يقول للتلاميذ ويوصيهم بأن لايحدثوا احدا بما ابصروا (سر التجلي) الا متى قام ابن الله من الأموات . فحفظوا الكلمة لأنفسهم يتساءلون ماهو القيام من الأموات . فسألوه قائلين لماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغي ان يأتي اولاً ... الخ .

وهنا نجد امرين هامين : اولا : القيام من الأموات . ثانياً : الربط بين القيام من الاموات وعبارة « بكر من الاموات » ومجيء ايليا . ومما لاشك فيه ان المسألة تداع وترابط .

لماذا لايخبر التلاميذ شيئا عن المسيح الا بعد ان يقوم من الأموات ؟ أليس لانه في قيامته من الأموات يكون قد حقق الالوهية ؟ نعم . ان القيامة من الأموات تعني تحقيق الالوهية . وتعني المنتهى . والان نسأل ؟ هل يقوم كل انسان من الأموات ؟ وهنا تبدو المسألة على غاية من الصعوبة . ولهذا لايدركها المسيحيون او انها تبدو امامهم صعبة للغاية . متى تكون قيامة الانسان من الأموات ؟

لقد رأينا قيامة يوحنا المعمدان والمسيح وبوذا وايليا من الأموات . فمتى يقوم الناس من الاموات ؟ وقبل الاجابة على موضوع قيامة الناس يجدر بنا ان نبحث في موضوع القيامة من وجهتين : اولا . لدى التحليل نجد ان القيامة من الاموات هي عودة روح عظيمة تعود الى الوجود المادي من عالم الأموات ، أي أنها تأتي من عالم الأموات لتتجسد في انسان حي . ثانياً . نجد ان القيامة من الأموات هي المنتهى . ففي الحالة الاولى تشير الى عودة روح من الاموات وفي الحالة الثانية تشير الى انتهاء دور الروح في هذا العالم .

والان ، عندما ننتقل الى الناس أجمعين ، نجد مايلي : انه يتوجب علينا ان نطبق مايحدث مع الانبياء على الناس وذلك لكي تكون رسالة الانبياء للناس أجمعين وليس لانفسهم . انهم قد اتوا برسالة للناس ولهذا فإنهم يسيرون وفقها . ان ولادة انسان تعني مجيء روح الى الحياة المادية . وموت انسان يعني عودة روح الى الحياة الروحية . ولكن الروح التي تعود يمكن ان لاتعود طاهرة الى عالم طاهر كما جاءت . فماذا يحل بها ؟ هل ستكون طعمة للنار الى ما لا نهاية ؟ فإن كان الانبياء يعودون من

الاموات ، اي يقومون من الاموات ، فمن المعقول ان يقوم الناس من الاموات ايضا . واذا لم يقوموا من الاموات ليقوموا مرة اخرى من الموت فإنهم لايعرفون المنتهى ولا تكون هناك نهاية لحياتهم . ومتى يكون المنتهى اي القيامة بالنسبة لهم ؟ هل تكون في آخر الأزمنة ؟ ومتى تكون الازمنة ونهايتها ؟ لا أحد يعلم لان المسيح أقر بأنه لايمكن معرفتها .

هكذا نرى بأن الموضوع يطرح على بساط البحث فقط . ونحن تريد ان نتجاوز هذا الحد في البحث لاننا لم نتجاوزه في تفكيرنا . وكل ماهدفنا اليه هو ان نثير الموضوع فقط حتى لايظل الغموض يكتنفه . لكن كتاب **Pistis Sophia** يشير الى قول للمسيح لمْ يدون في الاناجيل الاربعة وهو ان الانسان الذي لايكمل وجوده لابد من ان يعود حتى يتم المنتهى ، اي النهاية . لذلك قلنا ان المنتهى او النهاية والقيامة يعنيان نهاية دورة او دورات الانسان على هذه الأرض . وليس كتاب **Pistis Sophia** الا حديثا بين المسيح وتلاميذه على الجبل يقص عليهم ما رأى ووجد وفعل حين اجتاز السموات في تجليه . ففي تجليه خضع له العالم وغلبه ولم يعد جسدا او روحا بل إلهاً . وهكذا فقد حدثت قيامته . ولذلك يشدد على عدم اخبار الاخرين حتى تتم قيامته من الأموات ، اي حتى ينتهي دوره .

٢

كان حديثي مع صديق لي يتنكر للعودة شيقاً للغاية . فقد أخبرني الصديق بأن ضرورة العودة ليست منطقية ولا تتفق مع العقل . فمن

الممكن ان يكمل من يموتون ادوارهم في أماكن اخرى . ولقد وجدت في اجابة محدثي معقولية كبرى . لكنني عدت فقلبت الموضوع من جوانبه العديدة فوجدت ان للوجود المادي غاية كبرى وعظمى تصعب على الانسان في كثير من الاحيان . في الوجود المادي سلسلة من الاعلى الى الادنى ومن الادنى الى الاعلى . ولكل من هاتين السلسلتين نهاية وبداية . ولهذا نرى بأن الديانة تصر على البداية والنهاية والتقائهما . ففي الوجود لاتوجد نهاية او بداية الا من حيث ان بداية او نهاية هي مفهوم شامل يطبق على عالم المادة فقط . فبداية الحياة على الارض هي تجسد للروح ونهاية الحياة هي انعتاق الروح من الجسد او تحقيقهما في وجود واحد ، اي المنتهى . فللحياة ، حسب هذا المفهوم ، بداية ونهاية .

لذلك نقول ان نهاية الحياة هي الموت . ولا يمكن لهذه الحياة ان تستمر في الاعالي . وإذا قلنا بأنه توجد في الأعالي مملكة للشيطان وللنار يقبع الانسان فيها وينتمي إليها ، فاننا نبتسم لدى معرفتنا بأن الغالبية الساحقة من الناس ينتمون الى هذه المملكة ، لسوء الحظ . ولكننا نجهل ان الشيطان والنار هما في نهايتيهما فكرة تطهير للانسان . ولهذا فاننا نميل الى الاعتقاد بأن سلسلة الوجود تبدأ من الاسفل لتنتهي في الأعلى . فهي تنتهي في الأعلى . ولا تنتهي في الاعلى الا ان كانت كالاعلى ، أي انها لاتدخل الأعلى مالم تكن كالاعلى ، نقية طاهرة وخيرا كاملا . ولهذا فان سلسلة الوجود تعود لتبدأ مرة اخرى من نقطتها الاولى . ومما لاشك فيه ان العودة في البدء لاتتحمل اهانة او تحقيرا لفكرة الدين او الله وذلك لأن الأمر كله لايخرج عن دائرة الوجود الروحي والمادي . فكل شيء يخضع لله

تماماً . ولا ادري لماذا يتعصب من لايؤمن بهذه العودة ضدها وتثور كرامته طالما انها لاتناقض اي مبدأ روحي على الاطلاق .

ان فكرة البداية تحمل فكرة النهاية . والبداية هي فكرة مادية . فعندما نقول بداية الوجود فاننا نعني بداية في حد . وعندما نقول نهاية الوجود فاننا نعني نهاية في حد . فالبداية والنهاية قائمتان في المادة وليس في الروح . ففي الروح توجد النهاية اي المنتهى . أما البداية والنهاية فانهما في عالم المادة . ولما كانت الروح قائمة في المادة فانها اصبحت تخضع لقانون البداية والنهاية في الظاهر . فاذا ابتدأت ولم تنته بدايتها ، أي اذا لم تصل الى الحد النهائي من وجودها لتعود الى وجودها كما كانت لما انطلقت اول ما انطلقت من الله ، اي الى المنتهى ، وأعني اذا لم تتحقق الفكرة المضمونة فيها لتحقيق ذاتها في المادة ولاعادة كل شيء الى حقيقته وأصله ، فإنها لاتعود الى اصلها الا كما أتت من أصلها . ولهذا يترتب عليها العودة حتى تقوم ، حتى تنتهي . ويصعب ان نحلل معنى المنتهى والقيامة الا ضمن هذا الشرح .

ولما كانت الروح ستنعتق اخيرا من ماديتها فان الانعتاق التام لايتم ما لم تكن الروح قد تخلصت نهائيا من الجسدية التي التصقت بها عندما تجسدت اي عندما اصبحت كثيفة ، وما لم تعد هذ الكثافة الى اللطافة . ولهذا فانها لاتقوم الا اذا انعتقت نهائيا من المادة اي اذا اصبحت لطيفة واعادت الكثافة الى اللطافة . فهدف الروح هو ان تنعتق . ولا تقوم وتصل الى منتهاها ما لم تنعتق(٧) . فالقيامة هي الانعتاق التام من الجسدية ، عندما يعود الجسد الى الروحانية ، عندما يتروحن . وهذا يعني

ان هدف الانسان على الارض هو ان يعيد كل شيء الى اصله ، ان يرد كل شيء كما فعل يوحنا المعمدان . فلابد للانسان ان يعمل لكي يرد كل شيء الى اصله . فكما أتى طاهراً عليه ان يعود طاهرا . واذا لم يعد كما أتى فانه سيعود وسيعود حتى يحقق معنى مجيئه الى هذه الدنيا ومغزاه والغاية منه . وأما مسألة استمرار حياته بالحالة التي تركها في هذه الدنيا في عالم مابعد الموت فانها تتحمل صعوبة لاتقل عن صعوبة العودة عند من لايؤمنون بالعودة .

ان دخول فلك الروح لايتم ما لم تكن الروح قد وصلت الى درجة من الروحانية نسميها الاستنارة . فهناك حد ادنى للدخول الى عالم الروح .

وهذا الحد الادنى هو الفضيلة والحكمة . وبدون الفضيلة والحكمة يستحيل على الانسان ان يدخل عالم الروح . ولهذا لابد من تحقيقهما على الارض كحد ادنى ليتم الدخول . وعندئذ تتعين درجة دخول الانسان الى درجته الروحية . وفي تلك الدرجة يتقدم . ولكن الدخول لايتم الا بحد ادنى من الروحانية . لهذا يقول المسيح « مالم يزد بركم على الفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات » . اما الاشرار والخطاة فانهم لايستطيعون الدخول ماداموا لايتصفون بروحانية لاتصل في حدها الادنى من الفضيلة والحكمة .

ولهذا فان امرهم صعب جدا . وقولي هذا لايتضمن فكرة العودة بقدر ما لا يتضمن فكرة الاستمرار في الحياة الثانية بدون هذا الحد الادنى من الروحانية .

٣

في هذه الحياة يستطيع الانسان ان يصل الى درجات عليا من الروحانية . فهذا بولس يقول بأنه يعرف انسانا — وكما اعتقد انه قصد نفسه — اختطف الى السماء الثالثة فرأى اموراً لاينطق بها بل لايسوغ النطق بها . ففي هذه الحالة الروحية يحقق الانسان العالم الروحي فيه . ومتى حققه ، وهو على هذه الارض ، فانه يجتاز السموات ويعاين ويكون هدفه وغايته هو تحقيق مملكة الله وأعماق المادة . فيجد الثانية في الأولى وتكون الحقيقة هي وحدة الوجود التي تشدد عليها المسيحية في وحدانية الكل . ومتى وصل الانسان الى هذه الدرجة فانه سيد الوجود ويستطيع ان يفعل مايشاء . لكنه لايستطيع الدخول ولن يكون المنتهى الا بدرجة ادنى للتحقيق . ويكون ماهو دونها عودة الى عالم التحقيق .

ولهذا تكون غاية الانسان في هذه الدنيا ان يصعد الى الاعلى تماما كما نزل من الاعلى . وتتوقف درجته في الاعلى على مقدار ماحققه في الأدنى . وعندما يصل الانسان الى درجة روحية عليا وكبرى يجد بأنه لاوجود لما هو ادنى او لما هو اعلى . فالكل حضور دائم وكل وواحد . ويكون في كل مكان ولا مكان . فهو منحصر بالجسد لكنه متحرر منه . ولا يخضع لجسديته المادية بل لحريته الروحية . ولن يكون للمادة جبرية لانها تروحنت .

ولكن من يخضع لجبرية المادة لا يستطيع ان يدخل الى حرية الروح

والله ، اي لايدخل الى السماء . فالسماء هي الانعتاق التام ، وفي الانعتاق التام عودة الى الاصل اي روحنة المادة . ولهذا فلابد وان يخضع للمادة مرة اخرى حتى يستطيع ان ينعتق تماما ، وبالتالي يكون المنتهى .

وفي هذا البحث اقصد أن أحرك تفكير المسيحية التقليدية . فهناك في الفكر المسيحي سرية كبرى لا يماط اللثام عنها الا بتجربة روحية . كل كلمة في المسيحية سر ، كل مثل يتضمن صعوبة عظمى . كل قول يحمل في أعماقه حقيقة اللا نهاية . وكما اعتقد ان المسيحية أصعب الاديان وأكثرها سرية لأنها أكثرها عمقاً وأصالة .

٤

ان نظرية العودة[٤] تصل الى طرفها الاقصى عندما تنادي بأن الروح التي تحقق الله قد عادت مرارا عديدة حتى أصبحت صافية كالروح . ولهذا فان بعض الغنوصيين يفسرون مجيء المسيح وبوذا ويوحنا بحبل لايشبه الحبل العادي بأنه نتيجة لحلول روح سابقة وصلت الى درجة عليا في الروحانية وعليها ان تحقق اللحظة الأخيرة وان تكملها . قال المسيح عندما لفظ نفسه الاخير : لقد أكمل . ففي ولادة اولئك سر عميق يبرهن على اعادة عملية الخلق الاول . ولا تتم هذه العملية الا عند من يكونون قد وصلوا في حياتهم السابقة الى روحانية عليا — كما هي الحال في يوحنا المعمدان الذي أتى بروح ايليا . فيوحنا المعمدان ، في العالم الروحي السري ، هو آخر تجسيد لروح ايليا . ولهذا يكون من يصل الى

اعلى درجة روحانية ، أي الله ، منتهى وقيامة لن يعود بعدها الى المادة . كل روح تتجسذ ، لأن واجب الوجود هو التجسد . وكل روح عليها ان تكمل . وما لم يتم الكمال في دورة واحدة فان الروح ستعود مرة اخرى حتى يتم كمالها ، فتنتهي وتقوم الى ربها .

وفي رأيي ان مسألة العودة مبدأ كوني يليق بالبحث لأنه يقوم على دراسة روحية شاملة لعالم الانسان الذي يمثل فيه الوجودين الروحي والمادي ، الطبيعة الروحية والطبيعية المادية . فان كان على هذا الانسان ان يحقق الطبيعة الروحية في الطبيعة المادية ، كما فعل المسيح ، فمن الضرورة التي يقرها الواجب ان يفكر المسيحيون مليا بهذا الموضوع .

حواشي الفصل الرابع

١ ــ جهنم هي النار . جهنم ليست مكاناً . والنار تعني الطهر والنقاء . فلكي يطهر الانسان عليه أن يتألم . ويشير الاحتراق الى مقدار ما تعانيه الروح في سبيل الطهر .

٢ ــ المسيح هو الوحيد الذيم لم يخضع للعودة لأنه لم يكن في الجسد في حياة سابقة .

٣ ــ يخطىء كل من يعتقد ببعث الاجساد وفق زعم الصدوقيين ، ذلك لأن فكرة المنتهى تشير الى نهاية المادة والجسد وعودتهما الى حالتها الاولى ، والى نهاية علاقة الانسان بعالم المادة .

٤ ــ الفرق قائم بين مبدأ العودة وعقيدة التناسخ . ونحن لا نتحدث عن الثانية منهما . اننا نتحدث عن العودة الى التجسد الانساني لإكمال الوجود .

الفصل الخامس

موسى والمسيح

البحث في موسى موضوع شيق للغاية ، فموسى عماد الموسوية او اليهودية . ولهذا ينطلق حديثنا منه . فاما ان يظل موسى كدين — شريعة واما ان يظل المسيح الذي تكلم عنه موسى كدين محبة وروح . ولكي نفي الموضوع حقه فانه يتوجب علينا ان نقسم الموضوع الى مايلي من أقسام :

أولاً : ان اول مايلفت نظرنا هو ان موسى اعطى الناموس واما النعمة والبر فبالمسيح صارا . ومما لاشك فيه ان الناموس ليس خطيئة بذاته لكنه حافظ للخطيئة . فمن ظل تحته ظل تحت الخطيئة ولا يفلت منها . والناموس مفتاح للمعرفة وباب للدخول وطريق للخير والشر معا ، ولكن من كان تحته ، لايعرف هذه الحقيقة ولا يجد فيه الا الحرف . ولذا فقد سادت الخطيئة بالناموس . فما هي عظمة موسى ؟

هل تقوم عظمة موسى في انه قدم الناموس وأعطاه فظل الناس تحت الخطيئة ؟ ولكن الناموس الذي أعطاه موسى ليس خطيئة بذاته . فموسى لم يكن وسيلة شر بل كانت الشريعة تعني ايقاف الشر بالعنف . ولذا كان العنف يسود الناموس . ولهذا السبب يحاول المؤرخون ان يوازنوا بين شريعة حمورابي وشريعة موسى[1] . فكلا الشريعتين تهتمان بالعنف كوسيلة لوضع حد للشر . أما المقارنة بينهما فانها تظل ماظل العنف والقسوة . فهل يمكن ان تقوم شريعة بدون عنف وقسوة ؟ كلا . ولذا لايحمل الناموس روح المحبة والرحمة التي نادى بها المسيح .

ان أهمية الناموس تقوم على أنه أراد ان يضع حداً لشعب يعبد الشيطان ويسير في ركاب الشر . وليس من السهل وضع ديانة بل شريعة لهذا الشعب ، وطالما انه شعب تحت اللعنة ويتجاوز حدود الروح الى المادة ويعبر تعبيرا كاملا عن السقوط فانه يحتاج الى شريعة تقوده شيئا فشيئا الى الروح . وعلى الرغم من هذا كله فقد رفض هذا الشعب الشريعة وعبد الاصنام . لهذا لم يكن موسى يمثل الكمال لأن الناموس الذي أعطاه لم يكن كاملاً .

أما المسيح فقد نادى بدين المحبة والرحمة . فاختلفت النظرة لله والعلاقة به . ففي الناموس لايحب الانسان الله بل يخافه ويخضع له كعبد . أما في الانجيل فان الانسان يحب الله ويخافه كابن . ففي المسيحية تموت الموسوية وتضمحل . وعندما نقارن بينهما ، اي بين المسيح وموسى ، نجد ان موسى كان خادم شهادة يستحق التحدث عنها . أما المسيح فكان ابنا

على بيته . في موسى نجد الخادم الذي يملي عليه الملاك أمره وفي المسيح نجد الابن الذي يحبه الله . اما موسى فانه خادم مطيع عتيد أن يُتكلم به .

ولما كانت الشريعة تقف عند حدود النعمة والحق والرحمة والمحبة فانها تتعطل بمجيء من يمثلها . ولهذا تتضاءل قيمة الموسوية امام المسيحية في امرين : الأول ، وهو ان الموسوية لاتصلح كطريقة خلاص لأن التجربة الروحية لاتجد فيها . والثاني ، وهي العلاقة بين الله والانسان . في الناموس تموت العلاقة وفي النعمة تعود وتحيا .

ثانيا : ان ولادة موسى في مصر تشير الى حدث عظيم . فقد ظل موسى في بيت ابيه ثلاثة اشهر . ولما نبذ اتخذته أخت فرعون وربته لنفسها ابناً[٢] . فتهذب موسى بكل حكمة المصريين . ولما كملت له الحادية والعشرون ذهب الى ارض مديان وتزوج وولد ابنان وعاد وهو في الاربعين .

وكما يبدو ان موسى زار بلاد الآباء . وهكذا تقوم حكمة موسى على مصدرين : مصر ومديان . ففي كلا البلدين تعلم الحكمة . ولهذا نرى اثار الافكار الكلدانية وما بين النهرين في حكمة موسى اي في كتبه[٣] . وهكذا لم يخرج موسى عن حكمة الكلدانيين والمصريين . وليست مؤلفاته الا نسخة ثانية لحكمة مابين النهرين . والحق يقال ان درجة موسى الروحانية كانت اقتباسا بالاضافة الى تجربة روحية لم يتعد تلك التي كان يقوم بها من اقتبس منهم . وأما ظهور الرب له في عليقة نار فليس الا رمزا للتجربة الروحية . لكن تجربته هذه لم تكن كاملة . اما المسيح فانه وصل الى درجة لم يتجاوزه فيها أحد . انه وصل الى درجة الالوهية ذاتها .

ثالثاً : لم يصل موسى الى درجة وعي قبل الاربعين . ففي الاربعين حقق درجة في الروحانية من خلال حكمة المصريين والميديين . ولكنه لم يكتف بهذه الحكمة بل اراد ان يتجاوزها . فذهب الى مابين النهرين وظل هناك سبع سنوات . ولهذا فان ناموس موسى يمثل الاربعين والسبعة . ففي الاربعين رمز الى درجات روحية يعمل صاحبها على تحقيق عالم الروح . وفي السبعة اشارة الى رمز روحي عمل موسى على تحقيقه ايضا في بلاد الاباء الروحيين .

ولكن موسى لم يستطع ان يحقق الروحانية الكاملة على الرغم من محاولته. فقد اصبح متعصبا لبني قومه وعرقيا في رأيه فأراد ان يفتقدهم . وبالفعل فقد خرج موسى من قصر فرعون ومضى الى مقر بني اسرائيل . فوجد اسرائيليا في قتال مع مصري ، فقتل المصري تعصبا منه للاسرائيلي . وأما في المرة الثانية فقد وجد اسرائيليين يتقاتلان . ولما حاول ان يكون حكما ويردعهما فان احدهما رفض . فهرب من ارض مصر . ولماذا هرب موسى من مصر ؟ هل هرب بسبب الكلمة التي وجهها له الاسرائيلي ؟

ان هرب موسى يشير الى حادثة ترمز الى مغزى روحي كبير . انه يريد ان يعرف اسرار الحق والروح . ولهذا فقد هرب الى مكان يستطيع ان يحقق فيه ضالته المنشودة ، الى الشرق ، الى مكان يجد فيه روحانية اكبر . ولكننا نعود الى قصة اليهودي والمصري . فقد أظهر موسى بأنه متعصب لبني قومه تلعب فيه العرقية ، قومه الذين لايمت اليهم بصلة القربى ، لا في الحكمة ولا في الثقافة والتربية . ولهذا نستطيع ان نفهم موسى بقوميته المتعصبة ونزعته العرقية :

وعندما نقيم مقارنة بينه وبين المسيح فاننا نصل الى مايلي :

أ ـــ عرقية موسى وعالمية المسيح[٤] .

ب ـــ العرقية تعصب لجنس وكره لجنس آخر ، والعالمية محبة وتضحية للجميع .

جـ ـــ موسى يقتل ، يريق الدم ، فهو قاتل يمثل الناموس . والمسيح يحب ، يراق دمه ، فهو تضحية يمثل النعمة والمحبة والحق .

موسى يكلم الله ايضا في تابوت العهد ، في مكان معين ، والمسيح يكلمه في الجسد ـــ الهيكل .

د ـــ موسى يكلم الله على جبل ، هو جبل الالهة ـــ مثل جبل الاولمب وصهيون ـــ والمسيح يكلم الله في ذاته . فالله بالنسبة لموسى يقيم على جبل ، أما للمسيح فان الله يقيم في كل مكان .

هـ ـــ موسى يكلم الله ايضا في تابوت العهد ، في مكان معين ، المسيح يكلمه في الجسد ـــ الهيكل .

و ـــ موسى يعيش حياة بذخ وترف في قصر فرعون ، ويتحلى بحكمة المصريين . والمسيح يعيش حياة البساطة والضعة ويتحلى بالحكمة الالهية .

ز ـــ موسى وصل الى الاربعين حتى تفتقت روحه عن طلب للمعرفة . والمسيح حقق الله وهو في الثلاثين ويولد بالروح القدس .

حـ ـــ موسى قائد شعب والمسيح محب للانسانية جمعاء .

ط ـــ موسى يتيه في الصحراء والمسيح ينتصر على الشيطان في الصحراء .

ونحن لانعجب ان نعلم ان الناموس قد أتى بموسى . موسى ذاته يقود الاسرائيليين وهكذا لابد من تنظيمهم ضمن شريعة وناموس . وهل تقوم الشريعة الا على العنف ؟ لذا كانت شريعة موسى السن بالسن والعين بالعين[٥] . هي شريعة الخاطىء الذي يخضع لقاعدة تنظمه ولا تساعده ان يعلو في سلم الحياة والروح ، بينما كانت المحبة التي نعبر عنها بالتسامح والرحمة شريعة المسيح . ولما كانت المحبة لاتخضع لقانون فإنها ليست شريعة بالمعنى الحرفي بل هي شريعة بالمعنى الروحي ، شريعة الله . ولهذا ليس الناموس شريعة من الله لأنه ليس كاملا . وماهو من الله يجب ان يكون كاملاً . وأعني ان شريعة موسى كانت نتاج تجربة روحية غير كاملة .

لهذا لايكون ابناء الناموس ورثة . وها نحن نتساءل : ورثة لماذا ؟ ماذا يرثون ؟ الارض ؟ الارض تورث بالقتال وبالحرب . الأرض الموعودة ؟ هي السماء ومملكة الروح . ولما كان الناموس عاجزاً عن تحقيق هذا الأمر لانه شهادة خادم ، والخادم يقال له ماذا يفعل ولا يستطيع ان يحتج او ان يزيد او ان ينقص حرفا[٦] على ما يقال له ، لذلك فإنه لن يرث لأنه ليس ابناً . فالابن هو الوارث الوحيد واعني الانسان الوحيد الذي يدخل قدس الأقداس .

هكذا تنتفي الموسوية بوجود المسيحية . فإما ان يتم الفصل بينهما تماما واما أن تفنى الأولى وتظل الثانية .

رابعاً : موسى يتنبأ عن المسيح ويكتب عنه . فهو يعتبر المسيح ذاك الذي في الكنيسة في البرية مع الملاك . وكان يكلمه في جبل سيناء .

ويعتبر ان المسيح كان مع آبائه . وفي هذا الحديث اشارة الى رمزية سرية كبرى .

من الوجهة الروحية نستنتج ان موسى لم يصل الى الروحانية التامة لأنه يكتب عن المسيح الذي سيأتي . أما المسيح الذي يتحدث عنه فإنه الروح الكاملة . وفي هذا اشارة الى المسيح الكوني . فلو كان موسى يكلم المسيح حقا ، والمسيح هو الله ، لكان يكلم الله . وان كان يكلم الله فالشريعة من الله . وان كانت الشريعة من الله فانها لاتلغى . واما المسيح فقد ألغاها عندما حل الملء . لذلك لم تكن من الله .

كيف تلغى الشريعة ان كانت من الله ؟ وطالما ان الله لايعطي شيئاً ناقصاً فكيف يكون الناموس منه وهو ناقص غير مكتمل ؟ لذلك نميل الى الاعتقاد بأن تجربة موسى الروحية لم تكن كاملة ، وبالتالي لم يعرف موسى الروح الحق . ولهذا لم يدخل الأرض الموعودة بل انه شاهدها في أواخر حياته .

٢

ان عدم دخول موسى الأرض الموعودة دليل على تقصيره في التجربة الروحية الكاملة التي قام بها كل من المسيح وبوذا . ان موسى لم يدخلها وابراهيم لم يدخلها ايضا . الله يخبر ابراهيم ان يترك بلاده ويمضي الى المكان الذي يريه اياه ، وموسى يلهمه الله — كما هو مزعوم — ان يقود شعبه الى ارض الموعد . وكلاهما لم يدخلا ارض الميعاد . لماذا ؟

ليست الارض الموعودة قطعة من الارض . انها مملكة السماء والروح . لهذا لم يستطع ابراهيم ان يدخلها . فقد تنقل كثيرا حتى وصل الى مصر . هكذا يبدو ان الجميع قد ذهبوا الى مصر ــ وماذا فعل في مصر ؟ اننا نترك الامر الى عالم الغموض[٧] . واما المهم فهو أنه لم يدخل الأرض الموعودة مثل موسى الذي حرم منها . ولكن الله ــ كما تقول التوراة ــ اراه الارض اي الفردوس في اواخر حياته . وفي التوراة وصف للأرض يقترب من وصف الماديين للجنة . وليست الارض الا ملكوت البر والحق . ولكن موسى جسد الموضوع ووضعه بشكل حرفي مادي . وهنا كانت خطيئته . لذلك فإن الله ، حسبما يذكر ، قال لموسى بأنه لن يطأ الارض . فهل كان هناك من هو افضل من موسى ؟ كلا اذاً كيف نحل المعضلة ؟

المعضلة لاتحل الا روحياً وبالتأويل الرمزي . ليست الارض ارضا وليست هي الوعد بالنجاح المادي بل بالتفوق الروحي.ولهذا فقد ظل اليهود ــ وعلى رأسهم موسى ــ يناضلون ويحاربون من أجل أرض يعتقدون بأنهم وعدوا بها . وهذه هي خطيئتهم الكبرى . واعتقد ان هذه الخطيئة تعود الى موسى لأنه مسببها . لقد قاده تعصبه الى قيادة أهل مصر اليهود . فقادهم موسى مادياً ولم يقدهم روحياً ــ ولو قادهم روحيا لظلوا حيث كانوا يعبدون الاله الحق ــ . وبسبب قيادته لهم مادياً تعلقوا بالحرف وفهموا الاشياء من زاويتها المادية . فالأرض عندهم ارض يسكنون فيها ويسكن الله معهم . فيبيد الله الشعوب من أجلهم[٨] ــ يا لشناعة هذا الاعتقاد العنصري ! والهيكل عندهم هو بناء حجري يسكن الله فيه ــ

وهل هناك ماهو اكثر مذلة من هذا الاعتقاد. والله عندهم عملية سحر، هو خاتم سحري ، يفعلون بواسطته ما يشاؤون وذلك لأنه يلبي طائعاً .

وماذا كانت النتيجة ؟ تاه موسى مع شعبه في الصحراء اربعين سنة . والان نسأل : هل ان شعبا يتيه في صحراء سيناء ولا يصل من مصر الى فلسطين خلال اربعين سنة ولا يجدون طريقهم ؟ أليس ما نفهمه من هذه الرواية لايتعدى مفهوم الحرب.؟ فما التأويل الرمزي لهذا الموضوع ؟؟

ان تعصب موسى قاده الى تشخيص الاله ، تشخيصه في ارض وفي ناموس ينظم به شعباً . وكانت هذه العملية علة لغضب الله . فقد غضب الله على موسى لانه حول الامور من الروحانية الى المادية ، الى الحرف ، الى الناموس المكتوب على ألواح حجرية . ولهذا فقد دعاه الله ليريه الأرض السماوية وليس الارض الموعودة . وعندئذ أدرك موسى ولكن إدراكه كان متأخراً . فعلم خطأه ، وعندئذ يكتب عن المسيح .

والان نستنتج مايلي :

ا ـــ موسى يحول الروح الى حرف..

ب ـــ موسى يعطي الناموس كدليل على تنظيم شعب .

جـ ـــ موسى يفهم الارض الموعودة بأنها قاعدة مادية ولم يفهم انها ارض السماء . وهذا ما فعله ابراهيم .

د ـــ موسى لم يعلم بأنه يستطيع ان يعبد الله في كل مكان . وهذا ما فعله ابراهيم ايضا .

هـ ـــ موسى يتيه في الصحراء لأنه لم يفهم الروح بل قاومها بالحرف وعبر عنها به .

و ـــ موسى يتحول من قائد روحي الى قائد زمني عندما يسيء فهم الروح .

ز ـــ موسى يخطىء في فهم الحقيقة السماوية ، ولكنه يدركها اخيرا . وعندما أدركها عاينها بالروح .

وفي النهاية نأتي الى تأويلات رمزية لدى فهم موضوع موسى . هل عاين موسى الأرض الموعودة المادية من رأس جبل سيناء عندما أراه الله اياها ؟ كيف يستطيع موسى ان يرى من بعيد وهو قد أصبح شيخاً مسناً ؟ ان الرؤيا ، ياجماعة الحرف ، لم تكن بالعيان المادي بل بالعيان الروحي . موسى عاين الأرض الموعودة في الروح التي حرفها الى ارض مادية عندما خضع لنزوات شعبه . لقد كان موسى يشرع حسب نزوات الشعب . وهذه هي خطيئته الثانية .

عندما سئل المسيح عن الطلاق اجاب بأن الطلاق يمنع ويحرم . فسألوه عن السبب الذي حدا بموسى لأن يسمح به . اجابهم المسيح : لقساوة قلوبهم وغلاظتها . ومن هنا نستنتج ان موسى كان يخضع لنزوات شعبه وتقاليده وكان يشرع لهم لقسوتهم . ماذا يفعل في صحراء شاسعة واسعة ؟ انه يكلمهم بلغة السيف والسن والعين ـــ وهذه ليست لغة الله . ولماذا ؟ لأنه أخرجهم من أرض وعليه ان يدخلهم الى ارض . فالخروج من ارض رمز روحي يعني الاقبال على حياة جديدة ويعني انتقالا من فكرة ماضية شريرة الى فكرة جديدة صالحة . ولما طلب الله من موسى

ان يخلص شعبه وان يخرجهم من مصر ــ ابراهيم خرج والمسيح خرج ــ كانت العملية كلها مسألة خروج من أرض ودخول الى ارض اخرى ــ فهم موسى بالخروج أنه مسألة ترك لمصر لعبادة الله في مكان اخر . ولهذا فقد فهم الحرف لا الروح وذلك لأن الله يُعبد في كل مكان .

وفي اخراجهم من ارض مصر بدت المصيبة والفاجعة . فليس المقصود بالاخراج الهروب والانتقال من مكان الى اخر لعبادة الله لأن الله يعبد في كل مكان ، بل ان الخروج يعني الخروج من الظلمة والدخول الى النور ، الخروج من الشر والدخول الى الخير ، الخروج من العبودية والدخول الى الحرية . فكيف يخرج موسى شعبه الى ارض يسكنها اناس ؟ ومتى كانت هذه الارض لابراهيم او لموسى او للشعب الاسرائيلي ؟ انها فلسفة الحرف . وليس الحرف الا انتصارا للشيطان واندحارا لله .

٣

هكذا تاه موسى وشعبه لأنهم أخطأوا الفهم وأساؤوا . فمن غير المعقول ان يضل شعب في الصحراء لايقطعها او يجتازها . وليست صحراء موسى الا متاهة اليونان Labyrinth ففي متاهة اليونان دخول دون خروج ، يتيه الانسان في المتاهة ، متاهة العقل والوجود . وفي الصحراء يتيه موسى . لقد تاه موسى في عالم الحقيقة فامتزجت عليه الامور واختلطت . لقد مزج الحرف بالروح . وظل تائها حتى كادت أن تأتيه المنية فأدرك . ولكن الموضوع كان قد تأخر .

كانت هذه خطيئة موسى . كانت المادية تسيطر على الشعب الاسرائيلي — ولا تزال تسيطر عليه الى اليوم . انهم عادوا الى فلسطين اعتقادا منهم بأنهم حققوا املهم أمل الآباء . عادوا الى الارض الموعودة التي أساء فهمها آباؤهم : ابراهيم وموسى . والآن ينتظرون الخلاص— الاعجوبة التي أخطأ فهمها موسى . لقد عرف موسى بأن اخراجهم من مصر وادخالهم الى الارض الموعودة يعني الخلاص . ولكنه لم يدرك حقيقة الخلاص الروحية . لم يدرك ان الخروج يعني الخروج من عالم الشر وان الدخول يعني الدخول الى عالم الخير . ولذا كانت خطيئة موسى فادحة . ومع انه كان افضل من غيره من الاسرائيليين في عالم النبوة ، لكنه كان حرفيا ، ناموسياً ، أباً للناموس .

وعندما ننظر الى المسيح ، تتجلى فيه الحقيقة الالهية وفي حياته . انه لايذكر ارضا غير مملكة الله . فهو لايريد ان يبني مملكة مادية . لذا رفض الملكية المادية ونادى بالملكية الروحية . ورفض مملكة الارض ونادى بمملكة السماء . وليس رفض مملكة الارض سوى رفض للقيم القومية والعرقية ، هذا الرفض الذي يتوج بعالمية التبشير وشمول الانسانية الذي يتكلل بفلسفة المحبة . المسيح نادى بالخلاص وبالخروج الحقيقيين ، ولا يتفق مع موسى ابداً . لذلك أدرك موسى بأن من يأتي بعده هو المخلص الحق ، فأوصى شعبه ان يسمعوا له[٩] .

هكذا تقف المسيحية والموسوية على مفترق طرق . المسيحية تنادي بسلطان الروح ، والموسوية تنادي بسلطان الناموس ، بالحرف ، وبمملكة

الارض ـــ الارض الموعودة . وكل منهما تسير في اتجاه معاكس . فلا لقاء بينهما .

لقد فشل موسى في ادراك الحقيقة بعد لأي وعذاب ومشقة . وعندما وجدها لم يستطع ان يعلن عنها . لذلك حول وجهه باتجاه الروحانية . وعندما نقرأ الوصايا العشر نعلم انها بداية موسى في إدراك الحقيقة . ولقد وجدت تناقضاً في مبادىء الموسوية مع الوصايا العشر . إنها بداية يقظة لم تتم . ولكن تمامها وكمالها فقد تما بالمسيح الذي ينقل اليهود من ارض الظلام ويخرجهم منها الى أرض النور ، الارض الموعودة . فبالمسيح تلغى الشريعة لأنه الارض الموعودة التي لايسود فيها الناموس .

حواشي الفصل الخامس

١ ــ يذكر التاريخ ان كلا من موسى وحمورابي قد حصل على شريعته من إلهه . والسؤال المطروح هو : لماذا تعد شريعة موسى مقدسة في الوقت الذي تتميز شريعة حمورابي بانسانية وعدالة أكثر شمولا ؟ أليس لأن المسيحيين التقليديين يرتبطون بالارث اليهودي وتاريخه فقط ؟

٢ ــ تلقن موسى مبادىء اخناتون . وفي هذا الصدد لا نبحث موضوع موسى كما تلقّنه التيوزوفية والحكمة ، بل كما ورد في التوراة .

٣ ــ نذكر منها قصة الطوفان ، قصة الخلق ، استلام الشريعة ، وقصة يونان الخ .

٤ ــ لما عجز موسى عن اجتياح ارض كنعان كتب في التوراة : « ملعون هو كنعان » . لقد أثار موسى شعبه وعلمهم البغض وأعلنها حربا شعواء يأمر بها يهوه وأقحم موسى يهوه لكي يعتبر شعبه هذا الأمر الذي يفرضه إله غاضب يطلب من أتباعه كره شعب آخر . فهل نعتبر هذا الأمر إرادة إلهية محبة ؟ وأين هي ارادة يهوه وقد انتظر موسى ، ومن استلم القيادة من بعده ، أربعين سنة لينقضي جيل ويأتي جيل جديد يتعلم فنون الحرب ؟

٥ ــ لم يكمل المسيح شريعة موسى بل نقضها ، فعلّم المحبة . ولذا ، ليس الاله الذي استقى منه موسى شريعته الاله نفسه الذي تحدث عنه المسيح . فالاله الواحد

لايعلم شريعتين متناقضتين ، كما وأنه لاينقسم على ذاته في نظام زمني . وان قال المسيحيون التقليديون بأن الله رتّب الامور في التاريخ . نجيب بأن الله لايتطور ، وسنته واحدة لاتتبدل ، وأبديته لا تتجزأ الى زمنية .

٦ ــ « الحق أقول لكم لايزول حرف من الناموس حتى يكون الكل » . هذا ما قاله المسيح في انجيل متى . والمسيح يقصد ان الناموس يزول متى كان الكل . الحرف يسقط والروح يبقى .

٧ ــ مصر وما بين النهرين يشيران الى ان سرّية الاسرائيلية قائمة فيهما . لكن الاسرائيلية خرجت من مصر ومن مابين النهرين لكي تدخل ارض ميعاد .. لكنها لم تدخل . انها لم تدخل ولم تعترف باسلافها ومعلميها في علم الروح ــ مصر ومابين النهرين ــ على نقيض المسيح الذي اجتمعت في شخصيته سرّية الشرق والغرب .

٨ ــ يأمر يهوه قادة بني اسرائيل ان يبيدوا الرجال والنساء والاطفال والحيوانات كلما قهروا بلداً وذلك لكي لايُبقوا على شيء نجس . فهل يعقل ان يأمر الاله الحق بإبادة الاخرين ؟ ليس الله من يأمر بهذا بل يهوه . الله يأمر بالمحبة .

٩ ــ سلّم موسى قيادة جيشه الى يشوع . ويشوع هذا اغتصب فلسطين وقتل الكثيرين ودخل ارض الميعاد ، الارض المادية . اما يسوع ، او يشوع الحق ، فقد أدخل الناس الى الارض الروحية ، ملكوت الروح ، ارض الميعاد الحقة . وهكذا يكون الفرق كبيرا بين الدخولين . الدخول الحقيقي بالمسيح والدخول الكاذب بيشوع .

الفصل السادس

الأيام الثلاثة ــ يونان ونوح

تستمر السرية في المسيحية . ويمكننا القول ان المسيحية سرية عميقة عمق الروح . وتستمر الرمزية في الامثال . ويصعب ايجاد حل لهذه الرموز الا بتجربة روحية تنظر من خلالها إليها لنصل الى تأويل روحي . واذا ماتوقفنا عند حدود التأويل الحرفي المادي فان الفهم يصعب والحرف يحيا والروح يموت .

انني اعتقد بان الرقم ثلاثة هو افضل الارقام في العلوم السرية وفي الديانة المسيحية . فالاب والكلمة والروح القدس ثلاثة والروح والدم والماء ثلاثة ، والايام الثلاثة ، ومكوث يونان ثلاثة أيام وثلاث ليال في بطن الحوت ، ونقض الهيكل في ثلاثة أيام . هذه الثلاثة رمز الى روحانية كبرى . ونحن نجد الارقام في كل من فلسفة القبالة اليهودية والفيثاغورية وفي الفلسفات القديمة الهامة . فالرقم يشير الى مغزى روحي وكذلك الحرف .

ان مايهمنا في هذا الصدد هو اقامة العلاقة بين المسيح ويونان وبينه وبين نوح .

تخبرنا الميثولوجيا القديمة ان نوحا دخل الفلك مع عائلته وبنيه وادخل اليه زوجا من انواع الحيوانات . وتخبرنا هذه الميثولوجيا ايضا ان الله كان قد طلب من نوح ان يبني هذا الفلك لكي يخلص هو وعائلته . فالطوفان كان على الابواب . وأما نوح فقد كان وحده يخلص وذلك لان الشرور كانت قد ملأت الارض وندم الرب على خلقه .

عندما نمعن التفكير في هذه الاسطورة الحية نجد فيها من المعاني الرمزية المستترة الشيء الكثير . اننا نجد مايلي :

١ ــ كثرة الخطايا .

٢ ــ ندم الرب على خلقه .

٣ ــ الطوفان أربعين ليلة وأربعين نهارا .

٤ ــ الفلك .

٥ ــ حيوانات الفلك .

٦ ــ الخلاص .

٧ ــ العودة الى الخطيئة .

في رواية نوح نجد الشر وقد استفحل امره . ونرى ارادة الله تقضي في وضع نهاية لتلك الجماعة الفاسقة الشريرة . فيندم الرب لانه خلق الانسان والارض . ويفكر في طريقة لانهاء الموضوع بكامله فلا يجد غير الطوفان . ولكن نوحا كان رجلا فاضلا ، حكيماً وتقياً . يرغب الله في خلاصه فيطلب منه ان يبني فلكا يطفو على وجه المياه . ويمتلىء الفلك

بالحيوانات . وتمطر السماء اربعين ليلة واربعين نهارا . فيفنى جميع الساكنين وتتدفق الامطار ومن ثم تتناقص المياه . فيرسل نوح غرابا وحمامة . ويرسو الفلك . ويعود نوح الى الخطيئة فيرى ابنه عورته[1] .

والان ننتقل الى الرمزية الروحية والسرية في هذه الاسطورة . هناك تكاثر للشر يمحوه الطوفان . فالطوفان يشير الى غسل الخطيئة بالماء . ولكن الطوفان الذي يغسل الخطيئة هو طوفان الخطيئة ذاتها . والفلك يشير الى الجسد الانساني . وتذكر الكتب القديمة ومن بينها كتابات الفيلسوف فيلون بأن الفلك يقسم وفق تقسيم الجسد الانساني . فالفلك وتابوت العهد وهيكل سليمان والهرم اشارة الى الجسد . ولكن الناس لايفهمون الا الحرف منها . ولما كان جسد نوح نقيا طاهرا فإنه يطوف على المياه ولا يتأثر بالطوفان ، فلا يأخذه كما يأخذ الاخرين . وفي هذا الجسد وضعت الحيوانات . وهذه الحيوانات ، كما نعلم ، اشارة الى الشر والخير . فهناك حيوانات شريرة اشار اليها الغراب وهناك حيوانات خيرة اشارت اليها الحمامة. وبعد هدوء طوفان الشر وطوفان الماء الذي يزيل الشر وانتصار الجسد على الشر ، يبدأ الجسد في طرد الخطايا منه . ويشير ارسال الغراب الى طرد آخر خطيئة في الجسد ، هذه الخطيئة التي ذهبت الى الجيف والقذارة . ويظل الطوفان اربعين ليلة واربعين نهارا . وهكذا نعود الى فكرة الاربعين — اربعين موسى في البرية ، اربعين سنة تجوال في الصحراء ، اربعين يوم صوم ، اربعين يوما بعد الصعود ، اربعين الطوفان . وتتكرر فكرة الاربعين حتى نعلم الرمز الروحي فيها الذي يشير الى وصول الانسان ، او محاولته ، الى الروحانية . وبعدئذ يرسو الفلك . ويسر نوح ويفرح لكنه

يعود الى الخطيئة ويحمل بنوه الخطيئة من بعده فيعتمدون على الارادة الالهية ويحاولون ان يبنوا برجا عوضا عن الفلك . انهم لم يستطيعوا ان يبنوا الفلك لانهم لم يطهروا جسدهم بل عملوا على بناء البرج المادي . وتقوم هنا مقارنة بين الفلك ، الذي هو الجسد ، هيكل الروح ، وبين البرج الذي هو الهيكل الحجري او هو الجسد الكاذب . فالطريقة للوصول الى الاله والانتصار على الشر لايكونان ببناء برج حجري بل ببناء الجسد من الداخل . البرج يتهدم ويؤدي الى التشتت والضياع وأما بناء الجسد فانه يكون مجمع الخير . ومتى اجتمع الخير في الجسد وعادت الحمامة ، رمز الروح ، بغصن الزيتون ، رمز السلام مع الله ، فان الحقيقة تقوم فيه وتكثر الفضائل . وهذا مالم يفهمه اليهود بأن التجمع في ارض هو تجمع الفضائل وان التشتت هو طرد الشر من الجسد الذي مثله الغراب وابقاء الفضيلة التي مثلتها الحمامة .

ونرى الان ماذا ذكر عن نوح في الاناجيل . « وكما كانت ايام نوح كذلك يكون مجيء ابن الانسان ، لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان واخذ الجميع ، كذلك ايضا مجيء ابن الانسان » .

هناك تشبيه بين مجيء ابن الانسان وبين دخول نوح الى الفلك . وهناك تشبيه بين حالة الناس الخلقية والاجتماعية قبل دخول نوح الى الفلك وبين الحالة الخلقية والاجتماعية قبل مجيء ابن الانسان . وهناك تشبيه بين

الطوفان بعد دخول نوح الى الفلك وعدم معرفة الناس بذلك ، وبين مجيء ابن الانسان وعدم معرفة الناس بأمره .

فكما ان الشرور تزايدت ايام نوح هكذا تزايدت ايام المسيح . وكما ان المجتمع كان بحاجة الى اصلاح جذري ايام نوح فتمثل بالطوفان والفلك ، هكذا كان المجتمع بحاجة الى اصلاح جذري ايام المسيح فتمثل الاصلاح فيه هو ، في جسده . وكما ان نوحا انقذ نفسه بدخوله الفلك وبنجاته من الطوفان كذلك المسيح ينقذ الجسد ــ الفلك من الخطيئة فيصل الى القمة . وكما نرى ان يوحنا المعمدان قد عمد بالماء ، فأصبح الماء يشير الى غسل الخطايا . وبالفعل فان المسيح تعمد بالماء . فنجا الجسد ــ الفلك من الخطيئة اي انه اغتسل منها . ولكن دخول قدس الاقداس لايتم بالماء بل بالدم . ولهذا يقول يوحنا المعمدان بأن من يأتي بعده سيعمد بالروح القدس والنار ــ اشارة الى الطهر الكامل .

لم يستطع نوح ان يتجاوز حدود التطهير بالماء وغسل الخطايا بالطوفان . وقد طرد منه اخر شر قبل ان تكون المياه قد انتهت اي قبل نهاية الطوفان . ولكن الحمامة اشارة الى زوال الطوفان اي زوال الشر وهي اشارة الى السلام مع الله . وبالفعل نرى الحمامة تنزل على المسيح بعد اغتساله بالماء ، وانتهاء غسل الجسد بالماء ، أي إزالة الشرور .

إن نوحاً يمثل درجة معينة في سلم الروح يصل اليها بترتيب الاربعين ، وهي الرتبة التي وصل اليها موسى . وهذه الرتبة اي الرقم تذكر قبل الوفاة اما في حالة المسيح فانها تذكر بعد الوفاة . وفي هذا التأويل فرق كبير بين ان يكون الاربعون رمزا الى دخول قبل الوفاة وبين ان يكون رمزا

بعد الوفاة . ولما كان المسيح قد وصل الى درجة تختلف عن الاربعين ـــ هي رمز الثلاثة ودرجة الثلاثة والثلاثين ـــ فان الاربعين تتحقق لديه في صعوده الى السماء بعد القيامة وليس قبلها كما هي الحال عند نوح وموسى .

ويتسامى المسيح على نوح الى حد كبير وبعيد . فبينما نوح يدخل الفلك وبعد خروجه منه يخطىء ، نجد المسيح وقد حقق طهرا للفلك لامثيل له في تاريخ الأديان . ولعلنا نوفق الى حل لو اننا اقمنا مقارنة بين المسيح وغيره من الانبياء : موسى أخطأ لما قتل ولما أساء فهم الروحانية وأحل محلها الحرفية ولما تهذب في بيت فرعون ، ابراهيم اخطأ في فهم الحرفية عوض الروحانية وفي تقديم ذبيحة حيوانية ـــ إنه فيلسوف الذبيحة الحيوانية التي أساء فهمها . فالكبش يرمز الى الخروف وهذا بدوره يرمز الى المسيح ، الى الروح ، الى الذبيحة الانسانية ، واساء ايضا في كذبه على فرعون وفي تنكره لزوجته . ويعقوب يأخذ باكورة اخيه ويسرقها منه فيخطىء . ومع ذلك فان الله يباركه ـــ كلا ، لم يباركه الاله الحقيقي . وداود يخطىء كثيرا ولكثرة اخطائه كتب المزامير . فهو اباحي كبير يسبب قتل اوريا الحثي ليحصل على زوجته الحسناء . وسليمان يخطىء كثيرا . وهو اباحي ايضا ويكلم الجن والارواح الشريرة . ولكنه يندم اخيرا . ويخطىء الرسل والتلاميذ كثيرا . اما المسيح فقد امتلأ بالطهر والروح القدس . فهو فقير متواضع منذ الصغر ، لم يولد ليكون ملكاً دنيوياً بل ملكاً روحياً عظيماً . ولم يكن على رتبة الكهنوت الدنيوي بل الروحي . ولم يلبس الثياب الفاخرة . ولم يبن القصور الفخمة ولم يقم

فيها . ولم يكتنز المال . ولم يطلب منه ان يبني هيكلا يطلى بالذهب ويكلف الكثير ، بل طلب منه ان يبني هيكلا روحيا يطلى بالفضيلة والتقوى ليسكن فيه قدس الاقداس وليتحقق . فالمسيح نقي طاهر ، لم يشته اي شيء ولم يمزج الدنيا بالاخرة . فهو يقول : مملكتي ليست من هذا العالم . لذلك نرى ان المسيح قد كمل الكل . لقد كمل مالم يستطع الانبياء ان يعملوه . لقد كمل الله فيه ، في الابن . وكما ذكرنا سابقا ان الحياة الروحية تتدرج في حقولها الثلاثة : حقل العقل ، حقل النفس ، وحقل الروح . ولم يصل الانبياء الا الى حقل النفس . وأما حقل الروح فهو حقل المسيح فقط .

ولكن التشبيه يظل قائما بين المسيح ونوح . فعلى أيام نوح غسلت الخطيئة وقضى عليها الطوفان . وفي ايام المسيح ستغسل الخطيئة ايضا . وفي كلا الزمانين لم يعرف الناس بمجيء الفلك وبمجيء المسيح ولا بمغزى الطوفان والمسيح . ومما لاشك فيه ان درجة الاختلاف قائمة بين نوح والمسيح . فالمسيح روحاني من الدرجة الثالثة والاخيرة بينما نوح والانبياء يوجدون في الدرجة الثانية . ولهذا فان غسل الخطيئة تم بالماء بواسطة نوح بينما قد تم بالروح القدس ونار بواسطة المسيح . والفرق ظاهر بين نوعي الاغتسال . فالاول معرض للسقوط ، وبالفعل فقد سقط نوح ، والثاني لا سقوط فيه لأنه تطهير كامل . ولهذا فقد كان يوحنا المعمدان صلة وصل بين القديم والجديد . لقد اساء اليهود فهم اسطورة نوح فأهملوا الماء والرمزية فيه ، حتى أعادها لهم يوحنا بطريقة روحية أعظم من طريقة نوح البدائية . ولكن مجيء المسيح عنى الطهر الكامل الذي يتم الانتصار

بواسطته على قوى الشر بكاملها . وبالفعل يكون المسيح هو اوميغا الوجود .

٢

ان سرية المسيحية تنتقل الى يونان وقصته مع الحوت[٢] . فقد ظل يونان ثلاثة ايام في بطن الحوت . وبعدئذ لفظه الحوت ، أي خرج من بطنه ، وبشر أهل نينوى وكرز فقبلوا البشارة والكرازة فتابوا . وها نحن نجد شبهاً بين يونان ونوح . فكما دخل نوح الفلك هكذا دخل يونان بطن الحوت . وكما خرج يونان منتصرا على الخطيئة من بطن الحوت كذلك خرج نوح منتصراً على الشر في الفلك . ونجد شبهاً اكثر قوة في المثلين . فكلاهما على درجة روحانية لاتتجاوز الحقل الثاني ، اي الحقل النفسي وهو دائرة النبوة . ان تجربة يونان لم تكن كاملة بدرجة كمال تجربة المسيح ورتبتها . لكن يونان يظل مثلا رائعاً في عالم السرية والروحية والرمزية .

ولكن مثله يظل قائما في الحرفية ــ الحوت مثلا الذي يشير الى الجسد ــ .

لقد دخل يونان بطن الحوت بعد غرقه في لجج المياه . ودخل نوح الفلك عند الطوفان . وكلاهما خرج منتصرا على الطوفان والشر . ولعلنا نستطيع ان نوفق بين يونان والمسيح. فالمسيح يشير الى أن الرمز في قصة يونان لايفسر ولا يؤول . لقد أعطى المسيح المثل دون تفسير . ومازال المثل

قائما دون تفسير . وعلى الرغم من ايماننا بصحة المثل وصلاحه وصدقه وخيره لكنه مازال قائما في عالم السرية والرمزية .

الشعب اليهودي يطلب آية ــ والشعب اليهودي لايؤمن بدون آية . الشعب اليهودي مادي حرفي يريد ان يبصر بعينيه . وبمَ يجيب المسيح على طلب اليهود آية ؟ يقول المسيح : هذا الجيل الشرير يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان آية لاهل نينوى كذلك يكون ابن الانسان آية لهذا الجيل .

يظهر المسيح العلاقة بينه وبين يونان . فكما كان يونان آية كذلك هو اية . وكما ظل يونان ثلاثة ايام في بطن الحوت كذلك سيظل هو ثلاثة ايام في قلب الارض . ان حوت يونان هو قبر المسيح ، وبقاء يونان ثلاثة ايام في بطن الحوت اشارة الى بقاء المسيح ثلاثة ايام في القبر ، وخروج يونان من بطن الحوت اشارة الى صعود المسيح من الموت .

تظهر لنا اهمية الأيام الثلاثة . وتدل الدراسات الروحية القديمة على أن الأيام الثلاثة تشير الى بقاء الروح في الجسد ثلاثة أيام وبعدها تقوم . وقد اشار يونان الى هذه الحقيقة كما اشار اليها المسيح . لكن اشارة المسيح لها كانت على مستوى الروح ــ الدرجة الثالثة ــ بينما ان اشارة يونان لها كانت على مستوى النفس ، الدرجة الثانية . وأية آية يريدها الشعب اليهودي أعظم من هذه الآية ؟

وكأني بالمسيح يقول للشعب اليهودي . أية آية تريدون أعظم من هذه الاية ومن استطاع ان يرفع جسده معه الى السماء بعد ايام ثلاثة ؟ أية آية تريدون أعظم من الآية التي اقدمها لكم ؟ وعلى الرغم من عظمة هذه

الآية فانكم لاتؤمنون . انكم شعب شرير لايؤمن . وفي الدينونة سيدينكم شعب نينوى الذي آمن بيونان وتاب . اما انتم فلا تتوبون . واني اتساءل الان كيف آمن شعب نينوى ولم يكن يهوديا او مسيحيا ؟ وكما يقول المسيح بأنهم سيدينون اليهود . ألا يدل هذا على صحة المشارق والمغارب ، على صحة نبوة المسيح وقوله بأن أناسا يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في حضن الآب وأما اليهود فانهم سيطرحون خارجاً ؟

لقد آمن اهل نينوى ولم يؤمن اليهود . فأهل نينوى يفضلون على اليهود لأنهم آمنوا بما فعله يونان . ولهذا تكون الايام الثلاثة رمزا لبقاء الروح في الجسد ثلاثة ايام بعد الموت الظاهري . ولكن الاية الحقة هي في صعود الروح وفي اختطافها للجسد معها . وأعني ان الاية دليل على تحقيق المسيح لأعلى درجة في الالوهية . وفي الألوهية تقوم الأشياء وتوجد وتحيا روحياً فيها ، اي انها تصبح روحا فيها . ولما كان المسيح قد حقق هذا الرمز العظيم فان جسده صعد مع روحه بعد الايام الثلاثة .

وتستمر سرية المسيحية في نقض الهيكل في ثلاثة ايام . فالمسيح يقول بأنه قادر على نقض هيكل الله في ثلاثة أيام ويبنيه . المسيح قادر على نقض الهيكل — الجسد في ثلاثة ايام ويبنيه . واليهود لايفهمون هذا القول فيفكرون بحرفيته . انهم يفكرون بالهيكل الحجري . وأما المسيح فإنه يشير الى الهيكل الجسدي . وماذا يعني المسيح ؟ لماذا لم يقم الا بعد ثلاثة أيام ؟

لقد عبر المسيح عن بقائه ثلاثة ايام في القبر عن رمزية المسيح بالثلاثة . ولما كانت الثلاثة رمزا روحيا عظيما فان المسيح طبقه في وجوده

الارضي وفي بعثه بالقيامة . المسيح يقول بان كل شيء قد اكمل في اليوم الثالث . وماذا يقصد المسيح بهذا ؟ اولا ، انه يقصد بأنه اكمل كل شيء في الله وقام ، ثانيا ، انه يعني قد قام في اليوم الثالث مكملا الثالث الذي تتصف به المسيحية .

فالمسيح قد اكمل في اليوم الثالث وقام في اليوم الثالث . وكما يبدو ان الكمال مرتبط بالقيامة . لذلك لا تتم قيامة ما لم يتم الكمال . ولهذا فان الانسان الذي لايكمل لايقوم . ولما كان المسيح قد كمل فانه قام في ثلاثة ايام . فالايام الثلاثة رمز الى تحقيق الوجود وبقاء الروح في الجسد ثلاثة ايام بل بانبعاث الجسد مع الروح . اما يونان فانه انبعث دون الجسد ، لان الحوت كان جسده ، ونوح انبعث دون الجسد ، لأن الفلك كان جسده . اما المسيح فقد بعث جسده معه . لذلك كان المسيح هو الحياة[٣] .

ان آية المسيح ، الشبيهة بآية يونان في الظاهر ، هي انه استطاع ان يوحد الوجود ، ان يحقق الوجود في الله ، والله في الوجود . وهذا دليل على ثالوث المسيحية لانه تم بالقيامة . فقد حقق المسيح الثالوث في الأعلى والثالوث في الادنى . فثالوث الاعالي هو الاب والكلمة والروح القدس . واننا نرى تحقيق هذا الثالوث في الاناجيل والرسائل . المسيح هو الكلمة ، اذن هو الانبثاق من الآب ، اذن هو الآب الذي يتحقق بحلول الروح القدس ، اذن هو الابن . هكذا تم تحقيق الثالوث السماوي ، اما الثالوث الارضي فقد حققه المسيح كما يلي : الثالوث الارضي هو الروح والماء والدم . أما المسيح فانه روح الله واما الماء فقد حققه باعتماده فيه ـــ رمز الطوفان

ومعمودية يوحنا المعمدان ـــ واما الدم فانه قدم جسده ـــ الهيكل الى الله فسكن الله فيه . وحقق الثلاثة معا في قيامته التي دلت بأن الهيكل والروح قد اندمجا في قدس اقداس واحد لاينفصل هو الله .

هذه هي الآية التي لم يفهمها اليهود فاستحقوا الدينونة .

حواشي الفصل السادس

١ ــ تشير الحفريات الحديثة الى قصة مماثلة وقت في مابين النهرين،بطلها اوتنا بشتم ، وكما يبدو ان اوتنا بشتم تفوّق على نوح التوراة بالرحمة والمحبة . فهو رحيم يبكي الذين ماتوا غرقاً ويشفق على مصيرهم ، على نقيض نوح الذي يلعن البشر . فكما ان شريعة موسى اخذت من شريعة حمورابي كذلك اخذ طوفان التوراة من طوفان مابين النهرين .

٢ ــ نينوى ، مسرح قصة يونان ، مدينة في مابين النهرين . وهكذا يبدو ان التوراة نسخت كل الروايات والاساطير القديمة التي وُضعت او حدثت في تلك المنطقة ، وادعتها لنفسها ، وغيّرت فيها بما يتناسب مع أهدافها .

٣ ــ يبدو ان المسيح يجعل من امثلة الأمم القديمة التي حدثت او ذكرت مئات السنين قبل موسى امثلة روحية كبرى . أما بالنسبة لليهود الذين اقتبسوها وشوهوها فلم تكن سوى أمثلة مادية .

الفصل السابع

أورشليم السماوية (الجديدة) ـــ المدينة

اورشليم هي القدس ، المدينة المقدسة . فمتى حصلت اورشليم على هذا اللقب الثمين ؟ أكان حصولها عليه قبل المسيح أم بعده ؟ وهل تقدست المدينة بوجود المسيح فيها أم بشيء آخر ؟ المسيحيون يعتبرونها مقدسة لان المسيح ، مخلص اليهود وملكهم ، ولد في بيت لحم اليهودية ، ولأنها مركز صلبه ومدار قصة حياته والمكان الذي دفن فيه . ولكننا نريد ان نمتد الى جذور قدسية اورشليم قبل المسيح .

تعتبر اورشليم السماوية مقدسة لأنها مدينة داود الملك . فقد جعلها داود مركزاً لملكه . ومن بعد داود جعلها سليمان مركزا لهيكله . ولما كان اليهود يعتقدون بأن الله يسكن الهيكل فان مدينتهم أصبحت مقدسة بقدسية الهيكل . وهكذا يعتقد اليهود بان اورشليم هي المدينة المقدسة ، المدينة التي يتوجب عليهم ان يحافظوا عليها وان يستعيدوها حتى مجيء

مسيحهم المنتظر . فمسيح اليهود لايأتي اليهم الا في مدينة الهيكل ، هيكل سليمان ، في المدينة التي أسسها داود وفي المكان الذي اختاره الله ، إلههم يهوه ، لنفسه من أجل سكناه !!

الى اي حد نعتبر مدينة القدس مقدسة حسب المفهوم اليهودي ؟

يخبرنا انجيل لوقا ان المسيح قال بأنه لايمكن ان يهلك نبي خارجا عن اورشليم . « يا اورشليم ، ياقاتلة الانبياء وراجمة المرسلين » . ومع كل هذا يعتقد اليهود ويؤمنون بقدسية مدينتهم . ويخبرنا لوقا ايضا ان المسيح بكى فيما هو يقترب من المدينة وقال : « لو علمت انت ايضا حتى في يومك هذا ماهو لسلامك . ولكن الان قد اخفي عن عينيك ... انك لم تعرفي زمان افتقادك » .

المسيح ينظر الى أعماق مدينة القدس ويرى بأنها المدينة المادية التي ترجم الرسل وتقتل الانبياء . ويبكي المسيح على المدينة لسببين : اولا ، لانها لاتعرف ماهو لسلامها ، وثانياً ، لانها لم تعرف يوم افتقادها . فهل ان المسيح يكلم حجارة المدينة أم أهلها ؟ كان المسيح يكلم اهل المدينة وهم اليهود . ويعتبر هذا الشعب المقاوم والمعاند مشاكساً ويحيا في عالم الظلمة لأنه لايعرف ماهو لسلامه . فقد أتاه المسيح بالسلام الروحي والطمأنينة والغبطة والنعمة لكنه رفضها . وافتقده المسيح وأتى اليه يعلمه الفضيلة والتقوى والعلم الروحي واسرار الحياة وطريق الخلاص ، لكنه رفض . فبكى المسيح على هذا الشعب الذي يسكن هذه المدينة التي أتاها الكثيرون من الانبياء والمرسلين والحكماء فرفضهم .

في دراساتي للأديان العالمية الاخرى وجدت ان احترام الشعوب

والملوك لقديسيهم وحكمائهم وأنبيائهم كبير جدا. ولكن هذا الاحترام او التقدير ينعدم في الوسط اليهودي . ففي الشعوب الاخرى نجد الناس يتبركون من حكمائهم ويقصدونهم في اماكن عزلتهم ويتهيبون وجودهم ، وحتى الملوك يركعون امامهم . أما في الشعب اليهودي فنجد التمرد على الانبياء والثورة عليهم والنفور والاشمئزاز منهم . ويعود هذا الرفض اليهودي للحكمة الى انه شعب يسكنه الشيطان ويستعبده الشر ولا يعرف الله . فها هو المسيح يقول في يوحنا ٢٢:٤ « انتم تسجدون لما لستم تعلمون . أما نحن فنسجد لما نعلم » فلمن يسجد الشعب اليهودي ولا يعرفون ؟ ان كان لايسجد للاله الذي ينادي به المسيح ، وهو الله ، فلمن كان يسجد اذن ؟ وبالاستنتاج المنطقي نقول بأنهم سجدوا للشيطان وعبدوه .

هكذا نرى بأن القدس تعتبر المدينة المقدسة لأسباب عديدة أولها لأنها مدينة داود ، ثانيها لأنها مدينة الهيكل مقر سكن الله ، ثالثها لأنها مدينة الانبياء والمرسلين . وفي هذا التعبير عن قدسية مدينة القدس تعبير اخر عن حرفية القدسية وماديتها . القدس مقدسة لأنها مكان يفرض ان الله يسكنه ويرسل انبياءه اليها . وكم تمتلكني الدهشة عندما افكر في نفسي قائلا : لم يرسل الله ابناءه بهذه الكثرة الى الشعب اليهودي والى هذه المدينة بالذات ؟ ألأنه يحبه ام لانه يفترضه خاطئاً ؟ ان خطيئة اليهود كبيرة وعظيمة وفادحة . فالقدس مدينة مقدسة بالحرف وليس بالروح .

ومن خلال دراستنا اصطدمنا كثيرا بمادية اليهود وحرفيتهم . وقد اوصلتنا هذه الحرفية الى اعتبار مكان ، هو مدينة معمرة بالحجارة ، سكنى لله .

وكما اعتبر اليهود الهيكل مسكنا لله كذلك اعتبروا المدينة المادية ، الحجارة ، سكنى للقدسية .

٢

لكن هذه القدسية تموت وتفنى عندما ننتقل الى دراسة القسم الروحي ، اي المفهوم الروحي الجاثم في معنى المدينة . ففي نظر اليهود تعتبر القدس المدينة التي يُسجد فيها للآب . وقد أبان المسيح كيف انهم يسجدون لما لا يعلمون . ومع ذلك ، فاننا نفترض ان زعمهم صحيح . ففي نظرهم ان جبل صهيون مقدس لأنه مسكن الاله . فبماذا يختلف جبل صهيون عن جبل الاولمب او عن اي جبل مقدس اخر في اية بقعة أخرى من العالم ؟ ان حرفية الاعتقاد تقود اليهود الى الاعتقاد بأن الآلهة يسكنون الجبال ويسكنون في المدن وفي الهياكل المصنوعة بالايادي والحجارة . ان هذا الزعم ، كما اعتقد ، هو تحقير لله ومذلة له .

اما المسيح فانه ينظر الى الامور من زاوية اخرى تختلف اختلافا بينا . فهو يقول لليهود بأنه قد أتى ليعلمهم طريق الخلاص . « لكن تأتي ساعة ، هي الان ، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح القدس لأن الآب يطلب من امثال هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحقّ يجب ان يسجدوا » .

عندما نمعن النظر والتفكير في هذا القول يتضح لنا مايلي :

١ ــ السجود الحقيقي لله هو سجود للآب بالروح القدس .

٢ ــ السجود لله لن يكون في اورشليم ولا في الجبل .

وكما نعتقد ان المسيح يقصد بكلماته هذه التي ذكرها يوحنا الانجيلي ان الله لايُسجد له في الاماكن الحجرية وفي المدن وعلى الجبال التي تعتبر مقدسة لأسباب واهية جداً ولعلة حرفية ومادية . فالله لايهتم بالمدن ولا يهتم بالجبال ولا يسكن المدينة ولا يقطن الجبل من حيث انه مفهوم السكنى المادية والحرفية . فالله لايقبل السجود له في المدن والجبال بل هو يقبله في اي مكان لانه موجود في كل مكان ولا ينحصر في مكان واحد . لهذا يطلب المسيح من اليهود ان يقلعوا عن هذا الزعم القاتل المميت . فالله يطلب سجودا حقيقيا ، هو سجود بالروح ، ولا يطلب سجودا طقسيا ومكانيا ، هو سجود بالهيكل او بالمدينة او بالجبل او بالحرف او بالمادة . الله فوق المادة ولا يحتجز في الحجارة وفي المدن الحجرية . ولهذا يقول المسيح بأنه ستأتي ساعة ، هي ساعة الروح ، لن يكون السجود فيها في اورشليم ولا في جبل صهيون . هذا يعني ان السجود لن يكون في اورشليم لان الايمان الذي سوف ينتشر لن يتوقف عند حدود اورشليم بل يتعداه الى الامم الاخرى . وسيكون السجود في كل مكان ، الامم وغيرها .

والمسيح يتنبأ بخراب اورشليم وتدمير الهيكل . وكأني به يقول : ايها اليهود ، اين تسجدون وكيف تسجدون ان تهدمت مدينتكم وخربت ! وهكذا يضعهم المسيح امام الامر الواقع : وهو السجود بالروح والعبادة بالعقل في غير اورشليم والجبل . ومن اجل هذا يهاجم المسيح حرفية اليهود وماديتهم وتعلقهم بقشور الامور وعدميتها . انه يحاول ان يخرجهم من تفكيرهم الضيق . فكفى ان ينظر الناس الى الله هذه النظرة الضيقة !

فليس لله مدينة مقدسة واحدة وليس له جبل واحد مقدس ، وليس له هيكل مقدس واحد ، بل ان جميع المدن والجبال والهياكل مقدسة ، وجميع الاماكن الاخرى مقدسة . ولما كان الله موجودا في كل مكان فان السجود له يتم في كل مكان . ولما كان السجود لله يتم بالروح فلا حاجة للقول بمدينة مقدسة او بهيكل لان العبادة مسألة عقلية وفكرية وروحية . وتتم هذه العبادة ايضا خارج اسوار اورشليم . لذلك نرى بأن المسيح كان يصلي خارج اورشليم ، في بستان الزيتون ، لم يدخل المجمع ابدا للصلاة . لقد كان المسيح يحب الله وحده ويعبده خارج اورشليم وفي كل مكان في الجليل ، وفي كل مكان في العالم ، ولم يكن يشدد على ان الله لايسكن الا في اورشليم والمدينة المقدسة ، ولا ياخذ له الا شعبا واحدا .

لذلك تتوقف قدسية مدينة القدس الحرفية في قول المسيح بأن الله يطلب السجود الحقيقي بالروح القدس لان الآب يطلب مثل هذا السجود . فالله روح والذين يسجدون فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا . فما هي علاقة السجود بالروح بالمدينة المقدسة ، اورشليم، وماهو مغزى حصر الله في مكان معين واحتجازه فيه ؟ ولما كانت روح الانسان تمكث فيه اينما مضى فان السجود لله يمكث معه ويوجد اينما مضى . وبهذا تتوقف حرفية قدسية اورشليم .

٣

في قولنا السابق راينا كيف ينقل المسيح الموضوع من الحرف الى الروح ، من السجود الآلي الى السجود الروحي ، من حصر الله في مكان

الى وجوده في كل مكان ، من المكان والزمان الى الابدية ، من اورشليم الى كل مدينة اخرى او الى كل مكان . لكن المسيح لايترك كلمة المدينة وكذلك لاتتركها المسيحية . وهاهو بولس يدعو الى بحث كلمة المدينة مرة اخرى .

هناك مدينة حجرية يقدسها اليهودي وهناك مدينة روحية يقدسها المسيحي . هناك مدينة لها اساسات صانعها الانسان وهناك مدينة لها اساسات صانعها وبارئها الله . وبهذا الصدد يقول بولس في رسالته الى العبرانيين : « لأنه (ابراهيم) كان ينتظر المدينة التي لها الاساسات التي صانعها وبارئها الله » . فما هي هذه المدينة واين نجدها .

يقودنا التأمل الروحي الى رؤيا مدينة روحية لها أساسات صانعها الله . وتعني هذه المدينة الجسد الانساني الذي هو مدينة الله . وبهذا نقول ان هذه المدينة تعني الجسد وبالتالي تعني الهيكل . وتعتبر هذه المدينة تلك التي صنعها الله لسكناه . وهكذا نجد في الرؤيا مدينة جديدة ، اورشليم جديدة نازلة من السماء ، هي مدينة حقيقية لاتقوم على اساسات حجرية صانعها الانسان او على أسس مادية . فهي مدينة اعدها الله بأساسات صنعها هو . وهذه المدينة هي الجسد الذي يعني الوجود كله ـــ الوجود كله متضمن في الجسد ـــ ويجعل منه هيكلا . هذا هو الهيكل الذي ندخله لنجد الله فيه . وهذه هي المدينة التي نسكنها ويسكن الله فيها معنا .

ولهذا لايحق لنا ان نفهم هذه الامور من الوجهة الحرفية المادية . فأين هي المدينة ؟ ولم تكون هذه ولا تكون تلك ؟ ماذا يحدث للساجد

المتعبد ان اصابها زلزال فتهدمت او وقعت حرب فدمرت ؟ ولم تكون مصنوعة من حجارة واسس مادية ؟ وكيف يمكن ان يسكن الله فيها وان يعبد فيها فيتخلى عن الناس الاخرين ؟ وهل تقتضي عدالة الله ان يعبد في مكان دون اخر وان يتمتع به شعب دون اخر وان تتصف به مدينة دون اخرى ؟ ولما كان اليهود يدركون الحرف لا الروح ، فانهم فهموا من المدينة اساسات صنعوها هم ، اي مدينة حجرية ، كانت اورشليم . ولقد جاهد المسيح لكي يحول أنظارهم اولاً الى العبادة التي يطلبها الله وهي عبادة روحية ، والسجود الذي يفرضه علينا هو سجود روحي ، وثانياً ، ان السجود والعبادة تتمان في كل مكان وليس في المدينة اورشليم او في جبل صهيون . ولهذا نرى بولس يندد مع المسيح بالفكرة القديمة لكي يجهر بمدينة حقة ، يعبد الله فيها في كل مكان . هي مدينة لاتقوم أساساتها على الأرض ، بل تقوم في الجسد الانساني الذي يحمل روح الله . وبهذه المدينة تتم العبادة والسجود .

٤

ويتطور موضوع المدينة الى رتبة روحية من درجة اعلى ، وهانحن نقرأ في الرسالة الى العبرانيين مايلي : « بل قد اتيتم الى جبل صهيون والى مدينة الله الحي اورشليم السماوية والى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة ابكار مكتوبين في السموات والى دم رُش يتكلم افضل من هابيل » .

في الفصل الذي تحدثنا فيه عن القديس بطرس وجدنا انه كان قد

افرز لليهود لانه كان عميد من يتكلم بلغتهم . ولكننا نجد ان بولس يستعمل الفقه اليهودي ذاته ليفهمهم طريقته الروحية المسيحية . فهو يستعمل ألفاظهم وتعابيرهم انما بتعابير جديدة ومفاهيم جديدة وبروح جديدة تختلف تمام الاختلاف عن استعمالها السابق . نرى بولس يذكر في هذه القطعة جبل صهيون ومدينة اورشليم ولكنه يضيف صفات الى هذه الكلمات فيتبدل معناها . وكيف يبدل بولس معنى هذه الكلمات ؟

ان بولس يذكر الكلمات ذاتها بمدلولات جديدة . فاورشليم الان هي اورشليم السماوية مدينة الله الحي . وجبل صهيون الان هو ربوات هي محافل ملائمة وكنيسة ابكار . وعندما نحاول ان نحلل هذا الكلام فاننا نعتمد على الرمزية الروحية القائمة فيه . ومما لاشك به ان التفسير الحرفي يقتل الروح وبالتالي لايكون تأويلا . فهناك فرق بين التأويل والتفسير . التفسير مادي والتأويل رمزي وروحي .

يختلف معنى الجبل . وكأني ببولس يقول : نعم ، هناك جبل هو صهيون وهناك مدينة هي اورشليم . ولكن الجبل الذي أتيتم إليه أيها اليهود ليس الجبل المادي الذي تعتقدون به وتؤمنون . فالجبل ليس صخورا وترابا وعلوا بل هو جبل محفل ملائكة وكنيسة ابكار . وعلى هذا الجبل لاتجدون المتكم التي تسجدون لها ولا تعرفونها . فهو ليس مثوى آلهة كاذبة بل هو كنيسة ابكار قائمة بذاتها . فأقلعوا ، أيها اليهود ، عن معتقداتكم المادية والحرفية . وانبذوا فكرة الجبل المادي وتعلقوا بمغزاه الروحي والرمزي[1] .

ويختلف معنى المدينة . وكأني ببولس يقول : نعم ، هناك مدينة هي اورشليم . لكنها ليست مدينة قائمة تبنى بالحجارة وأساساتها صنعها

الانسان . انها مدينة تختلف عما تصورتموه في أذهانكم ايها اليهود . المدينة التي أكلمكم عنها هي مدينة روحية سماوية تنزل من السماء . وليست هي مدينة مادية تبنى على الارض وتبنى بالايادي . المدينة السماوية هي رمز لروح الانسان وجسده . فلا تعبدوا المدينة المادية ولا تعتبروها مقراً مادياً للاله ، بل تعبدوا في المدينة الروحية التي يسكنها الله والتي تتمثل بالجسد . ايها اليهود ، ان عبادتكم المادية والماضية هي علة شقائكم وتعاستكم وحرفيتكم . فانتقلوا من هذه العبودية المادية للحرف الى الحرية الروحية ، ومن التعبد المادي الذي تمثلونه بمدينة حجرية الى التعبد الروحي الذي يتمثل في مدينة روحية تتجدد وتنزل اليكم من السماء . توقفوا عن عبادة الله ضمن الاحجار وانتقلوا الى عبادته في المدينة الجديدة السماوية التي هي الجسد ، مسكن الروح .

وتموت مادية اليهودية وحرفيتها عندما يشدد يوحنا في رؤياه العظيمة ، التي لايوجد مثيل لها في عالم الروح والدين ، على رؤيا مدينة جديدة نازلة من السماء . يقول يوحنا في رؤياه : « وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة اورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله ، مهيأة كعروس مزينة لأجلها . وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا : هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا[٢] . وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيء جديداً » .

قلت سابقا بأن أمورا من هذا النوع لاتفهم الا برؤيا شبيهة اي بتجربة روحية . وها نحن نرى يوحنا يتحدث عن مدينة القدس الجديدة . ماذا حل بالقدس القديمة ؟ يقول المسيح بأنها رجسة خراب قائمة في

المكان المقدس . فالقدس القديمة هي جسد الخطيئة الذي انتهى بمجيء وسيط عهد جديد . وهكذا فقد تجردت القدس من حرفيتها وأصبحت ترمز الى القدسية النازلة من السماء . فهي إذن جديدة . وتكون هذه المدينة مسكنا لله مع الناس ويكون كل شيء جديدا . وهنا نستنتج مايلي :

١ ـــ ان المدينة الحرفية لاتنزل من السماء .

٢ ـــ ان تجديد المدينة لايتم بالمفهوم المادي .

٣ ـــ ان سكن الله في المدينة الجديدة لا يكون كسكناه في المدينة القديمة ، والا فان المدينة القديمة تظل قائمة على أساساتها التي صنعها الانسان وليس الله .

إننا لانفهم نزولا لمدينة من السماء بل اننا نفهم نزول جسد من السماء هو خبز الحياة . فالمدينة الجديدة هي الجسد الجديد الذي يسكن فيه الله والذي يتجدد بالايمان والمعرفة . ولما كان هذا الجسد يقوم على أعمدة روحية فإن عبادته تكون روحية . ولهذا فان الانتقال من المدينة القديمة الى المدينة الجديدة هو انتقال من عبادة الحرف الى عبادة الروح ، من الهيكل الحجري الى الهيكل الجسدي ، من الجسد الشهوي الخاطىء الى الجسد المقدس ، مسكن الله .

وكم يؤلمنا ان يعود اليهود الى اورشليم فيعتقدون بأنهم سيبنون مدينة جديدة وهيكلا جديدا لكي يسكن الله وسطهم من جديد . لقد اعتقدوا ان الله غادرهم عندما تهدمت المدينة والهيكل معا . لذلك فقد فهموا من المدينة أساساتها المادية ، المنازل والحجارة فقط ولم يفهموا مبدأ تجديد

القديم والانتقال من الحرف . ولهذا يصح ما قاله فيهم المسيح :« وتكون اورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم »[٣] . وهذا يعني ان اليهود لن يعاينوا اورشليم السماوية الجديدة . الجسد الجديد ، نازلة من السماء ما لم يقلعوا عن الحرف وعبوديته وما لم يعلموا ان هذه المدينة هي مملكة الروح التي ستُحقق في مدينة الجسد .

حواشي الفصل السابع

١ ــ أخطأ موسى عندما اعتقد ان الوحي لايأتيه الا على جبل سيناء ــ لذلك يحوّل بولس معنى الجبل المادي الى معناه الروحي .

٢ ــ استغل اليهود واليهود ــ المسيحيون عبارة « سيسكن معهم » وهم يكونون له شعباً » استغلالا بشعاً ، واشاروا الى ان الشعب اليهودي هو الشعب المقصود وان السكنى ستكون معهم ــ لكن الحقيقة الرمزية الروحية تشير الى ان الله ، اي الروح ، تسكن الشعب الذي يتحلّى بمدينة روحية حقة ، هي الشعب الجديد .

٣ ــ تشير هذه العبارة الى دور الامم المسيحيين في بناء اورشليم الجديدة . وتشير ايضا الى ان اورشليم الجديدة لن تكون مدينة يشيدها اليهود بل تقيمها الامم المسيحية . وهنا أسأل : ما الدور الذي تقوم به الامم المسيحية في سبيل روحنة المدينة المادية ، وارشاد اليهود الى الحقيقة ؟

الفصل الثامن

الموت
أو
الانتقال

ان دراسة الموت تقودنا الى دراسة الحياة . ودراسة العدم تقودنا الى دراسة الوجود . كيف يوجد موت ان كانت هناك حياة ، وكيف يوجد عدم ان كان هناك وجود ؟ فإما ان يكون هناك موت او حياة ؟ وان وجد الاثنان معا فلابد وان يكون الموت والعدم رمزين لإبطال الوجود والحياة .

يعتبر الناس الموت مصيبة كبرى . فهم ينوحون ويبكون ، بل يكفرون بنعمة الله ونعمته ، حينما يقبل الموت . وإني أتساءل عن ضآلة ايمان هؤلاء الباكين النائحين الناكرين الذين يفقدون كل مبادئهم في أحوال من هذا النوع . واني اتساءل عن مقدار مايفهمه هؤلاء عن الموت . لذلك رأيت بأن الموت يضع مبدأ الايمان مقابله . فاما ان يكون

للانسان ايمانه بالله ومعرفة بأسرار الحياة فيؤمن ويعرف بأنه لايموت ولا يفنى وان روحه تبقى وجسده يعود الى عناصره الاولى ، واما انه لايكون للانسان ايمان ومعرفة فيفقد الكل . الموت او الايمان !

ولكن لما كان ايمان الناس سطحيا وبالتالي لايقوم على تجربة روحية ، فانهم يتنكرون لله الذي ادعوا عبادته حين حلول الفراق . كيف كان هؤلاء يعبدون الله وهم يتنكرون له في هذه اللحظة ؟ كيف كانوا يشكرون الله على كل أمر جيد وصالح وفي هذه اللحظة ينسونه ؟ أليس هذا دليلاً على ان ايمانهم بالله كان ايمانا سطحيا لايقوم على مبادىء روحية عميقة ؟ الا يعني هذا أن أنانيتهم كانت تحركهم وان أهواءهم كانت تعمل فيهم ؟ الموت او الايمان .

الناس يتنكرون لله في كل لحظة . ومع انهم يدعون عبادته لكنهم ينكرونه. ويعود هذا النكران لسببين رئيسيين : اولا ، ايمانهم سطحي وكاذب ، وثانياً ، عبادتهم انانية . انهم يقولون لله ، ايها الاله ، اننا نعبدك ونحبك طالما انك تعطينا مانريد ، الخيرات والطيبات ، واننا ننكرك ولا نعترف بك ونتهمك بالقسوة وبانعدام الرحمة لديك عندما تسيء الينا . ويقول الله : كيف احبكم وكيف اسيء اليكم ؟ ويجيبون : انك تحبنا عندما تعطينا كل مانريد ، عندما تكون خادمنا ، واننا نكرهك او بالحري تسيء الينا عندما تأخذ كل مايخصنا وعندما تخطف أحبابنا . هذا هو الحديث الذي يدور بين الانسان ونفسه . والله بريء من هذا التفكير الشرير . الله لايتدخل في هذه الامور . فهي قواعد سرمدية وضعت منذ الأبدية ويخضع لها الكون بأجمله : الموت والحياة .

الموت امر طبيعي . وما كان طبيعياً كان صالحاً . والحياة امر طبيعي ، وما كان طبيعياً كان صالحاً . وأكبر ظاهرتين للوجود هما الموت والحياة . انهما قطبا الوجود . ولا يستقيم الوجود الا بهما . فلا موت الا في حياة . وليس هناك موت في موت بل موت في حياة ، فالوجود حياة والوجوب حياة ، وأما أعراض الحياة فهي الانحلال والموت ضمن الحياة . فليس الموت موتاً أي انعداماً لأنه يستمر في الحياة .

٢

اننا نحاول الآن ان نلقي نظرة اولى على موقف المسيح من الموت .

المسيح لايعتبر الموت موتاً بل يعتبره نوماً . فهو يقول عن الصبية بأنها لم تمت لكنها كانت نائمة . ويقول عن لعازر بأنه قد نام وها هو ذا يمضي ليوقظه . ويذكر عن ابن الارملة بأنه كان نائماً . فما هو الموت ؟ هل هو موت أم نوم ؟

لايختلف الموت عن النوم . فالنوم موت مؤقت . ولما كان النوم حالة من الحالات الروحية ، وكان موتا مؤقتا ، فان الموت حالة روحية تنطلق فيها الروح من عقالها المادي . ولو كنا نعلم كيف ننام لعلمنا كيف نموت . فالموت والنوم متماثلان ولكنهما يختلفان بالدرجة .

وللنوم وجهان : وجه طبيعي عفوي ووجه ارادي . والوجه الطبيعي هو النوم العادي الذي يكون حصيلة حاجة طبيعية في الانسان . فينام

الانسان لان طبيعته تفرض عليه النوم . والنوم الارادي هو النوم الذي يريده الانسان . ويبدأ هذا النوم بالتأمل وينتهي بالاستغراق والغيبة .

والفرق بين النومين هو ان الاول ، بطبيعته ، يبقي على صلة الانسان بواقعه لانه نتيجة مبدأ طبيعي في الانسان . ولكن هذا النوم على غاية كبرى من الأهمية لأنه يُدخل الانسان الى عالم روحه . وطوبى لمن يتعظ من النوم والحلم ويدركهما[1] . وأما الثاني فانه نوم ينتج عن توق للاتصال بالعالم العلوي ويعتمد على اقامة موضوع روحي وتجسيمه في بعض الاحيان . ويكون الاستغراق على نوعين : اما ان يكون مركزا على موضوع واما ان يكون مطلقا . ففي الحالة الاولى يتشكل الموضوع في الذهن نتيجة الرؤيا وفي الثانية يكون الانسان في حالة فناء . ومما لاشك به ان هذه امورا لاتفهم او تدرك الا بتجربة روحية .

ماذا يكون الانسان في هذا الحالات ؟ انه يكون نائما في الحالة الاولى ومستغرقا في الحالة الثانية ومائتا في الحالة الثالثة . وبالفعل يكون الانسان مائتا في الحالات الثلاث بدرجات متفاوتة . ولهذا أدهش كيف يخاف الناس الموت ولا يخافون النوم وكيف لايؤمنون ولا يفهمون ولا يدركون .

هكذا تتضح فلسفة المسيح في الموت . فالموت نوم في نظره . وهو يستطيع ان يقيم الميت لأنه يوقظه . وكما علمنا بأن روح الانسان تظل ثلاثة أيام في الجسد بعد حدوث الفراق المادي . ففي العجائب التي صنعها المسيح في إقامته للموتى تتسنم عجيبة إقامة لعازر القمة . فلعازر كان قد مضى على موته اربعة ايام على عكس ابنة قائد المائة او ابن

الارملة . وهنا تجثم الصعوبة الكبرى . لقد بدت عظمة المسيح الروحية وأظهر بأنه إله عظيم . فقد استطاع ان يعيد الروح بعد ان كانت قد فارقت الجسد نهائياً . وفي هذه المعجزة عمل خارق للغاية . ولقد برهن المسيح على أنه إله السماء والارض . فهو الذي اجتاز السموات ووصل الى القمة العليا في علم الروح ، هي الالوهية .

٣

لقد أدخلنا المسيح الى عالم الموت من خلال النوم . وعندما ننتقل الى فلسفة الموت نجد ان الانسان ينتصر عليه في النهاية . وكيف ينتصر الانسان ؟ وللاجابة على هذا السؤال نعود الى بولس الذي يقول : « آخر عدو يبطل هو الموت » . « أين شوكتك ياموت . أين غلبتك ياهاوية » . ويقر بولس بأن المسيح قد أبطل الموت .

كيف أبطل المسيح الموت ؟ عندما نعود الى فلسفة بولس نجد ان الانسان يزرع جسما حيوانيا ويقام جسماً روحانياً . ومتى تأملنا كلمة « يقام » فإن القيامة تأتي الى اذهاننا . فالقيامة تشير الى غلبة الموت والانتصار عليه . ويكون الموت رمزا للفراق فقط . وهكذا نرى بان المسيح انتصر على الموت فأبطله . وكان الموت هو العدو الاخير الذي تم الانتصار عليه . فكيف ننتصر على الموت ؟

لما كان الانسان يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانياً ، فمن المعقول ان الانسان يسير من المادة الحيوانية الى المادة الروحانية . وفي

عمليته هذه يتطور الى الألوهية . وفي تجربته الروحية يبطل الخطيئة ويبطل معها فعل الجسد . وعندما ينتصر الانسان على الخطيئة ينتصر على الموت . وعندما يحقق تجربته الروحية الكاملة فإن الموت يبطل[٢] . وعندئذ يقوم الجسد مع الروح ويسمى جسما روحانيا . ولا يكون هناك فرق بين الروح والمادة . وهذه هي غلبة الموت .

فالموت قائم طالما ان الانتصار على الجسد لم يتم والعودة الى الكرة الارضية مازالت قائمة . ومتى تم الانتصار على مملكة المادة فان الموت لن يكون موتا بل فراقا . فهناك عدد كبير من الروحانيين الذين عرفوا وقت فراقهم لانهم كانوا في حالة روحية كبرى يعرفون كل مايحدث . ولم يسموا فراقهم موتا بل ، بالعكس ، سموه انطلاقا الى عالم الحق . ولكن ، لما كانت صعوبة الانتصار على الجسد قائمة ، فإن الكثيرين يخضعون له والقليلين ينتصرون . ولا أعتقد بأن أحدا استطاع ان ينتصر على الموت مثل المسيح وبوذا ، المسيح بالقيامة وبوذا بالنيرفانا . ولا يختلف المفهومان في شيء .

ان بولس يشدد على التجربة الروحية التي تصل الى ذروتها في الاتحاد مع الله . ومتى تم الاتحاد او الاتصال به فان الموت يتوقف وتبدأ الحياة في الله . وعندئذ يفنى الموت في الحياة فيموت الانسان ليحيا وليس ليموت . الخاطىء يموت ليموت اما البارفيموت ليحيا . ففي الخاطىء تحقيق للموت وخضوع له وفي البار تحقيق للحياة وانتصار على الموت . للبار خلود وللخاطىء عذاب وشقاء وتعاسة . ويظل الموت قائما بغلبته على الانسان الشرير ويتوقف بتغلب الانسان البار عليه . ولهذا نرى بأن

التجربة الروحية التي تنتهي في الاتحاد بالله وتحقيقه في الانسان تعني الغلبة على الموت والانتصار عليه . وهذا مافعله المسيح . ان تحقيق المسيح للالوهية وضع حدا للموت ، فانتصر عليه . فبطل الموت بالمسيح أي بالطريقة التي بشر بها والتي تعلمنا كيف نقوم بتجربة تحقيق الالوهية لابطال الموت .

٤

هناك عبارات هامة في العهد الجديد تشير الى هذا الموضوع . يقول بولس في رسالته الاولى الى اهل كورنثوس بأن الفاسد لابد وان يلبس عدم فساد وان المائت يلبس عدم موت . ومتى لبس الفاسد عدم فساد ولبس المائت عدم موت فحينئذ تتحقق الكلمة المكتوبة « ابتلع الموت الى غلبة » .

١ ــ هناك الفاسد الذي يعني الجسد ، وهناك المائت الذي يعني الجسد ايضاً .

٢ ــ هناك لبس الفاسد لعدم الفساد والمائت لعدم الموت .

٣ ــ هناك ابتلاع للموت الى غلبة .

متى يلبس الجسد الفاسد عدم فساد ؟ ومتى يلبس الجسد المائت عدم موت ؟ .

هناك مقابل الفاسد يقف غير الفاسد . الفاسد هو الجسد وغير الفاسد هو الروح . لهذا يقف الفاسد ، الجسد ، مقابل غير الفاسد ،

الروح . ومتى انغمس الجسد في الروحانية ، اي التجربة الروحية ، فإنه يلبس غير الفاسد وغير المائت اي الروح . وعندئذ يظل الجسد فاسدا ومائتاً . وماذا يصبح ؟ انه ينتقل من حالة الجسم الحيواني الى حالة الجسم الروحاني . وعندئذ يقوم الجسد لأنه يلبس صورة السماوي .

هكذا نرى ان الانتصار على الموت هو تحقيق للروح الحقة في الانسان . فالجسد لايعمل في حقله ، اي الخطيئة ، التي تعني الموت ، بل في حقل الروح . وبالفعل نقول ان مملكة الروح تعمل في الحقل الذي هو الجسد . فيتروحن الجسد أي انه يتصف بالروح ويكتسب وجودها . وعندئذ لايخضع الجسد للموت لأنه ليس هو بعد جسدا حيوانيا ماديا يخضع للانحلال والفساد بل أصبح روحانيا لاتتحقق فيه قوى الخطيئة والموت .

لاتخرج دعوة بولس عن تحقيق التجربة الروحية . المسيحية كلها دعوة لهذه التجربة التي تشير الى تحقيق الله في الانسان . فمتى حقق الانسان الله فيه فإنه لن يموت لان الله المتحقق لايموت .

ويطبق بولس هذه الحقيقة على نفسه . فإله بولس هو المسيح الذي هو الله . ويقول هذا الرسول العظيم مايلي : « لأني مت بالناموس (بالجسد) لأحيا لله . مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في أعماقي . فما أحياه الان في الجسد انما احياه في الايمان » .

وانا نستنتج مايلي :

١ ــ موت بولس في الجسد .

٢ ــ حياة بولس لله وفي الله .

٣ ــ صلب جسد بولس .
٤ ــ حياته في المسيح وحياة المسيح فيه .
٥ ــ حياة بولس في الايمان (الروح) .

ويشير هذا الانتقال من حياة الجسد الى حياة الروح . ويعني ايضا الدخول في تجربة روحية يموت فيها الجسد ويحيا فيها ، فتموت الخطيئة وتحيا النعمة . وفي موت الجسد صلب له وحياة في آن واحد . ففي صلبه موت مع المسيح وحياة فيه اي قيامة معه . وهكذا يشير بولس الى انه تبنى طريقة المسيح للخلاص . فهو يلبس المسيح ــ الروح الذي أصبح بيده مفاتيح الهاوية والموت ويعني استلام مفاتيح الهاوية والموت الانتصار التام على الموت بالوصول الى قمة الروحانية . فالوصول الى قمة الروحانية يعني الانتصار على الموت . ولا يتم هذا الوصول الا بتجربة روحية تعني نهاية مملكة المادة وبداية مملكة الروح .

ان بولس يريد ان يقول سرا لاهل كورنثوس : « لانرقد كلنا لكننا كلنا نتغير » . ماذا يعني بولس بقوله لانرقد كلنا ؟ انه يشير الى عدم موت الروح . ماذا يعني كلنا نتغير ؟ انه يشير الى التغير من الجسدية الحيوانية الى الروحانية . فالتغير يعني الانتقال من موت الجسد الى حياة الروح ، هذا الموت ــ الحياة الذي يسميه بولس جسما روحانيا . فالموت في رأي بولس رقدة وتغير . فليس الموت موتاً بل هو تغير الى حياة أفضل. وفي قول بولس هذا اشارة الى البقاء بعد الموت المادي الظاهري .

لكن روحانية بولس تتجاوز هذا السر الذي أعلنه في انه فهم اعماق الموت واعماق الحياة . فهو يدعو الى حياة روحية تصل الى اعلاها

في المسيح فيموت في الجسد ويحيا في الروح ، وينتقل ويتغير . انه ينتقل الى عالم الحقيقة والروح ويتغير الى حياة المسيح الحقة ، حياة الروح . فالموت ليس الا نوما او رقدة يتغير فيها الانسان . وأما فلسفته العميقة في الموت فانها تشير الى انتقال من الجسم الحيواني الى الجسم الروحاني ولبسه صورة السماوي ، وعندئذ تأتي القيامة .

٥

كيف يكون المسيح مثال قيامة الروح وممثلا لروح القداسة ؟

ان المسيح الذي تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات هو مثال الانتصار على الموت . فقد استطاع المسيح ان يحقق بنوة الله وان يحقق الآب فنال روح القداسة التي اقامته من الاموات . وهذا ، لانجده في الانبياء اليهود . ولعل شيئا من هذا قد تحقق عند ايليا ولكن برتبة أقل بكثير[٣] . لم يكن موت ايليا صعودا وقيامة بقدر ماكان انخطافا . اما مثال القيامة والصعود بعد المسيح فكان بوذا .

وفي فلسفة بولس مايجعلنا نفكر بروح عميقة وعلم عظيم . يقول بولس : متى لبس هذا الفاسد عدم فساد ، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة تبتلع الموت الى غلبة . متى يصير هذا ؟ لربما لم يستطع الانسان ان يلبس عدم فساد في دورة حياة واحدة . هل سيظل هذا الانسان في حالة فساد الى الابد ؟ ان الهدف من الوجود في صورة بشرية هو لبس الصورة الروحية

اي لبس عدم فساد . ولهذا فإنه لابد من عودة الى حياة لكي يعمل الانسان على لبس عدم الفساد وعدم الموت .

ولما كان اخر عدو يبطل هو الموت فان هناك اعداء عديدين غير الموت . فما هم اولئك الاعداء ؟ الشهوة وكل اعمال الشر كالحقد وحب المال والطمع والأنانية والأهواء والغريزة الخ[٤] . وعلى الانسان ان يحقق انتصاره على هذه الشرور ، اي الأعداء . ولن يبقى عندئذ سوى عدو واحد أخير هو الموت . ولن يتم الانتصار عليه الا بتجربة روحية عظيمة وذلك لأن هذه التجربة لاتتم الا بعد طهر روحي وجسدي .

ولعل اعتبار الموت اخر عدو يبطل يرمز الى المرات التي يعود بها الانسان ليكافح ضد الشيطان والشر . وليس الانتصار على الموت الا الحلقة الاخيرة التي يتم فيها القيامة والصعود وتحقيق الله الكامل .

الموت عدو الانسان لانه يمثل سيطرة الشيطان وقوى الشر على الانسان والحياة . ولذا كان الانتصار على الموت انتصارا على الشيطان ومملكته ، انتصارا على الشر والخطيئة ، ومتى تم الانتصار فان الجسد يموت لأنه حقل مملكة الشر والشيطان ويحيا في روحانية عظمى لاتخضع للموت .

حواشي الفصل الثامن

١ ـــ راجع مقالتي « بسيكولوجيا النوم » في مجلة المعرفة ، العدد ٥٦ لسنة ١٩٦٧

٢ ـــ وهذا يعني انه لن يعود الى الارض ليموت من جديد .

٣ ـــ ان رمزية اختطاف ايليا تشير الى العالم العلوي . فالمركبة النارية السماوية هي الجسم الروحاني .

٤ ـــ الحقيقة هي ان هذه الأعداء مجتمعة تؤلف الموت .

خاتمة

١

ماهو الدين ؟

في هذا الفصل سأورد ماقلته في الفصول السابقة . فهو استنتاج لا اكثر ولا أقل .

الدين هو تجربة روحية عميقة داخلية في الانسان . ونستطيع ان نقول هو حضور دائم للروح الالهية في الانسان . فهو اذن تحقيق لهذا الحضور . والتحقيق هو تجربة روحية .

وفق هذا التعريف للدين نسأل : ماهي الأديان ؟ ونجيب : هي كل تجربة روحية يتحقق فيها الحضور الإلهي في الانسان . ولهذا فان تعريف الدين ينطبق على الأديان الأخرى التي حرمناها من حق الوجود . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأن للأديان تلك تجربة روحية تفوق غيرها بكثير . ولكنها لا تتجاوز روحانية المسيحية أو تجربتها الروحية .

اما التجربة الروحية فقد عرفت منذ الزمان القديم ، منذ ان وجد الانسان . لقد وجدت هذه التجربة لان غاية الانسان في هذا الوجود هي تحقيق الحضور الالهي من خلال تجربته الروحية . لقد عرفت هذه التجربة في كل بلدان العالم . ولكن التجارب الروحية التي قام بها روحانيون كبار لم تسجل اي لم تكتب بل علمت لأتباع نشروا شيئا قليلا منها لم يتجاوز أقوالاً بسيطة وامثالاً قريبة من أذهان العامة . ولهذا يستحيل كتابة التجربة الروحية او تدوينها بل يعجز التعبير عنها ووصفها .

ووفق هذا التعليل ينقسم الدين الى قسمين : اولا ، تجربة روحية لايعبر عنها ولا تحكى ولا توصف ، ثانيا ، أقوال وحكم وأمثال عامة كتبت ودونت . وهكذا يكون القسم الاول ، أي التجربة الروحية حقل المتدين الحق . والقسم الثاني ، أي الأقوال والأمثال العامة ، حقل الانسان العادي . وحتى نكون منصفين نقول ان التجربة الروحية تتحقق في كلا الجانبين اذا استغرق الانسان في اعماقه وحقق باطن الامثال والاقوال .

ولما كانت التجربة الروحية هي باطن الدين فان كثيرا من الديانات لم تكتب . وأعني ان عددا كبيرا من ذوي التجارب الروحية الكبرى لم يسجلوا شيئا فظلت اسرارهم تعلم فقط لاتباعهم . ولما كان هؤلاء الاتباع يخافون من ضياع هذه الثروة الروحية الفكرية الكبرى التي تبحث في الوجود والله فقد عمدوا الى تسجيل نسبة كبرى من معارفهم ومعلوماتهم ومبادئهم واحتفظوا بها في كهوف وفي اماكن سرية لايجهرون بسرها ولا يعطونها الا لمن وصل الى درجة روحية عليا ، اي لمن وصل الى درجة عليا

في عالم المعرفة . المسيح لم يكتب وبوذا لم يكتب وعدد كبير من روحانيي مصر القديمة واشور وكلديا وميديا والصين والهند واليونان لم يكتبوا . فيثاغورس لم يكتب تجربته الروحية ولم يدونها . ومعابد دلفي لم تدون معتقداتها وطرقها الروحية بل علمتها لمريديها وتلاميذها واتباعها السريين . ولهذا نرى ان ما دُوّن يحمل الكثير من الاسرار . انها اسرار بكل معنى الكلمة لاتفهم الا على ضوء تجربة روحية يزداد عمقها بازدياد تحقيق حضور الله في الانسان .

لذلك اقول ان ظاهر الاديان حكم واخلاق وباطنها اسرار عميقة . وهكذا يقسم الايمان الى قسمين : ايمان ظاهري وايمان باطني . وبإمكان المؤمن بأي منهما ان يكون انسانا عظيما متفوقا وذلك لان التجربة الروحية تنطلق من شعور باطني عميق بالروحانية التي تنطلق بدورها من إيمان ظاهر جدا او من ايمان عميق جدا . ويسمى الايمان الاول توقا روحيا والثاني معرفة . وكما رأينا فان المسيحية تجمع بين الاثنين .

اننا نحكم على انفسنا بالجهل عندما نجرد ديانات اخرى من حقها في كونها ديانة . اننا نبرهن على خلونا من التجربة الروحية . فقد امتلأت المسيحية باعتراف صريح بتجارب الغير الروحية . وأما المسيحيون التقليديون فانهم يرفضون لانهم رفضوا كل روحانية في المسيحية وتعلقوا بالحرف فأصبحوا ناموسيين .

إننا نرى الدين متمثلا في أعماق الانسان ، كل انسان . إننا نراه في الوجود والطبيعة والانسان . اننا نراه في الافلاك وفي الذرة . ونراه في كل

حقيقة كونية قائمة . ولا نرى الدين قائماً في طقوس وعبادات لا تمت الى باطن الحقيقة الإلهية والانسانية بصلة . لذلك نرى ان نسبة كبرى من الفلاسفة قد انكرنا عليهم صفة الدين . فالتعاليم السرية الروحية تعترف لكل صاحب تجربة بأنه محقق للدين الذي هو تحقيق الله في الانسان ، أي اللاهوت في الناسوت ، ونسميه نبيا . فالنبي هو كل من جد وراء المواهب الروحية وكل من وصل بها الى درجة عليا تسمى نبوة . وهذا ما يقره بولس الرسول عندما يقول بانه اقتبس من الكل . ماذا وجد بولس عند اليونانيين ؟ انه وجد روحانية كبرى في كتابات فلاسفتهم تحلق الى درجة انها تنتج عن تجربة روحية . ان فلسفة افلاطون وسقراط وفيثاغورس مليئة بروحانية مصر والشرق . ولا ننكر انهم حققوا التجربة . وماذا وجد بولس عند الوثنيين ؟ انه وجد نعمة أولى وايمانا أول في مبادىء الوجود . وماذا وجد بولس عند اليهود ؟ انه وجد ناموسا لايكتمل مالم تفهم روحانيته وعدمت حرفيته . فقد وجد بولس الكثير عند الكل . فلمَ لانجد نحن شيئا عند الاخرين ؟ ألأنهم لم يذكروا في التوراة ؟ ان اولئك قد حققوا التجربة الروحية ، ولهذا فقد حققوا الدين .

٢

التجربة الروحية والقدسية

التجربة الروحية والقدسية هي الرؤيا العالمية الشاملة ، الكل في الواحد . وتتمثل هذه الرؤيا بالمحبة .

تنادي المسيحية بمبدأ المحبة الذي هو مبدأ الشمول . رؤيا الانسان في الله وفي الانسان وفي الوجود . إن محبة الانسان لله هي مبدأ تحقيق الله في الانسان ، ومحبته للانسان هي تحقيق للانسان فيه ، ومحبته للحيوان وللجماد هي رؤيا الكُل في الواحد . المحبة شاملة وجامعة وكلية وعالمية .

لقد نادى بعض الروحانيين الهندوس في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بالدين العالمي الذي يشمل جميع الناس في بوتقة واحدة وفي مبدأ واحد هو الانسانية في الانسان والألوهية في الوجود . فهم يتأملون الانسانية جمعاء ويجدون في غيرهم اساسا لهم وصدى لتفكيرهم وتأملهم . وقد وجدت ان المسيحية تدعو الى تطبيق هذا المعتقد الانساني ـــ الالهي بالمحبة التي تحقق الله والانسان معاً .

التجربة الروحية هي رؤيا الله في الانسان وفي كل شيء موجود على درجات ورتب . ويقول الروحانيون متى تعلم الانسان ان يرى الله في كل شيء فإنه يعرف الله ويحب كل شيء ايضا . ويصل عندئذ الى درجة الرؤيا التي يتم فيها توحيد الكل . لكن المسألة لاتخرج اصلا عن الانسان ذاته . فالانسان هو حلقة الوصل بين المادة والروح ، ولذلك فان الرؤيا تتم فيه والاستنارة تتم فيه ايضا . وليست الرؤيا والاستنارة الا تحقيقا لحضور الله فيه . فالديانة العالمية والاعتقاد بمبدأ الشمول والعالمية والكلية هي رؤيا الله في كل انسان بحيث ان جميع الناس — وهم انسان — يحيون في كنف الله الخالق الآب .

هذه هي القدسية : أن يحب الانسان الاخرين كما يحب نفسه ، اي ان يرى فيهم ما يراه بنفسه ، ان يفكر فيهم مايفكر بنفسه ، ان يحب الله محبة خارقة كلية . وعندما تتم هذه المحبة تتحقق قدسية الانسان لانه يكمل مبدأ الوجود وهو المحبة . ففي المحبة تحقيق لله وللانسان . الله محبة لانه يجمع الكل فيه ، اي ان جميع الاشياء تجتمع فيه . واذاً ، ماذا تعني المحبة هذه ؟ انها لاتعني التناحر بل التجاذب والانسجام والتناسق في الواحد . ولما كان الله محبة فإنه لايكره ، ولما كان لايكره فانه يجذب الجميع اليه . ولما كان يجذب الجميع اليه فان الكل يحيا في سكينته . ولما كانت سكينته هي ملاذ الجميع وحقيقتهم فان الجميع يلتقون في الله . وهكذا تتحق المحبة في شمول الاديان وفي المبدأ العالمي للدين .

المسيحية جوهر هذه الحقيقة . لكن المسيحيين التقليديين لايفقهونها بل يناهضونها . وعندما استمع الى اقوال المسيحيين التقليدين

الذين يحرمون على غيرهم مايحللونه لانفسهم ويجردونهم مما يستبيحونه لانفسهم اجزم عندئذ بأنهم لا يحققون مبدأ المحبة . ففي المحبة نخدم الكل في الله وفينا . وفي تجريد الغير وحرمانهم لانطبق المحبة . المسيحية التقليدية تعلم الانسان ان لايحب لانها قد عادت الى الناموس والشريعة .

ان رؤيا الكل في الواحد ، ورؤيا الانسانية جمعاء في الانسان ، ورؤيا جميع البشر في الانسان الواحد ، تحقيق لمبدأ المحبة . والمسيحية تؤمن بهذه المحبة التي تشير الى نهاية أعمال العدو ، الشيطان . ففي محبتنا الكلية والمطلقة لله ننجذب اليه ولا يتحقق للشيطان اي شيء في الانسان — وقد طبقها المسيح عندما قال : ليس للشيطان اي شيء في . وفي محبتنا الكلية والمطلقة للانسان ننجذب اليه فيموت الشر على الارض ويحيا الناس في سكينة الله . وهكذا تتحقق مملكة السماء والروح في مملكة الارض بالمحبة .

على المسيحية واجب هام هو ان تتحقق هذه الرؤيا فتجعل من ذاتها اداة حقة للتبشير بمبدأ المحبة ورؤياها عن حق في الاخرين . المسيحية لاتجد اصدقاء لها عندمايعلمون بان المسيحي التقليدي يترفع عليهم ولا يعتبرهم خالصين بل يتهمهم بالوثنية . على المسيحية ان تعترف بالاخرين من خلال كتاب العهد الجديد فقط.وعليها وان تعطيهم محبتها التي نادى بها المسيح .

في المسيحية الحقة تجثم رؤيا الكل والشمول والعالمية . والمسيحية التقليدية تدعي بأنها جامعة مع أنها مقوقعة ضمن ناموس لايحقق شيئا من التجربة الروحية والقدسية . فالجامعة في المسيحة التقليدية لاتشهد الا

بتعصب مذهبي قاتل . وأما الرؤيا الكونية والشمول في الانسانية جمعاء فانها تحقق في المسيحية .

انني انجذبت كثيرا الى كتابات البوذيين والهندوس والرواقية ، وتعاليم هيكل دلفي . وقد وجدت مبدأ المحبة والنور والحياة يمثل الجوهر في عقيدتهم . انهم ينادون بالمحبة العالمية ، محبة الانسان في كل ألوانه وأشكاله : ومحبة الله ومحبة الكون .

ان مبدأ الشمول ورؤيا الكل في الانسان يضع نهاية للحروب والمآسي والعنصريات القاتلة الهدامة . ويرى الانسانية في كل متحد ، في جسد واحد وروح واحد تكتمل فيه خليقة الله . والمسيحية لم تعلم البغض بل المحبة . محبة من ؟ محبة الكل ، الانسان والجماد والله . والمحبة تساوي بين الانسان والانسان ، فاذن هي مساواة الكل وجمعهم في قاعدة واحدة تسمى الانسانية . ولما كانت المسيحية تنبعث من الله الذي يجمع الكل فيه ، فان الانسانية التي تنجم عن المحبة هي رؤيا الله وغايته في هذا الوجود .

الفهرس

الموضوع		الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية		٧
مدخل		١١

القسم الأول
المسيحية واليهودية

القسم الثاني
مبادىء المسيحية

القسم الثالث
الغنوصية والايمان والسرية في المسيحية

القسم الرابع
مبادىء المسيحية

خاتمة

صدر للمؤلف

١ ــ رسائل في حضارة البؤس
٢ ــ الاشتراكية ومفهوم العدالة
٣ ــ النقد الفلسفي للماركسية
٤ ــ بحوث فلسفية
٥ ــ خواطر في الانسان
٦ ــ مقالة في العقل والنفس والروح
٧ ــ رد على التوراة
٨ ــ دراسات في المثالية الانسانية
٩ ــ مدخل الى المبدأ الكلي
١٠ ــ التطور في منظور تيارده شاردان
١١ ــ ظاهرة الانسان   تيارده شاردان   ترجمته
١٢ ــ موضع الانسان في الطبيعة   تيارده شاردان   ترجمته
١٣ ــ الفكر الفلسفي الهندي   اداكرشنان ومور   ترجمته
١٤ ــ فكرة مقابل فكرة   ألدوس هلسكي   ترجمته
١٥ ــ الواقع الاجتماعي   مجموعة من المؤلفين   ترجمته

هذا الكتاب

في هذا الكتاب، نقرأ عن الخطيئة الكبرى التي اقترفها اليهود ضد تاريخ العالم وتحول الحقيقة، تلك الخطيئة التي تمثلت في محاولتهم للاحتفاظ «بالكلمة»، والحيلولة دون إيصالها إلى العالم. ونعلم أن تجسّد المسيح بينهم ضرورة كونية غايتها إعادة «الكلمة» إلى مسيرتها في تاريخ العالم.

